

زين نور الدين زين

الصراع الدولي في الشرق الأوسط
وولادة دولتي سوريا ولبنان



دار النشر

١
٥
٤
٠
٠
٦
٧
١

المحتويات

٩	الفصل الاول الشرق الادنى وموقعه الجغرافي وخطورته الاستراتيجية
٢٢	الفصل الثاني المسألة الشرقية : المرحلة الاولى
٣٨	الفصل الثالث المسألة الشرقية : المرحلة الثانية
٦٠	الفصل الرابع سنوات الحرب والاتفاقات السرية
٧٧	الفصل الخامس الحلفاء في سوريا ولبنان - ١٩١٨
٨٨	الفصل السادس فيصل وبريطانيا العظمى وفرنسا
١٠١	الفصل السابع مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩
١١٤	الفصل الثامن الحلاف بين لويد جورج وكليمنصو
١٢٩	الفصل التاسع تسوية « القضية السورية » - ١٩١٩
١٤٣	الفصل العاشر اعلان الامير فيصل ملكاً على « المملكة السورية الموحدة »

جميع الحقوق محفوظة

دار النهار للنشر

بيروت ١٩٧١

الفصل الحادي عشر
سوريا تحت الانتداب الفرنسي

١٥٨

الفصل الثاني عشر
نهاية الحكم الفيصلي في سوريا

١٦٩

كامة ختامية

١٨٠

الهوامش

١٨٥

الملاحق

٢٨١

الفصل الاول

الشرق الأدنى : موقعه الجغرافي وخطورته الاستراتيجية

في الثالث والعشرين من شهر شباط ، عام ١٩٤٢ ، وقبل ان يذبح الرئيس روزفلت خطابه الى الشعب الأميركي ببرهة وجيزة ، وجه المذيع الى المستمعين في الولايات المتحدة ، والى المستمعين في العالم بأسره ، نصيحة جاء فيها انه يحسن بكم ان تتابعوا الرئيس في خطابه « وبيدكم خريطة العالم » وهي شهادة صارخة على خطورة الجغرافيا لفهم التاريخ فهماً واعياً . لقد اشار عدد غفير من الكتاب الذين عالجوا التاريخ والسياسة والاقتصاد والفلسفة إلى خطورة الدور الذي يلعبه الموقع الجغرافي في مشكلات العالم ، القومية منها والدولية . فقد كان هيرودوتس وسترابو ومونتسكيو وكننت من جملة الكتاب البارزين الذين كانوا يؤمنون ان دراسة الجغرافيا امر ضروري لفهم تطور اي بلد من بلدان الدنيا تاريخياً وسياسياً . وفي الواقع ان الجغرافيا تعتبر من « اقل العوامل تعرضاً للتغير » في تاريخ الشعوب . فها هي العوامل الاجتماعية والدينية والسياسية والحكومية عرضة للتغير والتقلب ، غير ان حياة الأرض ، ومواقع السهول والصحارى على سطحها ، واماكن الجبال والوديان والمحيطات والأنهار تكاد جميعها تظل ثابتة راسخة في اماكنها . ليس في الدنيا مناطق كثيرة كمنطقة الشرق الأدنى حيث كان للموقع الجغرافي ، وما يترتب عليه من خطورة استراتيجية ، دور أساسي في تقرير مصائر الشعوب التي تتوطنها . في القرن التاسع عشر كانت الولايات العربية التابعة للامبراطورية العثمانية في آسيا تقع ضمن مستطيل غير متوازي الضلعين قاعدته خط يمتد من خليج العقبة إلى رأس الخليج الفارسي الشرقي ، واما رأس هذا المستطيل فخط يمتد من خليج الاسكندرونة الى نقطة لا تبعد كثيراً عن الشاطئ الشرقي لبحيرة اورميا . واما ضلعا المستطيل الجانبيان فالغربي منهما هو البحر الأبيض المتوسط والشرقي منهما هو بلاد ايران . ومساحة هذه الرقعة الجغرافية تقرب من مئتين وواحد وسبعين الف ميل مربع . اما مصر والعربية السعودية ، على الرغم من انها كانتا من ضمن

الممتلكات العثمانية ، فانهما لم تعتبر من الممتلكات الآسيوية . كان لمصر ، كولاية ، امتياز خاص ، وعلاقة خاصة باستانبول . واما الجزيرة العربية فقد كانت في نظر العثمانيين « مصطلحاً جغرافياً » تقطنها قبائل عديدة ولم يكن لها كيان سياسي مستقل ، وكان على الحكومة العثمانية ان تتعامل مع عدد من رؤساء القبائل ، ومن الأمراء الحاكين ، في مختلف انحاء هذه المنطقة . فقد كانت اهمية الجزيرة العربية تقتصر على كونها مهد الاسلام ، وعلى كون المدينتين المقدستين ، مكة حيث تقوم الكعبة ، والمدينة المنورة ، تقعان في الحجاز . والى هاتين المدينتين المكرمتين يحج الوف المسلمين كل سنة . ان الدول العربية في هذه المنطقة التي حددناها آنفاً ، والتي اصبحت بلداناً مستقلة بعد سقوط الامبراطورية العثمانية ، تشكل جزءاً من منطقة جغرافية تعرف بمنطقة الشرق الأدنى ، والتي اصبحت بعد الحرب العالمية الثانية ، جزءاً من منطقة اوسع غير محددة تعرف بمنطقة الشرق الأوسط . وفي العصور الوسيطة كان الجزء الواقع على شواطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقية من هذه المنطقة يعرف لدى اهل جنوا (Genoa) والبندقية (Venice) ولدى غيرهم من اصحاب المراكب الايطالية ببلاد الشرق (Levante) . وقد ظل هذا الاسم شائعاً طوال القرن التاسع عشر . واما الآن فقد اقلع الكتاب الذين يعالجون شؤون هذه المنطقة عن استعمال هذا المصطلح الجغرافي (١) .

يوصف الشرق الأدنى ، جغرافياً ، بأنه « ارض المتناقضات » . ففي قلب هذه البقعة الجغرافية منطقة صحراوية تمتد جنوباً ذات لون ضارب الى الحمرة فالسمرة ، اديمها اما رملي ناعم او صخري قاس . هذه الصحراء تعرف بصحراء سوريا ، وهي بدورها جزء من الصحراء العربية . ثم هناك منطقة اخرى تمتد على محاذاة الضلع الشمالي من المستطيل بشكل نصف دائرة من الأرض الدكناء ذات التربة الخصيبة الصالحة للزراعة تعرف لدى القدامى بالهلال الخصيب . والى الشمال من الهلال الخصيب مباشرة سلسلة من الجبال تعرف بجبال طورس واماunos وهي تنمة جغرافية للنجد المعروف بنجد الأناضول . والى الشرق تقع سهول وادي دجلة والفرات الفسيحة - وهي من اخصب بقاع الشرق الأدنى ، ومهد حضارات عديدة عظيمة - والى الغرب يقع البحر الأبيض المتوسط وما ينطوي عليه هذا التخم من تيارات حضارية ، ومشكلات سياسية جرّها على منطقة الشرق الأدنى عبر ربطه بالعالم الغربي . وعلى محاذاة معظم الشاطئ ترتفع سلسلة من الجبال يغسل البحر اقدامها في بعض الأمكنة ، كما هي الحال في جبل الكرمل ، ورأس الناقورة ، وعند نهر الكلب ، ورأس شكّا ، وفي امكنة اخرى تشكل عند سفوحها خلجاناً آمنة جميلة كخليج القديس جيورجوس في بيروت وخليج جونبة على الساحل

اللبناني . وتنقسم هذه السلسلة من الجبال الى قسمين رئيسيين ، الجنوبي منهما يُعرف بجبال لبنان ، والشمالي منها بجبال النصيرية ، واعلى قمة في هذه السلسلة قمة تعرف بالقرنة السوداء التي ترتفع فوق اجمة الأرز المشهورة الى علو ثلاثة آلاف وثمانية وثمانين متراً فوق سطح البحر . وبلى سلسلة جبال لبنان الى الشرق سلسلة اخرى تُعرف بسلسلة جبال لبنان الشرقية ويبلغ علوها عند جبل حرمون اي « جبل الشيخ » في الجنوب الفين وثمانى مئة واربعة عشر متراً . وبين السلسلة الغربية وشاطئ البحر يقع سهل ساحلي ضيق حسن الري كثير الخصب . ويزداد اتساعاً باتجاه شمالي الى ان يصل الى وادي نهر العاصي وسهل الغاب . وتتصل السلسلتان معا بواسطة سهل البقاع الذي يندرج في جزئه الشمالي في الهلال الخصيب ، وفي جزئه الجنوبي يتصل بوادي الأردن وبالبحر الميت . وهاتان السلسلتان وما يجاورهما من جبال اخرى هما جزء من التجمعات الحادة التي تمتد شمالاً الى جبال القفقاس ، وجنوباً الى خليج العقبة والبحر الأحمر .

ان سواحل منطقة الشرق الأدنى تعرضت لزلازل شديدة مما كان سبباً رئيسياً في خراب كثير من الهياكل التاريخية فيها البنايات والأنصبه الأثرية . وقد وقعت زلازل عنيفة سنة ٣٤٩ ميلادية خربت جزءاً من بيروت . وفي سنة ٤٩٤ ميلادية وسنة ٥٠٢ ميلادية ضربت الزلازل صيدا وصور وخرتبهما ، ولكن من اعنف الزلازل هو الزلزال الذي ضرب الساحل كله سنة ٥٥١ ميلادية ، وكاد ان يخرب مدينة بيروت المزدهرة تخريباً كاملاً ، بما في ذلك مدرسة الحقوق الرومانية الشهيرة . ويعتقد ان الوفاً من السكان هلكوا بسبب طغيان البحر على المدينة وبسبب الحريق الذي شب فيها في اعقاب تلك الكارثة (٢) .

ان بعض بلدان الشرق الأدنى بلدان زراعية في معظمها . فقد كانت سوريا بمثابة اهرام للامبراطورية الرومانية وبعدها للامبراطورية العثمانية (٣) . وكانت ارض الجزيرة الخصبة - وهي الأرض الواقعة بين دجلة والفرات - وسهول حمص وحماة وحلب الغنية بربتها تنتج كل سنة الوف الأطنان من القمح والشعير والذرة والزيتون . ولكن ما يقرب من ثلثي مساحة الشرق الأدنى صحراء ، وجزءاً كبيراً منها سهوب ، كما ان الأرض التي تصلح للزراعة لا تستغل كلها .

لم تكن الطرق ووسائل النقل متوافرة سهلة في هذه المنطقة . فان السمات السطحية لوجه الأرض في هذه البلدان تحتم ان تكون خطوط المواصلات الرئيسية طرقات تسير في جهة الشمال من خليج الاسكندرونة ، الى جهة الجنوب عند حدود مصر في العريش ، والطرق المائية ايضاً من الشمال الى الجنوب كما هي الحال في نهري دجلة والفرات . ومن المرجح ان تكون طرق للمواصلات طرق القوافل ،

واهمها الطرق التي كانت تتشعب من دمشق ، كنقطة ارتكاز ، الى تدمير شمالاً
 فالى دير الزور والموصل ، ومن دمشق الى بغداد عبر الصحراء السورية ، والى معان
 جنوباً فالمدينة المنورة ومكة المكرمة . وفي ازمة الحج الى مكة المكرمة كان عدد
 افراد القافلة يبلغ مبلغاً يثير الدهشة (٤) . كان بناء الطرق العظام في التاريخ ،
 الرومانيون ، قد بنوا في جميع انحاء سوريا ، شبكة من الطرق الممتازة لأغراض
 عسكرية في الدرجة الأولى . ويستطيع المرء ان يرى جسوراً رومانية واجزاء من
 طرق مرصوفة بالحجارة في انحاء مختلفة من الشرق الأدنى ، بعضها لا يزال في
 حالة سليمة ممتازة . كذلك عثر على معالم من انصبه حجرية تدل على المسافات كانت
 تنصب عند الطرق ومفارقتها ، وعدد كبير منها محفوظ الآن في مختلف المتاحف ،
 وجلتها يعود الى عهد الامبراطور انطونيوس بيوس (Pius) وماركوس اوريليوس
 (Aurelius) (٥) . ومن اشهر طرق الشرق الأدنى ، وربما من اخطرها شأناً
 في التاريخ ، تلك التي تبدأ عند خليج الاسكندرونة (خليج ايسوس - Issus)
 وتنتهي عند غزة في الجنوب مروراً بانطاكية وجبيل (Byblos) وصيدا وصور .
 وهي الطريق التي سلكها الاسكندر المقدوني العظيم في زحفه نحو مصر . وكان قد
 بدأ زحفه في ربيع سنة ٣٣٤ ق.م. عبر آسيا الصغرى (٦) . وكانت هذه الطريق
 تتشعب شرقي حلب الى طريق رئيسية اخرى باتجاه بلاد ما بين النهرين (العراق
 القديم) . وكانت الطريق تجتاز المنعطف الغربي لنهر الفرات بواسطة مخاضة ومركب
 معد لعبور النهر . ثم تسير الطريق على محاذاة سفوح جبال طورس في اتجاهها الى
 نهر دجلة عند نقطة منه تقع على مقربة من مدينة نينوى (Ninevah) القديمة او
 مدينة الموصل الحالية ، ومن هناك الى بغداد ثم ، في نهاية الأمر ، الى منطقة الخليج
 الفارسي ، اما بواسطة دجلة ، او عبر طريق برية تسير على محاذاة الضفة الشرقية له .
 وتشعب عن هذه الطريق طريق اخرى تتصل بالطريق الامبراطورية الايرانية
 القديمة التي تجتاز ايران . وعندما عاد الاسكندر من مصر سلك هذه الطريق وسار
 فيها الى نقطة تبعد قرابة ثمانية عشر ميلاً الى الشمال الشرقي من الموصل حيث كان
 جيش داريوش (Darius) ينتظره .

ولكن في القرن الثامن عشر كانت الطرق على غاية من البدائية ، كما أنه لم يكن
 لها من وجود في بعض الأماكن . والتقارير التي خلفها لنا السياح الذين زاروا المنطقة
 مليئة بوصف الحالة الزرية للطرق في البلاد . يقول والتر كلي (Kelly) : « ان
 التنقل من مكان الى آخر في سوريا يتم دوماً على ظهور البغال او الخيل ، باستثناء
 السفر في الصحراء حيث يستخدمون الجمال . اما العربية كوسيلة للنقل فغير معروفة
 في البلاد ، حتى ان المرء يكاد لا يرى اثراً لعجلة تستخدم في النقل في كل البلاد .

وعندما تعترم النساء والأطفال والعجز السفر الى اماكن بعيدة فانهم ينقلون في
 هوداج تسمى - تحت روان - وهذه الهوداج تستخدم ايضاً لنقل الشخصيات
 المرموقة كالباشا وسواه من وجوه الناس . وتتخذ الهوداج احياناً شكل كرسي
 كبيرة ذات سقف ولكن تجرها الجياد او البغال . وحياناً يشدون الى جانبي سرج
 البغل او الحصان قفصين يضعون فيهما اثنان ما عندهم من حطام هذه الدنيا (٧) .
 كتب وليم طومسون الذي عمل مبشراً في سوريا اكثر من خمسين سنة ،
 يقول : « ... ان عجيبي لشديد لعدم وجود اي نوع من وسائل النقل تسير على
 عجلات ، وعندسماعي اي نوع من الضجيج كنت التفت هنا وهناك متوقفاً ان
 ارى عربة او كراجة او حافلة ولكن ظني كان يخيب دوماً ، وسيظل يخيب . ليس
 في سوريا شيء يمكن ان يطلق عليه اسم عربة ، كما انه ليس في اي جزء من البلاد
 طرق وشوارع تصلح لسير العربات عليها (٨) .

وقد يكون من الطريف لدى القارئ ان نشير الى امر آخر ، وهو ما ذكره
 جون لوثيران (Lowthian) عن زيارته بيروت ، وهو في طريقه الى القدس ، في
 سنة ١٨٤٣ - ١٨٤٤ . قال في مذكراته : « في الثالث من شهر تشرين الثاني اصطحبت
 خادماً نيقولا لنقوم معاً بجولة في المدينة وضواحيها ... ومن ثم ذهبنا الى ضواحي
 المدينة ... فوجدت الطرقات ضيقة وفي حالة متردية . والواقع اني لم ارَ طريقاً على
 شيء من الطول يمكن لعربتين اذا التقيتا ان تمر الواحدة منهما آمنة على نفسها .
 وعندما كنت اركب جواداً خارج المدينة كنت اخشى الوقوع على الأرض ولكن
 الجياد الصغيرة الأحجام الرشيقة الحركة يجب ان تكون قد اعتادت السير على هذه
 الطرقات الخطيرة ، ولذا فانها قلَّ ان تخطيء الخطى . واما العربات على انواعها
 فاني لم ارَ واحدة منها ، وان وجدت فاني ارى نفعها عديم الجدوى اذا ظلت الطرق
 على ما هي من الحالة السيئة . ولكن هذه الطرق على رداءتها ، يقول نيقولا ، فان
 شوارع القدس ، والطرق حول المدينة اسوأ حالاً من طرقات بيروت (٩) .
 ان السكك الحديدية القليلة العدد في الشرق العربي أنشئت جميعها - باستثناء
 سكة حديدية واحدة (١٠) - في القرن العشرين . وهكذا بسبب رداءة الطرق
 وعدم صلاحيتها لسير العربات عليها ، وبسبب انعدام السكك الحديدية ، فإن
 العجلة كوسيلة للمواصلات كانت غير معروفة في البلاد (١١) .

ان موقع الشرق الأدنى الجغرافي شديد الارتباط بأهميته الاستراتيجية ، ولا
 يمكن الفصل بينهما . فان العبارات التي كانت تطلق في القرن التاسع عشر وصفاً
 لهذه المنطقة ، كقولهم انه « جسر الى آسيا » وانه « طريق حيوي للإمبراطورية
 البريطانية » و « الشريان الرئيسي للمواصلات بين اوربا وآسيا » أصبحت عبارات

متداولة مألوفة . نعم ، ان نظرة على خريطة العالم السياسية تظهر لنا ان هناك بقاءاً اخرى يمكن اعتبارها « جسوراً » وخطوطاً حيوية « و « شرايين للمواصلات » . ولكن ربما ليس هناك من بقعة اخرى في الدنيا كلها وقعت حروب على ارضها ، وعبرت شعوب ثم عادت لتعبر ثانية فوق ارضها ، كمنطقة الشرق الأدنى . فهذه المنطقة كانت ابدأ ساحة معركة للجيش ، كما انها كانت معتركا للفكر (١٢) . ان جميع الآثار التاريخية في الشرق الأدنى ، سواء أكانت ابنية ، ام انصافاً ام هياكل ، ام قبوراً ، ام نقوشاً ، جميعها علامات بارزة لفاتح او قاهر او قادم من اوربا او من الجزيرة العربية او من اواسط آسيا . وقد تكون الهضبة الصخرية الصغيرة عند مصب نهر الكلب ، على بعد ستة اميال الى الشمال من بيروت ، اهم بقعة تاريخية على وجه الأرض ، وهي لا تزيد عن بضع مئات من الأمتار طولاً . في هذه البقعة الفريدة يستطيع الزائر ان يرى سبعة عشر نقشاً وتماثيل منحوتة على الصخر لتخليد ذكرى فتح هذا الجزء من العالم على ايدي المصريين القدماء ، والآشوريين ، والبابليين ، والاعريق ، والرومان ، والماليك ، والآتراك ، والعرب ، والفرنسيين ، والجيش البريطاني - من رعمسيس الثاني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد الى الجنرال ولسن قائد الجيش البريطاني ، والجيش الفرنسية الحرة ، الذي احتل سوريا ولبنان سنة ١٩٤١ (١٣) . وما كان الكاتب الألماني ، ارنست جاخ ، بمسرف في القول عندما كتب في ٢٢ كانون الأول من سنة ١٩١٦ ، في المجلة الألمانية دويتشه بوليتيك (Deutsche Politik) يقول : « ان الحرب تأتي من الشرق ، والحرب ستتدلع بسبب الشرق ، وتحسم في الشرق » . ان هذا التوكيد على الأهمية الاستراتيجية للشرق الأدنى العربي قد ترك اثره العميق في تفكير جميع الذين كتبوا عن هذا الجزء من العالم . وبوسعنا ان نورد اقوالاً عديدة للتدليل على الأسلوب الدراسي الذي كان يتبعه الكتاب الذين عالجوا شؤون هذه المنطقة : فقد كتب الكولونيل تشرشل « Churchill » في منتصف القرن التاسع عشر يقول :

« ... اذا كانت بريطانيا ترغب في الحفاظ على سيطرتها في الشرق ينبغي لها ، بشكل او آخر ، ان تدخل سوريا ومصر في نطاق نفوذها وسيطرتها .

« أعلن نابوليون انه سيجعل من مدينة عكا مفتاحاً للشرق . وكانت عقبريته العسكرية على صواب في تقديرها أهمية هذه البلاد (الشرق الأدنى) التي عبثاً حاول الاستيلاء عليها لجعل منها مركزاً ومنطلقاً في اعماله الحربية ضد امبراطوريتنا الهندية . واذا كانت اسوار عكا تنطوي على مصير عظيم لأعداء بريطانيا ، ومن يجرؤ على القول ان حلم نابوليون كان وهماً وخيالاً ؟ - فما قولك بجبل لبنان ،

هذه القلعة الطبيعية الكبيرة القائمة بين العالم الشرقي والغربي ؟ » (١٤) . عندما غزا نابوليون مصر ، وفي الوقت الذي استقر فيه الفرنسيون في القاهرة والاسكندرية ١٧٩٨ - ١٨٠١ أصبح تهديد نابوليون للهند اعظم شغل شاغل للسياسة البريطانية . ولكن عندما غادر نابوليون مصر سراً في شهر آب ، عام ١٧٩٩ ، وعندما غادر آخر جندي فرنسي ميناء القاهرة في شهر آب عام ١٨٠١ ، بدا ان خطر تهديد نابوليون للقضاء على الحكم البريطاني في الهند انتهى امره . وقبل ذلك كان الأميرال نلسون قد احرز انتصاراً باهراً على الأسطول الفرنسي في خليج ابو قير ، في اليوم الأول من شهر آب ، عام ١٧٩٨ . ولهذا الانتصار شأن كبير تبدو اهميته جلية في الرسالة التي بعثت بها شركة الهند الشرقية الى نلسون . هذه الرسالة المحفوظة ضمن اطار كانت في يوم من الأيام معلقة في غرفة القراءة في مكتبة ادارة شؤون الهند قرب وزارة الخارجية في لندن . وهذا هو نص الرسالة :

« ان شركة الهند الشرقية الجليلة الاحترام قررت بالاجماع في جلسة عقدها مجلس الادارة يوم الأربعاء في ٢٤ نيسان ، عام ١٧٩٩ ما يلي :

« ان ترفع الشكر الى الأميرال نيلسون السامي الاحترام للخدمة الجلى التي اسداها لشركة الهند الشرقية ، بسبب الانتصار الخالد الذي احززه على الأسطول الفرنسي عند مصب نهر النيل في الأيام الثلاثة الأولى من شهر آب ، عام ١٧٩٨ . « كما ان مجلس الادارة قرر بالاجماع ، تعبيراً عن عظيم تقديره للمنافع العظيمة الهامة المترتبة على هذا الانتصار ، بالنسبة لمصالح شركة الهند الشرقية ، هذا الانتصار الذي يعود فيه الفضل للقيادة المجيدة التي ابداهها سيادته في تلك الموقعة الرائعة ، ان يطلب الى سيادته ان يتقبل مبلغ عشرة آلاف جنيه » .

في سنة ١٨٦٠ كتب السير هنري بولور (Bulwer) ، السفير البريطاني في استانبول ، الى اللورد ج. رسل (Russell) وزير خارجية بريطانيا يقول :

« ... تعلمون ، سيادتكم ، ان سوريا كانت دائماً تعتبر لدى اولئك الذين انشأوا امبراطورياتهم في الشرق المرتكز الخاص الذي يبنون عليه اي تخطيط عتيد للفتوحات الشرقية . فهي في الواقع حلقة اتصال بين افريقيا ، من جهة وآسيا من جهة اخرى » (١٥) .

من الأمور التي احدثت ثورة في تاريخ وسائل النقل والمواصلات الدولية ، والتي زادت في قيمة الشرق الأدنى الاستراتيجية ، كان افتتاح قناة السويس في شهر تشرين الثاني ، عام ١٨٦٩ . كان شق القناة في بادىء امره امتيازاً فرنسياً منحه الخديوي سعيد باشا ، في شهر كانون الثاني ، عام ١٨٥٦ للسيد فرديناند دي لسيبس . وما ان انشئت القناة حتى ادرك الانكليز اهميتها للدفاع عن الهند وللاتصال بها .

في اثناء الحرب العالمية الثانية ، كتب السيد لويس ا. فرتشلينج (Fretchling) بمناسبة بحثه « استراتيجية الحلفاء في الشرق الأدنى » في « مجلة تقارير السياسة الخارجية » (Foreign Policy Reports) في الأول من شهر شباط ، عام ١٩٤٢ (المجلد ١٧ ، عدد ٢٢) يقول :

« ان منطقة الشرق الأدنى التي تقع جنوبي الجبهة الروسية الطويلة ، وشرقي ساحات المعارك الصحراوية في ليبيا ، وغربي منطقة الصراع الشاسعة في القسم الجنوبي الشرقي من آسيا ، تحتل اليوم مركزاً رئيسياً في الاستراتيجية العالمية . فان طرق النقل تخترقها براً وبحراً ، مما يوفر نقل الجيوش والمعدات من جبهة الى اخرى ، كما تخترقها ايضاً طرق المواصلات التي تضمن تنسيق العمليات المختلفة لجيوش الحلفاء . ولذا فان منطقة الشرق الأدنى تعتبر حجر الزاوية في خطط الحلفاء الدفاعية » .

وكتبت جريدة التيمز (Times) اللندنية في عددها الصادر في ٢٤ تشرين الثاني ، عام ١٩٤٣ ، تقول « ان مجرى الحرب بأكمله قد اظهر لنا بوضوح اهمية الشرق الأوسط بالنسبة الى المصالح البريطانية . وفضلاً عن هذا فاننا قد تعلمنا ان بلدان المشرق ، ولا سيما لبنان ، من اعظم المناطق الحيوية ، فان اهميتها بالنسبة بنا لا تقتصر على كونها مناطق تقع على خطوط مواصلاتنا الى الشرق ، ولكن اصبح من الواضح جداً انه لو تركزت قوة جوية كبيرة لأعدائنا من قاذفات قنابل في الجبال المتينة الواقعة بين سلسلتي جبال لبنان الغربية ومنهما والشرقية ، مع جميع امكانيات تحصينها تحصيناً قوياً ، تستطيع السيطرة فوراً على قناة السويس ، وعلى حقول البترول في كركوك وخطوط الأنابيب ... » حتى انه في زمن قريب منا ، اي في ١٩ حزيران ، عام ١٩٥٢ ، اصدر الملحق الصحافي البريطاني في بيروت بياناً اعلامياً بمناسبة افتتاح مؤتمر لندن للديبلوماسيين البريطانيين في احدى عشرة دولة من دول الشرق الأوسط ذكر فيه الخطوط العريضة للمصالح البريطانية في منطقة الشرق الأوسط . وكان من جملة المصالح الأربع التي أوضحها البيان ثلاث منها مصالح استراتيجية ، وهي : « اولاً المحافظة على حرية خطوط المواصلات الدولية الحيوية التي تشكلها منطقة الشرق الأوسط جغرافياً ، والابقاء عليها مفتوحة . ثانياً المحافظة على حرية الانتفاع بمخزون حقول النفط لصالح العالم الحر ولنفعه بلدان الشرق الأوسط . ثالثاً تشجيع العمل على اتخاذ اجراءات فعالة للدفاع عن هذه المنطقة ضد اي اعتداء عليها من الخارج » . وقبل هذا بخمس سنوات عبر وزير الخارجية البريطانية ، ارنست بفن (Bevin) ، عن هذه الفكرة ، ولكن بكلمات قليلة ، في المؤتمر الوطني لحزب العمال الذي عقد في ٢٩ ايار عام ١٩٤٧ ، بقوله : « انه ليس من صالح بريطانيا ان تفقد مكانتها في الشرق الأوسط » .

في هذا الحين كانت الولايات المتحدة قد تخلت عن « عزلتها الرائعة » . وقد كان دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية بدء اهتمامها المباشر بشؤون الشرق الأدنى كجزء من سياستها الوطنية . ففي اثناء الحرب ، وبعدها ، وقعت سلسلة من الأحداث التي جذبت الولايات المتحدة أكثر فأكثر الى دوامة سياسة الشرق الأدنى . ذلك انه في ٣ كانون الأول من سنة ١٩٤١ اعلن الرئيس روزفلت (Roosevelt) ان « الدفاع عن تركيا امر حيوي للدفاع عن الولايات المتحدة » . وبعد خمس سنوات ادلى الرئيس ترومان (Truman) بالبيان التاريخي التالي الذي ألقاه بمناسبة خطاب الجيش في ٦ نيسان عام ١٩٤٦ : « في هذه المنطقة (الشرق الأدنى) موارد طبيعية هائلة ، فضلاً عن أنها منطقة تقع عبر افضل الطرق البرية والمواصلات الجوية والمائية . فهي لذلك بقعة ذات اهمية اقتصادية و استراتيجية عظيمة ، غير ان شعوبها ليست من القوة بحيث ان الدولة الواحدة ، او كلها مجتمعة تستطيع ان تقاوم العدوان القوي اذا اتاها من الخارج . ولذلك يسهل على المرء ان يدرك كيف ان الشرق الأدنى والأوسط يمكن ان يصبح يوماً ما حلبة لمنافسة عنيفة بين القوى الخارجية ، وكيف ان تنافساً كهذا يمكن ان يتحول فجأة الى نزاع مسلح » .

كما انه ينبغي لنا ان نذكر ان اكتشاف حقول غنية بالنفط في ايران والعراق والجزيرة العربية في السنوات الأخيرة قد زاد كثيراً من اهمية هذه المنطقة الاستراتيجية في النصف الأول من القرن العشرين . وقد انشئت انابيب عبر مئات الأميال مخترقة الصحراء والسهول والجبال ليسيل فيها هذا السائل الثمين الى شواطئ البحر الأبيض المتوسط .

ثم انه فجأة لم يعد لمنطقة الشرق الأدنى اهمية كبيرة بدءاً بالنصف الثاني من القرن العشرين . وكان اول الأسباب واهمها في هذا التغير الذي « خفض » من قيمة اهمية الشرق الأدنى استراتيجية تقدم العلوم الطبيعية الصاعق المذهل الذي اسفر عن انتاج القنبلة الذرية ، وبناء الطائرة ذات المدى البعيد التي تفوق سرعتها سرعة الصوت ، وصنع الصواريخ العابرة للقارات . وأصبح الانسان يستطيع بلوغ اي جزء من اجزاء سطح الأرض بواسطة الجو سواء كان هذا للخير ام للشر . وقد فقدت الحواجز البرية ، والحدود الطبيعية - وفي الواقع جميع الحدود الطبيعية - اهميتها وخطورتها . اما على الصعيد السياسي فان قيام دول عربية مستقلة ، ونشوء قومية عربية ذات ملمح معاد للغرب ، وانشاء دولة اسرائيل ، جميع هذه العوامل قضت على سيطرة الغرب المباشرة على منطقة الشرق الأدنى . ويحسن بنا ايضاً ان نشير الى تحول آخر جرى في المنطقة وهو ان قناة السويس فقدت اهميتها بعد حرب

حزيران من سنة ١٩٦٧ ، كطريق مائي دولي للتجارة والمواصلات . ولكن اهم هذه العوامل جميعها ، عامل خطير الشأن ، نعتي نيل الهند استقلالها . ففي شهر آب من سنة ١٩٤٧ حدث امر لم يسبق له مثيل في تاريخ الامبريالية ، وهو ان بريطانيا ، آخر الامبراطوريات العظيمة في التاريخ ، منحت الهند ، اقدم جزء في امبراطوريتها واكبره ، واغناه ، واكثره سكاناً استقلالها الناجز التام .

والحق ان الهند كانت امبراطورية بذاتها ، وكانت الملكة فيكتوريا تلقب بامبراطورة الهند . وليس من الاسراف بشيء اذا قلنا ان الدوافع الرئيسية في كل نشاط كانت بريطانيا تقوم به في منطقة الشرق الأدنى والأوسط ، وفي كل نفوذ كانت تحاول بسطه في هذه المنطقة ، كانت تنبع بشكل ما من مصالحها في الهند .

والواقع انه مهما قلنا عن اهمية الهند بالنسبة الى بريطانيا فاننا لا نكون مبالغين في القول . ان الدور الذي لعبته الهند في المصالح البريطانية ، وفي نفوذ بريطانيا واثرها في الشرق الأدنى ، يظهر جلياً واضحاً من الخطاب الذي القاه اللورد كرزون (Curzon) في معهد الفلسفة في مدينة ادنبروغ (Edinburgh) سنة ١٩٠٩ .

وسنأتي على مقتطفات من هذا الخطاب في الفصل التالي .

ولكن اذا كانت قيمة الشرق الأدنى واهميته الاستراتيجية قد انخفضت كثيراً بالنسبة الى ارضه كمرتكز فان اهمية بحره ، اي البحر الأبيض المتوسط ، وبصورة خاصة الجزء الشرقي منه قد ازدادت خطورة اكثر من ذي قبل . وفي هذه البقعة بالذات يسبب الاتحاد السوفياتي « قلقاً عميقاً » للعالم الغربي ، لا سيما بعد ان احرز نجاحاً عظيماً على الأرض العربية في السنوات القليلة الماضية بصفته نصيراً للقومية العربية وحامي استقلال بعض الدول العربية .

ان قيام مصالح للاتحاد السوفياتي في منطقة الشرق الأدنى والأوسط ليست بالأمر المحدث في العلاقات الدولية . ففي عهود القياصرة كانت روسيا تعلن للملأ انها حامية الأقليات العرقية من الرعايا في الامبراطورية العثمانية . - لا سيما الأقلية السلافية منها - وحامية الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية وأتباعها . وفي ٢٩ ايار من سنة ١٤٥٣ عندما احتل الأتراك « روما الجديدة التي هي استانبول » اي بيزنطية القديمة - مقر المسيحية الشرقية وموطنها العظيم - فان روسيا لم تقنع بتنصيب نفسها الزعيمة الدينية للمسيحية الأرثوذكسية عوضاً عن استانبول . ولكن هذه العاصمة العظيمة ، استانبول ، اصبحت مدينة يعتبرها قياصرة روسيا مطمحاً من مطامعهم ، وكذلك الدردنيل ، ومياه البحر الأبيض المتوسط « الدافئة » .

ولسنا هنا في مجال بحث السياسة التوسعية التي اتبعها كل من القيصر بطرس الأكبر والامبراطورة كاترين العظيمة في اثناء القرن الثامن عشر ، ووصول الأسطول

الروسي الى البحر الأبيض المتوسط واحتلال مدينة بيروت من شهر تشرين الأول ، عام ١٧٧٣ ، الى شهر شباط من سنة ١٧٧٤ ، عندما رفر « العلم المسكوبي » فوق بوابة المدينة الرئيسية الى جانب صورة الامبراطورة كاترين ، ولكننا سنكتفي بلفت نظر القارئ الى هذه الحقيقة الرئيسية وهي ان الروس ، آخر الأمر ، توصلوا الآن الى ما كانوا يصبون اليه منذ زمن بعيد : ان يكونوا قوة عسكرية في البحر المتوسط . ان السفن الحربية السوفياتية التي تسير بقوة نووية ، الى جانب السفن الحربية التقليدية ، والمدمرات ، والغواصات المجهزة بالصواريخ الموجهة وغير المجهزة منها ، تمخر الآن عباب المتوسط ، احياناً في اتجاه معاكس ، واحياناً اخرى في الاتجاه ذاته الذي يسير فيه الأسطول الأميركي السادس ، واساطيل اخرى لدول غربية ، وذلك « حفاظاً على سلامة وامن الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي » واعلاماً لمن يهمهم الأمر ان الاتحاد السوفياتي له « حقوق سيادة » لاستخدام هذا « البحر المفتوح » من وجهة نظر « تاريخية وسياسية واقتصادية وجغرافية » على حد قول جريدة البرافدا (Pravda) التي تتكلم بلسان الحزب السوفياتي ، كما ورد في عددها الصادر في ٢٧ تشرين الثاني ، ١٩٦٨ .

في عالم تسيطر عليه السياسة القائمة على القوة ، وفي عالم تسيره الديبلوماسية الماكيافلية اصبحت الشرق الأدنى من خلال القرن التاسع عشر مجالا حيويًا لدولة عظمى ، او لأخرى ، كما انه اصبحت بيدقاً على رقعة الشطرنج تحركه المنافسات والمنازعات الدولية . في هذه البقعة كانت تصطرع المطامح التوسعية والمنافسات العنيفة بين الامبراطوريات العظمى ، سواء كانت امبراطوريات شرقية ام غربية . وكان التنافس الجباران الى سنوات عديدة بريطانيا العظمى وروسيا . وكان التخوف والشك والريبة تسيطر على جو المنافسة بينهما . ومثال على هذا نشير الى ما ذكره اللورد بارنغتون (Barrington) في ٢٣ تشرين الأول ، عام ١٨٧٦ ، في تقريره الذي ضمنه مذكرته من ان اللورد بيكونسفيلد (Beaconsfield) قال ، في خلال مناقشة الاقتراح القائل ان يسمح لروسيا ان تحتل استانبول مقابل احتلال بريطانيا لمصر ، وبذلك تكون بريطانيا قد ضمنت سلامة « طريقنا الى الهند » : « ان الجواب على هذا الاقتراح جلي واضح . فانه اذا استولى الروس على استانبول فانهم يستطيعون ، في اي وقت يشاؤون ، ان يبعثوا بجيوشهم عبر سوريا الى مصب النيل ، بعدها ماذا يكون النفع من احتلال مصر ؟... (١٦) . اما الآن وفي النصف الثاني من القرن العشرين فقد انتقلت حلبة المنافسة الى مياه البحر الأبيض المتوسط ، وهي منافسة قائمة ، في الدرجة الأولى ، بين الدولتين الجبارتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . والخوف من امكانية وقوع مجابهة عسكرية

بين الجبارين يتمركز الآن فوق مياه المتوسط لا على البر ، ومرد هذا كله الى اسباب « تاريخية ، وسياسية ، واقتصادية ، وجغرافية » .

وينبغي لنا ان نتذكر ان منطقة الشرق الأدنى ، بعد ان افتتحها العرب المسلمون في القرن السابع للميلاد ، استمرت في اسلوب عيشها غير متأثرة بالتيارات والمؤثرات الغربية - نستثني من ذلك بعض الظواهر الخارجية العرضية - حتى مطلع القرن التاسع عشر . فان الحملات الصليبية التي دامت مئتي سنة اسفرت عن القليل من النتائج الفكرية العميقة والدائمة الأثر . وكان مقدم الأتراك في القرن السادس عشر واستيلاؤهم على منطقة الشرق الأدنى بمثابة تأسيس حكم اسلامي آسيوي آخر في المنطقة ، واقفال الأبواب دون احتلال الغرب له حتى اوائل القرن العشرين .

ولكن ليس من جدوى في ان ينصرف المرء الى الحلدس والتقدير في التاريخ فالواقع هو ان الشرق الأدنى العربي قد وجد نفسه ، منذ اواخر القرن التاسع عشر منجرافاً أكثر فأكثر الى دوامة المصالح الاقتصادية والسياسية المتضاربة للدول العظمى . ولذا كانت اهمية الاستراتيجية عظيمة الشأن . والأهمية الاستراتيجية لبلد ما ، من هذه الناحية ، هي قيمة هذا البلد ونفعه بالنسبة الى اغراض الدول العظمى ومطامحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية . وفي نظرنا ان البلد الذي له مثل هذه القيمة الاستراتيجية ، يظل استقلاله مرتعناً بمشيئة تلك الدول .

يقول لنكولن ستيفنس (Lincoln Steffens) في سيرة حياته ، التي كتبها هو نفسه ، ان مثل هذا السؤال : « من الذي بدأ الشر ؟ » يجب ان يستبدل بهذا السؤال : « ما سبب الشر ؟ » ويتابع كلامه قائلاً : « انتم تعلمون ان معظم الناس يقولون ان آدم كان السبب في بدء الشر والخطيئة . ولكن آدم ، كما تذكرون ، كان يقول ان السبب في ذلك هي حواء المرأة . فانها هي البادئة ، اي انها هي التي اقتطفت التفاحة المنوعة . غير ان حواء ادّعت ان الحية اغوتها ، فالحية اذن هي المسؤولة عن الشر . ومنذ ذلك الحين وانتم ، ايها القسوس ، مقتنعون راضون عن السبب : انها الحية ، اي الشيطان . واما انا فأريد ان ابرهن لكم ان التفاحة ذاتها هي السبب . » (١٧) في تعليقه حول هذه القضية اي من بدأ الشر في جنة عدن يقول الدكتور ج. س. بادو (Badeau) : « مادام هناك ثمرة شبيهة متدلية من شجرة في جنة عدن ، فان قطافها سيغوي احد الناس . وهذا هو السرّ في تورط منطقة الشرق الأدنى في الشؤون العالمية . فلقد كان في هذه المنطقة ، التي هي جنة عدن ، بكل ما في المصطلح من معنى ، « تفاح » شهبي يود كل امرئ ان يقطف منه : تجارة يريد احتكارها ، وموارد طبيعية يرغب في تطويرها والانتفاع بها ،

ومناطق يريد بسط نفوذه عليها .. لأن العوامل الجغرافية تعمل عملها في هذه المنطقة ، فشعوبها لم تستطع يوماً أن تتصرف بشؤونها حرة طليقة دون ان تكدر صفو عيشها مصالح الدول العظمى فيها . (١٨) .

الفصل الثاني المسألة الشرقية : المرحلة الاولى

« ذلك التشابك المتقلب الوعر من مصالح متضاربة ، ومن شعوب متنافسة ، ومن اديان متنابهة ، نقمنها بقناع شفاف ، ونطلق عليها اسماً يسيراً : المسألة الشرقية. غير ان جذور المسألة الشرقية ، كما يعرفها كل امرئ حق المعرفة ، هي وجود الاتراك العثمانيين في اوروبا ، واستيلائهم على مدينة القسطنطينية - ذلك الموقع الفريد الملوحي المنيع الرابض على الارض الاوروبية ، ووجهه ناحية آسيا - وسيطرتهم ، كسلمين اسيا ، على شعوب مسيحية . »
جون مورلي (John Morely) (١)

يعتقد ان اول مرة ورد فيها المصطلح : « المسألة الشرقية » كان في اثناء انعقاد مؤتمر فيرونا (Verona) سنة ١٨٢٢ « ليشمل المشكلات الدولية التي كان ينطوي عليها انحلال الامبراطورية التركية الوشيك » . لقد اتخذت هذه المسألة الشديدة التعقيد احكاماً واسعة النطاق ، ومرت في اطوار متعددة الجوانب ، حتى انه ليستحيل على المرء حصرها في اطار واحد من التعريف .

غير انه يمكننا ان نقول ، بوجه عام ، ان المسألة الشرقية مسألة تتناول المصالح المتضاربة ، والتنافس العنيف الذي وقع بين الدول الأوروبية والشرق الأدنى ، في مجالات السياسة والاقتصاد والدين . ولكنها ، على وجه التحديد ، كما كانت تعنيه في القرن التاسع عشر ، مسألة تتناول ، في الدرجة الأولى ، الامبراطورية العثمانية منذ ان ظهر الاتراك العثمانيون في آسيا الصغرى ، وفي جنوبي اوروبا ، وفي منطقة الشرق الأدنى . فقد كتب البرت سورل (Sorrel) يقول : « منذ ان ظهر الاتراك في اوروبا نشأت مسألة شرقية » .

في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية العثمانية دولة قوية تتميز بميلها الى الحروب والفتوحات - كان ذلك بين القرن الرابع عشر وأواخر القرن السابع عشر - تمكنت من احتلال البلقان ، ومن بلوغ مشارف فيينا مرتين ، في سنة ١٥٢٩ و ١٦٨٢ ، عندما كانت دولة « تشيع الرعب في اوروبا » وكانت بلغة ادورد غبون (Gibbon) « الصاعقة العثمانية » . في اثناء تلك القرون عندما كانت الامبراطورية العثمانية « الرجل الأوربي المعافى السليم الجسم » كانت دوافع المسألة الشرقية كراهية الأتراك وبغضهم عسكرياً وعرقياً ودينياً . ولكن عندما اخذت الامبراطورية تضعف وتقهقر رويداً رويداً أصبحت المسألة الشرقية مسألة تعنى « بالمشكلات الدولية المترتبة على انحلال الامبراطورية التركية وتجزؤها الوشيك » . وعند التحليل النهائي لهذه المشكلات نجد انها كانت تدور حول سؤال جوهرى : اية دولة ، او دول ، ستكون وارثة هذه الامبراطورية الغنية الشاسعة المساحة ، وتحلّ الامبراطورية العثمانية لملاء الفراغ الذي سيحدثه زوالها من الوجود .

في المرحلة الأولى من مراحل المسألة الشرقية كان الأتراك يشكلون تهديداً حقيقياً للنظام السياسي والاجتماعي في اوروبا . اما في المرحلة الثانية من مراحل هذه المسألة فلم يكن الأتراك يشكلون خطراً على اوروبا بل كانت الدول المسيحية في اوروبا تشكل خطراً على الأتراك ينذر بزوالهم من الوجود .

وينبغي لنا الآن ، بهذه المناسبة ، وفي هذا العصر العلماني « والملمحد » الا ننسى والا نقلل من شأن هذه الحقيقة ، وهي ان العامل الديني كان من اهم عوامل المسألة الشرقية . فان الأتراك لم يكونوا فقط غرباء عن اوروبا عرقياً ولغوياً واجتماعياً ، وبلغه هـ. أ. ماريوت (Marriott) « مادة غريبة كلياً مغروسة في جسم اوروبا الحي » بل كانوا أولاً وآخرأ مسلمين . فقد انشأ الأتراك منذ ظهور الاسلام اكبر واقوى امبراطورية اسلامية تعرف بالامبراطورية العثمانية . ولذا فان المسألة الشرقية ، كما عرفها ادوارد دريو (Driault) هي « مشكلة القضاء على قوة الاسلام السياسية » .

بعد ان افتتح الأتراك مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وضعت خطط عديدة لتقسيم الامبراطورية العثمانية . وقد جمع ت. ج. جوارا (Djuwara) الدبلوماسي الروماني ، لا اقل من اثنتين وتسعين خطة من هذه الخطط (٢) . ومن بينها خطط وضعها باباوات مشهورون ، مثل البابا ليون العاشر ، وكليمنت الثامن ، وأخرى وضعها ملوك واباطرة امثال مكسيميليان الأول ، ونابوليون الأول ، ودبلوماسيون ، ورجال سياسة امثال البروني (Alberoni) وتاليران (Talleyrand) كما ان رجالات من اصحاب الخيال الشارد ، ومن المثاليين امثال ليبنتس (Leibnitz) وراهب

سان بيير (L'Abbé de St. Pierre) اشتركوا ايضاً في وضع مثل هذه الخطط لاقتسام تركيا .

وما دامت تركيا دولة قوية ، وأعداؤها دولاً ضعيفة فان جميع الخطط الأوروبية لتقسيمها كانت تبوء بالفشل . ولكن عندما تبدلت الحال في القرن الثامن عشر ولم تعد تركيا تشكل خطراً على أوروبا فان الدول الأوروبية لم تعد هي ايضاً تكثرث بقضية ازالته من الوجود ، لأن الامبراطورية العثمانية اصبحت اذ ذاك احد حجارة الزاوية في سياسة توازن القوى بين الدول . واصبح الحفاظ على كيان الامبراطورية العثمانية ضماناً « لتوازن القوى » . يقول دي غيشن (de Guichen) : « لقد كان من جملة نتائج استيلاء الأتراك على جزء من أوروبا تحوير سياسة الدول الغربية ، وتعديلها تعديلاً تاماً بحيث اصبحت السياسة ، منذ ذلك الحين ، لا تقوم الا على نظام واحد : نظام توازن القوى ، وهو الوظيفة التي تقوم بها المسألة الشرقية » . (٣) .

في اثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر وقع حادثان خطيران دفعا بالدول الأوروبية العظمى لتركيز اهتمامها على الشرق الأدنى ، وحملها على التدخل الفعال في شؤون المسألة الشرقية . وكان اولهما غزوة نابليون لكل من مصر وسوريا (١٧٩٨ - ١٨٠١) وثانيهما تعاظم قوة محمد علي العسكرية والانتصارات التي احرزها في حروبه ضد السلطان محمود الثاني (١٨٣٠ - ١٨٤٠) وكان من نتائج الحادث الأول تدخل بريطانيا العسكري في مصر ، ومن نتائج الحادث الثاني ، أولاً ، تدخل روسيا ، ومن ثم ، تدخل فرنسا ، وأخيراً تدخل بريطانيا في شؤون الشرق الأدنى . وقد هزم كلاهما ، نابليون ومحمد علي ، واحتفظ السلطان العثماني بعمره . غادر نابليون (مصر) في ٢٢ آب من سنة ١٧٩٩ ، رجلاً مغلوباً على امره وخلف وراءه جيشاً فقد الأمل بالعودة الى فرنسا ، جيشاً يتناقض عدده يوماً بعد يوم بسبب الأمراض . وفي شهر آب من سنة ١٨٠١ سقطت الاسكندرية في قبضة حملة عسكرية بريطانية . وأخيراً تم استسلام القوات الفرنسية في مصر في مطلع شهر تشرين الأول ، وذلك بسبب خمول القائد ، الجنرال منو (Menou) ، وتقاعسه ، ومن جراء عزوف الجيش عن القتال (٤) . فكان ان اصبحت سمعة فرنسا والمكانة التي كانت تحتلها بصدمة عيفة ، وبرزت بريطانيا كدولة تحمي استقلال تركيا السياسي ، وتصون سلامة اراضيها .

بعد الهزيمة التي مني بها نابليون ، وبعد عودة آل بوربون (Bourbon) الى العرش ، نشأت ، بين سنتي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ ، خلافات خطيرة بين بريطانيا العظمى وفرنسا حول شؤون الشرق الأدنى . ففي سنة ١٨٣٢ ، وكذلك في سنة

١٨٣٩ ، جرد محمد علي باشا ، والي مصر القوي حملة عسكرية بقيادة ابنه ابراهيم باشا ، ضد السلطان محمود فهزمت الأتراك في معركتين الأولى في قونية والثانية في كوتاهية في آسيا الصغرى . وحدث ان مساندة فرنسا لمحمد علي باشا ، وموقف بريطانيا ، سنة ١٨٣٢ ، الذي كان « موقف انتظار وترقب » بعثا الأسي واليأس في نفس السلطان محمود فارتدى في احضان روسيا . فأسرع القيصر نيقولا فوراً الى مساعدة السلطان بغية انقاذه من ورطته . وفي سنة ١٨٣٣ وصل جيش روسي وخيم في سهل معشوشب على مقربة من قرية اونكيار - اسكليسي (Unkiar Skelessi) على الشاطئ الآسيوي من البوسفور . وفي الثامن من شهر تموز من العام ذاته احرزت الدبلوماسية الروسية انتصاراً وذلك بتوقيع معاهدة اونيكار - اسكليسي الشهيرة التي تنص على اغلاق الدردنيل بوجه جميع الأساطيل ما عدا الأسطول الروسي الأمر الذي كان بمثابة صدمة هزت اركان السياسة البريطانية في المنطقة . وفي آخر الأمر انتصرت سياسة الحزم على سياسة التردد « والترقب والحذر » التي كان يتبعها بالمرستون . (Palmerston) ففي سنة ١٨٣٩ ، عندما التحم جيشا السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا مرة ثانية في معركة نرب في شمالي سوريا ، وانهزم الجيش التركي ، عزم بالمرستون على التدخل الفعال . غير ان تدخل بريطانيا كاد ان يؤدي الى نشوب حرب مع لويس فيليب ملك فرنسا ، الذي كان يساند محمد علي ويناصره . في سنة ١٨٣٩ كتب السير هنري بولور (Bulwer) يقول : « ان شؤون الشرق التي كنت اعنى بها حتى هذا الحين ، هي شؤون الساعة الآن . ان كل دولة اوروبية عظمى كانت ترغب في تجنب الدخول في نزاع في الشرق . ان وراء رغبة فرنسا في الحفاظ على الوضع الراهن دافعاً آخر ، وهو انها لا ترغب في ان ينشأ ما يزعج السلطان ويقلقه على البوسفور ، غير انها ، في الوقت ذاته لا تود ان ترى قيام حالة من شأنها ان تحرم محمد علي من الممتلكات التي ضمها اليه في سوريا ومصر . « في الواقع ، هناك سياسة فرنسية قديمة العهد في تقاليد وزارة الخارجية الفرنسية ، وهي اعتبار مصر جزءاً من الممتلكات الفرنسية او اعتبارها بلداً يقع تحت الرعاية الفرنسية . وجاءت حملة نابليون ترسخ هذه السياسة في ذهن الفرنسيين . وكان من الطبيعي ان تتبنى فرنسا مثل هذه السياسة اذا كانت تعتبر نفسها عدوة بريطانيا . ولكنها سياسة يستحيل على فرنسا ان تتبناها اذا كانت ترغب في عقد تحالف ودي مخلص مع بريطانيا ، ذلك لأن بريطانيا سيدة الهند لا يمكن لها ان تسمح لفرنسا ان تصبح سيدة البلدان الواقعة على الطريق المؤدية الى الممتلكات الهندية ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ... » (٥) .

وقد اوضح بالمرستون بصورة جلية ان حكومة جلالته لا تتردد في الدخول

في حرب مع فرنسا اذا استمرت فرنسا في مناصرتها لمحمد علي ، ففي شهر ايلول من سنة ١٨٤٠ قصف اسطول مشترك بقيادة الأميرال السير تشارلز نابير (Napier) مدينة بيروت وجونية وجبيل وعكا ، ثم انزل جيشاً تركياً يتراوح عدده بين عشرة وخمسة عشر الف رجل في اماكن مختلفة على الشاطئ ، ولا سيما على مقربة من نهر الكلب وجونية ، ووُزع السلاح على الفلاحين في لبنان (٦) وراح يحرض اللبنانيين على الثورة ضد ابراهيم باشا (٧) . وأسفرت جميع هذه الجهود التي بذلتها بريطانيا عن هزيمة ابراهيم باشا ، وعن جلالة عن سوريا ، وعن استعادة سلطة السلطان على تلك الولاية . وفي تموز ، سنة ١٨٤١ وقع في لندن على معاهدتين : الأولى اعادت التوكيد على القرار النهائي الذي اتخذته الدول الأربع - بريطانيا والنمسا وبروسيا وروسيا - والقاضي بأن يحتفظ محمد علي بمصر ملكاً (٨) وراثياً خاصاً به ، والثانية ، وتعرف بمعاهدة المضائق التي وقعتها الدول الخمس العظمى ، اي بانضمام فرنسا ، تنص على ان السلطان يوافق في المستقبل على التمسك بالمبدأ القائل من ان مرور اي سفن حربية في البوسفور والدردنيل ممنوع عندما تكون تركيا في حالة سلم . وهذه المعاهدة في جوهرها موجهة ضد روسيا ، وهي في الواقع بمثابة الغاء للامتيازات التي حصلت عليها روسيا بموجب معاهدة اونيكا - اسكسلي . ولكن النتائج كانت على كثير من خطورة الشأن بالنسبة الى الامبراطورية العثمانية فان الهزائم النكراء التي انزلها جيش محمد علي الحسن التدريب والمجهز بالقيادة الممتازة اظهرت بصورة مخزية ضعف الامبراطورية العثمانية ، على الرغم من الاصلاحات التي قام بها السلطان محمود في صفوف الجيش ، بمساعدة ضباط اوروبيين ، ولا سيما القائد الألماني فون مولتك (Von Moltke) . كما ان ابقاء باشوية مصر لمحمد علي باشا ، وجعلها وراثية في ذريته ، كان معناه ان السلطان فقد فعلاً جزءاً من ممتلكاته على الرغم من انه ظل ، اسماً ، سلطان البلاد ، وعلى الرغم من ان مصر ظلت تدفع سنوياً شيئاً من دخلها الى الخزينة في استانبول . ثم ان الاصلاحات الحديثة الغربية التي ادخلها محمد علي الى مصر وسعت شقة الفروقات بين مصر وسائر الولايات التركية وجعلت الأقلية العربية المثقفة في الولايات العربية في الشرق الأدنى تتطلع بشوق الى ادخال مثل هذه الاصلاحات الحديثة في حكومات ولاياتها . وبالإضافة الى هذا فقد كان لوصول الأساطيل الأجنبية وما رافقها من عرض لمظاهر القوة ، اثر عميق في البلدان العربية عزز المكانة السياسية ، والتفوق العسكري في نفوس الناس ، ولا سيما مكانة بريطانيا ، كما شجع اولئك الذين كانوا يقاسون من سوء الادارة والحكم ، وبعث في نفوسهم الأمل من ان هذه الدول ذاتها ستذهب يوماً الى نجاتهم للتحرر من حكم الأتراك .

ان الأحداث التي وقعت وأدت الى بروتوكول لندن اقنعت القيصر نيقولا ان تركيا بلد محتضر ، كما انه لم يخف عن الناس ما كان يداخله من هواجس . ففي سنة ١٨٤٣ قام بزيارتين لفيينا وبرلين ، وفي سنة ١٨٤٤ قام بزيارة لندن . وفي جميع هذه العواصم قال للحكومات المسؤولة ، وبصراحة تامة ، ان سقوط تركيا قد أصبح وشيكاً . وان جل ما ينبغي هو «الوصول الى تفاهم» حول اقتسام ممتلكات الرجل المحتضر «قبل فوات الأوان» . فقد قال ، في انكلترا ، للزعماء السياسيين البريطانيين : «ان تركيا اشبه برجل محتضر . وقد نسعى لابقائه حياً ، ولكن مسعانا لن يكمل بالنجاح ، فانه سيموت ، لا بل ينبغي له ان يموت» (٩) . وكان القيصر يبدو شديد الرغبة في الوصول الى اتفاق مع انكلترا - متغاضباً عن فرنسا كلياً - وبذلك يكون قد وفق الى حل مشكلة المسألة الشرقية حلاً نهائياً . اما برلين وفيينا فقد كانا حذرتين في تعهدتهما ، واما لندن فقد كانت ودية في موقفها ، وابتدت رغبة في التعاون عندما يحين الوقت واذا اقتضى الأمر . ويعتقد ان اتفاقية سرية عقدت بين الطرفين - وتعرف بمذكرة نسلرود (Nesselrood) - «ولكن لم يوضع نص تحالف مكتوب» (١٠) . ومهما يكن من امر ، فان الواضح ان فيينا ، وبصورة خاصة برلين ولندن ، لم تأخذ بعين الجدل القرار الحاسم الذي كان القيصر قد اتخذه ، والذي كاد ان يكون انذاراً مصبوغاً بهذه العبارة : «اذا لم يكن بوسعكم ان تحالفوني في هذه القضية ، فاني على استعداد لاتخاذ اجراءات بمفردي» (١١) .

وقد ظل القيصر ينتظر مدة تسع سنوات ، غير انه لم يبد ان بريطانيا عدلت عن سياستها المتبعة نحو تركيا . في هذه الأثناء كانت الثورات التي نشبت سنة ١٨٤٨ قد هزت اوروبا . وكان قد ظهر مغامر جديد بشخص نابوليون الثالث الذي تسلم عرش فرنسا والذي كان القيصر نقولاً يحتقره كل الاحتقار (١٢) وكان جل مطمح نابوليون الثالث اعادة بناء الامبراطورية الفرنسية التي كان نابوليون الأول قد أنشأها . وكان السؤال : كم من الوقت ينبغي لروسيا ان تنتظر قبل تحقيق حلمها بالاستيلاء على استانبول ، وبالسيطرة على منفذ الى مياه البحر الأبيض المتوسط ؟ (١٣) ، فمئذ سنة ١٦٨٩ ، كان كل قيصر ، وكل قيصرة ، جاء بعد بطرس الكبير يضع الخطة لتحقيق هذا الحلم ، كما ان روسيا اعلنت الحرب مراراً على تركيا في اثناء توسيع ممتلكاتها على شواطئ البحر الأسود وبحر ازوف (Azov) . وعند انتهاء احدي هذه الحروب في سنة ١٧٧٤ ، وقعت معاهدة تعرف بمعاهدة كوجك قينارجي . ويمكن اعتبار هذه المعاهدة نقطة تحول في العلاقات الروسية التركية ، كما انه يمكن اعتبارها مبعث تخوف الدول العظمى وحسدها ، ولا سيما

البريطاني ، اللورد ستراتفورد دي ردكليف (١٦) (Stratford de Redcliffe) الذي كان قد أوفده وزير الخارجية ، اللورد كلارندون (Clarendon) الى الباب العالي للمرة الثالثة . وكان كلارندون قد أوضح مهمة السفير بكل جلاء عند ما بعث اليه برسالة مؤرخة في ٢٥ شباط ، ١٨٥٣ ، جاء فيها : « يسر جلالة الملكة ان تطلب اليكم العودة الى سفارتكم لدى الباب العالي ، في هذه الفترة الحرجة التي يتقرر فيها مصير الامبراطورية العثمانية ، لأسباب هامة ولكي تنفذوا تعليمات خاصة ... وعليه فان الغرض من مهمة سعادتكم في هذا الظرف هي ان تنصحوا الباب العالي بالتعقل والروية وان تطلبوا من تلك الدول العظمى التي تمارس الضغط على الباب العالي لقبول المذكرة ان يتحلوا بالصبر والتجمل ومهمتكم هي ايضاً ان تحولوا دون نشوب حرب تركية ، وان تقنعوا الدول العظمى المعنية بالأمر بأن يجدوا حلاً ودياً سلمياً لانهاء النزاع القائم » . (١٧)

يذكر لنا الاستاذ هرولد تمبرلي (Temperly) فيما يلي ، الأسباب المباشرة لنشوب حرب القرم ، فيقول :

« لقد حدثت احداث تافهة في حد ذاتها قامت بها جماعة من الرهبان الذين اختلفوا فيما بينهم حول مفتاح ونجمة فضية سنة ١٨٥٢ ، عند باب كنيسة المهد في بيت لحم . ولكنها كانت احداثاً سممت الجو بين روسيا وتركيا . كانت هذه الاحداث جزءاً من النزاع القديم المستعصي الذي نشأ حول السؤال : من عساه يكون المسؤول الوحيد عن حماية الأماكن المقدسة في فلسطين ، فرنسا ام روسيا ؟ وصدف ان نابوليون الثالث كان قد وطد العزم على اعادة نفوذ فرنسا وامتيازاتها في المشرق ، وعلى التعويض عن الرفض اللفظ الذي صدر عن بامر ستون سنة ١٨٤١ ، وعن الاهانة التي لحقت به من قبل القيصر نقولا سنة ١٨٥٢ . وفي السادس من شهر كانون الأول سنة ١٨٥٢ ارسلت الى القدس تعليمات جديدة ... وكانت هذه التعليمات الجديدة في صالح المسيحيين اللاتين . فقد اوجبت هذه التعليمات ان يكون مفتاح البوابة الكبيرة لكنيسة المهد في بيت لحم في حوزة الرهبان اللاتين . وفي مطلع شهر كانون الأول نقلت النجمة الفضية ، التي اهدتها فرنسا لكنيسة المهد تعويضاً عن النجمة التي سرقت من المذود ، الى مدينة يافا . فاستقبلها اعيان المسلمين في القدس ورافقوا نقلها الى القدس بكثير من التجارة والابهة ، وذلك ، كما يقول القنصل البريطاني لأنهم كانوا قد تلقوا كميات كبيرة من المال ليقوموا بهذا العمل . وفي ٢٢ كانون الأول حملها البطريرك اللاتيني ووضعها في مغارة المهد باحتفال كبير . وفي الوقت ذاته اخذت مفاتيح كنيسة المهد للقسم الخارجي منها والداخلي ، من حوزة الرهبان الروم وسلمت الى الرهبان اللاتين وقد اعتبر تسليم

فرنسا التي كان لها اهتمام خاص بالامبراطورية العثمانية . وبموجب بنود هذه المعاهدة منحت روسيا حق بناء كنيسة عامة في استانبول ، تتبع الطقوس اليوناني الأرثوذكسي تكون حمايتها من حق السفير الروسي . وبالإضافة الى هذا فان الباب العالي وافق على السماح للرعايا الروس ، وللعلمانيين ، وللأكليروس ان يؤدوا فريضة الحج الى القدس ، والى الأماكن الأخرى المقدسة ، كما ان السلطان تعهد بان يقوم دوماً بحماية الدين المسيحي ، والكنائس المسيحية . ومنح الباب العالي ايضاً سفراء روسيا لدى البلاط الامبراطوري ان يتقدموا من الباب العالي ، في اي وقت تقتضي الحاجة بذلك ، لعرض شكاوهم او احتجاجهم ضد اي امر يسيء الى الكنيسة الجديدة في استانبول ، او الى الكهنة الذين يقومون بخدمتها ... » (١٤) وبوصفها حامية لكنيسة الروم الأرثوذكسية ، للنصارى من الروم الأرثوذكس — على الرغم من الغموض الذي يكتنف هذه « الحماية » في نص المعاهدة — سنحت امام روسيا فرصة مواتية للتدخل في شؤون تركيا الداخلية . وبالإضافة الى هذه « الحماية » فان روسيا اقامت نفسها نصيرة الشعب السلافي الخاضع للحكم العثماني في البلدان البلقانية . وهكذا ، والى جانب المطامح السياسية ، والاعتبارات الاستراتيجية ، فان روسيا كانت تعتبر نفسها نصيرة الشعوب السلافية وزعيمة الكنيسة الارثوذكسية . ان سياسة نابوليون الثالث الاستعمارية ونفوذ بريطانيا المتزايد في استانبول ، الى جانب رفضها الموافقة على خطة ترمي الى تجزئة الامبراطورية العثمانية واقتسامها ، حملت القيصر نقولا على اتخاذ قرار بأن الوقت قد حان للقيام بمحاولة اخرى للوصول الى تفاهم مع بريطانيا . ولذا عقد اجتماعين مع السفير البريطاني السير جورج هملتون سيمور (Seymour) ، في مدينة بطرس بوج (St.Petersbourg) ، في يومي التاسع والرابع عشر من شهر كانون الثاني من عام ١٨٥٣ . وفي اثناء الاجتماع الأول استعمل القيصر نقولا العبارة الشهيرة : « الرجل المريض » قاصداً بها تركيا ، وذلك عندما قال للسفير :

« اعتبر — لدينا رجل مريض — رجل مريض في حالة الخطر الشديد — واني اصارحكم القول انه اذا اقلت من بين ايدينا يوماً فان الأمر ينقلب الى كارثة لا سيما قبل ان نكون قد اخذنا جميع الاحتياطات الضرورية » . (١٥)

واخيراً ضاق القيصر ذرعاً بموقف بريطانيا وكان قد سئم الانتظار ، فعزم على ان يعالج الأمر مستقلاً . اما السلطان فانه رفض المذكرة التي كانت قد تقدمت بها الدول العظمى ، والتي قبلت بها روسيا لحل النزاع الذي نشأ حول الأماكن المقدسة في فلسطين ، وحول حق روسيا في حماية الكنيسة الأرثوذكسية . وقد جاء رفض السلطان للمذكرة نتيجة لتشجيع بريطانيا ومساندتها له بواسطة السفير

المفاتيح للآتين دلالة على انتقال السيادة على الأماكن المقدسة من يد الى يد أخرى ... فكانت سورة الغضب التي اثارها جماعة من الرهبان على هضبة من هضاب فلسطين البعيدة عصفه ربح الهبت نيران الحرب (١٨) . »

يبدو انه من العسير تحديد قدر مسؤولية كل من بريطانيا وروسيا في تسبب نشوب حرب القرم . ولكن مما لا شك فيه ان نصيب اللورد ستراتفورد دي ردكليف من المسؤولية يفوق نصيب اي طرف آخر ، ولا نستثنى نصيب الوزارة البريطانية نفسها ، في اشغال نار حرب القرم . يقول اللورد افرسلي (Eversley) بهذا الصدد : « انه يستحيل على المرء ان يقرأ في كتاب سيرة حياة اللورد ستراتفورد الممتازة عن الأسباب التي ادت الى حرب القرم دون ان يتوصل الى الاستنتاج ان سياسة بريطانيا في ابان تلك الأزمة لم تكن فعلاً السياسة التي كانت ترسمها الوزارة في لندن بل كانت سياسة اللورد ستراتفورد في السفارة البريطانية في استانبول » (١٩) .

وقعت حرب القرم في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٣ يوم اعلنت روسيا الحرب على تركيا . وفي شهر آذار سنة ١٨٥٤ وقعت بريطانيا العظمى وفرنسا معاهدة تعاون مشترك مع تركيا ، وفي الوقت ذاته اعلنتا الحرب على روسيا . نشبت معارك هذه الحرب في شبه جزيرة القرم شمالي البحر الأسود . وقد كان السبب السياسي الجوهري اصرار روسيا ، وتوطيدها العزم على حل المسألة الشرقية من جانب واحد ، اي من جانبها ، واحتلال القسطنطينية .

استمرت هذه الحرب طوال سنتين دون احراز نتائج حاسمة . وقد هلك في اثنائها الوف من الجنود من قارس البرد ومن الأمراض . في هذه الأثناء توفي القيصر نيقولا في آذار ١٨٥٥ وخلفه القيصر الاسكندر الثاني .

اما المجلس الوزاري الروسي فلم يرَ اية جدوى من متابعة هذه الحرب ، ففي ١٥ كانون الثاني ، ١٨٥٦ اشار على الاسكندر الثاني بوقفها لعدم جدواها ، وهكذا انتهت الحرب في فترة وجيزة في السنة ذاتها .

كانت معاهدة باريس (١٨٥٦) التي انتهت حرب القرم انتصاراً دبلوماسياً لبريطانيا ، ولا سيما محتوى البند السابع من المعاهدة الذي ينص على ضم الباب العالي الى « المجموعة الأوروبية للمشاركة في الأنظمة والقوانين العامة » وعلى احترام وحماية « استقلال الامبراطورية العثمانية ووحدة اراضيها » كما انه ينص على اعتبار « اي عمل من شأنه ان ينتهك حرمة هذا الاستقلال عملاً خطيراً يثير الاهتمام العام » (٢٠) . ومرة أخرى منعت روسيا من تحقيق هدفها المفضل : الاستيلاء على القسطنطينية . وقد كتب الدوق ارجيل (Argyll) يقول : « ان اعلان استقلال تركيا ، واطلاق اهتمام الدول المشترك لكل عمل من شأنه ان ينتهك حرمة هذا

الاستقلال ، يشكلان جوهر هذه المعاهدة بكاملها . ذلك انها كانت افضل صيغة تستطيع الدول بواسطتها ان تصد وان تشجب اية محاولة تقوم بها روسيا لجعل تركيا بلداً يعتمد عليها وحدها . كما ان هذه المعاهدة كانت افضل وسيلة لدحض مزاعم القيصر في سنة ١٨٢٨ من انه ليس من حق اوروبا ، ولا في قدرتها ، ان تتدخل في شؤونه عند معالجته لهذه القضية » (٢١) .

كانت السنوات العشرون التالية فترة هدوء نسبي في حقل التنافس الدولي في الامبراطورية العثمانية ، باستثناء حادث واحد : الحرب الأهلية التي وقعت في جبل لبنان . ففي سنة ١٨٤١ وقعت اضطرابات محلية في جبل لبنان بين الموارنة والدروز مما ادى الى نشوب حرب اهلية بين الطرفين سنة ١٨٤٥ . وفي سنة ١٨٥٧ وقعت ثورة الفلاحين ضد اسيادهم من الاقطاعيين في شمالي جبل لبنان . وبعد مضي ثلاث سنوات نشبت حرب اهلية (١٨٦٠) اسفرت عن مقتل عدة آلاف في مختلف انحاء جبل لبنان وفي دمشق ، كما ان الوفاً من الناس شردوا من بيوتهم وديارهم وأصبحوا فقراء معدمين . وليس المجال هنا مجال بحث الأسباب المختلف عليها كثيراً ، كما انه ليس المجال لسرد اخبار الفتنة نفسها (٢٢) . ان الوثائق الرسمية المتوفرة في سجلات وزارتي الخارجية في لندن وباريس تثبت بما لا يرقى اليه الشك ان الحرب الأهلية في لبنان لم تكن مجرد حادث محلي (٢٣) ، بل انها كانت جزءاً من المسألة الشرقية ، وعليه فإن المسؤولية النهائية عن هذه الأعمال يجب ان توزع ، بصورة مباشرة او غير مباشرة على جميع الدول المعنية — تماماً كما هي الحال في اخطاء السهو والأخطاء المتعمدة . ولكن اذا سلمنا ان الأتراك اثاروا الفتنة الدينية في لبنان ، ينبغي لنا كذلك ان نسلم — وهذا مما يؤسف له — ان عدم التسامح الديني والتعصب البغيض « والشعور بالنفرة بين اتباع دين وآخر » امور كانت موجودة في الامبراطورية العثمانية ، ولكنها امور لم تكن ، بصورة ما ، من وضع الأتراك انفسهم ولا من كشفهم . وكانت النتيجة المباشرة لهذه الفتنة ان لبنان نال قسطاً من الاستقلال الداخلي في ظل ادارة جديدة ، ودستور ، بموجب بروتوكول سنة ١٨٦٤ الذي ضمته كل من فرنسا وانكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا .

يرى المؤلف انه كان لهذه الأحداث التي وقعت في لبنان معنى ابعد خطورة في مجرى التطورات في الشرق الأدنى العربي . وهذا المعنى الوحيد البعيد ينطوي على ثلاثة امور :

اولاً : ان تلك الأحداث ادت الى تدخل فرنسا المباشر في الشرق الأدنى . ففي شهر آب ، سنة ١٨٦٠ ، نزل جيش فرنسي في بيروت ، وبذلك استعادت

فرنسا مكانتها ونفوذها في البلاد « وذلك تعويضاً عن الخسارة الأدبية التي نزلت بها سنة ١٨٤٠ » الأمر الذي كان بمثابة دعم للمطالبة « بحقهم » في الحصول على سوريا (كحصّة) لهم في ارث « الرجل المريض » (تركيا) . وقبل ان ينزل الجيش الفرنسي في بيروت بعث السير هنري بولور ، السفير البريطاني في استانبول ، برسالة الى وزير خارجية بريطانيا ، اللورد ج. رسل (Russell) جاء فيها : « اذا نزل جيش فرنسي في بيروت فان جزءاً كبيراً من السكان الذين يعتبرون انفسهم فرنسيين (موارنة لبنان) سينضم فوراً الى الجيش الفرنسي ، وبما ان الغاية من هذه الحملة العسكرية هي بعث الرعب في نفوس الآخرين من السكان ، او اخضاعهم ، فمن المتوقع ان تزداد قوة فرنسا ازدياداً عظيماً من كلتا الناحيتين الأدبية والمادية ، وذلك عبر ترويع الفئات الأخرى التي يشكو الموارنة منها ، او عبر القضاء عليهم (٢٤) .

ثانياً : لقد زادت في مخاوف المسيحيين القاطنين في تركيا وصعدت في الشعور المشترك بعدم الثقة بينهم الأمر الذي ترك علامة فارقة دفعت بها العلاقات بين المجتمعين . والواقع ان وجود الجنود الفرنسيين وظهورهم في شوارع بيروت كان عاملاً للقلق والاضطراب . ففي الثاني والعشرين من شهر آب ، ١٨٦٠ ، كتب القنصل البريطاني العام ، السيد ن. مور (Moore) من بيروت الى اللورد رسل يقول : « لست ارى ضرورة للقول بأن المسلمين ينظرون الى الاحتلال الفرنسي بأشد ما يكون من النفرة والكراهية . وان المرء ليستطيع ان يلاحظ امارات التجهم على وجوههم عندما يشاهدون الجنود الفرنسيين تمرّون من امامهم كما ان تصرفاتهم العامة تنم عن انفعال وتهيج وغضب .

« من جهة ثانية نرى ان المسيحيين ، عند نزول الجنود الفرنسيين الى البر ، كانوا يسرعون الى حمل اسلحة العساكر وجرابات امتعتهم وغيرها فينقلونها الى المعسكرات المعدة لهم تخفيفاً عنهم ، بينما كان آخرون منهم يقدمون للجنود الماء والتبغ والشراب وأشياء أخرى مجاناً ... » (٢٥) .

في الثامن والعشرين من شهر ايار ، ١٨٦١ ، وذلك قبل مغادرة الجنود الفرنسيين بيروت بيوم واحد ، كتب نائب القنصل البريطاني ، السيد ج. ايليا الى القنصل العام ، السيد مور ، يقول ان قائد الجيش الفرنسي وجه اليه والى زملائه دعوة وقرأ لهم في اثنائها رسالة بعث بها الجنرال بوفور (Beaufort) اليه . وفي هذه الرسالة يقول الجنرال بوفور ان قوة بحرية ضخمة تتألف من جنود فرنسيين ومن جنود ينتمون الى الدول الكبرى الأخرى ، ستصل قبل انسحاب الجنود الفرنسيين لمنع اعمال الشغب او قمعها اذا وقعت . وفي حال وقوع اضطرابات فان القوات الفرنسية ستعود مرة أخرى ولكن تبقى هنا ... (٢٦) .

وهكذا توسعت شقة الخلاف بين جبل لبنان وبين السلطات التركية . ولم تعد استانبول تأمل ان تستأثر بولائه . وفي الوقت ذاته كان من الطبيعي ان يداخل فرنسا شيء من الزهو والخيلاء ، وان تشعر بتأثير عميق ازاء هذا الود والولاء . يظهر ان الفرنسيين كانوا يخلطون بين جبل لبنان « وسوريا » ولسنا ندري هل كان ذلك عمداً أم جهلاً . فعمت فرنسا موجة عاطفية كانت تغذيها تيارات واعتبارات سياسية متنوعة تطالب بوجوب ضم « سوريا » الى فرنسا يوماً ما معلنين للعالم ان « سوريا » هي « فرنسا المشرق » . ولكن من يعرف سوريا عن كثب يدرك فوراً ان الغالبية الساحقة من سكان هذا البلد لا يمكن لهم ان يقبلوا ، وعن طيبة خاطر ، بسيادة فرنسا عليهم . ولكن بفضل تكرار هذه الفكرة عبر الكتب ، والصحافة ، وخطب السياسيين ، وبفضل ما كان بعض اللبنانيين في باريس يقومون به من اعمال ، مدعين انهم يتكلمون باسم « سوريا » بلغت سذاجة الرأي العام الفرنسي ، من ان « سوريا » ترغب في الانضمام الى فرنسا اوجها ابان حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ وفي اثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس في سنة ١٩١٩ .

اما تاريخ نشأة هذه العلاقات الفرنسية ببلاد المشرق فبعضه اسطوري وبعضه الآخر ينطوي على شيء من الحقائق . جاء الصليبيون واسس غودفري دي بويون (Godfrey de Bouillon) مملكة القدس الأمر الذي عده الفرنسيون في الدرجة الأولى انتصاراً فرنسياً . ويدعون ان القديس لويس عند وصوله الى عكا بعد الافراج عنه في مصر حيث كان اسيراً بعث برسالة الى « امير الموارنة في جبل لبنان » مؤرخة في ٢١ ايار من سنة ١٢٥٠ جاء فيها :

« ... اما نحن واولئك الذين سيخلفوننا على عرش فرنسا ، فاننا نجز لأنفسنا ان نوفر لسموكم ولشعبكم الحماية ذاتها التي نوفرها للفرنسيين انفسهم ، كما اننا سنعمل دوماً ما ينبغي عمله لتوفير السعادة لكم » (٢٧) .

ثم عقب ذلك وصول المرسلين الفرنسيين الذين راحوا يؤسسون مدارسهم ورهبانياتهم وكان اول الوافدين منهم الفرنسيون (الذين جاءوا عند مقدم القديس فرنسيس الاسيزي الى فلسطين سنة ١٢٢٠ ثم اليسوعيون سنة ١٥٧٨ والكبوشيون سنة ١٦٢٥ والعازريون سنة ١٧٨٣) ، واصبح لبنان المرتكز الرئيسي لنشاط الارساليات التبشيرية الفرنسية في الامبراطورية العثمانية ... « والى مرسلينا يعود بعض الفضل العظيم في احاطة بلادنا بهذه الحالة الممتازة (٢٨) » .

في القرن السادس عشر كانت فرنسا اول دولة نالت ، سنة ١٥٣٥ ، اول امتيازات (Capitulations) في الامبراطورية العثمانية . ويمكن اعتبار تلك الامتيازات المنطلق الأول الرئيسي لنفوذ فرنسا في الشرق الأدنى . ولم تقتصر

الامتيازات التي نالتها فرنسا في هذه الامبراطورية على مغنم تجارية بل انها حصلت على حق حرية العبادة ، وعلى حقها في حماية المسيحيين بوجه عام ، والكاثوليك بوجه خاص (٢٩) . وفي الفترة الواقعة بين سنة ١٥٣٥ وسنة ١٧٤٠ جدد الباب العالي هذه الامتيازات الممنوحة لفرنسا وثبتها ثماني مرات متوالية وفي سنة ١٧٠١ تعهد لويس الرابع عشر للبطريرك الماروني ، الدويهي ، بحماية الموارنة في جبل لبنان. (٣٠) واستمر لويس الخامس عشر ، ولويس السادس عشر في اتباع السياسة ذاتها نحو « صديقهم القديم ، امير الجبل » . وفي اثناء الثورة الفرنسية ، وعلى الرغم من السياسة المعادية للكليروس وللكنيسة التي كانت « لجنة الأمن العام » و « حكومة المديرين » تتبعانها في فرنسا ذاتها ، فان اعادة نفوذ فرنسا وهيبتها في الخارج اقتضت ان تحافظ فرنسا على المغنم التي كانت تنطوي عليها الامتيازات الممنوحة لها في المشرق . وكان على فرنسا ان تستمر في سياسة « ضمان حماية الدين » . وفي عهد « حكومة المديرين » كتب دي لا كروا (De La croix) وزير الخارجية ، الى السفير الفرنسي في استانبول ، الجنرال اوبر - ديبايه (Aubert--Dubayet) ، يقول : « ان حرصك وغيرتك على حماية الدين يستحقان كل تقدير . وهذا العمل على كثير من الخطورة في هذا الظرف . نطلب اليك العمل على بسط نفوذنا ، اذا كنا قد فقدنا شيئاً من هذا النفوذ ، سواء اكان ذلك في العاصمة او في الجزر ام في آسيا (٣١) » .

وكان احتلال نابوليون مصر عند مطلع القرن التاسع عشر (١٧٩٨ - ١٨٠١) منطلقاً لمرحلة جديدة من العلاقات الفرنسية مع الامبراطورية العثمانية التي تميزت بمزيد من التركيز والحزم (٣٢) . ومنذ ذلك الحين ادركت فرنسا ان دورها لم يعد يقتصر على حماية الكاثوليك بل عليها ان تناضل في سبيل الحفاظ على هيبتها ونفوذها في وجه المنافسة العنيفة الجديدة في الامبراطورية العثمانية من قبل دول عظمى كروسيا وبريطانيا والمانيا . وقد كتب المؤرخ توينبي (Toynbee) يقول : « ... كانت الضربة الحاسمة غزوة نابوليون لمصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ، تلك الغزوة التي تركت طابعاً لا يمحي على الخيال الشرقي . ولم يكن لهزيمة فرنسا في المرحلة الأخيرة من مراحل حروب نابوليون اي اثر سيء في نحو هذا الطابع . وكانت بريطانيا العظمى ، التي كانت قد اتمت ثورتها الصناعية في اثناء حرب ١٧٩٢ - ١٨١٤ ، قد انتزعت من فرنسا حصص الأسد في التجارة مع بلدان المشرق . غير انه لجميع الشعوب الشرقية غربي برزخ السويس وغربي نهر الفرات ظلت اللغة الفرنسية ، والآداب الفرنسية والنظريات السياسية الفرنسية ، منبع الحضارة الغربية (٣٣) » . نعود الآن إلى الفتنة التي وقعت في لبنان في ١٨٦٠ فنقول ان النتيجة الثالثة التي

نجمت عن تلك الأحداث كانت اثاره اهتمام الدول الأوروبية ، ولا سيما بريطانيا وفرنسا ، بالشرق الأدنى العربي ، اهتماماً يختلف عن اهتمام تلك الدول بمدينة استانبول والمضائق . فان السفير البريطاني في استانبول ، السير هنري بولور - (Bulwer) ، كتب إلى اللورد رسل (Russell) ، في ٢١ آب من سنة ١٨٦٠ يقول (٣٤) : « تعلمون ، سيادتكم أن سوريا كانت دوماً في نظر أولئك الذين أسسوا امبراطورياتهم في الشرق بلداً ذا خصائص معينة ينبغي لكل من يخطط لاحتلال هذا الجزء من العالم أن يبني خطه على اساس ما لهذا البلد من اهمية . والواقع هو ان سوريا تشكل نقطة اتصال بين افريقيا من جهة وبين آسيا من جهة اخرى » . وبعد ان يبدي قلقه ومخاوفه من خطط فرنسا للتوسعية في الشرق الأدنى ، يتابع السفير ، السير هنري ، كلامه قائلاً : « وحقيقة الأمر أنه كلما انعمنا النظر في هذه القضية باسهاب يتبين لنا ما لها من اهمية تسترعي عنايتنا ، كما انه يتضح لنا ضرورة ابقاء عيوننا مفتوحة بالنسبة الى هذه البلاد (٣٥) » .

ومن الأحداث التاريخية التي وقعت في الشرق الأدنى والتي كان لها أثر عميق في تقرير مصير العالم العربي بالنسبة للاستعمار الأوروبي ، فتح قناة السويس في سنة ١٨٦٩ (٣٦) . اما الانكليز فانهم ، في بادئ الأمر ، ابدوا معارضة للمشروع ذاته ، ولشق القناة الفعلي . ذلك لأنهم كانوا يؤثرون انشاء خط حديدي من الاسكندرية الى السويس . كما انهم رفضوا شراء سهم واحد من اصل الاسهم التي عرضها عليهم دي لسبس وعددها ثمانون الف (٣٧) . ولكن ما ان تم فتح القناة حتى ادرك الانكليز اهمية هذا الطريق المائي لمواصلاتهم مع الهند (٣٨) . والحقيقة هي أن هذا الطريق المائي ، الذي يبلغ طوله مئة ميل تقريباً ، شريان حيوي من شرايين المواصلات في امبراطوريتهم . وفضلاً عن هذا فانه طريق قُرب المسافة بين لندن وبومباي بأربعة آلاف وخمسمئة ميل ، كما انه قُرب المسافة الى عبادان بأربعة آلاف وثمانمئة ميل . وأصبح من الأمور المحتملة الآن أكثر من ذي قبل ألا تقع الولايات الآسيوية في الامبراطورية العثمانية في قبضة دول معادية لبريطانيا ، كما انه اصبح لزاماً الا تتحدى دولة قوية ، وبصورة خاصة روسيا ، قوة بريطانيا وسيطرتها على البحر الأبيض المتوسط . وفي شهر تشرين الثاني سنة ١٨٧٥ عندما أراد الخديوي اسماعيل ان يبيع اسهمه البالغ عددها ١٧٦,٦٠٢ سهماً بأربعة ملايين استرليني بادر دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا لشراؤها ، وكان اصدقائه من آل روتشيلد هم الذين وفروا له المال اللازم « على الفور » . وفي ٢٥ تشرين الثاني وهو اليوم الذي تم فيه توقيع التعهد في القاهرة وتسليم الأسهم للقنصلية البريطانية فيها ، بعث دزرائيلي برسالة الى اللادي براد فورد (Bradford) ضمنها شيئاً من الاسراف في القول . وقد جاء فيها :

« لقد حشد المقامرون ، والرأسماليون ، وأرباب المال في الدنيا قواتهم ضدنا ونظموها بشكل شراذم من النهابين ومن العملاء السريين في كل زاوية من زوايا الدنيا ، غير اني اربكتهم جميعاً وواقعتهم في حيرة من امرهم دون ان تداخلهم اية ريبة من امري. وقبل امس تقدم دي لسبس ، الذي تملك شركته باقي الأسهم ، تدعّمه في ذلك الحكومة الفرنسية الذي هو عميل لها ، بعرض عظيم ، ولو ان هذا العرض تحقق لكنت قناة السويس بأكملها ملكاً خاصاً لفرنسا ، ولكان الفرنسيون يستطيعون اغلاقها (٣٩) ». ومنذ ذلك الحين اصبح مصير مصر والعالم العربي مرتبطاً ارتباطاً محكماً بمصالح بريطانيا في الشرق الأدنى بصفتها منطقة استراتيجية للدفاع عن قناة السويس وعن الطرق البرية المؤدية الى الهند (٤٠) . مهما يقل المرء في اهمية الهند فانه لا يسرف في القول . لقد وصف اللورد كرزون (Curzon) الدور الذي لعبته الهند في المسألة الشرقية وصفاً ممتازاً عندما قال : « إذا كانت الهند لتذكرنا أنها الامبراطورية الوحيدة ضمن النظام البريطاني فان زعمها هذا أمر لا يمكنني انكاره ... اعتبر اولاً الدور الذي لعبته الهند في تحديد شكل السياسة البريطانية ، وفي توسيع نطاق ملك بريطانيا وسلطانها . فقد كانت العامل الحاسم في كل مرة كانت فيها القوات البريطانية تتجه الى شرقي البحر الأبيض المتوسط والى جنوبه على نطاق حربي واسع . كانت المسألة الشرقية في العصور الوسيطة مجرد محاولة لاسترداد الأماكن المقدسة من ايدي المسلمين . ولكن ما ان ثبتنا اقدامنا في الهند حتى استحالت المسألة الشرقية في الواقع - على الرغم من انها كانت مسألة تدور حول الاستيلاء على استانبول - الى قضية تسييرها اعتبارات الأمن التي يفرضها الحفاظ على ممتلكاتها في الهند . ولولا الهند لما كان اللورد بيكونسفيلد (Beaconsfield) اشترى اسهم شركة قناة السويس ، ولولا القناة لما كنا الآن في مصر . ان سبب التنافس التاريخي والصراع مع روسيا ، ذلك الصراع الذي دام قرابة قرن من الزمن مرده الى حرصنا على ضرورة ابقاء روسيا بعيدة عن مشارف الهند . ولولا الهند لما كنا استولينا على رأس الرجاء الصالح ، ولما كنا شرعنا في مشاريع التوسع في جنوبي افريقيا ، ذلك التوسع الذي دخل مرحلة رائعة مليئة بالامكانات (٤١) . »

ويجدر بنا ألا ننسى ما كان للتغيرات الهائلة التي وقعت في أوروبا بين ١٨٥٦ و ١٨٧٥ من اثر عظيم . فقد اختل توازن القوى من جراء ظهور الدولة الألمانية التي خلقها بسمارك ، ومن جراء الهزيمة النكراء التي لحقت بفرنسا وأذلها . وكانت قوى جديدة تعتمل في حقل السياسة والاقتصاد ، كالديمقراطية والاشتراكية ونمو الصناعة الهائل ، كان من شأنها أن تقضي على انظمة قديمة ، وان تحدث ثورات

جذرية في المجتمع الانساني . كما ان مشكلات جديدة كالتزاع بين العمل ورأس المال ، وازدياد الحاجة الى مواد خام والى اسواق جديدة ، زادت في حدة التنافس والعداء بين مختلف الدول . وفي هذه الأثناء كانت تركيا ترداد ضعفاً على ضعف ومن يوم الى يوم . وكانت روسيا تستعد بلحولة ثانية تحل بها المسألة الشرقية حلاً يكون لصالحها . وفي شهر تموز ، سنة ١٨٧٥ ، انطلقت شرارة الثورة في البوسنة (Bosnia) والهرسك (Herzegovina) ، واتسع نطاق الثورة حتى شمل بلغاريا . وقد دفعت اخبار الفظائع التي اقترفها الأتراك في بلغاريا غلادستون (Gladstone) ، زعيم المعارضة في مجلس النواب البريطاني الذي كان يمتد ذرائعاً وينكر عليه سياسته الشرقية ، الى مهاجمة تركيا والشعب التركي والحكومة التركية واتهامها بكل فرية وذلك في كتيب صغير ، بلغة لاذعة ، عنوانه « الفظائع في بلغاريا والمسألة الشرقية » وقد نشر في ٦ ايلول ١٨٧٥ . كتب غلادستون يقول : « كخادم قضى زمناً طويلاً في خدمة العرش والدولة ، اتقدم من مواطني ، الذين تقع على كواهلهم مسؤولية تفوق مسؤولية اي شعب آخر في اوروبا ، ملتمساً منهم ان يطالبوا وان يصروا على حكومتنا التي كانت حتى هذا الحين تعمل باتجاه واحد معين ان تعمل الآن في اتجاه آخر ، وان تسعى بكل ما اوتيت من قوة وعزم الى اللقاء مع دول اوروبية اخرى للاتفاق معها على ازالة السلطة التركية في بلغاريا » (٤٢) . لكن ذرائعاً ظل الى زمن ثابت الجنان لا تحركه العاصفة الهوجاء التي اثيرت حول سياسته . فان اعلان الحرب على تركيا كان امراً لا يمكن تصوره ، ولم يفكر قط بالتخلي عن المبدأ السياسي القائل بالحفاظ على الامبراطورية العثمانية وسلامة اراضيها . اذ انه كان مستحيلاً ان يسمح لروسيا ان تحتل استانبول ومضيق الدردنيل .

الفصل الثالث المسألة الشرقية : المرحلة الثانية

« اذا كانت روسيا لتزداد قوة واتساعاً على حساب تركيا ، فان مصالح بريطانيا في الشرق الاوسط وفي الهند ستعرض الى مخاطر جسيمة . من هنا كانت بداية ' المسألة الشرقية ' كما كانوا يسمونها ، تلك المسألة التي استأثرت باهتمام الدول الأوروبية ووافقتها في حيرة وارتباك حتى نشوب الحرب العالمية الاولى . »
ونستون س . تشرشل (١)

احدثت النشرة التي اصدرها غلادستون موجة من السخط والنقمة في الرأي العام في بريطانيا . يقول أندره موروا (André Maurois) : « كانت رواية شكسبير ، « عطيل » ، تمثل آنذاك على مسرح في ليفربول ، وعندما تفوه احد الممثلين بعبارة « أغرق الأتراك » نهض جمهور الحاضرين على اقدامهم وهتفوا (٢) . »

في السنة الخطرة ، سنة ١٨٧٦ مرت الامبراطورية العثمانية في ازمة عنيفة ، ذلك ان سلطانين عزلا في تلك السنة . كان اولهما السلطان عبد العزيز (٣) الذي عُرِل في الثلاثين من شهر ايار ، وكان الثاني ابن اخيه ، مراد الخامس ، الذي عُرِل بعد مرور ثلاثة اشهر (وذلك « لاختلال في عقله ») . وفي الحادي والثلاثين من شهر آب تسلم العرش عبد الحميد الثاني ، وأصبح بادشاه الامبراطورية العثمانية وامير المؤمنين .

في اثناء حكم السلطان عبد الحميد ، الذي دام ثلاثاً وثلاثين سنة ، ازداد التنافس على المصالح والنفوذ حدة وبروزاً بين الدول العظمى التي كانت تعتبر نفسها وارثة الامبراطورية العثمانية . كما انه اصبح من الجلي ان « الرجل المريض » لا يمكن شفاؤه ، وهذا على نقيض ما كانت الوزارة البريطانية ، برئاسة اللورد

ابردين (Aberdeen) ، تأمله . ولم يعد سقوط الامبراطورية العثمانية « المتداعية والتي نخرها السوس » امراً بعيد الاحتمال . ففي الرابع من شهر كانون الثاني ، سنة ١٨٧٦ ، قال اللورد اودو رسل (Odo Russell) ، سفير بريطانيا في برلين ، في « ملاحظاته السرية » الى وزير خارجية المانيا ، ان « بريطانيا قد تخلت كلياً عن سياستها التقليدية » نحو تركيا . وتابع كلامه قائلاً : « ان هناك عدداً قليلاً جداً من النواب في مجلس العموم البريطاني ، ممن يؤثرون القيام بمغامرة عسكرية مع تركيا كما حدث في حرب القرم . فقد كانت انكلترا تحرص دوماً على الحفاظ على طرق مواصلاتها مع الهند ، اذ ان مصالحها هناك قضية حياة او موت بالنسبة اليها . ثم ان ذاك الوهم من ان لدى تركيا وسائل للدفاع عن امبراطوريتها ، وعن كيانها ، قد زال الآن » . غير ان الدول العظمى كانت تتخوف من امكانية نشوب حرب كبرى قد تتحول الى حرب فيما بينها اذا ما سقطت الامبراطورية العثمانية واصابها انحلال . في مذكرة لبسمارك (Bismarck) ، مؤرخة في ٢٠ تشرين الأول من سنة ١٨٧٦ ، كتب يقول : « ان تركيا بأسرها ، وما تشمله من اعراق بشرية مختلفة ، ليست بتلك المؤسسة السياسية الهامة التي تبرر نشوب حرب طاحنة بين الدول الأوروبية المتمدنة اكراماً لها . كما ان العطف على مصير هذه البلدان الداخلة في الامبراطورية العثمانية وعلى الشعوب التي تقطنها ، لا يوازي ، في نظرية حكومة ، التخوف من التعقيدات السياسية الخطرة التي قد تقلب الوضع الحاضر ، ومن ردة الفعل على سلامة الدول الأوروبية ومنعتها ، تلك الدول التي تعنى مباشرة بهذه القضية . اما رأيي الخاص ، في الحالة الراهنة ، فهو انه ، اذا ارغم رئيس دولة محب للسلام ، كالامبراطور الكسندر ، بسبب مصاعب داخلية في بلاده ، على ان يتولى قضية حماية المسيحيين في تركيا ، فعلى انكلترا ان تحتل السويس والاسكندرية كتعويض عما تكون قد فقدته عوضاً عن ان تدخل في حرب مع روسيا . وهكذا وعلى الرغم من ان هذا الحل هو حل على حساب تركيا ، نكون قد حافظنا على السلام في اوروبا . واذا تخوفت انكلترا من ان يؤدي هذا الحل الى اثاره سخط الفرنسيين فلها ان تسعى للفهم مع هذه الدولة ، اذا كان ذلك ممكناً ، على خطة عسكرية في مصر وسوريا تشترك فيها هاتان الدولتان الغريبتان . (٤) في ذلك الحين ، وبسبب الوهن الذي اصاب الامبراطورية العثمانية ، وبسبب مصالح الدول العظمى القومية ، والتنافس العنيف ، والمخاوف المتبادلة بينها ، تعرضت الامبراطورية العثمانية الى سلسلة متتالية من الضغط السياسي والعسكري الذي كان يمارسه اصدقاؤها كما كان يمارسه ايضاً اعداؤها . وفي الوقت ذاته كانت الدول الغربية العظمى تحرص على الا يتعدى ضغطها على تركيا ، وتدخلها في

شؤونها الداخلية ، نقطة معينة لثلا ينقسم عمودها الفقري عند ادنى هزة تصيبها .
بكلام آخر ، نكون في مأمن من العثار اذا قلنا ان الدول العظمى كانت حريصة
على مجانبة حرب عامة تشب حول تجزئة الامبراطورية العثمانية . والعبارة الشهيرة
التي تفوه بها يوماً دوق ولنتون (Wellington) كانت تصدق على الحالة السياسية
التي نحن بصدها اكثر مما كانت تصدق من ذي قبل : « ان الابقاء على الامبراطورية
العثمانية ليس لصالح الأتراك بل لصالح اوروبا المسيحية ، كما انه ليس للحفاظ
على السيطرة الاسلامية بل لنجاة المسيحيين من حرب مدمرة » . (٥)

في هذه الأثناء كانت روسيا تضع الخطط لمحاولة أخرى تحل بها مشكلة
المسألة الشرقية حلاً يكون في صالحها عن طريق الحرب ، اذا اقتضى الأمر ذلك .
لأن روسيا كانت مقتنعة ان « الرجل المريض » كان يعاني مرض الموت ولم يكن
من امل في شفائه ، على نقيض ما كانت تأمل فيه الوزارة البريطانية برئاسة دزرائيلي ،
الملقب لورد بيكونسفيلد (Beaconsfield) . غير ان اللورد بيكونسفيلد ظل متمسكاً
بضبط اعصابه . فان اعلان الحرب على تركيا امر فظيع ، وبجرد التفكير فيه كان
غير وارد إطلاقاً . (٦)

في الوقت الذي كان الوهن والفساد يزداد ضراوة في جسم الامبراطورية
العثمانية عقدت بريطانيا وفرنسا وروسيا وهنغاريا والمانيا وايطاليا وروسيا
مؤتمراً في مدينة استانبول في ٢٣ كانون الأول ، ١٨٧٦ ، بدعوة من وزير الخارجية
التركية ، صفوت باشا . وكانت الغاية من عقد هذا المؤتمر للدول الغربية محاولة الضغط
على السلطان بوجوب الاسراع الى اجراء اصلاحات ملحة في الامبراطورية العثمانية .
ولا سيما في البلقان ، وذلك اولاً لمجانبة نشوب حرب وشيكة الوقوع ، وثانياً
لانفاذ الامبراطورية من خطر الانحلال والانهيال التام . وما كادت المفاوضات ان
تبدأ في اليوم الأول من المؤتمر حتى سمع المؤتمرون مئة طلقة مدفع وطلقة : « مما
احدث قلقاً في الجلسة الأولى للمؤتمر » ودعا السير هنري اليوت (Elliot) ،
السكرتير البريطاني في استانبول ، للنهوض في اثناء الجلسة ليقول لهم « ان هذه الطلقات
هي لاعلان ان المؤتمر قد انتهى » . (٧) وقد جاء هذا الاعلان في اعقاب اعلان
سبق ان اعلنه صفوت باشا ، وزير الخارجية التركية ، ورئيس المؤتمر ، وقد جاء
فيه ان هذه المدافع التي سمعتموها هي اعلان عن ولادة دستور جديد منحه السلطان
عبد الحميد للامبراطورية العثمانية في هذه الساعة ذاتها ، وهي وثيقة للحريات
العامة لجميع السكان .

كانت غالبية المؤتمرين تشك في اخلاص السلطان وحسن نواياه بالنسبة الى
اعلانه هذا الدستور الذي نسبته الى نفسه ، والذي لم يكن ، في الواقع ، سوى عمل

قام به المصلح العظيم الممتاز مدحت باشا . غير انهم استمروا في عقد جلسات
المؤتمر عدة ايام بلغ عددها احدى عشر جلسة ، هذا والسلطات التركية غير مكترثة
بالأمر كلياً . وعقب هذا المؤتمر بروتوكول لندن الذي وقعته ست دول في ٣١
آذار ، سنة ١٨٧٧ والذي اكّد فيه الموقعون عظيم اهتمامهم المشترك بتحسين
وضع المسيحيين في تركيا . ومن جملة ما نص عليه البروتوكول ايضاً اسداء النصيح
الى الباب العالي « بالاسراع فوراً الى اجراء اصلاحات داخلية » . (٨) ولكن الحكومة
العثمانية رفضت الاعتراف ببروتوكول لندن .

لم تتمكن الدول من فيما الاتفاق بينها على ارغام السلطان على قبول الاقتراحات
التي وضعتها في مؤتمر استانبول . وبما انه كان قد تعذر على هذه الدول الوصول
الى عمل موحد ، فان روسيا قررت ان تعمل مستقلة ، وفي ٢٤ نيسان اعلنت روسيا
الحرب على الدولة العثمانية . اما الوزارة البريطانية ، فانها بعد فترة من التردد ،
اشعرت روسيا بواسطة مذكرة قدمها اللورد دربي (Derby) في ٦ ايار جاء فيها
ان بريطانيا لا يسعها ان تبقى مكتوفة اليدين ازاء اي تدخل في قناة السويس ، او
ازاء وقوع مدينة استانبول في يد دولة « غير الدولة التي تملكها الآن » . (٩) هذه
الحرب دفعت بالروس الى سان ستفانو (San-Stefano) - وهي على مقربة من
استانبول بصورة خطيرة . ولكن الموقف المتصلب الذي وقفته الحكومة البريطانية ،
الى جانب وجود قطع من الأسطول البريطاني في بحر مرمرية ، بين سان ستفانو
ومدينة استانبول ، في ذلك الحين ، اوقف الزحف الروسي . وفي الثالث من شهر
آذار ، ١٨٧٨ ، وقع على معاهدة سان ستفانو . وليس في هذا المؤلف متسع لبحث
تفاصيل تلك الحرب ، او لبحث المعاهدة التي انتهت النزاع . اما معاهدة سان ستفانو
فانها جاءت في صالح روسيا ، ولذا فانها كانت معاهدة « لم تعجب الدول العظمى
بل جعلتها تتخوف من عواقبها » . واسفر الأمر عن دعوة الى عقد مؤتمر اوروبي
في برلين في ١٣ حزيران ، ذلك لأن روسيا لم تكن على استعداد ان تجازف بحرب
ضد النمسا وضد بريطانيا . فجاء التعديل الذي ادخلته معاهدة برلين المعدلة على
معاهدة سان ستفانو في صالح الامبراطورية العثمانية ، وفي صالح بريطانيا . واخيراً ،
وفي الثامن من شهر شباط ، ١٨٧٩ ، وقع على معاهدة الصلح بين روسيا وتركيا .
وهكذا فشلت محاولة روسيا الثانية بعد حرب القرم لحل مشكلة المسألة الشرقية
لصالحها في شنها حرب سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ . ولكن في الوقت ذاته فقدت
الامبراطورية العثمانية الجزء الأكبر من ممتلكاتها الأوروبية تقريباً ، ولكنها انقذت
مرة أخرى من الانحلال والانهيال التام . غير ان مشكلة الساعة اصبحت السؤال
الخطير : كيف سيتسنى للأتراك ان يحتفظوا بامبراطوريتهم الآسيوية ؟ وهذا السؤال ،

على ما يبدو ، أصبح الشغل الشاغل لسياسة بريطانيا الخارجية بعد سنة ١٨٧٨ . كذلك ازداد اهتمام فرنسا أكثر فأكثر بالولايات الآسيوية غير التركية في الامبراطورية العثمانية . عندما اخذ صرح الامبراطورية يتداعى منذراً بالانهيار لم يكن لدى الأتراك من سائحة سوى « التحالف مع دولة عظيمة » كما قال ساليزبري (Salisbury) وزير خارجية بريطانيا العظمى « والدولة الوحيدة » كانت انكلترا . (١٠) وفي ٢٨ حزيران ، ١٨٧٧ ، اي قبل ذلك بما يقرب من سنة واحدة ، كتب الكونت مينستر (Munster) ، السفير الألماني في لندن ، الى بسمارك يقول : « لأن الشؤون الشرقية على ما هي عليه الآن ، فان بريطانيا لا تجد امامها سوى واحد من اتجاهين فان عليها اما ان تتبع سياستها التقليدية التي ترمي الى ضمان سلامة كيان تركيا ، تلك السياسة التي يترتب عليها خوض غمار الحرب كما فعلت في حرب القرم ، او ان تقسم الارث التركي بينها وبين روسيا . وفي هذه الحالة عليها ان تحافظ على نصيبها من الارث اما بطرق سلمية ودية ، او بزيادة قوتها العسكرية ... »

« واذا شئت انكلترا ... الا تتخلى عن حماية طرق مواصلاتها مع الهند ، وفي الواقع اذا شئت الا تفقد كل نفوذها ومكانتها في الهند ، وفي الشرق وفي اوربا ، يترتب عليها ، ضناً ببقائها ، تقوية مركزها في البحر الأبيض المتوسط . وهذا لا يتم ، اذا كانت تأمل في نجاح خطتها هذه ، الا اذا استولت على مصر ... » (١١) لهذا السبب عقد دزرائيلي اتفاقية سرية مع تركيا في ٤ حزيران ، ١٨٧٨ ، تعهد بريطانيا بموجبها ان تحمي ، وان تدافع عن ممتلكات السلطان الآسيوية ضد روسيا . اما ثمن هذه الحماية الذي توجب على تركيا ان تدفعه لانكلترا فقد كان التنازل عن جزيرة قبرص - كقاعدة للأسطول البريطاني - التي تتحكم ستراتيجياً بشواطئ سوريا ومصر . (١٢) عندما رجع اللورد بيكونسفيلد الى لندن من مؤتمر برلين ، القى في مجلس العموم دفاعه العظيم في ١٨ تموز . وقد كانت خطبته ايضاً عرضاً صريحاً للمسألة الشرقية اوضح فيها بصورة خاصة حساسية فرنسا وشكوكها بالنسبة للمصالح البريطانية في الشرق الأدنى . قال اللورد بيكونسفيلد : « لقد آن لنا ان نحول دون نشوب الحرب بين روسيا وتركيا ، ونشوء حالة من الغموض والشكوك بينهما ، كما انه آن لنا ان نضع حداً لمخاوفنا بالنسبة الى الهند ... ولهذا (لأنه لم يكن في الامكان تنفيذ معاهدة ١٨٥٦) فاننا قد استعضنا عن ذلك باتخاذ تدابير مباشرة بيننا وبين تركيا بالنسبة الى آسيا الصغرى وقبرص . لقد تحاشينا احتلال مصر لعلمنا ان فرنسا شديدة الحساسية عندما يكون الأمر متعلقاً بمصر ، كذلك تحاشينا سوريا للسبب نفسه ، ... كما وان فرنسا تعلم اننا في السنتين او الثلاث سنوات الأخيرة لم نستجب لأي نداء وجهه الينا لاحتلال ارض ما في الامبراطورية العثمانية ، خوفاً من ان

تكون الأرض التي نحتلها جزءاً من الأرض التي تكره او تتخوف من ان يقع في قبضتنا . ولكن في الوقت الذي نجح ان نرى فيه فرنسا تحتفظ بنفوذها في كل من لبنان ومصر بعدل وانصاف فانه ينبغي لنا ان نذكر ان علاقتنا بالشرق ليست مجرد قضية شعور وعواطف وتقليد تاريخي . (كما تعترف فرنسا ان علاقتها بالشرق قضية عواطف) بل انها قضية مصالح ضخمة حيوية ملحة يجب علينا ان نحافظ عليها وأن نحفظ بها . » (١٣)

والحقيقة هي انه ، في ذلك الحين ، لم يكن هناك اهتمام بأمر السكان في الممتلكات الآسيوية العثمانية ، او عناية بشؤون حياتهم . فان العنصر البشري لم يدخل في حساب السياسيين ، بل ولم يكن له قيمة تؤخذ بعين الاعتبار . وها هي رسالة ساليزبري (Salisbury) التي بعث بها في ٣٠ ايار من سنة ١٨٧٨ الى السير هنري لايارد (Layard) ، السفير البريطاني في استانبول ، خير مثال على موقف الدول الغربية من سكان المنطقة . تقول الرسالة : « ان تركيا الآسيوية تمثل شعوباً تنتمي الى اعراق بشرية كثيرة ، وتعتنق ادبائاً مختلفة . وهي شعوب لا تملك القدرة على الحكم الذاتي المستقل ، كما انها لا تطمح الى الاستقلال ، بل يشعرون انهم مدينون كلياً بالعيش الهاديء ، وبالحياة السياسية المستقرة ، لحكم السلطان » (١٤) . غير انه كان هناك حقيقة اخرى وهي حدوث تبدل ظاهر في سياسة بريطانيا ، منذ سنة ١٨٧٨ وما تلاها من السنين ، بالنسبة الى الشرق الأدنى العربي ومستقبله ، ولا سيما لأن التخوف من التوسع الروسي في اتجاه البحر الأبيض المتوسط اخذ يزداد كلما اتضح ان تركيا سائرة في طريق الانحلال والتفكك . ففي ٩ ايار من سنة ١٨٧٨ كتب ساليزبري رسالة شخصية الى السير هنري لا يارد جاء فيها : « ان قضية الممتلكات التركية الآسيوية ، بالنسبة الى بريطانيا تختلف اختلافاً كبيراً عن قضية الممتلكات التركية الأوروبية . ان التغيير الوحيد الممكن ان يتوقعه المسيحيون في الشرق هو ان يقعوا يوماً تحت الحكم الروسي . ولا يخامرن احد شك بأن القوميات الفتية المناضلة تستطيع ان تنال الحكم الذاتي وان تحكم نفسها بنفسها ... » (١٥) ثم وقع دليل آخر في غاية الأهمية على تبدل السياسة البريطانية نحو تركيا ، وهو احتلال مصر في شهر ايلول عام ١٨٨٢ . وكانت الحجة المباشرة لذلك قيام حركة مناوئة للأجانب ومعادية لهم في الاسكندرية ، يوم الحادي عشر من شهر حزيران ١٨٨٢ ، جاءت نتيجة لثورة احمد عرابي .

لم يكن احتلال مصر نتيجة فكرة طارئة هبطت على عقول القادة البريطانيين . (١٦) فانه في وقت سابق ، في سنة ١٨٧٧ ، كانت هناك فئات في قلب الحكومة البريطانية تفكر في امكانية مثل هذا الاحتلال لمصر . وهناك بعض وثائق المانية يلقي اضواء

على هذه القضية . ففي الرابع والعشرين من شهر نيسان ، عام ١٨٧٧ ، بعث الكونت مينستر (Munster) ، السفير الألماني في لندن ، بتقرير إلى بيلوف (Bulow) ، وزير خارجية ألمانيا يقول فيه : « ان نوبار باشا (١٧) موجود الآن في لندن منذ بضعة ايام . وقد قضى السهرة ليلة امس عندى . واني اعتقد انه من المفيد ان تطلعوا ، سعادتكم ، على وجهة نظر هذا السياسي الشرقي الطريف .

« ان غاية مجيئه الى لندن - وقد اعترف لي بذلك - تمهيد الطريق لفرض الحماية البريطانية على مصر (كان تعليق بسمارك على هذه الفكرة انه « شيء معقول جداً ») ولدى نوبار باشا فكرة راسخة لا يحمي عنها ، وهي ان الحرب لا يمكن حصرها ومنع انتشارها ، كما انه يعتقد ان الامبراطورية العثمانية ستنهيار ... » . (١٨)

وبعد ثلاثة ايام كتب الكونت هربرت بسمارك ، ابن الأمير بسمارك وامين سره ، الى بيلوف يقول : « اود ان ارد اليكم التقرير الذي ورد من لندن في ٢٤ نيسان . ان سعادة المستشار (اي بسمارك) يطلب الى معاليكم ان تبعثوا بجواب الى السفير ، الكونت مينستر ، تقولون فيه اننا نعتبر الاقتراح الأول لنوبار باشا اقتراحاً معقولاً ، كما تقولون ايضاً لسعادة السفير ان المستشار بسمارك نفسه كان يقول منذ زمن لانكلترا انه ينبغي لها ان تحتل مصر ، وان تقيم لنفسها مركزاً هناك ، وان قبول انكلترا ان تتولى مثل هذه المهمة خير ضماناً للحفاظ على السلام في اوربا الوسطى ، وهو افضل لها من ان تتورط في حرب . وانه غير ممكن لنا ان نعلن شيئاً رسمياً عن هذه القضية ولكن ينبغي ان تعطى تعليمات لسفيرنا ، الكونت مينستر ، انه اذا اثبتت قضية مصر وقبول انكلترا ان تجعل منها محمية ، فاننا لا نعارض في الأمر ، بل على نقبض هذا نحن نرحب به اذا تم ... » (١٩) . ولكن الهدف الحقيقي الذي كان يرمي اليه الأمير بسمارك يظهر جلياً من المذكرة التالية التي املاها في ١٥ حزيران سنة ١٨٧٧ في كيسنغغ :

« اني ارغب في تشجيع الانكليز ، ولكني لا احب ان اكشف عن ذلك بصورة علنية ، اذا كانوا حقيقة ينوون فرض حمايتهم على مصر . واعتقد ان هذا ينسجم مع مصالحنا ، كما انه من الأفضل لنا في المستقبل ان نعمل على التوفيق بين انكلترا وروسيا الذي سيكون من شأنه اقامة علاقات ودية بين هاتين الدولتين كما كانت عليه علاقتهما عند مطلع هذا القرن . هذا فضلاً عن ان مثل هذا التوفيق بينهما سيعقبه حسن تقارب بيننا وبينهم . وقد لا تتحقق هذه الأمنية اطلاقاً ، ولكن من يعرف عما يخبئه القدر . واذا تم اتفاق بين انكلترا وروسيا تسيطر بموجبه انكلترا على مصر ، وروسيا على البحر الأسود ، فان الدولتين يمكن لهما ان ترتضيا بالحفاظ على الوضع الراهن لمدة طويلة من الزمن . وفي الوقت ذاته ، وضنا بمصالحهما ،

فانهما قد تدخلان في تنافس يحول دون دخولهما في ائتلاف موجه ضدهما ، على الرغم من العوامل الداخلية في بريطانيا التي تدفع بها الى الوقوف ضد هذا الائتلاف » (٢٠) . وبعد ما يقرب من اسبوعين ، في ٢٨ حزيران ، كتب الكونت مينستر مرة ثانية الى بسمارك يقول :

« لقد عاد نوبار باشا الى لندن ثانية وقد قابلته مراراً . وكما ذكرت لكم سابقاً ، انه يرحب بأن يرى مصر تحت الحماية البريطانية ، ولي من الأسباب ما يحملني على انه صادق في كلامه ، وعلى الرغم من ان الخديوي غير راض عنه ظاهرياً ، فان نوبار يتصرف بموجب اتفاق بينه وبين الخديوي . ونوبار باشا ليس على اتصال بسائر اعضاء الوزارة البريطانية فان كليهما قد تحاشيا الاجتماع في اثناء زيارته الأولى وفي زيارته الثانية . ذلك انه يشكو من عدم اللامبالاة ، ومن قصر النظر ، ومن انعدام النشاط الذي تتميز به الحكومة الحالية في بريطانيا ، ويقول ان الوحيد من بين الانكليز الذين يعجزون عن ادراك اهمية مصر بالنسبة الى بريطانيا هم الوزراء . وبالنسبة الى نوبار باشا فان الأسد الانكليزي يبدو وكأنه يغط في نوم عميق بحيث يمكن قلع مخالبه واسنانه دون ان يشعر بذلك .

« غير انه اجتمع بأفراد من الجيش ، ومن الأوساط المالية في لندن ، ومن موظفين في جميع دوائر الوزارة الخارجية ، ومن وزارة الهند ، ومن وزارة المالية وكلهم ، ابدوا له عطفاً ووداً . في هذه الدوائر التي لها مصالح حقيقية في هذه القضية ، كما هو منتظر ، يضحكون من الوزراء الذين يشجبون ضم مصر على انه عمل لا اخلاقي ، بينما هم يتواطؤون سراً على ضم جمهورية الترانزفال ، وهي بقعة من الأرض مساحتها تقرب من مساحة فرنسا ، ويطلبون الى الرأي العام ان يقر لهم بالفضل على عملهم هذا . » (٢١)

ثم ينبغي الان ننسى ان اهم عامل كان له الأثر الحاسم في قرار بريطانيا على احتلال مصر هو فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩ التي كانت السيطرة عليها أمراً حيوياً لحماية الهند .

ان احتلال كل من قبرص ومصر قلب الأوضاع رأساً على عقب ، اذ انه منذ ذلك الحين اخذت بريطانيا تثبت مركزها في الشرق الأدنى العربي . في الرابع من شهر حزيران ، ١٨٨٢ ، نشرت جريدة التايمز (The Times) الخبر الآتي المقتضب ، ولكنه كان خبراً هاماً ، وهو : « استانبول في ٣ حزيران : تقول برقية من جدة ان الترجمان في القنصلية البريطانية في تلك المدينة ، سافر الى مكة ومعه رسالة من الحكومة البريطانية الى « شريف مكة » تعبر عن عواطف الود التي تكنها بريطانيا لشخصه ، وفيها استيضاح عن حالة مدحت باشا .

« وجواباً على الرسالة اكد شريف مكة للرجمان ان مدحت باشا بخير . وقد كان لهذه الخطوة التي اتخذتها انكلترا اثر حسن في نفوس العرب الذين يستمرون في اتهام الحكومة البريطانية بأنها تعد مؤامرة لبسط نفوذها في الجزيرة العربية » (٢٢) والواقع انه بعد ذلك الحين بزمن قصير ازداد النفوذ البريطاني في سوريا الى ضعفي ما كان عليه سابقاً . وقد قيل ان السير ريتشارد وود (Wood)، القنصل البريطاني في بيروت ، وبعد ذلك في دمشق ، « قرر ، في خلال ٣٨ سنة ، وبمفرده ، مصير سوريا . » (٢٣)

ان دراسة الوثائق الانكليزية والالمانية والفرنسية المتعلقة بالفترة التي نحن بصدها تؤدي بصاحبها الى الاعتقاد بأن الحكومة البريطانية كانت قد بدأت ، عند منصرف القرن التاسع عشر ، تفكر جديداً بتقسيم تركيا . ويبدو من المحادثات التي اجراها اللورد سالزبري مع السفير الألماني في لندن ، الكونت هاتسفيلد (Hatzfeldt) في سنة ١٨٩٥ ، ان اللورد سالزبري كان مقتنعاً بأن تركيا كإمبراطورية ، « لا بد وان تنجزاً وفي وقت قصير » .

في العاشر من شهر تموز ، ١٨٩٥ ، بعث السفير الألماني برسالة الى مستشار المانيا ، الأمير فون هوهينلوhe : (Hohenlohe) جاء فيها : « على الرغم من ان حديثنا كان سرياً وصريحاً ، فاني لم اتابع السير في ذلك الخط من التفكير ، ولكنني متأكد من ان الوزير كان يفكر بتقسيم تركيا بصورة ما ... » وفي ٣١ تموز ، بعث السفير بكتاب شخصي الى البارون فون هولشتين (Von Holstein) يقول فيه انه في اثناء اجتماعه باللورد سالزبري ، في اليوم السابق ، قال له اللورد ان تركيا « مهترئة جداً » بحيث لا يمكن لها ان تعيش طويلاً . وعندما سأل السفير : اذا صح الأمر وانهارت تركيا ، فماذا يحدث عند ذاك ؟ وما رأيك في تقسيم ممتلكاتها ، وكيف ستوزع على الدول العظمى المعنية بالأمر ؟ أجاب الوزير : حقاً ان الأمر لن يكون يسيراً ، ولكن كان بالامكان الا تكون هناك عقبة تحول دون الأمر لو ان انكلترا لم تقترف خطأ جسيماً في رفضها اقتراح القيصر نيقولا الذي عرضه على الممثل البريطاني قبل حرب القرم (الاقتراح بأن تكون مصر لبريطانيا وسالونيكاً للنمسا ... الخ) وهو خطأ ما كان سالزبري ليقع فيه حقاً لو انه كان المسؤول آنذاك ... » .

ان حديث الوزير ... يدل على انه قد بدّل رأيه في الحفاظ على كيان تركيا تبديلاً حقيقياً ، وعلى ان اعتقاده راسخ اليوم بان انكلترا ، اذا لم تهمل مطالبها ولم يؤبه بها ، فانها تشعر بوجوب التفكير بإمكانية انهيار تركيا وتحللها ، وبالتالي إمكانية تقسيمها ... (٢٤) .

كذلك في اليوم السادس عشر من شهر آب بعث الكونت هاتسفيلد بتقرير من لندن الى وزارة الخارجية الألمانية يقول فيه :

« ان اللورد سالزبري ، ويشاركه في هذا الرأي اللورد روزبري (Roseberry) ، يرى ان انكلترا مقدمة على ايام عصيبة ، وهو يحاول ان يحافظ على نفسه ... واللورد سالزبري يحاول الآن ايجاد خطة للتقسيم في الشرق ، (٢٥) من شأنها ان تمنع وقوع الأزمة وفي الوقت ذاته تكاد ترضي كل امرئ بصورة ما ... والغاية من عقد محادثات سرية معي هي التأكد أولاً (٢٦) : اي خطة نوافق عليها ، اذا كان لنا ان نوافق ، ومن ثم ، اذا اتفقنا فيما بيننا ، لاستمالة ايطاليا والنمسا بواسطتنا ، وربما روسيا ايضاً ... اما فرنسا فانها اذا انفصلت عن روسيا فمن المرجح كثيراً انها لن تجازف في الدخول في حرب واسعة النطاق بدونها ، وهكذا يمكن ارضائها وتهديتها ببلفة في سوريا او في مكان آخر . (٢٧) هذه هي فكرة اللورد سالزبري ... » (٢٨) .

وما يدل على حالة الضعف التي كانت تركيا تعانيها في ذلك الحين ما قاله اللورد سزباليري في الخطاب التالي الذي القاه في مجلس اللوردات في الخامس عشر من شهر آب عام ١٨٩٥ . قال :

« ان الأمر الوحيد الذي يتخوف منه السلطان هو ان يقوم بعمل ما من شأنه ان يعرض استقلال بلاده الظاهري الى خطر التضحية به . لكن استقلال تركيا ، على الرغم من انه استقلال معترف به قانونياً في اوروبا ، وعلى الرغم من انه استقلال تضمنه معاهدتا برلين وباريس ، هو استقلال فريد في نوعه . اذ انه استقلال قائم بفضل اتفاقات معقودة بين دول اخرى تنص على انها ، بموجب هذه الاتفاقات ، لن تتدخل بشؤون البلاد ، وانها ستحافظ على هذا الاستقلال . وطبيعي ان يكون الخطر الذي شعرت به الدول ، منذ اللحظة الأولى التي وضعت فيها اسس هذه السياسة ، هو انه عوضاً عن ان تحافظ هذه الدول على سلامة الامبراطورية التركية ، وحمايتها من طمع الطامعين من الدول الأخرى ، وتمكينها من الاستقرار الذي لا تملكه بصورة طبيعية ، فانها قد سعت لوضع نظام لا يعمل على توفير سعادة الناس وتقديمهم ، بل بالأحرى لوضع نظام يشجع على قيام حكومة ضعيفة ، وعلى قيام مزيد من التعصب الديني والعرق الذي كان لقرون خلعت لعنة على ولايات الامبراطورية التركية ... » (٢٩) ولا نكون قد خرجنا عن الموضوع اذا ذكرنا ، بهذه المناسبة ، شيئاً عن الأمور المالية في الحكومة التركية (٣٠) .

من اهم اسباب الضعف الذي ابتليت به الامبراطورية العثمانية هو استمرار تدهور الوضع المالي . فمنذ منتصف القرن التاسع عشر وما بعده سارت الحكومة

العثمانية على طريق خطر ، طريق اخذ القروض من اصحاب المصارف الأوروبية ، وتضخيم نقدها باصدار عدد من ملايين الليرات الورقية. وقد استدان السلطانان ، عبد الحميد وعبد العزيز ، مبالغ مالية هائلة من لندن وباريس وفيينا . وقد كتب مادن (Madden) يقول : « في شهري تشرين الأول والثاني من سنة ١٨٦٠ ، كاد الباب العالي ان يبلغ ذروة احدى الأزمات المالية التي كان يكثر حدوثها منذ ان بلغت تركيا السيئة الطالع درجة من التمدن تؤهلها ان تحتل مكانها في المقاعد الخلفية في صرح الملوك والأمراء البارزين اللامعين في أوروبا — وذلك بفضل قدرتها على الاستدانة وعلى القروض الكبيرة ... » (٣١).

بلغ دين الدولة العثمانية في عهد عبد العزيز ما يقرب من مئتي مليون ليرة استرلينية « وكانت القروض تعقد باستمرار لتدفع من اصلها فوائد القروض السابقة ... واستمرت هذه اللعبة المرحقة بقدر ما كان بالامكان اغواء السذج من الناس في العالم الغربي على ان يقرضوا تركيا . ولكن اعتماد الامبراطورية التركية المالي نفذ سنة ١٨٧٤ ، فأعلنت تركيا تمنعها عن دفع نصف الفوائد ، وفي السنة التالية تمتعت عن دفع النصف الثاني. وقد قلل هذا من اهتمام أوروبا الغربية بالقضية التركية . » (٣٢)

ثم نشبت الحرب الروسية التركية في سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ فزادت في خطورة الوضع المالي ، وأدت الى افلاس الامبراطورية الفعلية — وكان الدين قد بلغ سنة ١٨٨١ ما مجموعه ٢٥٠ مليون استرلينية ، وهو رقم مخيف. واسفر الأمر عن اشتراك الدول الدائنة جميعها في تشكيل مجلس لحاملي الأسهم من الأجانب . وهكذا برز الى الوجود « الدين العثماني الوطني » الشهير الذي ظل في جسم الامبراطورية جرحاً يتقيح سنين طويلة حتى انتهت الحرب العالمية الأولى عندما وزع الدين على الدول التي نشأت عن تجزؤ الامبراطورية العثمانية . والأمر الذي يجدر بنا ان نتذكره بهذه المناسبة هو ان تعيين لجنة مالية دولية كان بمثابة « اعتراف بمبدأ الاشراف الاجنبي على مالية الدولة العثمانية (٣٣) » .

في تلك الأثناء ، اي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، ظهر عامل جديد بالغ الأهمية كان من شأنه ان يزيد في تعقيدات المسألة الشرقية ، وان يعزز الصراع بين الدول الغربية ، عنيابه سياسة القيصر الألماني غليوم الثاني التي كانت تعرف بسياسة « الزحف شرقاً » (Drang Nach Osten). لقد ظل بسمارك سنوات يجانب التدخل في المسألة الشرقية ، ولكن القيصر غليوم الثاني احدث في السياسة الألمانية تبديلاً تاماً بالنسبة الى الامبراطورية العثمانية . وكان نفاذ المانيا الى الامبراطورية العثمانية يتخذ اشكالا متعددة : عسكرياً واقتصادياً وثقافياً واقتصادياً ونفسياً .

منذ ان تسلم غليوم الثاني عرش المانيا ، سنة ١٨٨٨ ، اتخذ على عاتقه تنمية العلاقات الودية مع تركيا ، ولا سيما مع الولايات العثمانية الاسيوية . ذلك العهد الذي كان يستطيع فيه وزير خارجية المانيا ان يقول : « نحن لا نهتم اهتماماً مباشراً بالمسألة الشرقية ، فاننا ، حتى هذا الحين ، نقنع من الأمر بوضع نفوذنا وخدماتنا غير النفعية تحت تصرف اصدقائنا . » (٣٥) ان ذلك العهد قد ولّى .

ان التغلغل الألماني اتخذ اشكالا متعددة وظهر بأسماء مستعارة مختلفة . كتب ستون - وطسون (Seton-Watson) يقول : « لقد ظهر أثر النفوذ الألماني في استانبول في اتجاهين — في اعادة تنظيم الجيش التركي على أيدي ضباط ألمان ، وفي نفاذ المانيا تجارياً الى آسيا الصغرى . ولكن هذا الأثر الألماني بلغ الذروة بعد اتفاقية بغداد السرية التي عقدها السير ادورد غراي مع المانيا سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ ، والتي لم يكن ينقصها سوى التوقيع النهائي عندما نشبت الحرب العالمية الأولى . ومن حسن طالع المانيا ان كان لديها اثنان من ابرز دبلوماسيينها في الشرق الأدنى ، وهما الماريشال فون در غولتس باشا (Von der Goltz) الذي كان المستشار العسكري لدى الأتراك ، والبارون مارشال فون بيرشتين (Von Bieberstein) الذي كان يرأس السفارة الألمانية لمدة عشرين سنة في استانبول . » (٣٦)

يقول السيد وايد دافيد (Wade David) : « ان الدولة الوحيدة التي سعى السلطان عبد الحميد الى مصادقتها باخلاص ومثابرة كانت المانيا . ولم تكن الزيارة التي قام بها القيصر للسلطان سنة ١٨٩٨ وما رافقها من معالم الأبهة والفضخنة ، سوى ذروة انحراف السياسة التركية عن خطها التقليدي الذي كان اتجاهه دوماً نحو بريطانيا ، ولم يعد القيصر يرى بعد تلك الزيارة سوءاً في تصرف عبد الحميد ، كما انه لم يعد يرى الظلم والاستبداد اللذين كان يتميز بهما حكمه . ومنذ ذلك الحين اخذ غليوم الثاني يتعهد تنمية العلاقات الودية بين تركيا وألمانيا ، تلك العلاقات التي أحسن التمهيد لها الماريشال فون بيرشتين ، والتي كان ينظر اليها السلطان بعين العطف والود . »

ذلك لأن عبد الحميد كان يرى أن المانيا ، من بين الدول الغربية ، هي أقل الدول انتفاعاً من انحلال الامبراطورية العثمانية وتجزئة ممتلكاتها ، كما أنه كان يرى في القيصر النصير القوي والصديق المخلص الوحيد . وفضلاً عن هذا فان تركيز المصالح الاقتصادية الألمانية في كل من بر الأناضول والعراق كان بمثابة منح الحكومة الألمانية ذريعة للدفاع عن سلامة تركيا وضمان استقلالها . (٣٧)

من الأشكال المختلفة التي اتخذها التغلغل الألماني في الامبراطورية العثمانية كان التغلغل الاقتصادي من اعظم عوامل القلق والاهتمام لدى الدول العظمى التي

كانت تعنى بالمسألة الشرقية . ومن بين جميع الخطط التي وضعتها المانيا لتعزيز التغلغل الاقتصادي ، كان بناء الخط الحديدي ، الذي يربط بلاد الأناضول ببغداد ، من العوامل التي أقلقت خواطر معظم الدول الأوروبية (٣٨) .

على الرغم من ان امتيازات الخطوط الحديدية في تركيا كانت قضية مشاريع تجارية حصلت عليها شركات اجنبية مختلفة فانه ليس بوسع امرىء ان يتغاضى عما كانت تنطوي عليه هذه الامتيازات من مغزى سياسي واستعماري ، وذلك من جراء الصراع الدولي الذي نشأ بين الدول العظمى حول الامبراطورية العثمانية . في سنة ١٨٨٨ ، عندما أنشأت مجموعة المانية شركة كانت تعرف بشركة خط الأناضول الحديدي بغية ربط الخطوط الحديدية البلقانية بالولايات العثمانية الآسيوية ، وعندما تقدمت هذه الشركة سنة ١٨٩٨ بطلب امتياز لانشاء خط قونية - حلب - الموصل - بغداد ، كانت ردة الفعل البريطانية ، في بادىء الأمر ، ردة عطف وتأيد . ولكن في الواقع ، وحتى نشوب الحرب العالمية الأولى ، كانت بريطانيا تعارض ، بشكل او بآخر اتمام انشاء خط بغداد الحديدي ، وذلك بغية الحؤول دون وصول المانيا الى الخليج الفارسي عبر طريق برى - واستمرت معارضتها حتى بعد صدور الارادة السلطانية في ١٦ كانون الثاني عام ١٩٠٢ ، التي وافق السلطان عبد الحميد بموجبها على منح الامتياز الذي وقّع عليه نهائياً في استانبول في ١٥ آذار عام ١٩٠٣ (٣٩) . وقد ابدت ايضاً كل من روسيا وفرنسا مخاوفهما من تقدم الزحف الألماني المالي والسياسي الذي قد يكون من شأنه تدعيم الوضع المتداعي في الامبراطورية العثمانية (٤٠) . « وهكذا تخطى انشاء سكة حديد بغداد حدود العلاقات التركية الألمانية واصبح مشكلة دبلوماسية دولية . وقد اصبحت هذه المشكلة الشغل الشاغل لوزارات الخارجية ، كما انها اصبحت امراً تعنى به البيوتات المالية ، ورجال السياسة ، والعسكريون ، والمهندسون واصحاب المصارف . » (٤١)

ان قصة النفوذ الألماني والتغلغل الاقتصادي في الامبراطورية العثمانية اللذين اديا الى عقد التحالف التركي الألماني الخطير ، ذلك التحالف الذي وقع عليه يوم ٢ آب سنة ١٩١٤ ، والذي كان من شأنه أن يمهد السبيل لمحاولة المانيا السيطرة على الشرق ، نقول ان ذاك النفوذ وذاك التغلغل يشكلان نقطة تحول في تاريخ المسألة الشرقية في الأزمنة الحديثة (٤٢) . ولسنا نعني الآن بالناحية الدولية للوضع الجديد الاثر الغربي ووقعه على منطقة الشرق الأدنى ، انما يهمننا من الأمر ما كان له من مغزى بالنسبة الى العرب . وقد كان اسلوب غليوم الثاني النفساني من افضل ما لجأ اليه من اساليب لكسب ود تركيا ومن انجعتها .

بدأت الزيارة الملكية التي قام بها الامبراطور غليوم الثاني وزوجته الامبراطورة

بزيارة مدينة استانبول وزيارة السلطان عبد الحميد . وقعت هذه الزيارة في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٨٩ (٤٣) . وبعد مرور تسع سنوات ، وصل الامبراطور وزوجته الامبراطورة الى ميناء حيفا في فلسطين يوم الثلاثاء الواقع في ٢٥ تشرين الأول عام ١٨٩٨ ، على متن اليخت الملكي هوهنزولرن (Hohenzollern) وفي الظاهر كانت الغاية من الزيارة الملكية الحج الى الأرض المقدسة ، ولتدشين الكنيسة اللوثرية في القدس . وكانت هذه الكنيسة قد شيدت على قطعة ارض اهداها السلطان عبد العزيز الى الامبراطور فردريك الثالث والد غليوم الثاني عندما قام بزيارة فلسطين سنة ١٨٦٩ . (٤٤) دامت زيارة فلسطين حتى نهار السبت الواقع في ٣ تشرين الثاني عندما غادرت العائلة الملكية الأرض المقدسة الى بيروت . وكانت « سياحة شخصية » تمت بادارة شركة كوك السياحية . ومن بيروت توجه الامبراطور والامبراطورة الى دمشق التي بلغاها مساء يوم السابع من شهر تشرين الثاني . وفي صباح اليوم التالي زار قبر صلاح الدين وفي مساء اليوم بعده أقيمت وليمة عشاء فاخرة على شرف جلالة الضيفين . وفي بناء البلدية وفي أثناء الوليمة القى الامبراطور خطابه الشهير رداً على كلمة ترحيبية القاها شاب مسلم .

بعد ان عبر الامبراطور عن « عميق شكره » للسلطان عبد الحميد على « حسن ضيافته وخالص وده » وبعد ان شكر اهل الشام على ترحيبهم الودي ، واستقبلهم الحار ، قال :

« فليطمئن صاحب الجلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني ، وليطمئن معه الثلاثمائة مليون من المسلمين القاطنين في اقطار الدنيا ، والذين تربطهم بالعاهل التركي روابط وثيقة بصفته خليفة المسلمين ، الى انهم سيجدون في امبراطور المانيا الصديق الدائم لهم . » (٤٥)

كان خطاب الامبراطور الألماني في دمشق الذروة للزيارة التي قام بها الى الشرق الأدنى . ليس في ذلك من شك . والحقيقة ان الزيارة تبدو وكأن الغاية منها كانت القاء هذا الخطاب البسيط في مبناه ، الخطير في معناه . وتحليل العبارة الأخيرة التي وردت في خطابه هذا تدل على ذكاء الامبراطور وفطنته في التقرب الى العرب واستمالتهم . فقد كان اسلوباً عاطفياً يمس وتراً حساساً في اعماق قلوب الناس الذين كان يخاطبهم ، وتر الدين . كما انه كان اسلوباً شخصياً في التقرب مبنياً على صداقته الشخصية لخليفة المسلمين .

لم يكن هناك دولة من الدول العظمى المعنية بالمسألة الشرقية تكلمت باللغة التي تكلم بها قيصر المانيا . كانت سياسة غليوم الثاني ، كما كانت تبدو من جميع الوجود « سياسة اسلامية » . وبعد سنوات كتب المارشال هندنبرغ (Hindenburgh)

في مذكراته (Aus Meinen Leben) (من ذكريات حياتي) يقول ان المانيا كانت تبغي خلق «وحدة سياسية ودينية» في العالم الاسلامي . ويقول : «لقد وضعت مشروعات لادخال جميع المسلمين في وحدة ، ولا سيما مسلمي افريقيا الشمالية» (٤٦) كان الأسلوب الذي اتبعه غليوم الثاني في تقربه الى العرب مبنياً على اسس نفسية صحيحة . فقد جاء بنفسه وخاطب الناس وجهاً الى لوجه . وكان هذا الأسلوب فعالاً في النفوس ، كما ان التجاوب كان فورياً وودياً . فان القيصر قام بعمل نادر غير مألوف بالفعل في الدبلوماسية الأوروبية : انه لجأ الى الأسلوب الذي يمس نفوس الناس مباشرة ، والى الأسلوب المثير للعواطف ، كما انه تكلم الى الناس مباشرة وقد اختار موضوعاً ذا محتوى عاطفي يستأنف الى قلوب رعايا السلطان : الاسلام (٤٧) . فقد قدّم الى السلطان والى رعاياه والى الدين الاسلامي تعهداً بالحماية وبخالص الصداقة والود (٤٨) . وبالفعل فانه اظهر للسلطان محض صداقته في جميع الظروف . ومساندة القيصر الشخصية لسياسة عبد الحميد عندما وقعت المذابح الأرمنية بين سنة ١٨٩٤ و ١٨٩٦ ، ليست سوى مثال آخر على كلال الروح الماكيافيلية وقسوتها في امور السياسة والدبلوماسية لدى الدول العظمى . (٤٩)

من البديهي القول ان سياسة المانيا في الشرق الأدنى كانت تثير مخاوف انكلترا وفرنسا وروسيا . نشرت جريدة التايمز اللندنية في عددها الصادر يوم الجمعة في ١١ تشرين الأول ، سنة ١٨٩٨ ، مقالاً لمراسلها ، عنوانه «سفرة امبراطور المانيا» جاء فيه : «كان من الطبيعي ان يثير اعلان الامبراطور عن خالص وده للسلطان واشارته الى قوة الاسلام العديدة ، حماسة الناس ويلهب شعورهم في مدينة اسلامية صرفة كمدينة دمشق» . ويتابع المراسل قوله : «ان الأستاذ هاس (Hasse) ... وهو زعيم الاتحاد الجرمانى الشامل الذي ألهبت زيارة الامبراطور نلشرق شعوره هتف يقول ، في كلمة له في مجلة هذه الجمعية المتطرفة في طموحها : «ها الى الأمام ، الى نهر الفرات والى نهر دجلة ، والى الخليج الفارسي . هيا بنا نستولي على طريق الهند البرية ، تلك الطريق التي ينبغي أن تكون تحت سيطرة من ينبغي ان تكون له — تحت سيطرة الشعب الألماني الذي يبتهج بالحرب ويفرح في الكفاح» .

وهذه المناسبة يجدر بنا ان نذكر ان سياسة المانيا في الشرق الأدنى العربي اوتيت ثمارها الطيبة خصوصاً في الحرب العالمية الأولى ، وفي الفترة التي وقعت بين الحرب الأولى والحرب العالمية الثانية ، عندما نشطت الدعاية الألمانية ، وبلغت مبلغاً من النجاح في البلدان العربية . ان القضايا التي هيمنت على السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر

كانت قضية الأرمن ، والحرب اليونانية التركية والخط الحديدي بين برلين وبغداد . ولكن الدول العظمى كانت ، بصورة عامة ، قد بدأت تشعر بالضنى والملل من المسألة الشرقية ، ولا سيما من المنافسة القومية ، ومن الصراع في البلدان الصغيرة بين الأقليات العنصرية المتعددة التي كانت تتوطن الامبراطورية العثمانية . وأصبحت هذه الدول تشعر كما شعر اللورد ساليزبري قبلها في مؤتمر برلين ، سنة ١٨٧٨ عندما قال : «في بوتسدام (Potsdam) برغش — وهنا دول صغرى ، ولست أعلم أيهما أردأ من الآخر» .

على الرغم مما حل بالأرمن من بلاء وشقاء ، وعلى الرغم من المذابح المفجعة التي وقعت سنة ١٨٩٥ - ١٨٩٦ ، فان الدول العظمى لم تتمكن من التعاون فيما بينها ، اما لاستعمال القول او لممارسة الضغط على السلطان عبد الحميد لكي يوقف المذابح . ولم تلق القضية الأرمنية سوى معسول الكلام . وكانت الاجراءات التي اتخذت لحمايتهم اجراءات شكلية وغير جدية . فمن ناحية سياسية لم تكن هناك دولة من الدول العظمى ، بمن فيها روسيا ، على استعداد جدي للدخول في حرب ضد السلطان ، فأسفر الأمر عن ان تركيا سلمت من الانهيار المتوقع لها . ومن ناحية اقتصادية نرى ان الدول العظمى كانت تزيد من نشاطها في التغلغل في الامبراطورية العثمانية . وكانت المانيا تسعى اكثر من غيرها من الدول لتتزعّم هذا التغلغل الاقتصادي . فكان اشهر مشروع تسعى المانيا لتحقيقه مشروع انشاء الخط الحديدي بين برلين - بورصة - بغداد الذي افلحت جماعة من الصناعيين الألمان في الحصول على امتياز لانشاءه من السلطان سنة ١٨٨٨ وسنة ١٨٩٩ .

عند مستهل القرن العشرين زادت مخاوف كل من انكلترا وفرنسا وروسيا من ازدياد النفوذ الألماني في الامبراطورية العثمانية . وكان من نتائج هذه المخاوف انها وفقت بين المصالح المتضاربة بين الدول العظمى وجمعت بينها ما يجمعه «زواج المصلحة» . فراح كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا «تحل» مشكلة المصالح المتضاربة والمنافسات العنيفة عن طريق التحالف هنا ، وعن طريق الاتفاق الموقت هناك . وفضلاً عن هذا فان التحالف الثنائي الذي عقد سنة ١٨٧٩ بين المانيا والنمسا كان السبب في عقد تحالف ثنائي بين روسيا وفرنسا وقد تم توقيعه سنة ١٨٩٣ . وأخيراً تم تدريجياً حسم النزاع الناشئ عن تضارب المصالح والمطامح بين بريطانيا وفرنسا وروسيا بعقد اتفاقيتين . الأولى منهما تمت سنة ١٩٠٤ بين فرنسا وانكلترا ، وكانت تعرف بالحلف الودي ، وتمت الثانية سنة ١٩٠٧ بين بريطانيا وروسيا . فقد كانت مخاوفهما من المانيا تفوق المنافسات والخصومات القائمة بينهما . وفي الواقع ان علاقات بريطانيا وفرنسا مع السلطان عبد الحميد

أخذت بالفتور .

عشية سقوط عبد الحميد ، كانت امبراطوريته الممتدة من مقدونيا الى جنوبي العراق فريسة للاستعمار الغربي . وأصبحت مملكته ممراً واسعاً للمواصلات وطريقاً تاريخية عامة بين الغرب والشرق . يقول ادورد ميد ارل (Earle) : « ان مركزاً كهذا في يد دولة قوية ، هو مركز قوة وسيطرة ، ولكنه في يد دولة ضعيفة مصدر ضعف ووهن . » (٥٠)

بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٠٨ عقد سفراء الدول العظمى مؤتمراً بعد مؤتمر لتقديم « المذكرات » و « المقترحات » للسلطان عبد الحميد التي من شأنها أن تمكنه من حل أخطر قضية كانت تجابهه : قضية مقدونيا . فقد تقدمت الدول بعدد من المقترحات ولكن السلطان رفض الأخذ بها . والزيارات المتعددة التي كان يقوم بها السفراء الى قصر يلدز ليقدموا مطالبهم ، واحياناً اوامرهم ، ازعج السلطان عبد الحميد ، مما جعله يفقد صبره . ولكنه رفض ان يلين لضغط السفراء الشديد ومطالبهم التي كانوا يقررونها في مؤتمراتهم . « ولكن على الرغم من ذلك فان عبد الحميد كان يشعر ان الدول العظمى شوكة في خاصرته . فان سفرائهم في استانبول ، كانوا يتمتعون بسلطات ، وينعمون بامتيازات لم يكن لها في الدبلوماسية من مثيل باستثناء الصين . فانهم كجموعة كانوا يوجهون الانذارات ، ويعنفون اذا اقتضى الأمر ، ويهددون السلطان الناقم والصدر الأعظم المضطرب . ولم يكن هناك من امر ، مهما بلغ من التفاهة ، لم يرفعوا الاحتجاج الدبلوماسي بشأنه ، او حاولوا الوساطة الشخصية من اجله . » (٥١)

والحقيقة ان عبد الحميد وحكومته كانا قد اصبحا في حالة من الضعف الشديد ، ومن الفساد الفاشي وعدم الكفاءة في العمل . كما ان امبراطوريته كانت قد بلغت من الوهن مبلغاً يهدد بالخطر ، وذلك قبل ان اخذت الدول العظمى تتدخل في شؤونه الداخلية . « فقد كان موقع هذه الامبراطورية الجغرافي الاستراتيجي وأهميته مشكلة يعنى بها الخبراء العسكريون والبحريون . وكانت ثروة البلاد في نظر ارباب المال موضع اغراء لتوظيف اموالهم . كما ان عدم الاستقرار السياسي كان ذريعة تتذرع بها الدول الأوروبية للتدخل في شؤون الامبراطورية الداخلية لصالح اصحاب المال والتجار ، او لصالح الاستراتيجية لدى الطامحين في انشاء الامبراطوريات . وعليه فقد كانت هذه المنطقة التي سيمر فيها خط برلين بغداد ، من وجهة دبلوماسية ، منطقة دولية خطيرة . » (٥٢) وبالفعل اصبح استقلال الامبراطورية العثمانية استقلالاً صورياً يتوقف بقاءه او زواله على توازن القوى بين الدول العظمى . وفي آخر الأمر ظهرت « تركيا الفتاة » وجمعيتها القوية « جمعية الاتحاد والترقي »

التي نشطت للتحدي ولانقاذ الامبراطورية العثمانية من الانحلال التام والانهيار الكلي . وكان هدفها القضاء على حكم عبد الحميد الاستبدادي ، وقيام حكومة برلمانية في الامبراطورية ، وذلك بواسطة اعادة الدستور الذي كان قد وضعه مدحت باشا سنة ١٨٧٦ . وأفلحت ثورة تموز من سنة ١٩٠٨ في القضاء على عهد عبد الحميد وحكمه ، ولو ان ذلك كان الى حين . وفي ٢٤ تموز وافق السلطان على اعادة الدستور . فابتهج العرب والأتراك ابتهاجاً عظيماً عبر عنه الناس باقامة الحفلات والمآدب والأعياد في كل يوم من ايام الأسبوع . ونقش على الأعلام التركية : « حرية ، مساواة ، عدالة » .

عقد البرلمان الجديد أولى جلساته يوم الخميس الواقع في ١٧ كانون الأول سنة ١٩٠٨ بحضور السلطان وبحضور الأمراء العثمانيين . وكان مجموع اعضاء البرلمان ٢٦٠ مبعوثاً ، منهم ١١٩ من الأتراك و ٧٢ من العرب . وكان ٢١٤ منهم من المسلمين و ٤٢ من النصارى واربعة من اليهود . ولكن منذ اليوم الأول وطّد عبد الحميد عزمه على ان يتخلص من تركيا الفتاة ، ومن الدستور ، ومن البرلمان ففي ١٣ نيسان ، سنة ١٩٠٩ ، وقعت محاولة ثورة مضادة في استانبول للقضاء على الثورة الأولى . ولكن الجيش في مقدونيا ، بقيادة شوكت باشا ، كان على استعداد للعمل . فزحف على العاصمة وضرب الحصار على قصر السلطان ، يلدز . وعقد المجلسان ، مجلس النواب والأعيان ، جلسة صوت فيها اعضاؤها على خلع السلطان عبد الحميد لصالح اخيه محمد رشاد الذي اصبح السلطان محمد الخامس . وبعد ذلك فوراً ، في مساء السابع والعشرين من شهر نيسان ، سنة ١٩٠٩ ، نفى السلطان عبد الحميد الى سالونيك . وكان يرافقه بعض حريمه ، وحاشية صغيرة ، وسجنوا جميعاً في فيلا الأتيني (Alatini) في ضواحي المدينة . وهكذا دخل آخر سلطان عثماني مستبد في ذمة التاريخ ، آخر « ظل الله » (لقب من القاب السلطان) الذي وقع على الشرق الأسطوري والشرق الذي كان يعيش في العصور الوسيطة — وبسقوطه انتهى العهد التركي الذي ارتبط لمدة ستمائة سنة مع آسيا وأوروبا ومع الشعوب الاسلامية .

في الثلاثين من شهر ايار ، سنة ١٩١٠ ، اي في حدود سنة بعد سقوط عبد الحميد كتب البارون فون مارشال (Von Marschall) ، السفير الألماني في استانبول ، الى مستشار المانيا بيشمان-هولفغ (Bethmann-Hollweg) يقول : « ان الامبراطورية التركية استطاعت في القرن الماضي ان تحافظ على بقائها ليس بفضل قوتها بل بفضل تضارب مصالح الدول العظمى . كان الوارثون المتنافسون على ارث « الرجل المريض » من القوة والعدد بحيث لم يجرؤ وارث واحد بمفرده ان يلجأ الى القوة كي يعجل في موت الموروث لينال نصيبه من الارث . » (٥٣) وهكذا استقر

رأي أولئك الوارثين على ان يخل الوثام والتفاهم بينهم حول نصيب كل منهم. ففي سنة ١٩١١ اعلنت روسيا نهائياً عن عدم معارضتها لمشروع انشاء الخط الحديدي الألماني، وتبعتها في سنة ١٩١٤ كل من فرنسا وبريطانيا، وذلك بعد عقد اتفاقات سرية ومعاهدات وقعت بين هذه الدول والمانيا. وقد اشار السيد م. س. اندرسون (Anderson) الى هذه التدابير باختصار، ولكن بوضوح تام، عندما كتب يقول: « في شهر آب من عام ١٩١٤ ... تعهدت الحكومة الروسية بعدم معارضتها لاتمام انشاء الخط الحديدي، ومقابل هذا التعهد الروسي تعهدت المانيا باحترام امتياز روسيا لاحتكار انشاء الخط الحديدي في شمالي ايران ... وفي شهر شباط من السنة ذاتها، وبموجب اتفاق سري، تعهدت فرنسا بأن تعتبر اواسط بر الأناضول والقسم الجنوبي منه، وشمالي سوريا والعراق (بكلام آخر تلك المناطق التي سيمر فيها خط بغداد الحديدي، او التي ستتأثر مباشرة من انشائه) مناطق نفوذ المانية من حيث ان لها علاقة بانشاء خطوط حديدية. ومقابل هذا اعترفت المانيا بشمالي بر الأناضول وبالجزء الأكبر من سوريا (بما في ذلك فلسطين) كمنطق نفوذ فرنسية من حيث الغاية ذاتها، اي بناء خطوط حديدية ... وبعد عقد سلسلة من الاتفاقيات الانكليزية التركية في سنة ١٩١٣ الى حزيران سنة ١٩١٤ ... حصلت بريطانيا على امتيازات من شأنها ان تصون مكانتها في المنطقة صوناً تاماً ... فوافقت الحكومة التركية على الا تتدخل بشؤون الكويت ... وعلى الا تسمح بامتداد الخط الحديدي الى منطقة الخليج الفارسي دون موافقة بريطانيا على هذا الأمر. في الوقت ذاته ازدادت مكانة بريطانيا قوة ومناعة من جراء اتفاقية عقدت في شهر آذار سنة ١٩١٤ تعترف المانيا، بموجبها، بحقوق بريطانيا الكلية في شركة النفط الايرانية التي تأسست سنة ١٩٠٩، وفي تطوير مصادر النفط الانكليزية الايرانية وفي اواسط وجنوبي ايران. وبموجب اتفاقية اخرى بين بريطانيا والمانيا وقع عليها بالحروف الأولى في ١٥ حزيران، سحبت بريطانيا مرة ثانية معارضتها لانشاء خط بغداد (شريطة ان ينتهي الخط في البصرة فلا يتعداها الى منطقة الخليج الفارسي) ووافقت الدولتان على سياسة « الباب المفتوح » في تركيا الآسيوية. » (٥٤)

ولكن لم يظهر حتى الآن اي برهان من شأنه ان يلقي نوراً على سياسة بريطانيا فيما اذا كانت آنذاك قد اعدت خططاً خاصة بها تتعلق بمستقبل البلدان العربية في منطقة الشرق الأوسط. فمن الأمور المعروفة ان حكومة بريطانيا كانت منذ امد بعيد تحرص على الحفاظ على كيان الحكم العثماني وبقائه في الولايات العثمانية الآسيوية، ويشمل هذا التدبير وبطبيعة الحال الأفطار العربية الداخلة في

الحكم العثماني. حتى عشية الحرب العالمية الأولى، كانت بريطانيا لا تزال ترفض الاشتراك مع الدول العظمى لتقسيم الممتلكات التركية. ففي الرابع من شهر تموز، سنة ١٩١٣، ارسل وزير الخارجية البريطانية، السير ادورد غراي (Grey) برقية الى السير ج. بكنان (Buchanan)، سفير بريطانيا في استانبول جاء فيها: « هناك مسألة على جانب من الخطورة تنطوي عليها سياستنا، اذ ان سياستنا الوحيدة التي يمكن لنا ان نشترك فيها هي السياسة التي من شأنها ان تمنع انهيار تركيا الآسيوية وتقسيمها. واذا اتبعنا سياسة معاكسة لهذه السياسة فان اثرها في مسلمي الهند سيخلق لنا حالة تنذر بكارثة، هذا عدا التعقيدات التي ستخلقها هذه السياسة في علاقات الدول الأوروبية. » (٥٥)

عندما دخلت تركيا الحرب في الخامس من شهر تشرين الثاني، سنة ١٩١٤، الى جانب دول اوروبا الوسطى، كانت السياسة البريطانية نحو الولايات الآسيوية التابعة للإمبراطورية العثمانية تخضع لاعتبار اساسي هو ان هذه الولايات تقع في منطقة ذات اهمية استراتيجية خطيرة للأعمال الحربية المرتقبة. وبما ان سكان هذه الولايات، في معظمهم من الشعب العربي، وبما ان العرب قد ابدوا، بدرجات متفاوتة، عدم الرضى عن الحكم التركي، فكان من الطبيعي والمنطقي ان تهاجم بريطانيا « الدولة العثمانية بواسطة رعاياها من العرب. » (٥٦) وقد كتب لويد جورج يقول: « كانت ازالة تركيا من صفوف اعدائنا واسقاطها كقوة محاربة عاملاً يوفر لنا الوصول الى روسيا ورومانيا، الأمر الذي كان متعذراً علينا بصورة خطيرة تنذر بشر. وعدم اتصالنا بهم مباشرة كان يمكن ان يؤدي الى انسحابهم من الحرب. » « لقد كان بالامكان تغيير مجرى الحرب، كما انه كان بالامكان تقصير مدته ... ان الامبراطورية التركية تقع جغرافياً عبر قطعة من الأرض او جسم من الماء بينا وبين ممتلكاتنا الكبيرة في الشرق ... فكان من الأمور الحيوية بالنسبة الى مواصلتنا، ومن الأمور الجوهرية بالنسبة الى نفوذنا وهيبتنا في الشرق انه عندما تعلن تركيا الحرب علينا يتوجب علينا ان نوقع بها الهزيمة، وان نشوّه سمعتها دون ضياع الوقت. ان اهمية احراز نصر سريع ضد الأتراك امر لا يمكن لأحد ان ينكر خطورته بالنسبة لسلامة الامبراطورية البريطانية. » (٥٧)

مهما يكن من امر فان بريطانيا بذلت كل ما في وسعها من جهد لابقاء تركيا خارج الحرب، ولكنها عبثاً حاولت، لا سيما وأن الأتراك كانوا يرون في الاتفاقية الانكليزية الروسية المعقودة بينهما سنة ١٩٠٧ « تحالفاً أكيداً بين دولة كانت تعتبر في نظر الأتراك أقوى نصير وأخلص صديق، ودولة اخرى كانت تعتبر

عدوتها التقليدية التي لا ترحم ولا تلين . « (٥٨) كان الخوف من روسيا عميق الجذور في نفوس الأتراك بحيث « ان الخطر المداهم من الشمال كان لا يزال الخطر الذي يفوق اي اعتبار آخر في التفكير التركي . » (٥٩)

كذلك اخذت الحكومة التركية بما قاله توفيق باشا ، السفير التركي في لندن ، لديدس بك (Deedes) من انه « اذا ربح الحلفاء الحرب فان تركيا ستجزأ فتكون سوريا حصّة فرنسا ، وارمينيا حصّة روسيا ، والخليج الفارسي والأرض المحيطة به ناحية البر حصّة بريطانيا . وأما من جهة ثانية ، فاذا ربح المانيا وحلفاؤها الحرب فانها من المرجح ان تبقى لنا ما هو لنا الآن . وواضح ان واجبنا هو ان نلقي بثقلنا في الكفة الألمانية ضد الحلفاء . » (٦٠) والواقع انه كان من الطبيعي ، بالنسبة الى الحلفاء ، ان يفكروا آنذاك بحماية مصالحهم الخاصة في تركيا ، وفي الشرق الأدنى ، وأن يجدوا حلاً نهائياً للمسألة الشرقية ، وذلك عبر اتفاق بينهم على تجزئة الامبراطورية العثمانية .

لذا نرى انه من الضروري لمن يبغي معرفة ما كان القدر يخبئه للشرق الأدنى العربي ان يطلع على وثيقة بريطانية كتبت سنة ١٩١٧ بعد ان كان قد مرّ زمن على مراسلات الحسين ، شريف مكة ، مع مكماهون سنة ١٩١٥ - ١٩١٦ ، وعلى اتفاقية سايكس بيكو (Sykes-Picot) الموقعة سنة ١٩١٦ . هذه الوثيقة هي بيان حول « السياسة الخارجية التي رفعت الى المجلس الحربي الامبراطوري » والتي حملها بلفور ، رئيس البعثة البريطانية الخاصة ، الى وزير الخارجية الأميركية ، السيد لنسنغ (Lansing) وقدّمها له في ١٨ أيار ، سنة ١٩١٧ ، عندما كانت هذه البعثة تقوم بزيارة للولايات المتحدة . اما هذه السياسة بالنسبة الى تركيا ، فهي :

« مما لا شك فيه ولا غموض ان من اهدافنا التي نسعى الى تحقيقها القضاء التام على الامبراطورية التركية . وقد يستبقى على الأتراك - واني آمل ان يستبقى عليهم - لكي يعيشوا مستقلين ، بشكل ما ، في آسيا الصغرى . واذا نجحنا وأحرزنا النصر فمما لا شك فيه ان تركيا ستفقد جميع الممتلكات التي نطلق عليها بصورة عامة البلاد العربية (Arabia) ، كما انها ستفقد اهم اجزاء وادي دجلة والفرات . وستفقد ايضاً مدينة استانبول ، وسوريا ، وارمينيا . واما الأجزاء الجنوبية من آسيا الصغرى ، فانها ستقع ، ربما ، تحت سيطرة الحلفاء ، هذا اذا لم يضمها الحلفاء الى غنائمهم . » (٦١)

وما ان بدأت الأعمال العسكرية ضد تركيا ، في ٥ تشرين الثاني ، سنة ١٩١٤ ، حتى شرعت الصحافة البريطانية بايضاح ما سيحل بتركيا ، وما عسى ان يكون

مصيرها . ففي يوم ٢٣ تشرين الثاني كتبت جريدة الدايلي مايل (Daily Mail) تقول : « لسنا نشك في ان الامبراطورية العثمانية على الأرض الأوروبية التي انشأها الأتراك بحد السيف ، سيقضى عليها بحد السيف » . وفي ٣١ تشرين الثاني كتبت جريدة الدايلي نيوز (Daily News) تقول : « اذا خسرت المانيا الحرب فان عقاب تركيا لدخولها الحرب الى جانب المانيا سيكون القضاء التام عليها كدولة » . وبما ان هدف بريطانيا كان القضاء على تركيا قضاء مبرماً ، فانها وجدت نفسها عالقة في دبلوماسية شائكة معقدة بينها وبين العرب من جهة ، وبينها وبين حلفائها من جهة اخرى ، الأمر الذي ادّى الى تشويش وفوضى خلفت وراءها ارثاً من الشك والريبة وفقدان الثقة في العلاقات بين العرب والغرب طوال الخمسين سنة الماضية .

الفصل الرابع سنوات الحرب والانفاقات السرية

« ان بنيلوبه (Penelope) (١) كانت تحوكم في النهار ثم تعود سراً في ساعات الليل فتعمل ما حاكته . ولكن كان المجلس الاعلى بعد الهدنة ، كما كانت حكومات الحلفاء في اثناء سنوات الحرب يحوكم سياسته الشرقية في الظلام وتحت ستار من السرية »

Arnold J. Toynbee, in **A History of the Peace Conference of Paris, Vol. VI**
(Edited by H.W.V. Temperley)

حتى سنة ١٩١٨ ولأربع مئة سنة خلت ، كانت جميع البلدان العربية الحالية المستقلة في الشرق الأدنى جزءاً من الممتلكات الآسيوية التابعة للامبراطورية العثمانية. دخلت هذه الامبراطورية الحرب في الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ الى جانب المانيا ضد الحلفاء . اما سياسة بريطانيا تجاه الشرق الأدنى العربي في ذلك الحين فقد كانت تقوم على اعتبار ان هذه البلدان تقع في منطقة ذات اهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة لمناخ الأعمال الحربية . وبما ان العرب كانوا قد عبروا عن عدم رضاهم عن الحكم العثماني ، بدرجات متفاوتة (٢) ، فقد كان من الطبيعي ان « تهاجم بريطانيا الامبراطورية العثمانية عبر رعاياها من العرب (٣) » . وقد كتب لويد جورج يقول : « كان من مقومات استراتيجية الحربية التخلص من تركيا وازالتها من صفوف اعدائنا ، الأمر الذي يوفر لنا الاتصال بروسيا وبرومانيا ذلك الاتصال الذي كان منقطعاً بصورة خطيرة ، والذي بدونه كان بالامكان اخراج البلدين من الحرب ... ولكن مجرى الحرب قد تغير . وقصرت مدته ...

ذلك ان الامبراطورية التركية تقع عبر رقعة من الارض ومن الماء تحول دون وصولنا الى ممتلكاتنا المترامية الأطراف في الشرق ... فقد كان الأمر حيويّاً بالنسبة الى طرق مواصلاتنا ، وكذلك بالنسبة الى مكانة نفوذنا في الشرق ، انه متى تعلن تركيا الحرب ضدنا ان نبادر فوراً الى قهرها وتشويه سمعتها دون ضياع الوقت . وكان احراز نصر سريع ضد الأتراك من الأهمية بالنسبة الى امن الامبراطورية البريطانية وسلامتها بحيث لا يمكن امرء ان ينكر ذلك . » (٤) وكتب لويد جورج ايضاً في مذكراته عن الحرب يقول : « ان عملاءنا لدى العرب ، ومن بينهم اناس من ذوي الاختبار المشهود لهم بمهارتهم في فنون الدبلوماسية الشرقية ، راحوا يعملون على اثارة روح الثورة ، ويتعهدون بتقديم الأسلحة والذخائر ... (٥) » ولقد كانت الحكومة البريطانية على علم تام بنقمة الشريف حسين ، امير مكة وحارس الحرمين الشريفين على الأتراك . وكان الشريف منذ سنين عدّة يحاول الاطاحة بحكم السلطان الاستبدادي ، كما انه كان يسعى « للحصول على قدر من الاستقلال بحسب ما كان لديه من امكانات . » (٦)

قبل اندلاع الحرب بعدة اشهر جرت اتصالات مع بريطانيا بواسطة الأمير عبد الله لتقديم العون للشريف حسين ، امير مكة . فقد كان الأمير عبد الله النجل الثاني للشريف حسين ، بصفته نائباً عن مكة في البرلمان العثماني الجديد ، يمر بالقاهرة في طريق ذهابه الى استانبول وعودته منها . وكان يتزل في هذه المناسبات ضيفاً على الخديوي عباس حلمي في قصر عابدين ، وكان قد اجتمع به في مكة عند حجّه عام ١٩٠٩ . وفي احدى هذه الزيارات في اوائل عام ١٩١٤ التقى اللورد كتشنر (Kitchener) بالأمير عبد الله في سراي القبة بينما كان الأمير يزور الخديوي . وفي اليوم نفسه قام اللورد كتشنر ورونالد ستورز (Storrs) بزيارة الأمير عبد الله في قصر عابدين ، واعربا له عن رضى الحكومة البريطانية عن الوضع في الحجاز. ورد الأمير لهما الزيارة في عصر اليوم ذاته . وفي اثناء هذه الزيارة حاول الأمير ان يعرف موقف الحكومة البريطانية في حالة اضطرار الشريف الى الدفاع عن الحجاز وحمائته من تعديت الأتراك . وكان جواب كتشنر ان الصداقة التقليدية بين تركيا وبريطانيا العظمى تمنع بريطانيا من التدخل في الشؤون الداخلية التركية ، لأنه كان من الطبيعي في ذلك الحين ان ترفض بريطانيا تقديم المساعدات لتستخدم ضد دولة صديقة .

وفي زيارتين تاليتين للقاهرة ، بينما كان الأمير في طريقه لاستانبول ايضاً تحدث في اجتماع سري (٧) مع رونالد ستورز عن الوضع في الحجاز وعن امكانية القيام بعمل ضد الأتراك من اجل استقلال هذه الولاية وحمائتها . كان من

الطبيعي في ذلك الحين ان ترفض بريطانيا تقديم المساعدات لتستخدم ضد دولة صديقة (٨) .

ولكن لما اوشكت الحرب العالمية الأولى على الاندلاع ، وبات مؤكداً ان تركيا ستضم الى دول الوسط ، تقدم رونالد ستورز الى رؤسائه بمذكرة موجزة « يقترح فيها انه اذا تم التشاور في الوقت المناسب مع مكة فإمكاننا ان لا نكتفي بضمان حياد الجزيرة العربية بل سنضمن تحالفها ايضاً في حالة وقوع عدوان عثماني . » (٩) ولما لم تقم دار الاعتماد بأي عمل في هذا الموضوع فان ستورز عرض اقتراحه بالحاح على اللورد كتشنر الذي كان قد عين حديثاً وزيراً للحربية ، في رسالة خاصة بعث بها اليه في نحو منتصف شهر ايلول . وقد تم عرض الأمر على السرا دار غراي وزير الخارجية ، فاقترح في ٢٤ ايلول ١٩١٤ ارسال « رسالة شخصية » الى شريف مكة من اللورد كتشنر « للتحقق من موقفه وموقف العرب في حالة نشوب حرب بين بريطانيا العظمى وتركيا » . ونتيجة لذلك ارسلت في اليوم نفسه البرقية التالية من وزارة الخارجية الى المستر تشيتام (Cheetham) القائم بالأعمال في القاهرة : « يبعث اللورد كتشنر بما يلي (١٠) :

تقرير المخابرات ، في السادس من ايلول ، عن موقف شريف مكة . اطلب من ستورز ان يرسل من قبلي رسولاً سرياً يجري اختياره بحذر الى الشريف عبد الله للتأكد هل سيقف هو ووالده وعرب الحجاز الى جانبنا او سيكون ضدنا ، فيما اذا تمكن النفوذ الألماني العسكري في استانبول من ارغام الخليفة ، رغم ارادته ، وارغام الباب العالي على القيام بأعمال عدوانية وحرية معادية لبريطانيا العظمى . » (١١)

وفي ٣١ تشرين الأول وصل الرد التالي من المستر تشيتام : « برقيتكم رقم ٢١٩ . رجع الرسول من مكة يحمل رسالة من الشريف عبد الله . الجواب متحفظ ولكنه ودي ومؤيد لنا . انه يريد « صلة آمن » مع بريطانيا العظمى ولكنه يتوقع و « ينتظر وعداً مكتوباً بأن بريطانيا العظمى ستمتنع عن التدخل في الشؤون الداخلية للجزيرة العربية ، وستضمن حماية الأمير من اي اعتداء اجنبي او عثماني . »

« وقد عبر الشريف نفسه في محادثة سرية مع الرسول عن ارائه بكل صراحة ووضوح حين قال : « مدّوا لنا يد العون فاننا لن نساعد هؤلاء الظالمين . » وكان استقبال الرسول ومعاملته باحترام بالغ . ويجب ملاحظة ان الشريف عبد الله كان يكرر المقترحات التي قدمها لدار اعتماد صاحب الجلالة في ٨ كانون الثاني دون زيادة .

« وقد اعدنا الجواب وهو رهن موافقتكم نعلن فيه كامل قصدنا على عدم

التدخل في الشؤون الداخلية وعلى ضمان استقلال الشرافة من اي عدوان خارجي فقط . يجب ان يغادر الرسول صباح الاثنين والا فان اسبوعاً سيضيع . ارجو افادتي فوراً عما يقتضي عمله . » (١٢)

وفي اليوم نفسه ارسلت البرقية الجوابية التالية من وزارة الخارجية الى المستر تشيتام :

« برقيتكم رقم ٢٣٢ بتاريخ ٣١ تشرين الأول .

ما يلي من اللورد كتشنر :

يبعث اللورد كتشنر بسلامه الى الشريف عبد الله .

لقد تمكنت المانيا من شراء الحكومة التركية بالذهب بالرغم من ان انكلترا وفرنسا وروسيا قد تكفلت بالحفاظ على سلامة الامبراطورية العثمانية اذا بقيت تركيا على الحياد في هذه الحرب . لقد قامت الحكومة التركية ، على غير رغبة السلطان وبسبب الضغط الألماني بارتكاب اعمال حرية بغزوها حدود مصر بعصابات مسلحة يتبعها جنود اترك يتجمعون الآن في العقبة لغزو مصر . واذا ساعدت الأمة العربية انكلترا في هذه الحرب التي فرضتها تركيا علينا فرضاً ، فان انكلترا ستضمن عدم وقوع تدخل في الشؤون الداخلية لجزيرة العرب وستقدم للعرب كل مساعدة ضد اي عدوان اجنبي خارجي .

« من الممكن ان يتولى الخلافة في مكة او المدينة شخص من العنصر العربي العريق ويمكن ان يحدث خير باذن الله من هذه الشرور الواقعة الآن . » (١٣) وفي اليوم التالي كتب رونالد ستورز (١٤) رسالة على اساس مضمون البرقية الأخيرة المشار اليها آنفاً وبعث بها بيدرسول خاص الى الأمير عبد الله وفي هذه الرسالة يتوسع كثيراً في توضيح مضمون برقية كتشنر الأصلية . والرسالة مكتوبة بلغة منمقة وديباجة تتردد فيها كلمات الاطراء والاطناب بغية خلق انطباعات حسنة في نفس الأمير . (١٥)

وبعد اربعين يوماً ، اي في العاشر من كانون الأول ١٩١٤ بعث المستر تشيتام بالبرقية التالية الى وزارة الخارجية :

« - برقيتكم رقم ٣٠٣ :

« عاد الرسول من رحلته الثانية الى مكة يحمل رسالة ثانية من الشريف عبد الله والرسالة مكتوبة بعبارة ودية وتؤكد مرة ثانية مشاعره الودية تجاه بريطانيا العظمى وتنص بصراحة على ان والده لا ينوي اتباع سياسة معادية لمصلحتنا .

« وقد اكد شريف مكة في حديث شفوي مرات عدة ان صداقته اقوى كثيراً مما تعبر عنه رسالته ولكنه اشار الى ان مركزه في العالم الاسلامي والوضع السياسي

الراهن في الحجاز يجعلان من المستحيل عليه قطع علاقته حالاً مع تركيا ولكنه بانتظار الفرصة المواتية .

« وقد اخبر الرسول بأن الأتراك يستغلون بين العرب قطعنا المزعوم للمؤمن عن الأماكن المقدسة » (١٦) .

كانت البرقيات التي اوردها بداية العروض البريطانية الرسمية على شريف مكة ، ويمكن اعتبارها فاتحة اهتمام البريطانيين بقيام ثورة على الحكومة التركية بقيادة الشريف حسين . ولكن يجب ان نلاحظ بامعان ان « الدعوة الى الثورة » قد وجهت الى الشريف حسين والى « عرب الحجاز » اذ انه لم يخطر قط ببال بريطانيا ان تضع خطة لثورة شاملة او ان تناصر بالرجال والسلاح ثورة عربية كبرى تشمل جميع الممتلكات العثمانية الآسيوية من اذناها الى اقصاها . ان جل ما كان كتشتر يقصد اليه عندما بعث ببرقية في ٢٤ ايلول هو ان يعرف اذا كان الشريف حسين وعرب الحجاز « سيقفون الى جانبنا او سيكونون ضدنا » كما ان جميع التعهدات والضمانات التي قطعها على نفسه باسم بريطانيا في برقيته المؤرخة في ٣١ تشرين الأول تقتصر على « عدم التدخل » في الجزيرة العربية ، وعلى تعهد بريطانيا بتقديم « كل عون ضد اي اعتداء خارجي » للعرب (ويريد عرب الحجاز في جميع تلك الاتصالات) .

في الواقع ان جوهر القضية فيما يتعلق بالحجاز ينطوي على اهميته الدينية والخلقية لدى المسلمين في العالم لا على اهميته العسكرية والستراتيجية . وكان اعلان بريطانيا الحرب على تركيا بمثابة ضرب الحصار البحري على ميناء جدة ومنع الرعايا المسلمين من الحج الى مكة والمدينة المدينتين المقدستين اللتين كانتا تحت السيطرة التركية . يقول ستورز « كان التهديد الأساسي يكمن في الأثر الذي سيحدثه العداء التركي مع بريطانيا العظمى لدى السكان المسلمين في الهند ومصر والسودان وهي البلاد التي تحكمها بريطانيا . وكان الألمان يعلقون أهمية كبيرة على هذا الاحتمال وعلى التأثير الذي كان يأملون ان يحدثه الخليفة التركي . » (١٧) ذلك هو الموضوع الاسلامي الهام الذي كان يقلق البريطانيين ، فقد كان عدد الرعايا المسلمين في امبراطوريتهم يزيد على رعايا الخليفة العثماني ، في وقت كان فيه الانكليز في حالة حرب مع دولة اسلامية يتمتع رئيسها بالاحترام ، وكانت زعامته الروحية معترفاً بها في جميع انحاء العالم الاسلامي السني . هذا فضلاً عن ان السلطان العثماني بوصفه خليفة واميراً للمؤمنين كان خادماً للحرمين الشريفين (مكة والمدينة في الحجاز) وحارسهما وحاميتهما والمدافع عنهما .

كانت الحكومة البريطانية تحرص على ان لا تؤدي الحرب مع تركيا - مركز

السلطنة والخلافة - الى حدوث تأثيرات عكسية بالنسبة للسكان المسلمين في امبراطوريتها ، وخاصة في الهند والسودان . وكان يتحتم عليها اعادة تطمين السكان المسلمين في امبراطوريتها بأنه لن يحدث تغيير في السياسة البريطانية تجاه الاسلام وتجاه حماية الأماكن المقدسة .

وكان على البريطانيين ان يحسبوا حساب الدعاية الألمانية في العالم الاسلامي ضدهم ، فقد كتب رونالد ستورز انه في عام ١٩٠٥ عرف ان البارون اوبنهايم (Oppenheim) « المعروف لدينا جميعاً انه جاسوس القيصر ، لم يكن يترك فرصة الا ويذكر فيها الصحافة المتطرفة ان الاسلام كان مهدداً بالفناء والزوال على يد اوروبا ، وان انكلترا وفرنسا كانتا على رأس حركة العداء للإسلام ، وان السلطان كان امل المؤمنين الأخير ، وان المانيا صديقة السلطان وهي بذلك الدولة الأوروبية الوحيدة الصديقة للإسلام . » (١٨)

فلم تكذب تركيا تدخل الحرب في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ حتى قام السير رجينالد وينجيت (Reginald Wingate) الحاكم العام في السودان بجمع العلماء من مختلف انحاء السودان والقي فيهم بياناً بالعربية جاء فيه ما يلي :

« ان السياسة الدولية في بريطانيا العظمى ستبقى ثابتة ، وستستمر بريطانيا في تطبيق سياستها في المحافظة على قدسية الأماكن المقدسة وحمايتها من اي عدوان . وستفرض هذه السياسة على الآخرين ، وستمضي - كشأنها في السابق - في حماية جميع المسلمين والمساجد في امبراطوريتها ، والمحافظة عليها ، كما فعلت لأكثر من مئة وخمسين عاماً في رعاية مصالح الاثنين والستين مليوناً من المسلمين في امبراطوريتها الهندية ، الذين يحارب الآلاف منهم الى جانب زملائهم من الرعايا البريطانيين ضد الجيش الألماني . وستمضي بريطانيا في تحسين التسهيلات اللازمة لأداء فريضة الحج بكل سهولة ممكنة لتمكين المسلمين من تأدية شعائهم الدينية . » (١٩)

ان الرجال الثلاثة الذين كانوا مقيمين في منطقة الشرق الأدنى ويعرفون عرب الجزيرة العربية وشؤونها ، ويعرفون مصر والسودان عن كثب - وهم الجنرال السير رجينالد وينجيت واللورد كتشتر واللورد هاردنج (Hardinge) نائب الملك في الهند - كانوا مقتنعين بأن فريضة الحج (٢٠) ينبغي الا يحول دونها حائل مهما تكن الظروف ، بل ينبغي ان تظل الطريق مفتوحة امام الرعايا المسلمين في دول الحلفاء . وكان هؤلاء الثلاثة ، وخاصة اللورد كتشتر الذي اصبح حينذاك وزيراً للحربية ، هم الذين راحوا يحثون الحكومة البريطانية على الاهتمام ، وبصورة جدية ، بالمشكلات الاسلامية التي نشأت عن اعلان الحرب على تركيا . « ان معظم افراد الجيش الهندي هم من المسلمين ، ومصر وجيشها من المسلمين ... فكان

هم نائب الملك في الهند ، كما كان هم الموظفين البريطانيين في مصر والسودان ، ان يطمئنون رعاياهم من المسلمين . « (٢١) والواقع انه كان وضعاً مليئاً بالتناقضات مخفوفاً بالمخاطر . ذلك ان جميع رعايا بريطانيا المسلمين كانوا يدينون بالولاء الروحي للعدو ، كما ان مدنها المقدسة كانت تحت سيطرة هذا العدو « فاننا اذا استطعنا ان نظهر للناس ان هذه المدن المقدسة ليست مدناً خاضعة لسيطرة هذا العدو ، واذا تمكنا من ضمان حرية الوصول اليها نكون قد ابعدنا عن جسم الامبراطورية خطراً جسيماً يهدد كيانها . » (٢٢)

ولهذه الغاية ذاتها باشرت وزارة الخارجية البريطانية اتصالاتها مع الشريف حسين بواسطة السير ارثر هنري مكماهون (Mc Mahon) الذي كان قد عين معتمداً سامياً في مصر في شهر شباط من سنة ١٩١٤ . والحقيقة ان وينجيت (Wingate) كان قد اجري اتصالاً مع الشريف بواسطة السيد علي المرغي (٢٣) الزعيم الديني المعروف في السودان . وكان علي مكماهون اذ ذاك ان يحمل الشريف « على الخروج على سلطة الأتراك ، وعلى الابقاء على سلامة الحج للرعايا المسلمين التابعين للحلفاء ، وذلك بتقديم المعونة له ، وبضمانة استقلاله وسيادته في المستقبل . » (٢٤) وقد نجم عن هذه الاتصالات مراسلات جرت بين المعتمد البريطاني والشريف حسين ، مراسلات استمرت من ١٤ تموز ، ١٩١٥ ، الى ١٠ اذار ، ١٩١٦ ، واصبحت تعرف بمراسلات مكماهون والشريف حسين .

ان قصة هذه المراسلات السرية لم يكشف بعد عن حقيقتها . فرسائل مكماهر كانت تترجم الى العربية في دار المعتمد البريطاني في القاهرة . ثم ترسل سرّاً الى الشريف حسين بواسطة رسول خاص . اما رسائل الشريف حسين الى مكماهون فكانت بالعربية جميعها ، وكانت تنقل الى الانكليزية في القاهرة . وكان مجموع هذه الرسائل بين مكماهون والشريف حسين عشرّاً منها خمس كتبها مكماهون وخمس كتبها الحسين . في سنة ١٩٣٩ اجتمعت في لندن وفود عربية من مصر والعراق وفلسطين والعودية العربية لتبحث مع الحكومة البريطانية القضية الفلسطينية . وبين ٧ شباط و ١٧ اذار من تلك السنة عقد اربعة عشر اجتماعاً في قصر سانت جيمس بين الوفود العربية وبين وفد المملكة المتحدة واصبحت تلك الاجتماعات تعرف بالمؤتمرات عن فلسطين وفي اثناء الاجتماع الذي عقد في ١١ شباط نظر المؤتمر في امكانية نشر المراسلات التي تعرف بمراسلات ال الشريف حسين - مكماهون . وفي اثناء الاجتماع الخامس الذي عقد نهار الثلاثاء في ١٤ شباط وزعت على الوفود نسخ مترجمة عن الانكليزية . وكان السيد مالكوم ماك دونالد (Malcolm Mac Donald) ، وزير المستعمرات حاضراً فقال : « بعد ظهر هذا اليوم سيطرح في مجلس العموم

سؤال حول هذه القضية . وبعد الساعة الرابعة ، ولأن هذه الرسائل قد وزعت وهي على وشك ان تنشر ، تنتفي عنها صفة السرية . » (٢٥) وتم الرأي أيضاً في هذا الاجتماع على ان توزع على الوفود نسخ « من نصوص الرسائل المكتوبة بالعربية والتي يمكن ان تكون ميسورة في ملفات وزارة الخارجية . » وفي اليوم التالي في ١٥ شباط ، وبناء على ما تم عليه الرأي ، وزعت نسخ فوتوغرافية لسبع رسائل بالعربية على الوفود . (٢٦) وكانت نسخاً عن الرسائل المرقمة ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، و ١٠ . اما رقم ١ ، ٣ ، (وهما رسالتان من الشريف حسين الى مكماهون) والرسالة رقم ٨ (وهي رسالة من مكماهون الى الشريف) « فلم يكن لهما وجود في محفوظات وزارة الخارجية . » (٢٧)

وجدير بنا ان نشير الى ان جميع الرسائل العشر التي نشرت في (Cmd) رقم ٥٩٥٧ سنة ١٩٣٩ معنونة بهذا العنوان « ترجمة الرسائل ... » (سواء اكانت رسائل السير هنري مكماهون او رسائل الشريف حسين) . بكلام آخر ، ان النص الأصلي الانكليزي للرسائل الخمس التي صدرت عن دار الاعتماد في القاهرة باللغة العربية باسم مكماهون لم ينشر بعد ، ولكن الذي نشر هو ترجمة انكليزية تقوم على النص العربي الذي اعد لارساله الى الشريف حسين . اما رسائل الشريف حسين فطبيعي ان تكون بالعربية ولكن ليس هناك توقيع على اي من هذه الرسائل ! في الوقت الذي كان فيه الشريف حسين يصير على قضية الحدود التي يعتبرها « نقطة جوهرية » كما يبدو ذلك من رسالته الى مكماهون المؤرخة في ١٤ تموز ١٩١٥ ، اتاه جواب من السير مكماهون المؤرخ في ٢٤ تشرين الأول جاء فيه ان «بريطانيا العظمى مستعدة ان تعترف باستقلال العرب وان تؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة . » ولكن هذه الحدود عرضة لبعض التعديلات وهي اولاً « استثناء » ولايتي مرسين واسكندرونة واجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحلب التي لا يمكن ان يقال انها عربية محضة » وثانياً باستثناء بعض المناطق الداخلة في الحدود التي تشعر بريطانيا انها ليست حرة التصرف فيها « دون ان تمس مصالح حليفها فرنسا (٢٨) . » وفي رسالة بعث بها الشريف حسين في ٥ تشرين الثاني ، ١٩١٥ ، قال : « نترك الالحاح في ادخال ولايات مرسين واضنه في اقسام المملكة العربية واما ولايتا حلب وبيروت وساحلها فهي ولايات عربية محضة ... »

وفي ١٤ كانون الأول ، ١٩١٥ ، اشار السير هنري مكماهون في رسالة ثالثة بعث بها الى الشريف حسين الى ان قضية ولايتي حلب وبيروت « تحتاج الى نظر دقيق » ذلك لأن « مصالح حليفها فرنسا داخلة فيها . » فأجاب الشريف حسين في رسالة

كانت الحكومة الفرنسية في هذه الأثناء ، بحسب ما جاء على لسان لويد جورج ، قد احبطت علماً بنوعية المفاوضات التي جرت مع الشريف حسين . ففي ٢٣ تشرين الثاني ، ١٩١٥ ، اطلع السير ارثر نيكلسون (Nicolson) ، الأمين العام الدائم في وزارة الخارجية البريطانية ، السيد بيكو (Picot) عن موقف الحكومة البريطانية من قضية العرب وعن المحادثات التي اجروها مع الشريف حسين . وفي ٢١ كانون الأول اطلع السيد بيكو السير ارثر نيكلسون انه « بعد صعوبات جمّة ، حصل على موافقة حكومته على ان تكون حلب وحماة وحمص ودمشق داخلة في المنطقة العربية التي ستكون بادارة العرب انفسهم في حيز النفوذ الفرنسي . » (٣٢) اما بالنسبة الى المصالح التقليدية التي لفرنسا في سورية « فقد كانت الحكومة البريطانية حريصة على الاتمس شعور الفرنسيين الحساس فيما يتعلق بتعاملهم مع العرب . » (٣٣) غير ان لويد جورج اعترف بأن الفرنسيين كانت تداخلهم رغبة في ان تلك المحادثات التي اجريتها مع العرب كانت تخفي وراءها « مطامع خفية » . وكان قد آن للحلفاء ان يفكروا في حماية مصالحهم الخاصة في تركيا ، وان يحلوا المسألة الشرقية حلاً نهائياً وذلك بالاتفاق على تجزئة الامبراطورية العثمانية . والواقع ان فكرة التقسيم كانت قد اختمرت عندما توصلت بريطانيا العظمى بالاشتراك مع فرنسا ، بعد تردد طال امده ، الى عقد اتفاقية سرية مع روسيا في شهر آذار ، ١٩١٥ ، تدعى بموجبيها هاتان الدولتان الى مطالب روسيا من انه في حال انتصار الحلفاء فان استانبول والمضائق تضم الى ممتلكات القيصر . (٣٤) بقي الشق الثاني من القضية وهو حصة كل من بريطانيا العظمى وفرنسا من غنائم الحرب عندما تنهزم تركيا ، ليس من جهة تسوية المسألة الشرقية وحسب ، وانما من حيث الابقاء على توازن القوى في البحر الأبيض المتوسط وفي منطقة الشرق الأوسط ايضاً . والواقع انه عندما تم الاتفاق على اتفاقية استانبول وافقت روسيا على الاعتراف « بحقوق بريطانيا العظمى وفرنسا في الممتلكات العثمانية الآسيوية » .

(«La reconnaissance des droits de l'Angleterre et de la France dans la Turquie d'Asie.»)

كما انها وافقت ايضاً على ان تكون الأماكن الاسلامية المقدسة والجزيرة العربية ضمن حكومة اسلامية مستقلة . (٣٥)

في الوقت الذي لم تكن فيه بريطانيا العظمى قد حددت نهائياً ما كانت « تتمنى » الحصول عليه من تركة الامبراطورية العثمانية ، كانت فرنسا تطالب بصورة محددة واضحة بضم سورية وخليج الاسكندرون وقيليقيا الأمر الذي وافق القيصر عليه . وكان من الطبيعي آنذاك ، كما انه كان من الضروري ان يعقب الاتفاق

مؤرخة في اول كانون الثاني ، ١٩١٦ ، انه ، في الوقت الحاضر سيعمل على مجازبة ما من شأنه ان يؤثر في التحالف القائم بين بريطانيا وفرنسا ولكن « عند اول فرصة تضع فيها هذه الحروب اوزارها سنطالبكم بما نغض الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها » . و اضاف قوله « ان البيروتين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال ... وعليه يستحيل امكان اي تساهل يكسب فرنسا او سواها شبراً من اراضي تلك الجهات » . هذا ، ولم يعد يظهر في المراسلات التي تلت هذه اي ذكر لسورية ولبنان في خلال الشهرين التاليين . فقد فهم الشريف حسين من رسالة مكماهون المؤرخة في ٢٤ تشرين الأول ، ١٩١٥ ، ان جزءاً من سورية الذي تدخل فيه دمشق وحمص وحماة وحلب سيكون من ضمن المناطق التي كانت بريطانيا ، على استعداد للاعتراف بها منطقة عربية مستقلة ولنصرتها . اما الشريف حسين فانسجماً مع امنيته في انشاء امبراطورية عربية يكون ملكاً عليها وخليفة ، راح يطلب من السير مكماهون في مذكرة بعث بها اليه في ١٤ تموز ، ١٩١٥ ، استقلال « البلاد العربية » و « الشعب العربي بأجمعه » بما في ذلك سكان سورية والعراق والجزيرة العربية (٢٩) . كما انه وجه « انذاراً » الى بريطانيا مدته « ثلاثون يوماً » لكي تجيب « إيجاباً أو سلباً » ، « واذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جواباً فانه يحفظ لنفسه حرية التصرف المطلق » . مما يؤسف له ان الحكومة البريطانية ، في مراسلاتها مع الشريف حسين ، جعلته يشعر انها تتعامل معه على اساس انه يمثل جميع العرب ، الأمر الذي رستخ في ذهنه هذا الوهم المضلل الذي ظل يدغدغ امانيه (٣٠) وقد يكون بعض السبب في هذا القوضى والارتباك اللذين كانا يشيعان بين « الخبراء » الانكليز في « المكتب العربي » (Arab Bureau) في القاهرة الذي كان من ابرزهم رجال اختصاص في الآثار ، ورحالة ، ورومنطقيون ، ومثاليون ، اي انهم كانوا جميعاً غير متمرسين في فن الدبلوماسية السياسية . كما ان بعض السبب يعود الى « مزيج من الجهل والحماسة التي لم يحسن استغلالها » والى ان الحكومة البريطانية لم تنظر الى الشريف حسين نظره هو ، ولذا راحت تهدأه . في شباط من سنة ١٩١٦ كتب السير وندهام ديدز (Deedes) يقول : « ان مفاوضاتنا مع جماعة الشريف حسين تدور فعلاً حول انشاء مملكة عربية دينية زمنية . وهذا هو ما يريده الحسين . اما انا شخصياً واطن ان معظمنا يرى رأيي في هذا الأمر ... فأرى ان هذا الأمر ليس واقعياً اذ انه يستحيل جمع كلمة جميع العرب في سورية والعراق واليمن وغيرها من البلدان العربية الأخرى على الاعتراف بحاكم زمني واحد ... ان لشريف مكة كلمة نافذة في بعض هذه الأقطار التي ذكرناها ولكن ليس في اقطار عربية اخرى ... » (٣١)

حول استانبول اتفاق آخر أصبح يعرف فيما بعد باتفاقية سايكس-بيكو التي سماها أولاً الفيكونت غراي «الاتفاقية الفرنسية - البريطانية - الروسية السرية حول مناطق النفوذ في آسيا الصغرى» (٣٦) ويبدو ان فرنسا هي التي بادرت الى فتح باب المداولات حول هذه الاتفاقية . ففي ٢٣ آذار ، ١٩١٥ بعث السيد كامبون (Cambon) ، السفير الفرنسي في باريس برسالة الى السير ادوارد غراي يقول فيها ان السيد دلكاسه (Delcassé) قد لاحظ انه « بما ان قضية استانبول والمضائق وهما القضيتان التي تعنى بهما روسيا ، قد انتهت فقد آن لفرنسا وبريطانيا العظمى ان تنصرفا الآن الى بحث القضايا الأخرى المتعلقة بآسيا الصغرى » . وقد اقترح دلكاسه ان تجري مفاوضات غير رسمية حول هذه القضايا . وقد كتب السير ادوارد غراي يقول : « لقد وافقت على هذا الاقتراح وقلت انه من الأفضل ان تجري هذه المفاوضات بيني وبين السيد كامبون . » (٣٧) وقد استغرقت المفاوضات بين فرنسا وبريطانيا وروسيا أكثر من سنة . (٣٨) و أخيراً ، بعد تداول الرسائل بين السير ادوارد والسيد بول كامبون والسيد سرج سazanov) ، وزير خارجية روسيا ، اسفر الأمر عن عقد اتفاقية سرية بين هذه الدول الثلاث العظمى حددت فيها مطالب كل منهما في تركيا الآسيوية ، وهي الاتفاقية التي أصبحت تعرف فيما بعد « بصورة غير رسمية ، باتفاقية سايكس-بيكو . » (٣٩) اما بنود هذه الاتفاقية فقد احتوتها رسالة بعث بها السيد غراي الى السيد كامبون مؤرخة في ١٦ ايار ، عن وزارة الخارجية . بموجب اتفاقية سايكس-بيكو ، كانت فرنسا وبريطانيا العظمى على استعداد « ان تعترفا وتحيا دولة عربية مستقلة او حلف دول عربية مستقلة تحت رئاسة رئيس عربي » في المنطقتين « أ » و « ب . » (٤٠) وتكون منطقة « أ » تحت حماية فرنسا ومنطقة « ب » تحت حماية بريطانيا . ولم تقتصر منطقة « أ » على المدن السورية الرئيسية - دمشق وحمص وحملة وحلب - وحسب بل كانت تشمل الموصل في شمالي العراق . اي انها كانت منطقة تشمل الجزء الأكبر من الولايات العثمانية الثلاث : ولاية الشام (دمشق) ، وولاية حلب ، وولاية الموصل . كذلك حصلت فرنسا على « منطقة زرقاء » وبريطانيا على « منطقة حمراء » يباح لكل منهما في منطقته « انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة ، او بالواسطة ، او من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية » . كانت المنطقة الزرقاء تشمل شقة سوريا الساحلية بما في ذلك الاسكندرونة واللاذقية وطرابلس وبيروت وصيدا وصور ، كما انها كانت منطقة تمتد حتى تشمل جبل لبنان وبالإضافة الى هذا كانت تشمل قيليقية ، وجزءاً كبيراً من اواسط آسيا الصغرى ومن طرفها الجنوبي الشرقي . اما « المنطقة الحمراء » البريطانية فقد كانت تشمل جزءاً كبيراً

من ولاية بغداد (٤١) . في الواقع منحت فرنسا ، بموجب اتفاقية سايكس-بيكو ، حق المراقبة على لبنان وسوريا باستثناء « جنوبي سوريا » اي فلسطين ، التي اشير اليها في الخريطة « بمنطقة سمراء » حيث ستنشأ « ادارة دولية » . وهكذا أصبحت سوريا « ارض الميعاد » مرتين . فقد وعد بجزء منها للشيخ حسين ، ووعدت بكاملها لفرنسا ، لكن الشريف حسين لم يكن قد اطلع على اتفاقية سايكس-بيكو عند توقيعها .

اسفرت المفاوضات مع الشريف حسين عما أصبح يُعرف في السنوات الأربعين الأخيرة بالثورة العربية . بدأت هذه الثورة في العاشر من شهر حزيران ، ١٩١٦ ، بقيادة الشريف حسين ومعاونة بريطانيا العظمى عسكرياً ومالياً (٤٢) . اما من الجانب العربي فقد كان ابرز المشتركين في الثورة ابناء الشريف حسين الأربعة : الأمير علي والأمير عبد الله والأمير فيصل والأمير زيد ، وعدد كبير من الضباط العرب الذين نظموا القبائل البدوية وقادوها ، وقوات حجازية انضمت الى الثورة مناصرة الشريف حسين . وكان معظم الضباط العرب من العراقيين الذين خدموا في الجيش العثماني ، ذلك ان اكبر فئة من الضباط العرب الذين خدموا في الجيش التركي كانت من العراقيين . (٤٣) وقد كان اولئك الضباط اما من بين الأسرى الذين اسرهم الانكليز وبعثوا بهم الى الهند كأسرى حرب ثم اطلق سراحهم كي يحاربوا في سبيل القضية العربية ، او من الذين هربوا من الجندية التركية وانضموا الى الانكليز للغاية ذاتها . (٤٤) وقد انتخب الأمير فيصل ليقود القوات العربية الزاحفة من مكة شمالاً الى العقبة . (٤٥) وفي اثناء هذه الثورة برزت شخصية شاب بريطاني عالم بالآثار اسمه توماس ادوارد لورنس (Lawrence) . عند بدء الحرب العالمية الأولى كان لورنس يعمل كضابط في دائرة الاستخبارات في القاهرة تحت امرة السير جلبرت كلايتون (Clayton) والتحق لورنس بجيش القبائل تحت امرة فيصل حيث اكتسب شهرة عالمية واصبح يعرف « بلورنس العرب » .

اما من جانب الحلفاء فعينوا السير رجينالد وينجيت (Wingate) القائد العام في الحجاز ... المسؤول عن الاستراتيجية الحربية ، وعن الأعمال العسكرية ، وعن اطعام وتموين الجيش ، وعن الدبلوماسية الصعبة المعقدة التي كانت تنطوي عليها الثورة منذ اللحظة الأولى التي برز فيها الشريف حسين على مسرحها (٤٦) . اما قصة هذه الثورة العربية فقد تناولها مؤلفون عديدون ، ولذا لا نرى ان الأمر ينبغي ان يستأثر بعنايتنا في هذا المؤلف . (٤٧)

ولكن من الممتع ان نشير الى ان ثورة الشريف حسين ضد السلطان الذي هو ايضاً خليفة المسلمين نزلت كالصاعقة على كثيرين من المسلمين السنيين في جميع

انحاء العالم ، ولا سيما بين مسلمي الهند . فما ان اعلنت الثورة العربية حتى سارع الأتراك الى تعيين الشريف علي حيدر اميراً على مكة عوضاً عن الشريف حسين . وكان الشريف علي حيدر الحفيد المفضل لعبد المطلب الذي كان ينتمي الى اسرة الاشراف الحاكمة في مكة - اسرة ذوي زيد قبل ان عزلها عن منصبها هذا اسرة ذوو عون عند مطلع القرن التاسع عشر ، وهي الأسرة الهاشمية التي كان الشريف حسين ينتمي اليها . (٤٨)

في سنة ١٩٢٣ كتب الخليفة عبد المجيد في رسالته التي اوصى بها الى الشريف علي حيدر والموجهة الى العالم الاسلامي ما يأتي :

« في الوقت الذي كان ينبغي للمسلمين ان يعملوا يداً واحدة هزّ الشريف حسين العالم الاسلامي باعلانه الثورة ... وعليه فان المغفور له السلطان محمد رشاد خان عين الأمير الشريف علي حيدر اميراً على مكة المكرمة التي هي ارث حق لعائلته . وهكذا اسفرت ثورة الشريف حسين عن استعادة الامارة الى دار-الخلافة. » (٤٩) غير ان الشريف علي حيدر وصل المدينة المنورة ولم يستطع بعدها متابعة سفره الى مكة لأن الثورة كانت قد بدأت . فاستدعي الى استانبول التي وصلها في شهر ايلول ، ١٩١٨ ، بعد ان قضى فصل الشتاء من سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ في بيروت . بعد ذلك عاد الى بيروت حيث توفي في آذار سنة ١٩٣٥ .

كان الحلفاء في سنتي ١٩١٥ - و ١٩١٦ يأخذون جانب الدفاع في منطقة الشرق الأوسط . ولكن سنة ١٩١٧ كانت سنة انتصارات لهم ، اولاً في العراق ثم في فلسطين . ومن الأمور التي كان لها دلالة هامة هو ان السيدين مارك سايكس وجورج بيكو توجهوا معاً الى مصر عند مطلع هذه السنة (١٩١٧) بعد ان بدا راجحاً ان اتفاقية سايكس - بيكو سيتم عقدها . وقد كتب السيد م. بيرن (Byrne) في « تقريره عن رغبات السوريين » يقول ان بيكو عقد اجتماعاً دعا اليه وجهاء السوريين المقيمين في مصر ، من مسلمين ومسيحيين ، واعلن لهم ان الحكومة الفرنسية قد عينته معتمداً لها في سوريا - فكأنه اراد ان يشير ضمناً الى ان « الحماية الفرنسية على سوريا وشبكة الوقوع » . اما سايكس الذي كان يبدو منسجماً مع بيكو فانه اجتمع بعدد من الوجهاء السوريين في مصر « واعترف لهم فعلاً ان احتلال فرنسا لسوريا امر معروض للبحث الجدي . ولكنه كان يؤكد لهم « ان جزءاً من سوريا غير مخوّل له ان يذكر اسمه سيكون بلداً مستقلاً » . وفي الوقت ذاته كان سايكس يعلن ان بريطانيا تنظر بعين العطف الى ان يكون احد ابناء ملك الحجاز على رأس هذه الدولة العربية المستقلة . (٥١)

في الوقت الذي كان فيه الملك حسين يتوجس خيفة من بعثة سايكس - بيكو

في القاهرة وراح يطلب بعض التطمينات حول هذا الأمر ، ارسلت وزارة الخارجية السير مارك سايكس الى الحجاز في شهر ايار ، ١٩١٧ . وقابل سايكس يوم الثالث من ايار الأمير فيصل ، وفي اليوم الخامس منه قابل الملك حسين ، وبعث بتقرير عن نتائج المباحثتين يقول فيه ان كل شيء يسير على ما يرام بمعنى « ان الزعماء الذين قابلتهم قد افهموا على انه ينبغي لهم ان يتعاملوا مع الحلفاء كوحدة مترابطة وليس كدول منفصلة الواحدة عن الأخرى . كما اني اعلمتهم انه ، بقطع النظر عن سيتولى امر سوريا ، فان الحكم الذي سينشأ هناك يجب ان يكون حكماً نيراً تقدماً وان بعض اجزاء من سوريا ، بالنسبة الى بعض المصاعب الخاصة القائمة ، يجب ان يبقى تحت وصاية خاصة في كل الأحوال . » (٥٢) وفي ذلك الشهر ايضاً اجري بيكو مقابلتين مع الملك حسين وسلمه رسالة من الحكومة الفرنسية . وجواباً عن هذه الرسالة تلا الملك حسين بصوت جهوري اعلاناً في اثناء المقابلة التالية جاء فيه :

« لقد علم جلالة الملك حسين بكثير من الرضى ان الحكومة الفرنسية قد وافقت على ما تتطلع اليه القومية العربية من آمال . ان جلالة الملك له ملء الثقة ببريطانيا العظمى ، وانه سيسر اذا ما اتبعت الحكومة الفرنسية في منطقة الشاطئ السوري المسلم السياسة ذاتها التي تتبعها بريطانيا نحو العرب ومطامحهم في بغداد . » (٥٣) لكي يستطيع المرء ان يلقي نظرة خاطفة على ما كان يخجته القدر لمنطقة الشرق الأدنى العربي ينبغي له ان يطلع على مضمون وثيقة بريطانية وضعت سنة ١٩١٧ بعد ان كان الحلفاء قد قطعوا عهداً للشريف حسين سنة ١٩١٥ ، وبعد ابرام اتفاقية سايكس - بيكو سنة ١٩١٦ . هذه الوثيقة هي « بيان حول السياسة الخارجية المرفوعة الى المجلس الحربي الامبراطوري » . حملها الى وزير الخارجية السيد لانسنغ (Lansing) في واشنطن يوم ١٨ ايار ، ١٩١٧ ، السيد بلفور ، رئيس البعثة البريطانية الخاصة التي كانت آنذاك تقوم بزيارة للولايات المتحدة . اما السياسة المتعلقة بتركيا - وكانت سياسة متجهمة تنطوي على التشاؤم وتوقع الكوارث - فقد اختصرت بما يلي :

« لا شك في ان تحطيم الامبراطورية العثمانية الفعلي هو احد الأهداف التي نعمل على تحقيقها . وقد يبقى الأتراك - واني لارجو ذلك - شعباً على شيء من الاستقلال ضمن منطقة في آسيا الصغرى . واذا تم لنا النصر فمما لا شك فيه ان الأتراك سيحرمون من جميع المنطقة التي نطلق عليها اسم الجزيرة العربية ، (Arabia) كما انها ستحرم من معظم الأجزاء الهامة في وادي الفرات ودجلة . وستفقد استانبول ، وسوريا ، وارمينيا ، كما ان اجزاء من جنوبي آسيا الصغرى اذا لم تضم الى القوات

الحليفة فانها ستكون بصورة ما تحت سيطرتهم . « (٥٤)

كشف النقاب لأول مرة عن وجود معاهدات سرية في شهر تشرين الثاني ، ١٩١٧ ، عندما عثر عليها في ملفات وزارة الخارجية الروسية . وقد اصدر تروتسكي ، وزير الخارجية الروسية آنذاك أمراً بنشرها . وقد ذكر عن تروتسكي انه قال في اجتماع اللجنة التنفيذية المركزية للسوفييات في بروجراد : « ... ان جميع المعاهدات السرية هي الآن في متناول يدي . وهذه الوثائق ، التي ثبت ان بنودها تنطوي على لؤم يفوق ما كنا نتوقعه ، ستنشر قريباً ... انا سنكتس جميع هذه الوثائق السرية لنرمي بها الى سلة المهملات » . (٥٥) وكانت جريدة المانشستر غارديان اول صحيفة بريطانية نشرت خلاصة المعاهدات السرية المتعلقة باستانبول وبآسيا الصغرى (اتفاقية سايكس - بيكو) في عديدها الصادرين في ٢٦ و ٢٨ تشرين الثاني ، ١٩١٧ . وكانت هذه الوثائق السرية قد وصلت الى هذه الصحيفة برقياً من مراسلها في بروجراد ، السيد فيليب بريس (Price) . (٥٦) وفي ١٢ كانون الأول جوبه مجلس العموم بأسئلة محرجة تقدم بها كل من السيد دلون (Dillon) والسيد هوج (Hogge) حول هذه المعاهدات السرية . وقد اجاب السيد بلفور وزير الدولة للشؤون الخارجية بقوله : « ما كان ينبغي نشر هذه الوثائق التي نحن بصدها ، هذا وانني لا انوي اعادة نشرها » . وأضاف قائلاً : « لا شك في ان عدداً من هذه الوثائق ليس له اية علاقة بهذه البلاد ، انما يتعلق بشؤون حكومات حلفائنا ، وان فكرة اعادة نشر وثائق تتعلق بحلفائنا فكرة سخيفة لا تستحق مجرد التفكير فيها . » (٥٧)

حوالي اواخر تشرين الثاني سلم جمال باشا نص اتفاقية سايكس - بيكو الى الأمير فيصل في كتابين ارسلهما مع رسول سري الى العقبة ، واحد الى فيصل والآخر الى جعفر باشا العسكري . واقترح في الوقت ذاته عقد صلح منفرد بين الأتراك والعرب (٥٨) اما الملك حسين فانه بعث بهذين الكتابين اللذين تلقاهما من فيصل الى السير رجينالد وينجيت (Wingate) المفوض السامي البريطاني في القاهرة . وفي الثامن من شهر شباط بعث الكولونيل ج. ر. باس (Bassett) نائب المعتمد البريطاني في جدة ، باسم وينجيت نص برقية تلقاها هذا الأخير من وزارة الخارجية . وكانت البرقية تعبيراً عن «عظيم ارتياح» الحكومة البريطانية «للدوافع المخلصة» التي دفعت بالملك حسين الى ارسال «الكتابين اللذين وجههما القائد العام التركي في سوريا الى سمو الأمير فيصل وجعفر باشا» الى المندوب السامي البريطاني في القاهرة . وتضيف البرقية «انه من غير الضروري ان نلفت نظرهم الى ان هدف الأتراك بذل بذور الشك والريبة بين الحلفاء وبين اولئك العرب الذين يكافحون

تحت لوائكم وبزعامتكم لنيل حريتهم ... ان حكومة جلالته وحلفاءها تقف بثبات الى جانب كل حركة تهدف الى تحرير الشعوب المظلومة ، وهي مصممة كذلك على مساندة الشعوب العربية في كفاحها لانشاء عالم عربي يحل فيه القانون محل المظالم العثمانية ، عالم عربي جديد تحل فيه الوحدة محل المنافسات والحزازات المصطنعة التي كانت تثيرها سياسة الموظفين الأتراك . ان حكومة جلالته تؤكد مرة اخرى تمسكها بتعهداتها المتعلقة بتحرير الشعوب العربية » (٥٩) وكان قد طلب الى السيد د. ج. هوغارث في ٤ كانون الثاني ، ١٩١٨ ان يبعث برسالة الى الملك حسين جاء في اولها هذا التأكيد : « ان دول الحلفاء تؤكد عزمها على افساح المجال التام امام العرب مرة ثانية ينشئوا لأنفسهم دولة في هذا العالم . ولا يمكن ان يتحقق هذا الأمر الا على ايدي العرب انفسهم اذا ما اتحدوا ، وستستمر بريطانيا العظمى مع حلفائنا في اتباع سياسة تستهدف هذه الوحدة العربية (٦٠) . » بعد ذلك بسنة اشهر صدر بيان آخر حول استقلال العرب وسيادتهم ووجه لسبعة من السوريين المقيمين في القاهرة . كان هؤلاء السبعة قد رفعوا مذكرة غفلاً من التوقيع الى حكومة جلالته عبر السيد والروند (Walrond) التابع «للمكتب العربي» في القاهرة . وكان اولئك السبعة ينتمون الى حزب جديد اسسه بعض الزعماء السوريين في مصر ، وكان يعرف بحزب الاتحاد السوري . كان همهم ان يعرفوا اذا كان هدف الحكومة البريطانية ان ينعم سكان البلاد العربية «بالاستقلال التام الناجز» واذا كانت تؤثر اقامة «حكومة عربية لامركزية» وبذا يمكن لسوريا ان تقيم لنفسها ادارة حكومية مستقلة ضمن مملكة عربية مستقلة . (٦١) في «التصريح للسبعة» الذي سلمه الكومندان هوغارث (Hogarth) والسيد والروند (Walrond) حوالي ١٦ حزيران ، ١٩١٨ ، الى السبعة الذين وقعوا المذكرة صرحت الحكومة البريطانية انها تعترف «بالاستقلال التام والسيادة التامة اولاً للعرب الذين يقطنون الأراضي التي كانت حرة ومستقلة قبل الحرب ، وثانياً للعرب الذين يقطنون «الأراضي التي حررت من السيطرة التركية بعمل العرب انفسهم في اثناء الحرب الحالية» . اما «الأراضي التي كانت في السابق تحت السيطرة العثمانية ثم احتلتها جيوش الحلفاء في الحرب الحالية فان رغبة حكومة جلالته ان تقوم الحكومة المقبلة لهذه الأقاليم على مبدأ موافقة المحكومين . ان هذه السياسة كانت وستبقى السياسة التي ستبناها حكومة جلالته وتعضدها . » (٦٢)

في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تعطي الملك حسين هذه التطمينات كان الأمير فيصل وجيشه العربي قد احتلوا العقبة يعاونهم في ذلك لورنس - وكان ذلك في ٦ تموز ، ١٩١٧ - كما انهم كانوا يقومون بأعمال حربية جنوبي البحر الميت

وجنوب شرقيه كجيش عربي مستقل يعرف بالجيش العربي الشمالي بقيادة الأمير فيصل . (٦٣) ثم قرر هذا الجيش الزحف شمالاً لفتح سورية واحتلال دمشق « فانتقل فيصل وقواته من جبهة حربية محددة ، ضيقة المجال حيث كانوا يحاربون لأجل تحرير الحجاز الى جبهة اوسع مجالاً واشد تعقيداً في حرب عالمية وسياسة دولية (٦٤) وكانت حملة اللنبي العسكرية في فلسطين قد بدأت اعمالها الحربية ، واحتلت مدينة القدس في ٩ كانون الأول ، ١٩١٧ .

كانت سنة ١٩١٨ للحلفاء سنة انتصارات باهرة في منطقة الشرق الأوسط انتهت بالقضاء على الامبراطورية العثمانية . ففي هجوم صاعق اجتاحت جيوش اللنبي سوريا ولبنان وراحت تلاحق ما تبقى من قلوب الجيش الرابع العثماني المنهزمة شمالاً . احتلت هذه الجيوش دمشق في اليوم الأول من شهر تشرين الأول وفي الثامن منه دخلت بيروت . ولكن هذا الانتصار العسكري كان بداية ورطة محرجة وفوضى سياسية لا مثيل لها تناولت العلاقات الدبلوماسية المتداخلة المتشابكة بين بريطانيا وبين العرب من جهة ، وبين الحلفاء انفسهم من جهة ثانية . ومن سوء الطالع ان هذه الورطة السياسية اسفرت عن ارث ثقيل من الريبة والشك ، في العلاقات بين العرب والغرب طوال الخمسين سنة الماضية .

الفصل الخامس الحلفاء في سوريا ولبنان - ١٩١٨

« ان الاجزاء التركية الداخلة في الامبراطورية العثمانية الحالية ينبغي تأمين سيادتها الآمنة ، لكن القوميات التي تعيش الآن تحت ظل الحكم التركي ينبغي بدون ادنى شك تأمين سلامة العيش لها وافساح الفرص امامها بدون اي عقبة لتطوير استقلالها الذاتي . »

(البند الثاني عشر من بنود الرئيس ولسن الاربعة عشر)

في الثلاثين من شهر ايلول ، سنة ١٩١٨ ، انتهى عهد الحكم التركي في دمشق ، ذلك الحكم الذي استمر مدة اربع مئة سنة . ففي عصر ذلك اليوم رفع العلم العربي على سارية فوق مبنى البلدية . وكان ذلك العلم « علم التحرير العربي » وكانت الوانه الأسود والأخضر والابيض ويشمل الألوان الثلاثة مثلث احمر (١) . وعند منتصف الليل كان « فيلق فرسان الصحراء » التابع لجيش الجنرال اللنبي ، على ابواب المدينة ، وفي الساعة السادسة من صباح اول تشرين الأول احتل الفوج العاشر للخيالة الأسترالية مدينة دمشق وفي اعقابه دخل جيش الأمير فيصل بقيادة نوري باشا السعيد . يقول الجنرال ل. ك. ويلسون (L.C. Wilson) قائد اللواء الثالث للخيالة ، في تقريره ان الرائد اولدن (A.C.N. Olden) قائد طليعة الفوج العاشر للخيالة الأسترالية ، لما دخل دمشق وصل امام مبنى البلدية فدخلها ووجد الأمير سعيد الجزائري (وهو احد احفاد الأمير عبد القادر الجزائري الذائع الصيت) على رأس لجنة مدعياً ان القائد التركي جمال باشا كان قد عينه حاكماً على دمشق

قبل مغادرته هذه المدينة عصر اليوم الفائت وكان الأمير محاطاً بجماعة كبيرة من الأعيان والوجهاء فقام الأمير وسلم على الرائد قائلاً بواسطة المترجم : « باسم اهالي دمشق ارحب بالجنش الانكليزي . » (٢) وبعد مدة وجيزة اجتاز اولدن المدينة مع فوجهِ واكمل زحفه مع بقية الجنوش الاوسترالية والبريطانية عن طريق حمص ، حماه وحلب .

اما لورنس فقد غضب غضباً شديداً لأنه كان كثير الرغبة في ان يحتل الجيش العربي دمشق أولاً واذا تم مثل هذا الأمر فان مكانة فيصل في سوريا وفي العالم العربي عامة ستزداد سمواً بصفته منقذ العرب من نير الحكم التركي . (٣) ليس هذا وحسب بل ان الفرنسيين الذين كان لورنس يضمر لهم بغض الشديدي سيحرمون من احتلال دمشق أولاً بهجوم سريع من بيروت . (٤) كما ان لورنس كان يذكر « تصريح الحكومة البريطانية للعرب السبعة » الذي اعلنت فيه بريطانيا انها تعترف « بسيادة واستقلال » العرب الذين يقطنون « الأراضي التي تتحرر من السيطرة التركية بعمل العرب انفسهم » ولذا فقد كان اول عمل قام به لورنس عند دخوله الشام في اليوم الأول من شهر تشرين الأول عزل الأمير سعيد الجزائري « كرئيس للحكومة العربية » التي كان قد شكلها قبل دخول جيش الحلفاء ، بعد اجتماع صاحب ، وتعيينه شكري باشا الأيوبي (في غياب علي رضا باشا الركابي) حاكماً عسكرياً لدمشق . (٥) وانشئت ادارة عربية مؤقتة شرعت فوراً في احوال النظام والقانون في المدينة . ومن جملة ما اتخذته من اجراءات فرض حظر التجول من غياب الشمس حتى شروقها ، وذلك لمنع النهب والسلب في اسواق المدينة ومخازنها . كذلك تشكلت حكومة عربية في بيروت برئاسة رئيس بلديتها عمر بك الداعوق ، وذلك في اليوم الاول من شهر تشرين الأول . وكان الأتراك قد انسحبوا من بيروت في الثلاثين من شهر ايلول ، وفي اليوم ذاته تلقى عمر بك الداعوق برقية من الأمير سعيد من دمشق اعلمه فيها ان حكومة عربية هاشمية قد تأسست في دمشق بعد انسحاب الأتراك طالباً اليه ان يشكل ادارة عربية في بيروت باسم تلك الحكومة الهاشمية التي تأسست في دمشق . (٦) وقد جرى هذا قبل ان يكون لورنس قد عزل الأمير . ولدينا روايتان متناقضتان حول ما جرى من احداث في اعقاب هذا الأمر . تقول رواية ان الأمير فيصل ارسل شكري باشا الأيوبي الى بيروت ليشكل حكومة عربية في لبنان وذلك بالحاح في النصيح من قبل لورنس بأن تشكل هذه الحكومة في بيروت ، « المدينة السورية الثانية » باسم الأمير فيصل . وتقول رواية اخرى (٧) ان اعيان مدينة بيروت (٨) بعثوا بريقة الى « القيادة العربية العليا » في دمشق طلبوا فيها ان ترسل دمشق اليهم ممثلاً للشريف حسين لينظم امر الحكومة

العربية في المدينة . فبعث نوري باشا السعيد بريقة جوابية طلب فيها اليهم ان يرفعوا العلم العربي (بعد ان وصف شكله والوانه) على جميع المباني الحكومية ، وان يتربقوا وصول قوة عسكرية عربية لمساعدتهم في مهمتهم هذه . وعند ما اخبر فيصل عن الوضع في بيروت وافق على ارسال شكري باشا فوراً على رأس قوة عسكرية رمزية قوامها مئة جندي عربي ، ومعهم ثماني بنادق رشاشة وعدد من الأعلام الحجازية . غادرت هذه القوة مدينة دمشق في الثاني من شهر تشرين الأول ووصلت بيروت في الرابع منه بعد سفرة عسيرة على ظهور الجياد لأن الألمان كانوا قد خربوا الخط الحديدي بين المدينتين .

في هذه الأثناء ، وفي اليوم الثالث من شهر تشرين الأول ، دخل الأمير فيصل مدينة دمشق دخول الظافر ممطياً جواداً عربياً على رأس قوة عسكرية قوامها ١٥٠٠ فارس عربي وسط اهازيج الحماسة والابتهاج (٩) وكان قبل ذلك يوم واحد قد دخلت الوف من المشاة والخيالة البريطانيين والأوستراليين والنيوزيلنديين والهنود مع فرقة صغيرة من الجنود الفرنسيين والمغاربة ، وسارت في موكب مخرقة المدينة وهي في طريقها باتجاه الشمال لتعقب الجيش التركي المنسحب . لكن اليوم التاريخي البارز كان يوم الثالث من شهر تشرين الأول . فقد كانت دمشق في نظر الأمير فيصل ، وفي نظر ابيه حسين ، شريف مكة ، نهاية مطامح العرب الوطنيين ، وكان احتلالها يشكل تحقيراً - ولو جزئياً - لأمانيتهم في الاستقلال وفي انشاء امبراطورية عربية . لكن صدمة عنيفة كانت بانتظار فيصل ، على الرغم من انه يصعب القول الى اي مدى كانت مفاجئة غير متوقعة . لأن الجنرال اللنبي ، القائد العام للحملة البريطانية ، كان في ذلك اليوم ايضاً يسرع في سيره لبلوغ دمشق ، وهو مضطرب الخاطر قلق بسبب اخبار خطيرة كان قد تلقاها من سوريا . وكان المصدر الرئيسي لاضطراب خاطره تلقيه اخباراً من مركز القيادة العامة في بير سالم ، ومن المفوض السامي البريطاني في مصر ، ومن القنصل الفرنسي في القاهرة ، ومن السيد بيكو ، ولا سيما تلك الرسائل التي تلقاها من الوزارة الحربية ومن الوزارة الخارجية . ويقول معاصر للأحداث هذه حسن الاطلاع ان النغم السائد في جميع هذه الرسائل كان ما مؤداه : « اخفقوا حركة فيصل ولورنس في مهدها . اوقفوا السيل العربي . تذكروا اتفاقية سايكس - بيكو » (Sykes-Picot) . (١٠)

دخل اللنبي مدينة دمشق يوم الثالث من شهر تشرين الأول واستدعى فوراً الأمير فيصل . وجرت المقابلة في قاعة الاستقبالات في فندق فيكتوريا . وكانت المرة الأولى التي تقابل فيها الرجلان . يقول السير ارتشيولد وايفل (Wavell) ان الرجلين كانا على طرفي نقيض : « فقد كان اللنبي يمثل الرجل الانكليزي الضخم البنية الذي

يثق بنفسه والذي يألف السيطرة واصدار الأوامر وذلك بقوة شخصيته ، بينما كان فيصل يمثل العربي النحيل البسيط الزاهد ولكن تبدو عليه سيماء الامارة... (١١) وقد اتسمت المقابلة بشيء من الحدة والصخب . وحضر المقابلة لورنس وقد اوضح للنبي ان الحرب لم تنته بعد ، وان الأرض التي احتلتها الجيوش تحت امرته تعتبر « ارض العدو » وفي الوقت الحاضر تعتبر بريطانيا نفسها مسؤولة عن ادارة هذه المناطق المحتلة . ومهما يكن من امر ، وبحسب اتفاقية عقدت مع الفرنسيين ، فانه تلقى تعليمات بالسماح للفرنسيين لتولي شؤون الادارة في المنطقة « الزرقاء » التي تمثل سوريا غربي دمشق وحلب ، والتي تشمل مدينة بيروت ولبنان . اما لورنس فقد اعترف قائلاً انه اوفد عن حسن نية شكري باشا ليتسلم امر الادارة في بيروت باسم ملك الحجاز ، الملك حسين ، الذي يعتبر سوريا بأكملها ملكاً له (١٢) . وأضاف انه يدرك ان اية حقوق تمارسها فرنسا في سوريا سيكون لها نتائج خطيرة . فأجاب الجنرال اللنبي بحدة قائلاً ان هذه الأمور لا شأن للورنس ان يتدخل فيها . وقال انه لم يكن مطلوباً منه قط احتلال الشاطئ ، انما له ان يذهب الى بريطانيا فشرح الوضع لوزارة الخارجية . اما مهمة القائد الأعلى فهي تنفيذ التعليمات التي تلقاها والقيام بالارتباطات التي تجتهد بريطانيا نفسها مرتبطة بها . ثم التفت للنبي الى الأمير فيصل وشرح له ان المنطقة « أ » المشار اليها في تلك الاتفاقية مع فرنسا والتي تضم دمشق وحمص وحماة وحلب فان فرنسا ستكون الدولة الحامية لها ، ولكن فرنسا قطعت عهداً على نفسها ان تساند قيام دولة عربية مستقلة . في ذلك الحين كان اللنبي قد تلقى برقية من وزارة الخارجية البريطانية تعلمه فيها اعترافها بأن العرب يعتبرون مشتركين في هذه الحرب . وكان اللنبي على استعداد ان يعترف بحكومة عربية برئاسة فيصل كممثل لايه ، الملك حسين ، في ارض العدو المحررة الواقعة شرقي نهر الأردن ، من العقبة حتى معان بما في ذلك مدينة دمشق . على ان يحتفظ بحقه في تعيين ضابطي ارتباط ، الواحد منهما بريطاني والثاني فرنسي ليكونا في عونه عندما يبغي الاتصال بالحكومتين البريطانية والفرنسية فيما يتعلق بشؤون الحكم العربي لتلك المنطقة . وعندما احتج فيصل بشدة على تولي الفرنسيين امر سوريا ، وعلى تعيين ضابط ارتباط فرنسي ، اجاب اللنبي باصرار ان هذه الأوامر قد صدرت اليه بصفته القائد العام في فلسطين وسوريا ، وعلى انه يجب ان يطيع اوامره كما ان على « فيصل ان يقبل بالوضع القائم الى حين عقد الصلح . » (١٣) وانتهت المقابلة . ويقال ان لورنس ، بعد مغادرة فيصل المكان ، قال للجنرال اللنبي انه لا يستطيع ان يوافق على العمل مع ضابط ارتباط فرنسي ، وسأل الجنرال ان يعطيه اجازة . فلبى اللنبي الطلب ومنحه الاجازة فغادر دمشق في اليوم التالي. (١٤) وهكذا

برزت اتفاقية سايكس - بيكو من الخفاء لترمي بظلال من التشاؤم والريبة خيمت فوق الجو المضمخ بالآمال الذي كان يعيشه الملك حسين والوطنيون العرب . وحدث الصدام المحتم بين الحلفاء في وقت لم يكونوا في وضع يمكنهم من تحمل عواقبه . وكان لورنس قد توقع ردة الفعل التي شعر بها فيصل ، فكتب عند بدء الحرب يقول :

« لم يكن لدينا من رجل نقبل به حليفاً ، رجل ينتسب الى عائلة تاريخية وله اتباع محاربون سوى سني ، كالأمر فيصل ، مدعياً إعادة ايجاد الأمويين او الأيوبيين . فانه قد يستطيع موقفاً ان يوحد الرجال في الأجزاء الداخلية من البلاد حتى احراز النصر عندما يصبح بالامكان تحويل حماسهم المنغمسة في الملذات الحسية الى خدمة حكومة منظمة . ثم يأتي دور ردة الفعل ، ولكن بعد احراز النصر ، وفي سبيل احراز النصر يمكن ان نقامر بكل شيء ، مادياً كان ام خُلُقياً. (١٥)

وهكذا بدأت سياسة الحلفاء في الشرق الأوسط تخفق بسبب تناقض مطامحهم ، وبسبب تصادم المنافسة بينهم ، ولكن لنعد الآن الى قصتنا التي بدأت في الثالث من تشرين الأول . في مساء ذلك اليوم ذاته ، كان نوري باشا السعيد جالساً الى مائدة الطعام في فندق فيكتوريا والى يمينه الجنرال كلايتون (Clayton) ، والى يساره الكابتن كولوندر (Coulondre) الذي كان «المستشار العسكري الرئيسي بالوكالة لمنطقة النفوذ التي كانت من نصيب فرنسا» وفي اثناء الحديث سأل الجنرال كلايتون عن الجيش التركي خارج دمشق ، فأجاب نوري باشا السعيد انه لم تبق هناك قوة عسكرية تركية يؤبه بها على مقربة منا ، وان عدداً كبيراً من الأتراك قد استسلم ، وان الباقي منهم اخذ ينسحب شمالاً نحو حمص وحماة وحلب . ثم ان كلايتون سأل عن الوضع في بيروت ولبنان ، فأخبره نوري باشا عن الاجراءات التي اتخذت في هذا السبيل . وعندما ذكر ان فرقة من الخيالة التابعة للشريف حسين كانت قد ارسلت الى بيروت ، قام السيد كولوندر ، الذي كان يصغي الى الحديث بين نوري وكلايتون ، وغادر القاعة فوراً دون ان ينهي طعامه واتجه رأساً الى بيروت ليعجل في امر انزال الجيش الفرنسي الى البر ، الأمر الذي علمت تفاصيله فيما بعد . وعندما لاحظ كلايتون ان كولوندر غادر المائدة التفت الى نوري وقال : « اننا على وشك ان نجابه اعقد مشكلة مع الفرنسيين. » (١٦) ثم ان الفرنسيين قدموا احتجاجاً شديد الهمجة الى وزارة الخارجية البريطانية والى الجنرال اللنبي . وخلاصة الأمر كله ان الجنرال اللنبي بعث بأحد موظفي الاستخبارات مع احد الأركان الى بيروت كي يعزلوا شكري باشا من منصبه وان يتزولوا العلم الحجازي عن المباني الحكومية وان يعطوا التأكيدات للقائد البحري الفرنسي الذي كانت بواخره

الحرية تنتظر خارج الميناء ان بإمكانه انزال جيوشه البحرية الى البر . واقع فيصل ، في الوقت ذاته ، ان يرسل الى ضابط ارتباطه في بيروت الأوامر بالرجوع فوراً الى دمشق تحاشياً للاصطدام مع الجيش الفرنسي .

في الخامس من تشرين الأول شكل الأمير فيصل « حكومة عسكرية عربية » في دمشق لسوريا ، وذلك بمعرفة الجنرال اللنبي وبترخيص منه . ثم انه اصدر اول بيان رسمي له موجهاً اياه الى « الشعب السوري » (١٧) في هذا البيان شكر فيصل السوريين لاستقبالهم الودي الحار « لجيوشنا الظافرة » ولحسن « ولائهم لمولانا السلطان امير المؤمنين ، الشريف حسين » ، ثم اعلن بعد ذلك تشكيل « حكومة دستورية » في سوريا « مستقلة استقلالاً تاماً ناجزاً باسم مولانا السلطان حسين » . وعين علي رضا باشا الركابي رئيساً لتلك الحكومة . وباقي البيان نداء للشعب كي يحافظ على القانون والنظام وطاعة اوامر الحكومة . ولكي يخفف من مخاوف المسيحيين وسائر الأقليات في سوريا انهى فيصل بيانه هذا بتشيده في القول ان حكومته حكومة عربية تقوم على اساس من العدل والمساواة بين جميع العرب الذين سيمتعون بالحقوق ذاتها سواء اكانوا مسلمين ام نصارى ام يهودا .

في هذه الأثناء كان الوضع في بيروت ولبنان على شيء من الفوضى والاضطراب ، الأمر الذي اقلق خواطر المسيحيين والمسلمين على السواء . وكان جزء كبير من السكان قد هلك جوعاً في اثناء السنتين الأخيرتين من سني الحرب . وقد ذكر شاهد عيان انه رأى في شوارع بيروت في مطلع تشرين الأول ابشع منظر من مناظر المجاعة : « اولاداً صغاراً لم يبق منهم سوى هياكل عظمية يموتون في مجاري الماء على جوانب الطرقات . » (١٨) اما من جهة سياسية فقد كانت الشقة بين رغائب المسلمين ورغائب اغلبية النصارى من الموارد بعيدة كل البعد فيما يتعلق بمستقبل لبنان . فان لبنان ١٩٠٨ الذي كان يعرف « بجبل لبنان » كان يختلف كل الاختلاف حجماً وسكاناً عن « لبنان الكبير » الذي خلقه الفرنسيون ، والذي اصبح فيما بعد يعرف بالجمهورية اللبنانية .

كانت الولايات العربية في الامبراطورية العثمانية ، حتى منتصف القرن التاسع عشر ، تضم الموصل وبغداد وحلب وصيدا والشام ، وكان عدد السكان في المدن الرئيسية يقدر بنصف مليون نسمة . (١٩) واما الجزيرة العربية فكانت تضم ولايتي الحجاز واليمن . وبعد الحرب الأهلية التي وقعت سنة ١٨٦٠ في لبنان راح الباب العالي يعيد تنظيم الادارات في الولايات العربية ، فقسمت سوريا الجغرافية الى ولايتين : ولاية حلب وولاية الشام التي لم تعد تشمل لبنان . ذلك ان لبنان ، بحسب « بروتوكول » سنة ١٨٦١ الذي رفعه سفراء الدول الخمس (٢٠) الى الباب العالي ،

والذي قبل به الباب العالي ، كان قد فصله عن سوريا وجعله سنجقاً مستقلاً يحكمه متصرف (٢١) . وكان هذا « البروتوكول » يتضمن « التنظيمات الدستورية » التي صدرت في ٥ حزيران ، ١٨٦١ ، والتي استعيض عنها بالتنظيمات التي صدرت في ٦ ايلول ، ١٨٦٤ ، وعُدلت في ٢٨ تموز سنة ١٨٦٨ . (٢٢)

في سنة ١٨٨٧ ، وبسبب اهمية مدينة القدس المتزايدة ، انشأ الباب العالي وحدة ادارية مستقلة هي سنجق القدس في القسم الجنوبي من فلسطين . وقد فصل هذا السنجق عن ولاية الشام ووضع تحت اشراف الباب العالي المباشر . في هذه الأثناء كانت مدينة بيروت تزداد اتساعاً وكان ازدهارها التجاري يتقدم بسرعة . ولذا قرر الباب العالي في سنة ١٨٨٨ انشاء ولاية بيروت الجديدة ضم اليها سنجق اللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس . وهكذا ، منذ سنة ١٨٨٨ وما بعدها ، اصبحت سوريا مجزأة الى ثلاث ولايات (حلب والشام وبيروت) والى سنجقين فصلاً ايضاً عنها هما سنجق لبنان والقدس .

بعد حوادث سنة ١٨٦٠ المفجعة لم يكف الموارد في لبنان عن المطالبة بالانفصال التام عن الامبراطورية العثمانية وعن المطالبة باقامة دولة لبنان المستقلة ، كما انه كان من الواضح ايضاً ان الحماية فيما يتعلق بلبنان كانت ستأتي من جانب فرنسا التي كانت تعتبر الحماية التقليدية للطائفة المارونية والكاثوليكية في الشرق الأدنى . اما الشعور المعادي للحكم التركي في جبل لبنان فيعود الى اسباب عدة منها الثقافة الغربية السائدة في هذا الجبل ، والمثل السياسية التي كانت تقول بها الثورة الفرنسية ، والاتصال بالعالم الخارجي عبر الأسفار الى بلدان اجنبية ، والاتصال الدائم بالغرب ، ورجوع المهاجرين اللبنانيين من بلاد الاغتراب كالولايات المتحدة . ولكن اهم هذه الأسباب كلها هو ان جبل لبنان كان اشبه بجزيرة غربية في بحر السيادة التركية . ولم يكن احد من سكان هذا الجبل تحت ظل الحكم العثماني ، يستطيع ان يردد : « الدولة دولتنا » فكانوا يرحبون بالتححر يوماً من الحكم التركي .

يقول التقرير الذي اعده الكابتن يابل (Yale) في ٢٦ تموز ١٩١٩ : « كان عدد النصارى في جبل لبنان يقرب ، قبل الحرب ، من ٣٤٥ الف نسمة ، وكان عدد سكان لبنان الكبير ٥١٩ الف نسمة . واذا اعتبرنا ان عدد سكان سوريا كان يبلغ المليون ونصف المليون فان هذا يعني ان اكثر من الخمس كانوا يطالبون بأن يكون لبنان الكبير دولة مستقلة لا تربطها بداخلية البلاد اية روابط سياسية » . من جهة ثانية كان مسلمو بيروت وصور وصيدا ، ومناطق لبنانية اخرى ، يوضحون للكابتن يابل انهم يوافقون على منح سوريا استقلالها برئاسة الأمير فيصل ، وانهم مصممون على مساندة الحكومة العربية الحديثة العهد ... (٢٣)

لقد كان هذا الاستطراد ضرورياً كي نشير الى ان السياسة التي اتبعها فيصل ولورنس كانت سياسة قصيرة النظر ، والى انه كان خطأ نفسياً وسياسياً ان يوفدا شكري باشا الأيوبي لتشكيل « حكومة عربية هاشمية » في جبل لبنان باسم ملك الحجاز (٢٤) ، متجاهلين تركيب لبنان وتاريخه الانساني . فان هذه الخطوة لم تثر شكوك فرنسا في نوايا بريطانيا في لبنان . والواقع ان الأمير سعيد الجزائري كان اول رجل بعث يوم الثلاثين من شهر ايلول ببرقية (٢٥) الى غبطة بطريرك الموارنة ، الياس بطرس الحويك ، يطلب فيها اليه ان يشكل حكومة عربية في جبل لبنان . (٢٦) غير ان البطريرك لم يجب على البرقية بل لبث يتربص تطور الأحداث . وكانت هذه البرقية ماثلة للبرقية التي ارسلت الى السيد عمر الداعوق ، رئيس بلدية بيروت . وقد ذكرنا آنفاً ان السيد عمر الداعوق شكل في اليوم الأول من شهر تشرين الأول حكومة عربية في بيروت بعد ان كان الوالي التركي ، اسماعيل حقي بك ، قد غادرها وسلم الحكومة الى الداعوق . واما في جبل لبنان فقد سلم المتصرف ممتاز بك ، حكومة الجبل قبل مغادرته البلاد الى رئيس بلدية بعبدا ، حبيب فياض ، ذلك لأن بعبدا كانت مقر حكومة لبنان آنذاك . اما الموظفون الرسميون في الحكومة فانهم انتخبوا مالك شهاب وعادل ارسلان لتسلم رئاسة الحكومة الموقته في لبنان وعندما اطلع عادل ارسلان البطريرك الماروني على تشكيل الحكومة ارسل البطريرك برقية الى مالك شهاب طلب فيها اليه ان يستمر في تصريف شؤون الحكومة « بعدل وحزم » وان ينصح الأهلين في جبل لبنان ، بواسطة موظفيه الاداريين ان يمتنعوا عن الاتصال بأحد فيما يتعلق بشؤون مستقبل البلاد الى ان يتاح لنا ان نتبادل الرأي معهم في هذه القضايا . (٢٧) كانت برقية البطريرك مؤرخة في ٥ تشرين الأول ، ١٩١٨ . في هذه الأثناء كان شكري باشا قد وفد من دمشق مدعياً انه قد عين والياً على بيروت من قبل الملك حسين ، ملك الحجاز . وكانت الاعلام الحجازية ترفرف على سطوح المباني الحكومية الرئيسية في بيروت . وبعد مداولات طويلة مع بعض اعيان المدينة من المسلمين توجه شكري باشا الى بعبدا ، وفي حفلة رسمية جرت يوم السابع من تشرين الأول عين حبيب باشا السعد رئيساً للحكومة الجديدة في لبنان باسم الملك حسين وكانت الحكومة هذه تتألف من اعضاء مجلس الادارة السابق الذين ثبتهم شكري باشا في مراكزهم . (٢٨) ورفع العلم العربي فوق سرايا بعبدا . في تلك الحفلة اقسم حبيب باشا السعد بمين الولاء والاخلاص للحكومة فيصل العربية في دمشق وللملك حسين . بعد ذلك بعث حبيب باشا برسالة الى البطريرك يخبره فيها بما جرى ووقع الرسالة هكذا : « حاكم لبنان

العام . » (٢٩) غير ان الوضع كان متقللاً بحيث انه كان عرضة للتغير المستمر . وقبل « مسرحية بعبدا » بيوم واحد ، كانت سفن حربية فرنسية تابعة للأسطول الفرنسي ، بقيادة نائب الأدميرال فارني (Varney) قد دخلت ميناء بيروت قادمة من من بور سعيد . وبعد يومين من ذلك الحين وصلت سفن حربية بريطانية قدمت من حيفا . وفي الثامن من الشهر ايضاً وصلت الفرقة العسكرية البريطانية السابعة الى بيروت ، و « استقبلها الأهالي بمظاهر الفرح والابتهاج وسلموا للبريطانيين قرابة ست مئة اسير تركي » . (٣٠) وفي اليوم ذاته وصل رجال الاستخبارات البريطانية من دمشق وأخطروا شكري باشا ان مهمته قد انتهت . « وقد احتج على هذا العمل بلهجة شديدة ولكنه في آخر الأمر انكفأ الى فندقه . » وفي ظلمة الليل انزلت جميع الاعلام العربية عن مباني الحكومة . (٣١) « وفي اليوم ذاته اقام الجنرال بيلفن (Bulfin) مركزاً للقيادة العامة في الفندق الرئيسي دويتشرهوف (Deutscherhof) في بيروت . وعين حكماً عسكريين من الفرنسيين في كل من بيروت وصيدا وصور . اما الكولونيل دي بياباب (de Piepape) قائد الفرقة الفرنسية في فلسطين وسوريا فقد عين في هذا المركز الخطير في بيروت . (٣٢)

عندما احتلت جيوش الحلفاء سوريا ولبنان لم يكونا مستقلين بل كانا يعتبران جزءاً من الامبراطورية العثمانية . ولذا « من وجهة قانونية » فانهما كانا من « ارض العدو المحتلة » الى حين عقد الصلح مع تركيا . والواقع ان الحلفاء اعتبروا البلدين بهذه الصفة . وفي الثالث والعشرين من تشرين الأول بعث الجنرال اللنبي بتقرير الى حكومته يقول فيه انه قسم « ارض العدو المحتلة » في سوريا وفلسطين الى ثلاث وحدات ادارية وهي الآن تحت امرته « او ربما سيحتلها في القريب العاجل » . (٣٣) وكان سيطلق على هذه الوحدات الادارية الثلاث : منطقة ارض العدو المحتلة الجنوبية ، ومنطقة ارض العدو المحتلة الشمالية ، ومنطقة ارض العدو المحتلة الشرقية . وكانت المنطقة الشمالية تشمل « المنطقة الزرقاء » بحسب اتفاقية سايكس - بيكو ، وتمتد من شمالي عكا الى الاسكندرونة وهي بادارة الكولونيل دي بياباب . اما الوحدة الثانية الشرقية التي تشمل اجزاء من المنطقة « أ » والتي سبق ان انشأ فيها فيصل حكومة عربية في دمشق ، والتي تشمل ايضاً اجزاء من منطقة « ب » فانها تقع تحت السيطرة البريطانية . وطالما ان الحرب مستمرة فان السلطة العليا في المناطق كلها ستبقى في يد القائد العام ، الجنرال اللنبي .

من جهة ثانية ، كانت الحكومة الفرنسية قد عينت - يوم التاسع من نيسان ، ١٩١٧ - السيد جورج بيكو مفوضاً سامياً في فلسطين وسوريا . وبما ان جورج بيكو لم يكن قد قدم بعد فان السيد كولوندر (Coulondre) كان يمثل في بيروت . اما

الفرنسيون الذين كان قد ساءهم تصرف السلطات العسكرية والموظفين السياسيين في دمشق ذلك التصرف الذي خلق للفرنسيين جواً معادياً لهم ، فقد اتخذوا اجراءات فورية من شأنها ان تعزز مركزهم السياسي في لبنان . ففي ٢٣ تشرين الأول قام السيد كولوندر بزيارة لغبطة البطريك الماروني في بكركي وتداول معه بشأن تشكيل الحكومة اللبنانية العتيدة . وتم الاتفاق بينهما على ان تستمر الادارة ، الى حين ، باشراف مجلس الادارة كادارة تحكم البلاد ، وعلى ان يعين موظف فرنسي مؤقت (٣٤) . وبعد يومين اعلن عن هذا الاتفاق الذي تم بين البطريك والفرنسيين . وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول جرت حفلة رسمية اخرى في بعدا . اقيمت هذه الحفلة على شرف الضيفين الكولونيل بياباب والمسيو كولوندر . وقد حضرها اعضاء مجلس الادارة اللبناني وعلى رأسهم حبيب باشا السعد الى جانب جمهور من اعيان الطائفة المارونية . ولكنهما كانا اكثر من « ضيفين » اذ ان الكولونيل بياباب جاء كحاكم عسكري لمنطقة « ارض العدو المحتلة الشمالية » ، التي كانت تشمل جميع الأراضي اللبنانية ، وجاء السيد كولوندر بصفته ممثلاً للجمهورية الفرنسية « محررة الشعوب المظلومة . » كما انهما جاءا لينقضا بصورة رسمية ما كان قد انشأه شكري باشا من اقامة حكومة عربية هاشمية - التي لم تعترف بها فرنسا - وليقولوا بوضوح للبنانيين وللوريين ان فرنسا هي السيدة صاحبة الشأن في لبنان ، وليس الأمير فيصل ولا حكومته العربية . والقي الحاكم العسكري الفرنسي خطبة ودية اثني فيها على حبيب باشا السعد ، واعلن انه بصفته الحاكم العسكري بعيد ولاية مجلس الادارة اللبناني برئاسة حبيب باشا (٣٥) ، وهو ذاته الرجل الذي كان منذ اقل من شهر رئيساً للحكومة اللبنانية في عهد الأتراك ، والذي منذ ١٨ يوماً اقسم بيمين الولاء للحكومة الفيصلية العربية في دمشق . (٣٦)

في هذه الأثناء كان الجيش البريطاني ، مع القوات العربية التابعة للأمير فيصل بقيادة نوري باشا السعيد ، يتابع ملاحقة الجيش التركي الرابع المنهزم شمالاً منذ ان سقطت مدينة دمشق . وعند الخامس والعشرين من تشرين الأول كانت حمص وحماة وحلب قد سقطت في ايدي البريطانيين والعرب . ومن مهازل القدر المذهلة ان الجيش التركي استسلم في سهل مرج دابق شمالي حلب ، في السهل ذاته الذي احرزت فيه جيوش السلطان سليم العثماني قبل اربعمئة سنة انتصاراً حاسماً على المماليك ، ذلك الانتصار الذي جعل العثمانيين اسباد سوريا التي يسلمونها الآن الى جيوش الحلفاء . وفي اليوم السادس والعشرين من تشرين الأول بدأت المفاوضات لتوقيع هدنة مع تركيا على ظهر البارجة الحربية البريطانية «أغمنون» (Agamemnon) التي كانت راسية في ميناء مودرس (Mudros) في جزيرة لمنوس (Lemnos)

الواقعة في بحر الاليجة . وبعد اربعة ايام من « مفاوضات شاقة » ، واحياناً مؤلمة « وقعت الهدنة في الساعة التاسعة والدقيقة الأربعين مساء يوم الثلاثين من شهر تشرين الأول . (٣٧) وقد وقعها عن الحلفاء السير س. أ. غوف - كالثورب (Gough-Calthorpe) القائد العام للأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط « بتفويض من الحكومة البريطانية بالاتفاق مع حلفائها » . وتنص المادة الخامسة والعشرون والأخيرة من مواد اتفاقية الهدنة على ما يلي: تتوقف الأعمال العسكرية بين الحلفاء وتركيا ظهر نهار الخميس ، بالتوقيت المحلي ، الواقع فيه ٣١ تشرين الأول ، ١٩١٨ . وكانت الإشارة الوحيدة الى « سوريا » تلك التي وردت في المادة السادسة عشرة والتي تنص على « استسلام جميع الحاميات في الحجاز والعسير واليمن وسوريا والعراق الى اقرب ضابط من ضباط الحلفاء » . (٣٨)

وأخيراً جاء يوم الحساب . فان الامبراطورية العثمانية التي كانت في يوم من الأيام مصدر رعب للدول المسيحية في اوروبا هوت وسقطت في اعظم حرب عرفها التاريخ بعد حكم دام اكثر من ست مئة سنة . كذلك اوشكت الامبراطورية الجرمانية التي خلقها بسمارك ، بكل ما كان لها من قوة وعظمة ، ان تهوي وتسقط الى الحضيض . فبعد سنوات اربع من المجازر في ساحات القتال لم يعرف التاريخ ابشع منها مجازر واعنف منها شراسة ، اوشكت الحرب العالمية الأولى ان تقرب من نهايتها . وكان على الدول المنتصرة ان تجابه بصورة مفاجئة اخطر مشاكلها : مشاكل البناء واقامة صرح السلام والأمن في العالم .

الفصل السادس فيصل وبريطانيا العظمى وفرنسا

«قادي (والضمير يعود الى عبد... في يده سيف ذو مقبض مفضض) الى فناء داخلي حيث كان ، في الجانب المقابل رجل واقف عند قائمتي باب مدخل اسود لابس ثياباً بيضاء ينتظرني وعند النظرة الاولى قلت لنفسه هذا هو الرجل الذي جئت افتش عنه في الجزيرة العربية - الرجل القائد الذي سيقود الثورة العربية في طريق المجد . بدا لي فيصل ، بشيابه الحريرية البيضاء الفضفاضة وكوفيته ذات العقاب المذهب والقرمزي اللون ، رجلاً مديد القامة ، منتصبها كعمود من حجارة ، نحيل الجسم ... »

لورنس ، اعمدة الحكمة السبعة)

« ينبغي لنا ان نعرف بأن في فرنسا عدداً كبيراً من الرجال الذين ينقصهم الفهم والعدل اللذين يتحلى بهما الأمير فيصل » .

الجنرال بريموند (Brémont)

في كتابه (الحجاز في الحرب العالمية)

Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale .

في الخطاب الذي القاه الرئيس الأميركي ولسن في مجلس الشيوخ في الثاني والعشرين من شهر كانون الثاني ١٩١٧ ، قال : « لا يمكن للسلام ان يدوم ولا ينبغي له ان يدوم ، اذا لم يكن سلماً قائماً على المبدأ الذي يقول بأن الحكومات تستمد كل سلطاتها الشرعية من رضى الشعب الذي تحكمه ، وانه ليس هناك من حق يجيز تسليم شعب من سلطة الى سلطة اخرى ... كأنه متاع . اني اقترح قيام حكومة تقوم على اساس رضى الشعب وقبوله ... » (١)

بالاضافة الى نقاطه الاربع عشرة التي اعلنت في ١٨ كانون الثاني ، ١٩١٨ ، فان الرئيس ولسن قال في خطاب له في مجلس الشيوخ بتاريخ ١١ شباط ، ١٩١٨ ما يلي : « لن يكون هناك ضم اراض ، ولا هبات ، ولا الحاق ضرر بقصد العقاب ... ان تقرير المصير ليس مجرد عبارة جوفاء . ان تقرير المصير مبدأ الزامي على السياسيين منذ الآن الا يتغاضوا عنه ، واذا فعلوا فخطورة الأمر تقع على كواهلهم ... ان كل تسوية اقليمية لها علاقة بهذه الحرب ينبغي ان تتم لصالح السكان المعنيين ومنفعتهم لا ان تتم كجزء من تعديل اقليمي ، او كتوفيق بين المطالب المتضاربة التي تطالب بها الدول المتنافسة . » (٢)

لكن الحقائق في حد ذاتها كانت تدعو الى القلق الشديد . فانه عندما تهاوت تركيا وسقطت كانت بريطانيا ، والى حد ما فرنسا ، قد استولتا على معظم البلدان العربية في الشرق الأدنى . وهذه الحقيقة الحاسمة وحدها كانت ربما اخطر شأناً من جميع الالتزامات والتعهدات التي قطعوها على انفسهم في اثناء الحرب . فانه لأول مرة منذ الحروب الصليبية وقعت مدينة القدس وكل الشاطئ الذي كان يعرف آنذاك بشاطئ « سوريا » في يد قوات اجنبية ، كما ان فرنسا وبريطانيا استولتا كذلك على مقدرات عاصمتين اشتهرتا في التاريخ لكونهما كانتا مقر الخلافة في زمن الامبراطورية الاسلامية المترامية الأطراف : دمشق عاصمة الدولة الأموية المشهورة وبغداد العظيمة عاصمة العباسيين .

عندما انتشر خبر توقيع الهدنة مع تركيا ابتهج العرب وفرحوا لأن بلدانهم سلمت الآن من فظائع الحرب وأهوالها . ولكن ، من ناحية سياسية ، كانت قد وقعت سلسلة من الأحداث بين الأول من شهر تشرين الأول والحادي والثلاثين منه اثارت في نفوسهم الشك والمخاوف من نوايا الحلفاء فيما يتعلق بمستقبل اوطانهم . وذلك انهم اصبحوا وجهاً لوجه امام السياسة الغربية والقوة العسكرية الغربية التي احتلت بلدانهم . فأية ضمانات هناك ان امالهم القومية ، ومطامحهم التي يصبون اليها ستتحقق ؟ وعندما راح الساسة البريطانيون ، وزملاؤهم من الساسة الفرنسيين ، يضعون « مخطط سياستهم » كانوا يدركون ما كان يخامر نفوس العرب من شكوك ومخاوف ، ولذا اصدرت الحكومتان في مطلع شهر تشرين الثاني من سنة ١٩١٨ « التصريح البريطاني - الفرنسي » المشهور . والواقع ان لويد جورج كتب عن هذا التصريح ليقول انه صدر بغية « ازالة الشكوك التي علقته بنفوس العرب » . في الرابع من تشرين الثاني ارسل التصريح البريطاني - الفرنسي برقية الى السير رجينالد وينجيت (Wingate) ، المفوض السامي في مصر . وبعد اربعة ايام نشر في لندن وباريس ونيويورك والقاهرة في وقت واحد . وفيما يلي ترجمة النص

الانكليزي ، وهو النص الذي بقي في مجلس العموم في ٢٥ تموز من سنة ١٩٢١ :
« ان الغاية التي من اجلها خاضت فرنسا وانكلترا غمار الحرب في الشرق ،
تلك الحرب التي اثارها مطامع ألمانيا ، هي تحرير الشعوب التي رزحت طويلاً
تحت مظالم الأتراك تحريراً تاماً نهائياً واقامة حكومات وادارات قومية تستمد سلطتها
من اختيار الأهليين لها اختياراً حراً .

« ولتحقيق هذه الغايات اجمعت الدولتان ، فرنسا وبريطانيا العظمى ، على
ان تشجعا وتعيّنا على اقامة حكومات وادارات وطنية في كل من سوريا والعراق ،
البلدين اللذين حررهما الحلفاء ، وفي المناطق التي لا يزال الحلفاء يجاهدون لتحريرها ،
وعلى ان تعترف بهذه الحكومات عندما يتم تأسيسها فعلاً .

« وليس من غرض لهما (فرنسا وانكلترا) ان تفرضوا على الأهليين في هذه
المناطق نوعاً معيناً من الحكم ، انما همهما الوحيدان ان يتحقق بمعونتهما ، وبمساعدتتهما
المناسبة عمل هذه الحكومات والادارات التي يختارها الأهليون من تلقاء ذاتهم ،
وان تضمننا عدلاً متزهاً يساوي بين الجميع ويسهل عليهم تنمية الاقتصاد في البلاد
باحياء مواهب السكان الوطنيين ، وتشجيعهم على نشر العلم ووضع حد للمنازعات
التي طالما انتفعت بها السياسة التركية . هذه هي الأغراض التي تستهدفها الحكومتان
المتحالفتان في المناطق المتحررة . » (٣)

كتب السير ارنولد ولسن يقول انه في الثامن من شهر تشرين الثاني ، عندما
نشر هذا التصريح في لندن وباريس ونيويورك والقاهرة ، ارسلت وزارة الهند اليه
النص الفرنسي تلغرافياً مع تعليمات ان يسعى الى تعميمه على اوسع نطاق ممكن
ويضيف السير ارنولد قائلاً : « كان لهذه الوثيقة التي تستمد روحها من مبادئ
الرئيس ولسن المثالية اثر بالغ في تعديل النظرة السياسية . فان السوريين والعرب
رأوا فيها ، صواباً ام خطأ ، وثيقة تنسخ ، او على الأقل تعدل ، الشروط المنصوص
عليها في اتفاقية سايكس - بيكو . » (٤)

في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني ، وهو يوم ذكرى الهدنة ، كان الأمير
فيصل يقوم بزيارة اكبر مدينة في شمالي البلاد : مدينة حلب . ومن الأمور المعروفة
في تلك الأيام عن مدينة حلب ، وقرب موقعها الجغرافي من بر الأناضول وطن
الأتراك الأم ، وتجارها الواسعة التي تسير باتجاه شمالي ، انها مدينة تكن بعض
الولاء الى تركيا . وفي مستهل الخطة التي القاها ، يوم زيارته ، امام اعيان المدينة
وممثلي احيائها المختلفة ، بدأ فيصل برسم صورة قائمة اللون عن سوء الحكم التركي
ومظالمه في العالم العربي . وقال ان ولاء الأتراك للإسلام ومبادئه لم يكن ولاء مخلصاً ،
ولذا ثار العرب بقيادة والده ضد الأتراك ، وذلك بالاتفاق مع الحلفاء . ولا تصدر

هذه الثورة عن مطمح شخصي لشريف مكة ، كما انها لم تكن خيانة بمعنى انها
كانت « بيع العرب للدول الغربية » كما تزعم الدعاية التركية . ثم ان فيصلاً شكر
حكومات الحلفاء بعبارة ودية ، ولا سيما « بريطانيا وفرنسا » لمعونتهما ولمساندتهما .
وعندها قرأ فيصل نص التصريح البريطاني الفرنسي بترجمته العربية والذي قال
انه تسلمه يوم الثامن من شهر تشرين الثاني . وقد نعت فيصل التصريح بقوله انه
« من المستندات التاريخية العظيمة » وانها « تنبىء عن شعور عال وحسيات انسانية » .
وجل ما على العرب ان يفعلوه الآن هو اقامة دولة قوية عادلة حسنة التنظيم . ثم قال
ان حياة العرب السياسية والقومية لا تزال في مهدها . فان طبقات الشعب لا تزال
تجهل معنى الوطنية والاستقلال السياسي . كل شيء هو الآن في مرحلته الأولى ،
وعلياً ان نسن القوانين الجديدة لتتلاءم مع الأوضاع الجديدة ومع روح العصر .
هذا فضلاً عن ان اهم شيء علينا ان نفعله هو المحافظة على القانون والنظام ، وذلك
بالطاعة التامة للحكومة الحالية . كما انه علينا ان نبذل كل جهد لتأسيس معاهد
للتربية ولتعميمها على جميع افراد المجتمع . ان تقدم البلاد ورقها الفكري يتوقفان
على التربية الصحيحة . وكان اعظم نداء وجهه في هذه الخطبة الدعوة للوحدة
العربية ، مؤكداً الناحية القومية لهذه الوحدة لا الناحية الدينية . فانه هو نفسه ، على
حد قوله ، عربي قبل ان يكون من اتباع دين ما . « انا عربي قبل كل شيء » فقد
كان العرب عرباً قبل ان يكونوا مسلمين ومسيحيين ويهوداً . ان جميع الأديان
تأمر بالرحمة والعدل وتنادي بأخوة الانسان لأخيه الانسان . ولذا « فمن يسعى
لايقاع الشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي » وأما بالنسبة اليه فان
اهم شيء لديه هو اقامة العدل ، والعدل فقط ، لأنه يعتبر الجميع متساوين امام
القانون . « واطلب من اخواني ان يعتبروني كخادم للبلاد . انكم قد اعطيتموني
البيعة بمنتهى الاخلاص والرضى . فأقابلها بالقسم العظيم اني لا أفر عن نصرة
الحق ورد الظلم وعن عمل كل ما يرفع شأن العرب ... » (٥)

في الوقت الذي كان فيه فيصل يأمل أن يحمل عرب سوريا ولبنان على الالتفاف
حول حكومة عربية في دمشق ، وذلك بتوجيه النداءات لهم ان يتحدوا في اطار
قوة جديدة علمانية هي القومية العربية بغية تطمين اللبنانيين الذين قد يخافهم شيء
من التخوف بسبب انهم اقلية دينية في اتحاد غالبيته الساحقة من المسلمين ، فنقول ،
في هذا الوقت ذاته كانت شكوك فرنسا ازاء التحركات البريطانية المشبوهة في
سوريا تزداد حدة ، كما انها كانت تردّد تخوفاً من سياسة فيصل المعادية لفرنسا .
وفي السادس من تشرين الثاني كان السيد جورج بيكو قد وصل الى بيروت « كمفوض
سام للجمهورية الفرنسية في سوريا وفي ارمينيا » . وقبل هذا الحين بأيام معدودة ،

وفي اثناء حديث عن لبنان قال فيصل للكاتب مرسيه (Mercier) ، ضابط الارتباط الفرنسي ، انه في اثناء الحرب صدرت تحفظات عامة تتعلق بالشايط السوري . (٦) وقبل ان فيصلاً قال لمحدثه الفرنسي : « انني انا الآن مع بريطانيا وفرنسا اشبه بجماعة من التجار امام سلع وبضائع لا مالك لها . وليس من المنطق بشيء ان يحاول احدنا ان يتقدم لأخذ نصيبه قبل الآخرين » (٧) ولذا بعث السيد جورج بيكو في الرابع عشر من تشرين الثاني ، وبعد ثلاثة ايام انقضت على الخطاب الهام الذي القاه فيصل في حلب ، ببرقية الى الحكومة الفرنسية من بيروت يقول فيها ان السبيل الوحيد لانقاذ مركز فرنسا المتدهور في سوريا قبل فوات الأوان هو ارسال عشرين الف جندي فرنسي الى سوريا ، ومطالبة بريطانيا بأن تلقي مسؤولية تنظيم البلاد السورية على كاهل فرنسا . والا فان استمرار وجود الجيش البريطاني في سوريا يعتبر على انه تشجيع للفتات المعادية لفرنسا . (٨)

وتابع الأمير فيصل من حلب جولته في سائر المدن السورية فزار طرابلس حيث لقي استقبالاً حاراً من سكان المدينة . ثم تابع جولته فوصل مدينة بيروت نهار السبت بعد الظهر في ١٦ تشرين الثاني . وكان برفقته نوري باشا السعيد والدكتور احمد قدرى ، طبيبه الخاص ، وتحسين قدرى ونسب البكري . (٩) وكان من الطبيعي ان تستقبل بيروت فيصلاً بمزيج من الشعور . ذلك ان المسلمين ابتهجوا ورحبوا به بحماسة شديدة . وقد اوقف الشباب المسلم عربته وحلوا رباط جيادها وجروها مخترقين شوارع بيروت ، بينما كان الباقون يهتفون هتافاً قديماً كانوا يرددونه ايام الأتراك : « لا نرضى الا بالسلطان » . (١٠) و « السلطان » الآن فهو فيصل . اما الفرنسيون فقد انزعجوا من الزيارة حتى انهم كادوا يتجاهلونهم . وقد عدوها جزءاً من المخطط البريطاني الرامي الى تشجيع الفتات اللبنانية الموالية لبريطانيا ولفيصل ، وعدوها ايضاً جزءاً من جهود فيصل في سبيل ضم لبنان الى سوريا (١١) ونزل فيصل ضيفاً على الجنرال السير ادوارد بلفن (Bulfin) ، القائد البريطاني للفرقة الحادية والعشرين ، الذي اقام مأدبة رسمية على « شرف سموه ، الأمير فيصل القائد الأعلى للقوات العربية » . (١٢)

وعاد فيصل الى دمشق في ٢٠ تشرين الثاني ليعود منها الى بيروت ثانية ليغادرها فوراً الى بريطانيا على ظهر بارجة حربية بريطانية اسمها « غلوسستر » (Gloucester) وزيارة اوروبا جاءت بدعوة من الحكومة البريطانية - ربما بايعاز من لورنس - ووجهت الى الملك حسين . وكان من المنتظر ان يحضر فيصل مؤتمر فرساي (Versailles) لعقد الصلح كمثل لوالده . فعندما كان فيصل في مدينة حلب ، حيث القى الخطبة التي أشرنا إليها آنفاً ، تلقى برقية من الملك حسين يطلب

فيها اليه ان يتوجه فوراً الى بريطانيا وفرنسا . (١٣) وعندما علمت الحكومة الفرنسية ان فيصلاً سيتزل في مرسيليا في السادس والعشرين من تشرين الثاني ابدت انزعاجها من ان الملك حسين لم يعلمها رسمياً عن زيارة ابنه . وبحسب تعليمات من باريس نقل القومندان كوس (Cousse) الذي كان في جدة ، الى الملك حسين بلغة مهذبة لطيفة اعتذار حكومته قائلاً انه في الوقت الذي ينبغي لفرنسا ان تستقبل فيصلاً بما يليق بمكانته كابن ملك حليف وصديق لفرنسا ، فان حكومته قد ابدت دهشتها من ان المندوب السامي الفرنسي في سوريا لم يبلغ شيئاً عن الزيارة كي تقوم الحكومة الفرنسية باتخاذ الاجراءات اللازمة لاستقبال الأمير في باريس . ولذا فانه يتعسر على الحكومة الفرنسية ان تعتبر ان الأمير يقوم بمهمة خاصة في فرنسا لأن الحكومة لم تعلم شيئاً مسبقاً عنها .

عندما نزل الأمير فيصل وحاشيته في مرسيليا في السادس والعشرين من تشرين الثاني كانت الحكومة الفرنسية قد انتدبت السيد برتراند (Bertrand) والكولونيل برموند (Bremond) لاستقباله وليكونا مرافقي الشرف له في اثناء اقامته في فرنسا. (١٤) وأنزلت الحكومة الفرنسية الأمير ضيفاً عليها مدة اقامته في فرنسا . ومن جملة التعليمات التي اصدرها السيد جان غو (Gout) ، وكيل الوزارة للشؤون الآسيوية في وزارة الخارجية الفرنسية ، الى الكولونيل برموند ما يلي : « عامل الأمير فيصلاً كما انه لو كان جنرالاً ورجلاً بارزاً ولكن ليس له صفة دبلوماسية ، وأخبره أن الذين نصحوه بالمجيء الى هنا اسأؤوا النصح له اذ كان عليه ، قبل مجيئه الى فرنسا ، ان يقابل السيد جورج بيكو . وقل له انه ليس في وسع الحكومة البريطانية ان تفعل كل شيء وما كان لها ان تنصحه بالمجيء الى هنا قبل استشارة الحكومة الفرنسية ، ثم عليك ان تدبر الأمور بالتي هي احسن كي لا تيجيء الى باريس دون تعليمات اخرى تصدر اليك ... ولك ان تأخذه الى اي مكان تشاء . ليشاهد ما تريد . اصطحبه في زيارة تقومان بها الى الجنرال غورو ، قائد الجيش الرابع في ستراسبورغ (Strasbourg) الذي سيقبل الأمير وساماً من رتبة ضابط كبير (Grand Officier) . اما فيما يتعلق بلورنس فيجب افهامه بكل وضوح انه على ضلال في مسعاه . فاذا كان قد قدم الينا بصفته كولونيل بريطانيا وفي بزة انكليزية فاننا نرحب به ، ولكننا لن نستقبله اذا جاءنا بصفته عربياً واذا استمر في تخفيه هذا ... » (١٥) وهكذا اخذوا الأمير فيصلاً ليزور مدينة ليون وبلفور (Belfort) وثنان (Than) وكولمار (Colmar) وستراسبورغ وقد استغرقت هذه الزيارة من السادس والعشرين من تشرين الثاني الى الثالث من كانون الأول ، دون ان يذكروا له شيئاً عن موعد زيارته لباريس . في اليوم الثالث من كانون الأول استدعى الأمير فيصل الكولونيل برموند

وسأله بصراحة تامة اذا كانت الحكومة الفرنسية لا ترغب حقاً في ان يذهب الى باريس ، لأنه لا يريد اضاءة الوقت سدى بل يؤثر العودة الى دمشق . وفي اليوم التالي تلقى برمود برقية من باريس تعلمه ان رئيس الجمهورية سيستقبل فيصلاً يوم السابع من كانون الأول عند الساعة الخامسة بعد الظهر . فسر فيصلاً بهذا الخبر . في اليوم الخامس من الشهر وفي حفلة عسكرية فخمة منح وسام « صليب فرقة الشرف » (Croix de la Legion d'Honneur) كضابط رفيع . ثم سافر الى مدينة متس (Metz) وفردن (Verdun) حيث زار مواقع المعارك الحربية ، وتوجه الى باريس فوصلها في السابع من الشهر . وقد سافر في عربة قطار خاصة كان القيصر يسافر بها في اثناء تجواله في مقاطعة الازراس . وتمت المقابلة بينه وبين رئيس الجمهورية الرئيس بوانكاره (Poincaré) في قصر الاليزه . (١٦) وأقيمت في التاسع من الشهر حفلة استقبال في وزارة الخارجية « للتعرف على الأمير فيصل » . وفي مساء اليوم ذاته غادر فيصل وحاشيته ميناء بولونيا (Boulogne) على ظهر باخرة اقلتهم الى لندن .

بعدما انقضت قرابة خمس عشرة سنة ، أي سنة ١٩٣٣ ، قص الأمير فيصل الذي كان قد أصبح آنذاك ملك العراق ، خبر هذه الزيارة لفرنسا في مقابلة اجرتها معه السيدة ارسكين (Erskine) في بغداد . وهذه خلاصة ما جاء في تقريرها عن تلك المقابلة :

« عندما كنت في حلب ، سنة ١٩١٨ ، في اعقاب توقيع الهدنة تلقيت برقية من والدي يطلب فيها الي ان امثله في مؤتمر الصلح . وعندما وصلت ميناء مرسيليا وجدت نفسي وجهاً لوجه امام تبدل سياسي مقلق اثار في نفسي بعض المخاوف . وقد جبهني الفرنسيون بأقوال يمكن اجمالها كما يلي : ان فرنسا لا تعلم شيئاً عن طبيعة المهمة الرسمية التي سأضطلع بها في فرساي (Versailles) ، ولذا ليس من المرغوب فيه ان اتابع سفري الى باريس .

« وابقاء على مظاهر المجاملات واللباقات وجهت لي الدعوة لزيارة الجبهة الغربية . وبعد انقضاء عشرة ايام استطعت متابعة السفر الى باريس ومنها الى لندن . وبعد ذلك عدت الى فرساي . » (١٧)

في الوقت الذي كان فيه فيصل يشاهد ساحات المعارك الموحلة المشوهة الأديم بفعل القنابل على الجبهة الغربية كان يعقد اجتماع في لندن على غاية من الخطورة بين لويد جورج (Lloyd George) وكليمنصو (Clemenceau) وكان له اثر بعيد الغور بالنسبة الى مستقبل سوريا ، ومستقبل الأمير فيصل نفسه . ففي اليوم الأول من شهر كانون الأول وصل المارشال فوش (Foch) وكليمنصو والسنور

اورلندو ، (Orlando) رئيس الوزارة الإيطالية ، والبارون صونينو (Sonnino) وزير الخارجية الإيطالية بالقطار الى محطة تشارنج كروس (Charing Cross) في لندن وكان على المحطة لاستقبالهم لويد جورج وعدد كبير من اعضاء الوزارة البريطانية ، وسط تظاهرة شعبية حماسية . (١٨) تقول جريدة التايمز : كانت الغاية الرئيسية التي من اجلها جاء السيد كليمنصو والمارشال فوش الى لندن الاعداد بالتشاور مع رجال الدولة لدول الحلفاء ، لعقد مؤتمر مشترك للحلفاء يعقد قريباً في باريس والاتفاق مسبقاً على مخطط للصلح لي طرح في المؤتمر . (١٩) وقد عقدت عدة جلسات في بيت رئيس الوزارة البريطانية (١٠) دوننغ ستريت - (Downing Street) بين الأول من شهر كانون الأول والرابع منه ، وهو اليوم ذاته الذي غادر فيه المارشال فوش والسيد كليمنصو لندن بالقطار الى باريس . وفي وقت ما في تلك الأيام الأربعة عقد اهم اجتماع بين لويد جورج والسيد كليمنصو . واحيط اجتماعهما بسرية تامة . في هذا الاجتماع جرى تعديل على بنود اتفاقية سايكس - بيكو . ومن المرجح اننا سننظر نجمل حقيقة ما جرى في ذلك الاجتماع بين الرجلين الكبيرين ، لأن ما استقر عليه الرأي بينهما كان « اتفاقاً شفوياً » . (٢٠) ليس بالامكان معرفة الفترة التي بدأت الحكومة البريطانية تشعر فيها بالندم على ما جاء في اتفاقية سايكس - بيكو ، كما اننا لسنا ندري متى بدأت تفكر في تعديل موادها عند اول سائخة . وظاهر الآن ان اجتماعاً كان قد عقد بين لويد جورج والكولونيل هوس (House) ممثل الرئيس ولسن الخاص ، (٢١) يوم توقيع الهدنة مع تركيا اي في الثلاثين من شهر تشرين الأول ، ١٩١٨ . وفي اثناء الحديث الذي جرى بينهما « حاول رئيس الوزارة البريطانية ان يركز الحديث حول الخطوط العريضة لاتفاقية سايكس - بيكو ، مبتغياً في ذلك جس نبض محدثه الاميركي . غير انه في قضيتين كشف عما في نفسه من ميل لنقض بعض الالتزامات التي اربطت بها انكلترا نحو فرنسا في ابان الحرب ، والتي لها علاقة بمستقبل الصلح » . كانت بريطانيا لتتولى بسط حمايتها على العراق « وربما » على فلسطين . وبعد شهر تلقت السفارة الأميركية في لندن من وزارة الخارجية البريطانية ، بصورة غير رسمية ، « مخططاً لمشروع الصلح البريطاني المتعلق بالشرق الأدنى ، وفيه ان بريطانيا تسيطر على العراق ، واميركا على فلسطين والقسطنطينية ، والمضائق . اما نصيب فرنسا « فربما » كان سوريا . وفي هذا تعديل جذري ، ان لم نقل محاولة لنسف اتفاقية سايكس - بيكو فالفائتها . والواقع ان الوثائق الإيطالية المحفوظة في ملفات وزارة الخارجية الإيطالية تظهر انه في ١٣ حزيران من سنة ١٩١٨ ، اي قبل اجتماع لويد جورج بالكولونيل هوس بثلاثة اشهر ونصف الشهر ، لمح السيد مارك

سايكس الى احتمال فرض وصاية اميركية على فلسطين ، وذلك في اثناء حديث رسمي جرى بينه وبين الماركيز امبريالي (Imperiali) ، السفير الايطالي في لندن . (٢٢) وينبغي ان يكون السيد مارك سايكس قد احس بان وزارة الخارجية البريطانية كانت تسعى لأحداث تبادل جوهري في بنود اتفاقية سايكس - بيكو ، أولاً لان الاتفاقية لم تعد تعتبر اتفاقية مرضية بالنسبة لمصالح بريطانيا العظمى في الشرق الأوسط ، وثانياً لاسترضاء الرئيس ولسن ولتهدئة خواطر حكومة الولايات المتحدة ، التي كانت تعارض في سياستها جميع المعاهدات والاتفاقات السرية التي كانت تعتبرها « سياسة التستر الأرعن والمصالح الأنانية الخرقاء » . (٢٣) وقد قال سايكس للسفير امبريالي انه « ينبغي إعادة صقل الاتفاقيات السرية المتعلقة بتقسيم مناطق النفوذ وتعديلها على ضوء الظروف الحاضرة ، ولا سيما للبقاء على سمعة الرئيس ولسن » . ولذا « فقد ارتأي ان تقحم الولايات المتحدة في نظام الوصاية ، وهذا من شأنه ان يحبط اية محاولة يقوم بها الرئيس ولسن لمعارضة انشاء مناطق نفوذ لكل من بريطانيا وفرنسا » . (٢٤) وليس هناك من ادلة تشير الى ان الحكومة الفرنسية احيطت علماً بأي اقتراح بريطاني لوضع فلسطين تحت الحماية الأميركية . ولكن عندما اجتمع لويد جورج بزميله كليمنصو في لندن عند مطلع شهر كاون الأول ، وكما اشرنا الى ذلك آنفاً ، طلب اليه نقل الموصل وفلسطين الى نصيب بريطانيا من الارث الذي كانوا يتوقعونه من الممتلكات الآسيوية العثمانية « للرجل المريض في اوروبا » - والواقع انه في ذلك الحين كان قد مات . وقد ذكر لويد جورج نفسه ان السلطات البريطانية كانت على اقتناع بوجود اجراء تعديل على بنود اتفاقية سايكس - بيكو حول قضيتين (الموصل وفلسطين) . وها اننا نقل ما قاله لويد جورج حرفياً عما جرى في ذلك الاجتماع في لندن :

« عندما قدم كليمنصو الى لندن بعد الحرب ذهبت معه بالسيارة الى السفارة الفرنسية ... وعندما وصلنا سألتني كليمنصو عما تريده بريطانيا على وجه التحديد ، من فرنسا . فأجبتته فوراً انني اريد ضم الموصل الى العراق ، وفلسطين من دان الى بحر السبع تحت سيطرة بريطانيا . ودون اي تردد وافق كليمنصو على طلبي ... (٢٥) لكن قبول كليمنصو الطلب الذي تقدم به رئيس الوزارة البريطانية لم يكن بالأمر اليسير تحقيقه كما يحاول لويد جورج ان يجعله . ان الأستاذ تمبرلي (Temperly) ، الذي اعترف سنة ١٩٢٠ ان « هذا الأمر ليس جلياً » (٢٦) يقول ان كليمنصو ، بناء على ما ذكره اندره تارديو (Tardieu) ، قبل التزول عند مطلب لويد جورج على شروط ثلاثة : أولاً ان تمنح فرنسا نصيباً من نفط الموصل وذلك بتعديل اتفاقية شهر ايار من سنة ١٩١٦ . ثانياً ان تناصر بريطانيا فرنسا مناصرة تامة ازاء اعتراضات

الولايات المتحدة . ثالثاً اذا تم الاتفاق على نظام الانتداب - فان دمشق وحلب والاسكندرونة وبيروت يجب ان تقع ضمن انتداب واحد (الانتداب الفرنسي) . (٢٧) ويبدو كذلك ان كليمنصو طالب ببعض الامتيازات في الضفة الشمالية لنهر الرين . (٢٨)

في الواقع ، وبسبب ازدياد التوتر بين الحكومتين حول الوضع في سوريا ، ان ما كان كليمنصو شديد الرغبة في الحصول عليه من زميله لويد جورج هو الاعتراف بحقوق فرنسا في سوريا وقيليقيا كما نصت عليها اتفاقية سايكس - بيكو . (٢٩) غير ان الاعتراف البريطاني له ثمن يجب على فرنسا ان تدفعه : الموصل وفلسطين . وبعد مضي خمسة اشهر كرر لويد جورج ، في اجتماع للكبار الأربعة عقد في مقر الوزارة الخارجية في باريس بتاريخ ٢١ ايار ، ١٩١٨ ، قوله انه عندما اجتمع بكليمنصو في لندن وعد باعطاء فرنسا سوريا شريطة ان يتنازل كليمنصو عن الموصل ، لأن الموصل ، جغرافياً ، جزء من العراق ، ولذا ينبغي ان تضم اليه وتعطى لبريطانيا . (٣٠) ولكن احتجاج كليمنصو ورفضه التنازل عن الموصل (٣١) ثم رده ان هناك « اتفاقية واضحة بيننا حول سوريا » كل هذا لم يؤثر في موقف لويد جورج .

مهما يكن من امر فانه ، بالنسبة للمصالح البريطانية ، كانت مغنم بريطانيا افضل من مغنم فرنسا . ان فرنسا « غنمت » ما كانت قد وعدت به من قبل الانكليز ، لكن الانكليز « غنموا » ما لم يكن لهم ، وما لم يوعدوا به : الموصل وفلسطين ذات الموقع الاستراتيجي الممتاز . (٣٢) فقد كانت المساومة بين الفريقين اشبه بأمر تاجر بيع بضاعته مرتين من الزبون الواحد بدعوى ان المحل التجاري اصبح الآن تحت ادارة جديدة . (٣٣)

ومن جهة ثانية كان على الفرنسيين ان يسلموا بالأمر الواقع فيما يتعلق بالموصل وفلسطين . فقد كان وعد بلفور قد صدر في الثاني من شهر تشرين الثاني ، ١٩١٧ ، وفيه تعهد على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، كما ان مشكلة فلسطين كانت قد اصبحت آنذاك اكثر تعقيداً بسبب الايطاليين والفاتيكان الذين كانوا يطالبون بحماية مصالحهم في الأرض المقدسة . وكان الجيش البريطاني قد احتل منطقة الموصل بقيادة الجنرال مارشال (Marshall) مع العلم انه عندما وقّع على هدنة مودروس كانت لا تزال في يد الأتراك ، وعلى بعد ثلاثين ميلاً من الخط البريطاني الى الشمال (٣٤) . وفضلاً عن هذا وبالنسبة الى النفط ، فان فرنسا اعترفت بكامل حقوق « شركة النفط التركية » في حقول النفط في ولاية الموصل . والحقيقة ان وضع فرنسا بكامله في منطقة الشرق الأدنى ، كان عندما عقد الاجتماع بين لويد

جورج وكليمنصو ، وضعاً ضعيفاً فلقاً بينما كان وضع بريطانيا العسكري في المنطقة وضعاً قوياً لا ينافسها فيه منازع . لم يكن هناك من وجود عسكري لفرنسا في المنطقة التي كانت قد وعدت بها ، ولكن البريطانيين هم الذين كانوا قد احتلوها احتلالاً عسكرياً . ولذا ابدى كليمنصو مخاوفه من اجراء اي تعديل على اتفاقية سايكس - بيكو واصر على الا يجرى اي تعديل ، في جميع الظروف ، بالنسبة الى سوريا .

وهكذا عندما وصل فيصل لندن في العاشر من شهر كانون الأول ، كان يبدو ان مصير سوريا قد تقرر فلم يؤبه لزيارته التي لم تعتبر ذات شأن سياسي . وفي اليوم الذي وصل فيه فيصل الى لندن ، اشارت اليه جريدة « التايمز » بقولها انه « بطل ملحمة عربية » كما انها اشارت الى « مآثره الرومنطيقية كقائد اعلى للجيش العربي الشمالي » . وقالت « التايمز » ان فيصلاً قد جاء الى لندن « ليقدم تحيات والده واحتراماته لجلالة ملك بريطانيا » . « (٣٥) وفي الثاني عشر من شهر كانون الأول حظي فيصل بمقابلة الملك في قصر بكنكهام (Buckingham) حيث قلده وساماً من درجة الصليب الأكبر من رتبة فيكتوريا الملكية » . وقد فهم ان الملك عبّر عن عظيم تقديره للأمير على ما اسداه العرب الأصدقاء من معونة للقوات البريطانية العاملة على الجبهة الشرقية . « (٣٦) في اليوم ذاته نشرت جريدة اكو دي باري (Echo de Paris) خبر رسالة بعث بها كليمنصو الى « اللجنة الوطنية السورية » بعد ان كان قد تسلم بالتأكيدات التي قطعها له لويد جورج منذ وقت قصير ، يقول فيها ان الاتفاقات الحالية بشأن سوريا ، بما في ذلك قرارات المؤتمر الذي عقد في العشرين من شهر تشرين الأول ، (٣٧) جميعها ترتيبات مؤقتة قابلة للتعديل . اذ انه من الضروري تعديل التخطيط الجغرافي ، وذلك بغية « انهاء الثنائية في المناطق الفرنسية » . اما بالنسبة الى انكلترا « فان اتفاقية سنة ١٩١٦ ستبقى نافذة المفعول الى ان تعقد اتفاقية اخرى تحل محلها - مع العلم ان انكلترا مثلنا شديدة الرغبة في عقد مثل هذه الاتفاقية » ويتابع كليمنصو كلامه قائلاً انه بالنسبة الى الوزارة البريطانية في لندن فانها قد اكدت مراراً ان مصالح فرنسا في الشرق يجب الا تمس بأذى « وذلك لأننا قد حشدنا قواتنا العسكرية على الجبهة الغربية » . ولكن على الرغم من هذا فان الوضع في سوريا كان يزداد سوءاً لغير صالح فرنسا . وينتهي كليمنصو رسالته بما معناه : « في الشرق ، اكثر من اي مكان آخر ، يقع اللوم في كثير من الأحيان على الغائب » . « (٣٨) »

اقام فيصل في انكلترا حتى السابع من كانون الثاني ، ١٩١٩ عندما غادرها الى باريس لحضور مؤتمر الصلح . يقول تمبرلي (Temperly) ان الأمير عندما كان

في لندن نصح « ان يقبل بسيطرة فرنسا على سوريا » لأن بريطانيا غير مستعدة الآن ان تخاصم فرنسا حول مشكلة سوريا . « (٣٩) وليس ثمة من شك ان فيصلاً كان آنذاك قد اطلع اطلاقاً تاماً على محتوى اتفاقية سايكس - بيكو وما تنطوي عليه من ملاسات ونتائج بعيدة الأغوار . كما انه ليس بمستبعد ان فيصلاً اطلع ايضاً ، عندما كان في لندن ، على الخريطة المرفقة باتفاقية سايكس - بيكو ، وشاهد عليها كيف ان العرب « قد دفع بهم الى ناحية الصحراء » . « (٤٠) ويبدو ان فيصلاً في ساعة من ساعات اليأس ، وفي حرصه على ايجاد بديل عن بريطانيا يناصره في قضيته ، اتجه ببصره ، الى حين ، ناحية الولايات المتحدة . كما انه علم ايضاً ان الصهاينة يقاومون بشدة تولي فرنسا السيطرة على فلسطين . وكان قد جرى قبل ذلك اتصال بين الدكتور حاييم وايزمن والأمير فيصل . وبايعاز من الجنرال اللنبي اجتمع الدكتور وايزمن بالأمير في اليوم الرابع من حزيران ، ١٩١٨ ، « في مقر قيادته في الغويرة التي تقع بين العقبة ومعان . وجرى بينهما تبادل مرض في وجهات النظر . » « (٤١) ثم جرى تدبير لعقد اجتماع ثان بين وايزمن وفيصل في لندن حضره لورنس كترجمان . « وقد ركز فيصل في هذا الاجتماع على تبيان الخطر الذي تتعرض له المصالح اليهودية والعربية من جراء السياسة الفرنسية ، ومن جراء اتفاقية سايكس - بيكو . » « (٤٢) واجتمع الأمير فيصل ايضاً بزعماء يهود آخرين وذلك في وليمة اقامها اللورد روتشيلد على شرفه . « (٤٣) »

اما موقف الولايات المتحدة فقد اوضحه الرئيس ولسن في الخطابات التي القاها سنة ١٩١٧ و ١٩١٨ ، وفي البنود الأربعة عشر الشهيرة التي اعلنها يوم الثامن من كانون الثاني ، ١٩١٨ . ويبدو انه كان يفكر بمشروع انشاء اتحاد كونفدرالي للدول العربية بحماية الولايات المتحدة . « (٤٤) »

في هذه الأثناء كان السيد مارك سايكس قد عاد الى الشرق الأدنى حيث كانت العلاقات الانكلو - فرنسية تزداد سوءاً على سوء وتوترت على توتر ، كما ان السيد جورج بيكو كان يبعث ببرقية تلو برقية الى باريس يشكو فيها من النشاط المعادي لفرنسا الذي تقوم به دائرة الاستخبارات البريطانية . « (٤٥) ثم راح سايكس يحاول ان يهدئ من هياج المطامع والعواطف المتأججة ، وان يوفق بين مختلف المواقف والآمال التي خلقتها الحرب ارضاً ثقيلاً . » « (٤٦) اجتمع سايكس الى صديقه القديم جورج - بيكو مرة ثانية وذهبا معاً الى حلب في اواخر شهر كانون الأول .

ويقول جورج - بيكو انه لم تتم تسوية جميع المشكلات القائمة بين الحكومتين البريطانية والفرنسية ، ولكنهما خطوا خطوة كبيرة نحو التسوية . « (٤٧) وقد القى جورج - بيكو خطابين في الحفلات التكريمية التي اقيمت على شرفه في سرايا

الحكومة وفي النادي العربي في حلب . وفي الحفلتين اثني على الجهود التي بذلتها فرنسا في تحرير سوريا ولحق الى ان فرنسا « ستمد يد العون » .

في التاسع والعشرين من شهر كانون الأول سنحت لوزير الخارجية الفرنسية ، السيد بيشون (Pichon) ليؤكد من جديد ان لفرنسا حقوقاً في الامبراطورية العثمانية ، وذلك في اثناء جلسة مناقشة في الجمعية الفرنسية العامة . هذه الحقوق التي لفرنسا هي في سوريا ولبنان وقيليقيا وفلسطين ، وهي حقوق قائمة على حقيقة التاريخ ، وعلى اتفاقات ، وعلى عهود ومواثيق . (٤٨) وعندما قاطعه النائب الاشتراكي السيد مارسيل كاشيني (Cachini) قائلاً ان السوريين يطالبون بالحرية والاستقلال - وهذا هو العهد الذي قطعه فرنسا على نفسها ، تابع وزير الخارجية السيد بيشون كلامه قائلاً ان هذه الحقوق تصدر يوماً عن امانى سكان تلك البلدان ورغائبهم ، لأنها شعوب كانت منذ زمن تشعر بالتعاطف معنا ، وتطلب حمايتنا . (٤٩)

« ومؤتمر الصلح حر في التوصل الى استنتاجاته الخاصة فيما يتعلق بالاتفاقات التي عقدت ، اما بالنسبة اليها فاننا نعتبر اتفاقيتنا مع انكلترا ملزمة لانكلترا كما انها ملزمة لنا ، كما اننا نعتبر الحقوق المعترف بها لنا ، هي لنا . » وما لا شك فيه ان هذا الكلام الصادر عن وزير الخارجية الفرنسية كان موجهاً بالدرجة الأولى الى حليفها عبر مضيق المانش ، انكلترا ، وفي وقت كان الأمير فيصل موجود في لندن . وكان القصد من التركيز على اتفاقية سايكس - بيكو تذكير من يلزمه التذكير ان فرنسا لن تعترف باجراء اي تعديل من شأنه ان يمس مصالح فرنسا في الشرق الأدنى .

في الثلاثين من شهر كانون الأول تناول الأمير فيصل طعام الغداء على مأدبة رئيس بلدية لندن وزوجته في مقر رئاسة البلدية (Mansion House) وحضر المأدبة السير هنري مكماهون وزوجته . « وعندما شرب رئيس البلدية نخب الأمير شكره للخدمات الجليلة الممتازة التي اسديتها قواته الباسلة في تحرير الأرض المقدسة من الحكم التركي البغيض . وفي رده على كلمة رئيس البلدية قال الأمير فيصل ان العرب يحاربون في سبيل مبادئ الحرية والعدل ، وهي المبادئ التي يقدها الحلفاء ، والتي هي على نقيض المبادئ التي كان يقوم عليها الحكم التركي . وعبر عن عظيم سروره اذ ان العرب ، وهم يقومون بهذه المهمة ، وعندما كانوا يحاربون في سبيل هذه المبادئ ، كان الشعب الانكليزي يتعاطف معهم . » (٥٠) وهكذا انصرم عام ١٩١٨ وفرنسا متمسكة باتفاقية سايكس - بيكو ، بينما كانت انكلترا تحاول تعديل بنودها . اما فيصل فكان يتكلم عن مبادئ الحرية والعدالة في الوقت الذي كان فيه الوضع يزداد توتراً في الشرق الأدنى .

الفصل السابع مؤتمر الصلح في باريس - ١٩١٩

« كان منظر القاعة الكبيرة ، قاعة الساعة ، في الكاي دورسي مقر وزارة الخارجية الفرنسية منظرًا عجباً بمن حواه من السياسيين الرسميين ببذلاتهم الرسمية السوداء ، يلطفها بدلة الجنرال فوش العسكرية الزرقاء . . . وعباءة الأمير العربي فيصل البيضاء الفضفاضة وكوفيته المزركشة بالذهب . . . »

من كتاب تشارلز سيمور

Charles Seymour

Woodrow Wilson and the World War, p. 261

بدأت السنة بعقد مؤتمر للصلح في باريس ، وكان اول اجتماع له في ١٨ كانون الثاني . اما بالنسبة الى تمثيل سوريا فقد كان هناك في المؤتمر شخصيتان بلباسهما العربي الفضفاض تسببان الازعاج لكليمنصو ، وهما الأمير فيصل ولورنس . (١) ولم يكن كليمنصو يثق بكليهما . ولم يكن يستطيع ان يتحمل رؤية لورنس في قاعة مؤتمر الصلح ، كما انه كان يعتبر فيصلاً رجلاً مالياً للانكليز يأتمر بأمرهم ويعمل بحسب ما تصدر اليه من تعليمات . (٢) يقول ويكهام ستيد (Wickham Steed) ، محرر جريدة (التايمز) ان الفرنسيين عبروا عن انزعاجهم « بمعاملتهم فيصلاً باحتقار وازدراء متعمدين . » (٣)

وكان فيصل قد رفع الى مؤتمر الصلح مذكرة (٤) في اليوم الأول من شهر كانون الثاني ذكر فيها ان هدف الحركة العربية القومية « توحيد العرب يوماً في امة واحدة » وما قاله عن سوريا هو « انها بلغت مرتبة حسنة من النضج السياسي

بحيث انها تستطيع ان تصرف شؤونها الداخلية . ثم انه عبر عن امله بأن يجد الحلفاء « وسائل افضل لتحقيق اهداف حركتنا القومية » . وكتب يقول : « لقد جئت اوروبا مثلاً ، والذي وبالنيابة عن عرب آسيا ... وهم يتوقعون من الحلفاء ان ينظروا اليهم انهم شعب واحد له امكاناته ، شعب يفخر بلغته وبحريته ، ويطالبون الحلفاء بالألا يتخذوا خطوات من شأنها ان تتعارض مع آمالهم في ان تتحد هذه الأقطار يوماً تحت ظل حكومة واحدة ذات سيادة » . وفي يوم التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني قدم مؤتمر الصلح مذكرة ثانية جاء فيها : « جئت مثلاً والذي الذي قاد الثورة العربية ضد الأتراك تلبية منه لرغبة بريطانيا وفرنسا لأطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسيا من خط الاسكندرونه - ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً ، معترفاً باستقلالها وبسيادتها بضمنان من عصبة الأمم ... واني استند في مطلبي هذا الى المبادئ التي صرح بها الرئيس الأميركي ، ولسن ، (وهي مرفقة بهذه المذكرة) . وانا واثق من ان الدول الكبرى ستهتم بأجساد الشعوب الناطقة بالعربية وبأرواحها اكثر من اهتمامها بما لها هي نفسها من مصالح مادية . » (٥)

في هذه الأثناء رفع « قسم الاستخبارات » لوفد الولايات المتحدة لمؤتمر الصلح في باريس « توصية » بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩١٩ ، الى الرئيس ولسن والى المفوضين المطلقين الصلاحية للدول الأخرى فيها :

(اولاً) انشاء دولة سورية .

(ثانياً) ان يطبق على هذه الدولة السورية نظام الانتداب ، ولكن لم يرد في التوصية ذكر للدولة التي ستختار للقيام بمهمة الانتداب هذا .

(ثالثاً) ينبغي ألا توضع عراقيل من شأنها ان تحول دون ادماج هذه الدولة السورية المقترحة في اتحاد عربي كونه فيدرالي اذا تبين ان هناك ميلاً في البلاد نحو هذا الحل . (٦)

ولكن جل ما نعرفه عما اتخذ من قرارات رسمية حول سورية في اثناء الشهر الأول من سنة ١٩١٩ هو مشروع قرار اتخذته ممثلو الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان في مؤتمر خاص في الكاي دورسي في ٣٠ كانون الثاني ، مؤداه « وجوب فصل سوريا فصلاً تاماً عن الامبراطورية العثمانية . » (٧) واتفقوا كذلك على وجوب فصل ارمينيا والعراق وفلسطين والجزيرة العربية عن الامبراطورية العثمانية .

في اليوم السادس من شهر شباط ، وليس قبله ، تمكن الأمير فيصل ، وبصحبه الكولونيل لورنس ، ان يعرض قضيته امام مؤتمر الصلح في مقر وزارة الخارجية الفرنسية (٨) . فأشار فيصل الى المذكرة التي كان قد رفعها الى المؤتمر في ٢٩ كانون

الثاني ، والتي طالب فيها بان يعترف الحلفاء « بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسيا من خط الاسكندرونه - ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً معترفاً باستقلالها وسيادتها بضمنان من عصبة الأمم » ثم راح يعرض الأسباب التي من اجلها تقدم بمطلبه هذا . قال : « ان والده لم يعرض حياته للخطر ، كما انه لم يعرض مملكته للدمار لما اشترك في الحرب ، وعندما بلغت الحرب اقصى حد من الخطورة ، ليحصل على منافع مادية شخصية ... ان العرب يعترفون بالجميل لبريطانيا وفرنسا ويشكرونهما على ما قدمته من عون في سبيل تحرير اوطانهم . والعرب يطالبون الآن ان يفي الحلفاء بالوعود التي قطعوها على انفسهم في شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . » ثم ان تلميحاً وجه الى فيصل - والواقع انه لم يكن تلميحاً مبطناً بقدر ما كان امراً واقعاً - عندما التفت اليه الرئيس ولسن ، بعد ان ادرك ان عصبة الأمم قد تبنت نظام الانتداب ، وسأله « إذا كان يؤثر ان يرى دولة واحدة تتولى الانتداب على شعبه ، او عددا من الدول تتولاه » . كان هذا السؤال حقاً خروجاً صارخاً عما كان يطالب به فيصل من الاستقلال والسيادة . ولذا امتنع فيصل عن الاجابة بصورة مباشرة قائلاً انه لا يستطيع ان يجيب عن هذا السؤال قبل ان يستشير والده وقبل ان يعود الى العرب انفسهم . لقد جاء الى باريس ليطالب باستقلال شعبه ، وبحقهم في اختيار مصيرهم ... قال فيصل انه « شخصياً ، كان يخشى تجزئة البلاد العربية . كان هدفه وحدة العرب ، وفي سبيل الوحدة حارب العرب . وأي حل غير هذا الحل يمكن ان يعتبره العرب نوعاً من تقاسم الأسلاب بعد المعركة ... كان العرب يطالبون بالحرية ولا يرضون عنها بديلاً ... فقد كان العرب امة قديمة متحضرة منظمة في زمن لم يكن فيه للدول المثلثة في هذه القاعة الآن من وجود ... » (٩)

في الثالث عشر من شباط جرى بحث حول قضية سوريا وذلك قبل انعقاد جلسة العشرة الكبار في مكتب بيشون (Pichon) في مقر وزارة الخارجية واستدعي الدكتور هوارد بلس (Bliss) رئيس الكلية الانجيلية في بيروت (وهي الآن الجامعة الأميركية في بيروت) ليدلي برأيه حول القضية . وكانت وزارة الخارجية الأميركية قد وجهت الدعوة للدكتور هوارد بلس ليأتي الى باريس ، وليدلي امام مؤتمر الصلح بآرائه حول الوضع في سوريا وذلك لما كان يتحلى به بلس من خبرة واسعة ومعرفة دقيقة بشؤون لبنان وسوريا ، ونسبة الى انه كان رجلاً يتمتع بثقة الأهلين ، مسلمين ومسيحيين وبتقديرهم لما كان يبذره من اهتمام بمستقبل البلدين منذ اليوم الأول لوصول القوات البريطانية والفرنسية (١٠) وبعد ان رحب به كليمنصو شرع بلس بقراءة البيان الذي كان قد اعده . وهذا بعض ما جاء فيه : « ان الالتماس الذي ارفعه الى هذه الهيئة الموقرة بالنيابة عن اهل

سوريا هو ان ترسل فوراً لجنة حيادية مختلطة تمثل الحلفاء الى سوريا لتفسح المجال امام الأهلين في سوريا ، وفي لبنان ايضاً ، للتعبير وبحرية ودون اي عائق ، عن وجهات نظرهم السياسية وعن امانيتهم بالنسبة الى نوع الحكم الذي يرغبون فيه ، وبالنسبة الى الدولة الحامية المنتدبة إذا شأوا ذلك ... واني مقتنع ان مثل هذا الاستفتاء الحر سيكشف عن رغبة الشعب في اقامة دولة ، او دول ، تتطلع آخر الأمر الى نيل الاستقلال التام ، غير انها الآن تسعى الى الحصول على وصاية تقوم بها دولة منتدبة . (١١) وفي ختام بيانه لفت الدكتور بلس انتباه مجلس العشرة الكبار الى «ضرورة الفصل التام بين الدين والدولة» وأضاف قوله : «انه من الأفضل للحكم ان يلازم خطأ موازياً للدين ، وان يسير الاثنان معاً نحو تحقيق غايتها الرائعة متوازيين منفصلين » .

بعد ان انتهى الدكتور بلس من قراءة بيانه اجاب على اسئلة وجهها اليه السيد بيشون والسيد بلفور واللورد ملنر . ثم دخل بعد مغادرته المكان « وفد سوري » برئاسة السيد شكري غانم ، مؤسس « اللجنة السورية المركزية » . وبعد ان قدم كليمنصو اعضاء الوفد السوري طلب الى السيد شكري غانم ان يدلي ببيانه . « (١٢) القى السيد شكري غانم خطبة طويلة منمقة العبارة . قال انه يتكلم « باسم جماعة يقدر عدد اعضائها بأكثر من مليون نسمة . هناك عدد ضئيل من الأمم التي عانت ما عاناه الشعب السوري » هذا اذا كان المرء يؤمن بالنظرية القائلة ان قدرة الشعب على تحمل البؤس والشقاء تزداد بنسبة تقدمه وتطوره الخلقي . انه لا يريد ان يكون تحرير سوريا عن يد اهل الحجاز ، كما انه عارض على ان يتكلم فيصل « ممثل الحجاز » باسم جميع « الناطقين باللغة العربية » وباسم « سوريا » . « ان دمشق تبعد عن مكة بما لا يقل عن الف وخمسمائة كيلومتر . فاية صلات روحية وتقارب ذهني تربط بين طبيعة السوري والحجازي ، بين البدو واهل الحضرة ؟ وهل هناك غالبية من العنصر العربي في سوريا من شأنها ان تعلق او تبرر مثل هذه الفكرة ؟ ان ضم سوريا الى الجزيرة العربية هو افتئات صارخ على قدسية الأرض التي انبت هذا الشعب وعلى تاريخه ... » ولكن مهما يكن من امر فان سوريا تشعر بالحاجة الى العون الأجنبي . « فهل بعد ان فصمت العرى التي تربطنا ، ترفضون مد يد العون لنا كي نخطو الخطوات الأولى ؟ كلا ، انكم تأبون ان تنهضوا بنا الى العلى ثم تتركونا نتهاوى الى ركام قيودنا ... ايها السادة ، ان مصلحتنا ومنطقنا يدفعان بنا الى الاعتراف بأننا نحتاج الى تعاون مع جهة اجنبية » .

اما فيما يتعلق بأمر استفتاء الشعب فان السيد شكري غانم لا يوصي به في الظروف الحاضرة . « انه من الأفضل ، منطقياً ، ان تعين الدول العظمى ، على ما

تتحلى به من حكمة وفطنة ، دولة من بينها مؤهلة لتحقيق هذه الرسالة النبيلة ، ألا وهي معونة بلد صغير لينهض بنفسه ولكي تعود عيون ابنائه على ضوء الحرية ؟ » فأية دولة من بين الدول هي « هذه الدولة » التي كان يشير اليها ؟ قال شكري غانم : « حتى وان اختلف رأيي ورأي زملائي عن رأي الناس الذين تمثلهم فاننا نؤمن ان واجبتنا هو تأدية الرسالة الواضحة المنوطة بنا ، وهي ان نلتمس منكم ، يا اصحاب السعادة ، بناء على معطيات الوثائق المرفقة التي سنرفعها اليكم ، ان تكون دولة فرنسا هي الدولة التي سيوكل اليها امر انشاء دولة سورية فدرالية متكاملة مستقلة ... ان فرنسا ، في نظرنا ، هي الدولة الوحيدة المؤهلة لانجاز ما نصبو اليه ... انها ستكون المرشدة التي تتكلم لغة نفهمها ، والتي ستوحدنا في مصيرنا المشترك . وفرنسا ستكون الحكم الذي اذا تقاضينا عنده فان كل سوء ظن يزول ، وكل نزاع يخف » .

ثم ان السيد غانم انهى خطبته هذه ببيت من الشعر ينم عن عاطفة وعن اسى :

« رب يوم بكيت منه »

ثم قال : « ايها السادة هل ستتركونا نبكي على ماضينا المفجع وانتم املنا الوحيد ، انتم الذين نعتبركم ممثلي العدالة والحق والرحمة الانسانية ؟ » (١٣) يعتقد الأستاذ شوتويل (Shotwell) الذي حضر تلك الجلسة ان خطبة السيد غانم ابطلت مفعولها بنفسها . قبل انعقاد تلك الجلسة ، وفي الثامن من شهر كانون الثاني ، نشرت جريدة المانشستر غارديان مقالا بعنوان « مؤتمر سوري » وردت فيه العبارة التالية : « منذ فترة عقد مؤتمر في مرسيليا ، برعاية اللجنة السورية في باريس ، اتخذ فيه قرار بوضع سوريا تحت الحماية الفرنسية . (١٤) وكان على رأس هذه الحركة رجل قضى كما قال الأمير فيصل ، اربعين سنة من عمره خارج سوريا وهذا الرجل ليس سوى شكري غانم الذي وصفه الأستاذ شوتويل بقوله : « انه رجل ذو ملامح عربية وله لحية طويلة وخطها الشيب » . وكان هذا الرجل قد قرأ بواسطة نظارات في اجتماع للعشرة الكبار خطاباً طويلاً استغرقت قراءته وترجمته ساعتين ونصف ساعة . ويتابع الأستاذ شوتويل كلامه قائلاً : « عندما شرع هذا الرجل بقراءة بيانه دفع الأستاذ وسترمان (Westermann) بقصاصة ورق الى الرئيس ولسن ليقول له ان شكري غانم عاش السنوات الخمس والثلاثين الأخيرة خارج سوريا ، وانه قضى معظم حياته في فرنسا . وكان هذا وحده كافياً على حمل الرئيس ولسون الايبالي والا يكثر بما كان يقوله الرجل . ولم يلبث طويلاً حتى نهض عن كرسيه وتمشى الى الجانب الآخر من القاعة واخذ يحول بصره من النافذة

ويده في جيوب سترته مما أدى الى ارباك الفرنسيين وازعاجهم . وتطاول كليمنصو ليسر في اذن وزير خارجيته ، بيشون ، شيئاً واذ كنت جالساً وراءهما مباشرة سمعت كليمنصو يقول بخشونة : « لماذا جئت بهذا الرجل الى هنا ؟ » ورأيت بيشون يمد يديه بصورة احتجاج يائس قائلاً : « لم اكن اعلم انه سيعالج الأمر على هذا المنوال » ، وكان الأمر اشبه بفضيحة مكشوفة . « (١٥) ربما كان من المفيد ، بهذه المناسبة ، ان نشير الى انه بعد انقضاء ايام قليلة على هذا الاجتماع الذي ذكرناه آنفاً ، وقع حادث كان من شأنه ان يضعف ، ربما ، القضية العربية على الرغم من صعوبة الجزم في الأمر ، نعتي موت السيد مارك سايكس في باريس . وقد قيل ان لويد جورج قال ، بعد سماعه ب وفاة الرجل : « كان رجلاً قللاً أثقلته هموم ، وقد يكون هذا سبب وفاته . » (١٦) وفي مقابلة اجراها المؤلف مع اللورد هانكي (Hankey) قال له هانكي ان سايكس كان ابرز شخصية في فئة صغيرة من الخبراء الذين كانوا يسدون الى لويد جورج النصح والمشورة حول القضايا العربية ، وبعد وفاته بقي مكانه شاغراً ولم يكن هناك من يصلح ان يحل محله .

جاء في وقائع الاجتماعات اليومية التي كان يعقدها المفوضون الأميركيون المطلقو الصلاحية ، بتاريخ ٢٦ شباط ، انهم استدعوا الدكتور هوارد بلس (Bliss) وانه القى البيان التالي :

« اعلن بلس ان سوريا بلد صغير ولكن القضية السورية تنطوي على مبدأ صريح ، وهو امر يحس شرف الولايات المتحدة وحلفائها . ان سوريا تعتمد على ما جاء في نقاط الرئيس ولسن والمتعلق بحق تقرير مصير الشعوب ، ولا سيما فيما يتعلق بالنقطة الثانية عشرة التي تشير الى الشؤون التركية . وكذلك اصدت فرنسا تصريحاً في شهر تشرين الثاني ، ١٩١٨ ، لخص لهم الدكتور بلس تاريخه ومضمونه ، ولكن يبدو ان الفرنسيين يتجاهلونه الآن . الح الدكتور بلس على ارسال لجنة مختلطة تمثل الحلفاء لتقصي حقيقة الأمر . ومهما تكن النتائج التي ستوصل اليها اللجنة ، فان الاجراء هذا ، في حد ذاته ، سيكون عملاً يرضي متطلبات الشرف . وذكر لانسنغ (Lansing) انه كان قد تقدم بطلب مماثل ولكن بيشون رفض ذلك بناء على اوامر صدرت اليه من كليمنصو . ووعد لانسنغ انه مستعد لملاحقة هذا الاقتراح بغزم واصرار شريطة ان يكون واثقاً من معاونة الانكليز له .

« اعلن الدكتور بلس عن رأيه من ان البلاد ينبغي الا تسلم الى سيطرة دولة اخرى قبل استشارة سكانها وقبل الاطلاع على رغائبهم . وقد وافق المفوضون على ذلك . » (١٧) واما التقرير الرسمي الثاني عما جرى من بحث حول القضية السورية فمصدره ، هذه المرة ، السيد دافيد هنتر ميلر (Miller). عقد نهار الاثنين

الواقع فيه ١٠ آذار اجتماع في مبنى وزارة الحربية في باريس بين كليمنصو ولويد جورج والكونول هوس (House) . وقد كتب ملر عن هذا الاجتماع يقول : « في هذا الاجتماع بحثت القضية السورية ولكن لم يتوصل الحانبان الى اتفاق وذلك لأن كليمنصو طلب مزيداً من الوقت ليفكر بالأمر . ان الفرنسيين يصرون على الحصول على سوريا بكاملها . فقال لويد جورج انه يوافق على اعطاء فرنسا لبنان ولكن يجب ان يكون هناك فاصل في الحد الشمالي للبنان ليتسنى للبريطانيين وللعرب الحصول على منفذ الى البحر . (١٨) لم يكن لويد جورج يرغب في ان يرى الفرنسيين يستولون على الخطوط الحديدية التي تمتد شمالاً ناحية تركيا والتي كان الجنرال فوش يصر على الحصول عليها . وكذلك طلب كليمنصو مزيداً من الوقت ليفكر في الأمر . » (١٩)

بعد يومين كتب الكونول هوس (House) الذي حضر الاجتماع في مقر وزارة الحربية الفرنسية ، في مذكراته ما يلي : « مشكلة اخرى معقدة هي مشكلة سوريا . يقول لويد جورج ان الفرنسيين يخلقون المشاكل لأنفسهم ، وستقع الحرب بكل تأكيد اذا هم اصرروا على خطتهم الحالية . » (٢٠)

ولكن يبدو ان اول نقاش جدي حول سوريا بعد الزيارة التي قام بها كليمنصو الى لندن ليحضر اجتماع المجلس الأعلى للحلفاء في شهر كانون الأول من سنة ١٩١٨ ، جرى في باريس في اجتماع سري عقده رؤساء الدول الأربع الكبرى في شقة لويد جورج ، وذلك بعد ظهر اليوم العشرين من شهر آذار . ولدينا وقائع هذا الاجتماع . (٢١)

بدأ النقاش السيد بيشون ، وزير الخارجية الفرنسية . واوضح ان بدء الخلاف حول هذه القضية يعود الى اتفاقية سنة ١٩١٦ ، اي اتفاقية سايكس - بيكو . ويرى بيشون ان لهذه الاتفاقية هدفين : « الأول فصل العرب عن الأتراك والثاني حسم المطالب التي تطالب بها كل من بريطانيا وفرنسا » . وبعد ان لخص محتويات تلك الاتفاقية ، وبعد ان تلا تصريح الثامن من تشرين الثاني ، ١٩١٨ ، انتقل بيشون الى الكلام عن الاجتماع الذي تم بين كليمنصو ولويد جورج في لندن في شهر كانون الأول ، ١٩١٨ . ثم القى بياناً حول الروابط التاريخية التقليدية التي تربط بين فرنسا وسوريا ، وأضاف قوله « ان الرأي العام الفرنسي يرفض اقضاء فرنسا ، ولو جزئياً ، عن سوريا » .

أجاب لويد جورج انه لا يحيد عن مضمون اتفاقية ١٩١٦ الا بالنسبة الى الموصل وفلسطين . « ان السيد بيشون قد اغفل في بيانه الواضح ايضاح امر المنطقة الزرقاء التي سمح فيها لفرنسا باقامة ادارة ، او نوع من السيطرة المباشرة او غير المباشرة

بحسب ما تشاء فرنسا ، وبحسب ما تراه مناسباً من تدبير هذا الأمر مع الدولة العربية ، او مع دول عربية متحدة اتحاداً كوندراالياً ، اقول ان السيد بيشون اغفل هذه الحقيقة وهي ان المنطقة الزرقاء لم تضم دمشق وحمص وحماة وحلب . وفي المنطقة الموسومة بـ « أ » ابدت فرنسا استعدادها للإعتراف ولساندة انشاء دولة عربية مستقلة او اتحاد كوندراالي لدول عربية ... برئاسة زعيم عربي . كما ان لفرنسا في هذه المنطقة ، منطقة « أ » الأولوية في المشاريع المختلفة وفي منح القروض المالية المحلية ... وسيكون لها وحدها الحق بتزويد المنطقة بالمستشارين او الموظفين الأجانب وذلك بطلب من الحكومة العربية او الاتحاد العربي الكوندراالي . هل فرنسا على استعداد ان تعلن قبولها بهذا ؟ مع العلم ان هذه القضية ليست مشكلة بين بريطانيا وفرنسا بقدر ما هي مشكلة بين فرنسا واتفاقية وقعتها نحن مع الحسين .

« وطلب السيد بيشون ان يقول كلمة واحدة . اذا فرضت عصبة الأمم الانتداب على هذه الممتلكات العثمانية ، فان جل ما يطلبه هو ان يكون هذا الجزء من نصيب فرنسا » .

« اجاب لويد جورج اننا لا نستطيع ان نفعل مثل هذا الأمر ، اذ لا يمكن استخدام عصبة الأمم لتحلنا من الالتزامات التي التزمنا بها نحو الملك حسين . ثم التفت الى السيد بيشون وسأله اذا كان يعتزم احتلال دمشق بجيوش فرنسية . و اضاف قوله اذا كانت فرنسا تعترم القيام بمثل هذا العمل فانه يعتبر انها كما صارخاً لمعاهدتنا مع العرب . فاجاب بيشون انه ليس هناك اية معاهدة بين فرنسا والملك حسين . »

« ثم ان لويد جورج قال ان اتفاقية سنة ١٩١٦ (اي اتفاقية سايكس - بيكو) برمتها ترتكز الى رسالة بعث بها السير هنري مكماهون الى الملك حسين . ثم قرأ منها المقتطفات التالية : ان ولايتي مرسين واسكندرونة ، واجزاء من بلاد الشام (سوريا) الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق وحمص وحماة وحلب لا يمكن ان يقال انها عربية محضة ، وعليه يجب ان تستثنى من الحدود المقترحة . ومع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود . وأما بالنسبة للأقاليم التي تضمها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف دون ان تمس مصالح حليفاتها فرنسا فاني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى ان اجيب على كتابكم بما يلي :

انه مع مراعاة التعديلات المذكورة اعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها شريف مكة » . (مقتبس عن رسالة بعث بها السيد هنري مكماهون الى الملك

حسين بتاريخ ٢٤ تشرين الاول ، ١٩١٥) .

« اجاب بيشون ان هذا التدبير قامت به بريطانيا العظمى منفردة وان فرنسا لم تكن تعرف عن هذا الأمر شيئاً الى ان سلمه السير موريس هانكي نسخة عن هذه الرسالة منذ اسابيع قليلة » .

« اجاب لويد جورج بأن الاتفاقية يمكن اعتبارها من تدبير بريطانيا بمفردها ، ولكن بريطانيا هي التي نظمت الحملة العسكرية بكاملها في سوريا . ولولا بريطانيا لما كان هناك ذكر لسوريا ، ذلك ان بريطانيا جندت بين تسع مئة الف جندي ومليون جندي لمحاربة تركيا . ولكن العون الذي اسداه لنا العرب كان امراً حيوياً . وهذه نقطة يمكن للجنرال اللنبي ان يتكلم عنها . »

« قال الجنرال اللنبي ان العون كان لا يقدر بثمن » .

« وتابع لويد جورج كلامه فقال انه بناء على هذه الرسالة التي أشرت اليها آنفاً دفع الملك حسين بجميع امكاناته العسكرية الى ساحة المعركة ، فكان عوننا عاملاً مادياً اعاننا على احراز النصر . وكانت فرنسا ، لأسباب عملية جوهرية ، قد وافقت على تعهداتنا للملك حسين ، بدليل توقيعها اتفاقية سنة ١٩١٦ (اتفاقية سايكس - بيكو) . ولم يكن السيد بيشون المسؤول عن هذا الأمر بل سلفه . وكان يتوجب عليه القول انه اذا وافقت بريطانيا العظمى الآن على ان تكون دمشق وحمص وحماة وحلب داخلة ضمن منطقة النفوذ الفرنسي المباشر ، فان الانكليز ، يكونون بذلك قد حثوا بعهودهم للعرب ، وهو امر عسير عليهم ان يتحملوا نتائجهم بضمير حي » (وكان لويد جورج شديد الحرص على ان يتابع كليمنصو سياق النقاش حول هذا الأمر . ان اتفاقية ١٩١٦ كان قد وقع عليها في وقت لاحق بعد زمن الرسالة التي بعث بها مكماهون للملك حسين) .

وهكذا لم يتوصل الطرفان ، فرنسا وبريطانيا ، الى اي قدر من الاتفاق . وبعد ان فرغ صبر الرئيس ولسن ، وفي ساعة كان فيها شديد الامتعاض صرح قائلاً : « مهما يكن من امر ، فان وجهة نظر الولايات المتحدة هي عدم الاكتراب بادعاءات كل من فرنسا وبريطانيا بشأن سيطرتهم على شعوب مختلفة اذا لم تكن هذه الشعوب تريد سيطرتهم عليها . ان المبدأ الجوهري الذي تلتزم به الولايات المتحدة هو موافقة الشعوب المحكومة ... » ان الطريقة الوحيدة لمعالجة هذه القضية التي نحن بصدد حلها هي « ان نطلع على رغائب سكان هذه المناطق » . وعليه اقترح الرئيس ولسن « اختيار افضل الناس من ذوي الخبرة والمؤهلات لتشكيل لجنة مختلطة تمثل الحلفاء تذهب الى سوريا ، واذا حملتهم تحقيقاتهم على توسيع النطاق ، فالى ما وراء حدود سوريا ... » ثم ، نزولاً عند طلب لويد جورج « وافق الرئيس ولسن

على ان يتولى وضع مسودة لصلاحيات هذه اللجنة المقترحة » .

ان الذين دخلوا الى ذلك الاجتماع وهم لا يعرفون كيف يعالجون القضية السورية ، خرجوا منه وهم لا يعرفون لها حلاً . اما ويكهام ستيد (Steed) الذي كان في باريس آنذاك والذي كان يبدي اهتماماً شديداً بالشؤون العربية ، كتب يقول عن ذلك الاجتماع السري الذي عقد في ٢٠ آذار : « في هذا الاجتماع بحثت القضية السورية والاتفاقية الفرنسية البريطانية المتعلقة بها . كذلك جرى البحث حول الاتفاقات السرية بصورة عامة ، وأسفر الاجتماع عن مزيد من الفوضى والابهام . وخرج الرئيس ولسون يصب اللعنات على كل انسان وعلى كل ما حصل قاتلاً انه لم يفعل شيئاً سوى الكلام لمدة ٤٨ ساعة وانه شديد الاستياء والامتعاض من هذه القضية برمتها » (٢٢) .

ولم يكن يبدو ان هناك مخرجاً من المأزق الذي وقعت فيه الدولتان الفرنسية وبريطانيا العظمى ، كما انه لم يكن هناك من سبيل الى تسوية الخلاف بينهما . اما فيصل الذي كان قد انقضى على اقامته في باريس قرابة ثلاثة اشهر فانه اخذ يستعد للعودة الى دمشق . في هذه الفترة بالذات « وحرصاً على تلافي الانفصام » راح ويكهام ستيد يبذل قصارى جهده ليجمع بين مناصري وجهة النظر البريطانية ومناصري وجهة النظر الفرنسية بغية التوفيق بينهما . وقد اجتمع الطرفان في مكتب السيد ستيد . ويتابع ستيد كلامه فيقول : « لمدة تقرب من ست ساعات بحثنا القضية من جميع جوانبها وتوصلنا الى قدر من الاتفاق لا يستهان به بحيث تعهد لورنس باسداء النصح الى فيصل الا يغادر باريس ، بينما تعهد الفرنسيون من جانبهم ان يحجروا اتصالاً مباشراً مع فيصل . وبهذه الوسيلة كنا نأمل ان نحول دون ضرورة ارسال لجنة خاصة من مؤتمر الصلح الى سوريا ، وان نسوي القضية في باريس . » (٢٣) وفي اعقاب هذا الاجتماع اعد السيد ستيد مذكرة اجمل فيها ما جرى في ذلك الاجتماع غير الرسمي ورفعها الى الوفد الأميركي الذي رفعها بدوره الى الرئيس ولسون . ومن المرجح كثيراً أن هذه المذكرة التي اعددها ستيد هي ذاتها الوثيقة التي أدرجها هنري ميلر (Miller) في « مذكراته » تحت رقم ٦٠٨ (٢٤) . ويبدو ان القرارات التي اتخذت في ذلك الاجتماع اسفرت عن اللقاء الذي تم بين السيد كليمنصو والأمير فيصل في وزارة الحرية في باريس يوم السادس عشر من شهر نيسان . وقد ترك لنا السيد ساطع الحصري - وكان صديقاً ودوداً لفيصل وناصباً مخلصاً له - سجلاً بما جرى من حديث في ذلك اللقاء الذي تم بين كليمنصو وفيصل وذلك بناء على « مذكرات » الأمير الشخصية :

قال كليمنصو : « ان الانكليز سينسحبون من الشام وحلب ، واني اود ان تقوم

عساكرنا مقام العساكر الانكليزية هناك .

فأجابه الأمير فيصل على الفور :

- انا لا استطيع الموافقة على هذه الفكرة ، فسوريا لا تحتاج الى عساكر اجنبية ، واذا احتاجت الى جنود اجنبية ، فيما بعد ، فانها لا تتأخر ان تطلب منكم يد المعونة ... غير ان كليمنصو رد على بيانات الأمير بالكلمات التالية :

- انا لا اود احتلال البلاد ، وانما اقول ذلك نظراً للحالة الراهنة ، فلو كان الأمر راجعاً الي ، لما كنت اختلفت معكم دقيقة واحدة ، بل كنت اتفق معكم على كل ما تريدونه . غير ان الأمة الفرنسية لا يرضيها ان لا يكون في سوريا اثر يدل على وجود فرنسا فيها . فاذا لم تمثل فرنسا في سوريا بعلمها وعساكرها فان الأمة تعد ذلك عاراً كفرار الجندي من ساحة القتال ... على اننا لا نود ان نرسل قوة كبيرة ، بل نفرأ قليلاً ... ولا مانع ان يوضع علمكم الى جانب علمنا ... » (٢٥) وفي اليوم التالي تسلم فيصل مسودة الصيغة التمهيدية لرسالة كان قد وضعها كليمنصو نفسه « وفيها طلب برد الجواب عنها » . وعندما تسلم الجانب الفرنسي مسودة صيغة الرد الذي وضعه فيصل رفض السيد روبر دي كاي (De Caix) (الذي كان ينوب عن كليمنصو) تسلمه ، ولذا لم ترسل رسالة كليمنصو بصيغتها النهائية الى فيصل . اما صيغة الرد التي بعث بها فيصل فكانت « بياناً صريحاً عما يريد السوريون من الحلفاء ، وما هم مستعدون لتقديمه الى فرنسا . » (٢٦) في صيغة الرسالة التي كان كليمنصو قد اعددها لتسلم الى الأمير فيصل وردت الفقرة التالية :

« ان الحكومة الفرنسية ، رغبة منها بتوفير عهد من الحرية والتقدم لكل من سوريا وأرمينيا والعراق وسائر بلدان المشرق وفقاً للمبادئ التي تستوحىها هذه الحكومة ، والذي يعتمدها مؤتمر الصلح اساساً جوهرياً لمداولاته ، تعلن اعترافها بحق سوريا في الاستقلال بشكل اتحاد فدرالي يتألف من حكومات محلية تتمتع بالاستقلال الذاتي مما يتناسب مع تقاليد السكان ورغائبهم . وان فرنسا مستعدة تمام الاستعداد لتقديم عونها المادي والروحي لدعم هذا التحرر الذي فازت به سوريا . » (٢٧)

في العشرين من شهر نيسان بعث فيصل ، قبل مغادرته باريس الى دمشق بيوم واحد برسالة اخرى الى كليمنصو حوت عبارات المجاملة الودية ولكنها كانت خالية من كل ارتباط وتعهد . وذكر « ان التعاطف العميق بين الشعب الفرنسي والشعب السوري يقوم على اسس من التقليد القديم الذي اود ان يؤكد لسعادتك اني سأحاول جهدي في الحفاظ عليه . » اما الفقرة الثانية من الرسالة فقد كانت تحتوي

إشارة عابرة لا شك انها كانت من النوع الذي يزعم كليمنصو . كتب الأمير :
« لقد تركت عباراتكم الودية التي تنم عن تجرد في نفسي اثرأ بالغا في اثناء
اجتماعي بسعادتكم خلال اقامتي في باريس . وارى لزاماً علي ان ارفع اليكم خالص
شكري لأنكم كنتم اول من اقترح ارسال لجنة مشتركة للحلفاء لتذهب بعد فترة
وجيزة الى المشرق للتأكد من رغائب الأهلين وأمانهم فيما يتعلق بالتنظيم العتيد
لبلادهم . واني متأكد ان الشعب السوري يعرف كيف يعتبر لكم عن عرفانه
الجميل لسعادتكم . » (٢٨) وكانت الأحداث تسير ببطء كما ان المأزق الذي بلغته
القضية السورية استمر على ما كان عليه . وبقي لويد جورج وكليمنصو على خلاف
شديد حول القضية السورية ، كما ان لورنس لم يقدم اية معونة تذكر لحلها . وكانت
الوزارة الخارجية الفرنسية تعترض سبيل هذه القضية بعناد وعند منصرم شهر نيسان
قال السيد روبر دي كاي (De Caix) للسيد ستيد « ان لويد جورج قد وعد كليمنصو
بأن يقول للأمير فيصل ان عليه ، في المستقبل ، ان يصل الى اتفاق مع فرنسا التي
ستكفل بدفع المعونات المالية التي كانت بريطانيا تدفعها له ، ولكن لويد جورج
لم يف بوعده هذا . » (٢٩)

في هذه الأثناء غادر فيصل فرنسا قاصداً سوريا (٣٠)، وفور وصوله الى دمشق
اصدر بياناً في اليوم الأول من ايار موجهاً الى « ابناء سورية العزيزة » اعلن فيه ان
الاتفاق قد تم ، مبدئياً ، على منح سوريا استقلالها ، وعلى ارسال لجنة تحقيق دولية .
« وبهذا ترون انه قد تم القسم الأعظم من المهمة الخارجية التي نعمل لأجلها . وذلك
بحسن نيات الحكومات الأربع المعظمة وصدقهم في اقوالهم وتمسكهم بالمبادئ
السامية التي جعلوها دستوراً لأعمالهم وطبقاً لأمانهم . اما المشكلات الداخلية
فتقع مسؤولية معالجتها على الأمة نفسها . وعلى هذه الأمة ان تبرهن للجنة الدولية
انها خليقة بالاستقلال ولها من المؤهلات ما يمكنها من ادارة شؤونها بنفسها . ولهذا
السبب ينبغي ان « تعملوا وغايتكم متحدة والصدق رائدكم في اقوالكم وأعمالكم ...
متمسكين باهداف الحزم ، متخذين اسباب السكينة والتؤدة والغيرة على هذا
الوطن ... » (٣١)

في الخامس من ايار القى فيصل خطاباً في مبنى بلدية دمشق ضم جمهوراً غفيراً
من اعيان البلاد وزعمائها الذين كانوا قد وفدوا الى دمشق من سائر المناطق السورية
ومن بعض المناطق اللبنانية . وبعد ان اشار باقتضاب الى تاريخ الثورة العربية
واهدهاها شرع في الكلام عن دفاعه عن الأراضي العربية في مؤتمر الصلح المنعقد
في باريس حيث كان يمثل والده . وقال ان دفاعه كان على قسمين :
« القسم الأول - البلاد العربية لا يمكن تجزئتها .

القسم الثاني - بما ان بين سكان البلاد العربية اختلافات في طبقات العلم
والتعليم يس الا ، فالظروف ليست كافية لتجعلهم امة واحدة وحكومة واحدة .
لذلك رأيت الدفاع كما يلي :

ان سورية والحجاز والعراق قطعات عربية . وكل قطعة فيها يطلب اهلها الاستقلال
وقلت ان نجداً والبلاد المساوية للحجاز من الأقطار العربية هي تابعة للحجاز ليس
إلا ، وهذه يرأسها والذي . اما سورية فيجب ان تكون مستقلة . وكذلك العراق
يريد استقلاله ... دافعت عن سوريا بخدودها الطبيعية ، وقلت ان السوريين يطلبون
استقلال بلادهم الطبيعية ، ولا يريدون ان يشاركهم فيه شريك ... » وزعم فيصل
ان الأمم الغربية « بعد ان وقفوا على حقيقة الأمر وعرفوا ما هي مقاصد السوريين
اذعنوا لهم واعطوهم كل ما يطلبونه . وها انا بين ايديكم ، قد قدمت اليكم من
مؤتمر السلم ، ابلغكم ذلك ... »

« والآن ... اريد ممن حضر من ممثلي الأمة - الذين في حالتهم الحاضرة ليسوا
ممثلها بالصورة الحقيقية ، ولكنهم بموقفهم الأدنى يمثلون الأمة معنوياً - اطلب
منهم ان يصرحوا لي بأفكارهم وان يقولوا لي هل ما قمنا به في السابق هو حسن ام لا ؟
(فأجاب الأمير على سؤاله : « حسن حسن . واعقب بالتصفيق وهتاف) .
« وهل اعمالنا مقرونة برضى الأمة ام لا ؟ (فأجاب الجميع : نعم ، نعم وكل
الرضى وفوق الرضى . تصفيق وهتاف) . »

ولما اخذ « ممثلو الأمة » يعبرون عن ارائهم كل بمفرده ، كانت اقوالهم
تتراوح بين من كان يضع كامل ثقته واعتماده بالأمير وبين من كان يقول :
« تفديك الأمة بأموالها وأنفسها وأرواحها » .

وختم الأمير كلامه قائلاً : « ارجو ان تعتمد الأمة على الأمم التي حالفتها
وناصرتها ، والتي لولاها لم نستطع الاجتماع الآن ... فعلياً ان ثبت لهم اننا امة
تريد ان تستقل ... هذا وارجوكم رجاء خاصاً ادعوكم به الى الاتحاد وجمع الكلمة
فهذه وظيفة الأمة ، كما هي وظيفتي الخاصة ، اذ انا فرد منكم ... » (٣٢) .

الفصل الثامن الخلاف بين لويد جورج وكليمنصو

(كان كليمنصو أبرز الاعضاء في مجلس الاربعة الكبار دون منازع . . . وكان لويد جورج يحتل مركزاً بارزاً وسطاً . ولتذكر القارئ ان لويد جورج كان رجلاً شغوفاً بالمساومة ، يضحى بالجوهر ليفوز بالعرض . وكانت امينته العزيزة ، عندما طالأت الايام ، ان يصل الى نتيجة ما كي يعود الى انكلترا . فلا عجب ان المنتصر الحقيقي ، عند التسوية النهائية ، كان كليمنصو .)

John Maynard Keynes, Essay in Biography

في باريس ، كان شهر أيار شهر تدمير مريع ، واتهامات مضادة عنيفة . كان كليمنصو ووزير خارجيته بيшон يتخذان موقف الهجوم ، بينما كان موقف لويد جورج يزداد تصلباً ازاء مطالب فرنسا في سوريا .

في الرابع من ايار استدعى كليمنصو ويكهام ستيد «وشكا له بمرارة من ان لويد جورج كان دوماً ينقض الوعود التي كان يقطعها على نفسه .» و اضاف قائلاً : «في بادئ الامر ابدى لويد جورج موافقته التامة على ان تكون فرنسا الدولة المنتدبة على سوريا ، انما كان الرئيس ولسون يقف عقبة دون ذلك . فكان لويد جورج يقول لي اذهب واتفق مع ولسن اولاً فتراني اقف الى جانبك في كل امر شريطة الاستئوي على سوريا بقوة السلاح ، وشريطة ان تتخلي عن مطالبك في قيليقيا وأن تترك الموصل ضمن منطقة النفوذ البريطاني . وقد نفذت هذه الشروط كلها . ولكن بعد ان اتفقت مع ولسن ومعاونيه الكابتن هوس (House) لم يفعل لويد جورج شيئاً .» (١) في هذه الأثناء ، وبينما كان الفرنسيون يفتشون عن طريق مختصرة للوصول

الى هدفهم وسط المتاهات المربكة التي خلقتها «اتفاقيات» الحلفاء وتعهدات بريطانيا للعرب ، طلبت فرنسا حق الانتداب على سوريا . لكن لويد جورج ، في بادئ الامر ، رفض الموافقة على هذه الفكرة . ان وقائع مجلس الحلفاء الأعلى تظهر ان نظام الانتداب بحث فيه لأول مرة في جلسته التي عقدها في الثلاثين من كانون الثاني ، ١٩١٩ (٢) . وكان بيшон ، وزير الخارجية الفرنسية ، اول من اوعز به في الجلسة السرية التي عقدها الكبار الاربعة في ٢٠ آذار . قال بيшон : «اذا قطع لفرنسا عهد بأن تكون الدولة المنتدبة على سوريا ، فان فرنسا تتعهد الا تقوم بعمل ما الا بعد موافقة الدولة العربية ، او اتحاد الدول العربية الفدرالي عليه . وهذا هو الدور الذي ترغب فرنسا في القيام به في سوريا .» (٣) وفي الحادي عشر من ايار سأل كليمنصو السيد ستيد «اذا كان بإمكانه ان يحمل البريطانيين على الموافقة باعطاء فرنسا حق الانتداب على سوريا ، وباستبدال الحاميات البريطانية هناك بحاميات فرنسية ، وذلك بمعونة السلطات البريطانية وبرضاها .» (٤)

في هذه الأثناء نقل فيصل الى السلطات البريطانية حقيقة موقفه من الفرنسيين ، وبكل صراحة . ففي الثامن عشر من ايار جرت مقابلة بين الجنرال كلايتون والأمير فيصل في دمشق . وبعد يوم نقل الجنرال كلايتون نتيجة المقابلة الى الجنرال اللنبي الذي نقلها بدوره برقية الى اللورد كرزون (Curzon) في ٢١ ايار من القاهرة . وفيما يلي نص البرقية الهامة التي ارسلها اللنبي :

«تلقيت البرقية التالية من رئيس المكتب السياسي الجنرال كلايتون ، التي يقول فيها :

«لقد قابلت الأمير فيصل امس واليوم . وفي أثناء الحديث أثار قضية سياسته نحو الفرنسيين . وأخبرني انه ، بايعاز من لورنس ، قابل كليمنصو واتفق معه شفوياً على ان يبذل جهده لاقتناع السوريين بقبول الانتداب الفرنسي على سوريا شريطة ان تعترف فرنسا باستقلال سوريا . وقد اعترف لي فيصل بصراحة انه لم يكن ينوي اطلاقاً تنفيذ ما طلبه كليمنصو ، وان سوريا تعارض التغلغل الفرنسي في سوريا معارضة عنيفة مهما تكن طبيعة ذلك التغلغل . وقال لي انه يرحب بالانتداب البريطاني ، ولكنه لا يستطيع ان يطلب الانتداب البريطاني على سوريا لأنه غير واثق من ان البريطانيين يرغبون في الانتداب اذا ما عرض عليهم . وقد طرح فيصل هذا السؤال على رئيس الوزارة لويد جورج ولكنه لم يفز منه بجواب مباشر صريح . وواضح ان فيصلاً متزعج من نتائج هذه السياسة الملتوية الخفية ازاء فرنسا وطلب مني المشورة . وقد قلت له ان سياسة الدس والخديعة ، في نظري ، تعود بالضرر عليه ، كما ان من شأنها ان تعرض العلاقات الفرنسية البريطانية الى ما لا تحمد عقباه بالتالي

تعرض العلاقات البريطانية الى المخاطر . وعليه وطد فيصل العزم على ان ينتظر حتى
مقدم لجنة مؤتمر الصلح ، لكي يعرض عليها المطالب المحددة الآتية :
اولاً : ان استقلال سوريا شرط اساسي يقوم عليه اي انتداب قد يقرره مؤتمر
الصلح ويفرضه على سوريا .

ثانياً : ان اية معونة تقدم الى الدولة السورية وأي نصيح يسدى اليها ينبغي ان يكون
عن طريق بريطانيا العظمى ، واذا رفضت بريطانيا فعن طريق اميركا ،
واذا رفضت اميركا فعن طريق الدول الثلاث مجتمعة : بريطانيا العظمى
واميركا وفرنسا ، وفي اية حال لا يمكن ان تتفرد فرنسا بمثل هذا الأمر .
وهذا يتفق مع الانطباعات التي انطبعت في نفسي (يوم كنت في دمشق)
في الثاني عشر من شهر ايار . « (٥) »

في هذه الأثناء كان موقف العرب في سوريا يزداد عداء نحو فرنسا . فقد جاء
في تقرير « حول الوضع السياسي في البلاد العربية » كان قد اعده الكولونل ك.
كورنواليس (Cornwallis) بتاريخ ١٦ ايار « ان رجال السياسة في دمشق
يعتقون مبدئين اساسيين لا ثالث لهما ؟ اولاً يريدون الاستقلال ، وثانياً انهم لا
يريدون فرنسا . ان شعور العداء لدى النخبة منهم نحو الفرنسيين عتيف الى حد يدعو
الى الاستغراب ... » . « (٦) »

وفي اليوم التالي كتبت جريدة التايمز (V) تقول : « ان المقال الذي ظهر هذا
الصباح في جريدة « اكو دي باري » (Echo de Paris) بقلم برتيناكس (Pertinax)
يظهر جلياً قلق الفرنسيين حول مستقبلهم في سوريا الذي عبرت عنه صحافتهم في
اكثر من مناسبة واحدة في اثناء انعقاد المؤتمر . وخلاصة وجهة النظر التي يتحدث
عنها برتيناكس هي ان الدبلوماسية الفرنسية المنهكة بالوضع على الجبهة الغربية
لا تبالي بما يحدث من شؤون في الشرق ، الأمر الذي مكن البريطانيين من اغتصاب
النفوذ الذي كان لفرنسا في تلك البلاد . واليوم ، وفي الوقت الذي سترقر فيه توزيع
الانتداب على الأجزاء المختلفة المسلحة عن الامبراطورية العثمانية بين الدول
العظمى نجد ، عند حد قول برتيناكس ، ان الأمير فيصل ، وهو ولي نعمة الانكليز ،
قد استقر في دمشق ، وان بريطانيا انشأت لها حاميات عسكرية في سوريا جنودها
من البريطانيين والحجازيين » .

واضافت التايمز ملاحظة ذات مغزى عندما كتبت تقول : « ينبغي الا يقلق
حلفاؤنا بسبب السياسة التي نتبعها في المشرق . فان بريطانيا كانت دوماً تعترف
بحق فرنسا باعتبارها سوريا منطقة نفوذ خاصة بها ... والان ينبغي ان يعهد بالانتداب
على سوريا الى دولة ما . اما بريطانيا فانها زاهدة فيه ، وقد اعلن لويد جورج هذا

الزهد امام العالم كله . وهكذا فان الدولة الثانية الوحيدة التي ترغب فيه هي فرنسا ... »
عندما بلغت الأمور هذا الحد من المماطلة والتسويف في الوصول الى قرار
حاسم نهائي حول القضية السورية كان كليمنصو قد فرغ صبره . فقد كان يخشى
على مركزه السياسي من التعرض الى الخطر بسبب النقد الذي كانت توجهه اليه
اوساط المحافظين ورجال الدين من انه لا يبدي حماسة او اهتماماً جدياً بالقضية
السورية . (٨) ولذا فانه في اجتماع مجلس الأربعة الكبار (وكانوا في تلك الجلسة
ثلاثة) (٩) القى خطاباً عنيفاً عندما اجتمع المجلس في الحادي والعشرين والثاني
والعشرين من شهر ايار لبحث المسألة السورية .

وقد جاء في وقائع ذلك الاجتماع (١٠) ما يلي :

« شكاً كليمنصو من ان لويد جورج لم يف بالعهود التي قطعها له . وعندما
سأله لويد جورج كيف يفسر عدم الوفاء بالعهود التي قطعت اجاب كليمنصو انه
عندما لاحظ ، في خريف سنة ١٩١٨ ، تصرف الانكليز في سوريا ، ذهب الى لندن وطلب
الى لويد جورج ان يقول له بصراحة وبتحديد ماذا يريد . عندها قال له لويد جورج
اريد الموصل وفلسطين . ثم انه عاد الى باريس ، وعلى الرغم من معارضة السيد بيشون
وزراعة الخارجية الفرنسية ، فانه وافق على مطلب لويد جورج . ثم ان لويد جورج
اكّد ان الدولتين ، بريطانيا وفرنسا ستسيران بوافق جنباً الى جنب . كذلك شكاً
كليمنصو من التباطؤ الذي يمارسه البريطانيون في جلاء الجيوش البريطانية عن
سوريا واحلال جيوش فرنسية مكانها . كما ان اللورد ميلنر (Milner) كان قد
وعد ان يساعد كليمنصو في تقريب وجهات النظر بينه وبين الامير فيصل ، ولكنه
لم يفعل شيئاً من هذا ... »

ثم ان كليمنصو تقدم بنداء عاطفي ملتصقاً من المؤتمرين الابقاء على التضامن
الانكلو - فرنسي والتضامن الفرنسي الاميركي .

وقال لويد جورج « بصدد الحث بالوعود انه اتهم لا يقوم على اساس من
الصحة . »

ولاحظ كليمنصو ان هناك « اتفاقاً واضحاً صريحاً عقد بين فرنسا وانكلترا
بصدد سوريا . »

« فقال لويد جورج انه تم الاتفاق في لندن على ان تكون سوريا نصيب فرنسا ،
والموصل من نصيب بريطانيا ، وبما ان الموصل جزء جغرافي طبيعي من العراق فينبغي
ان تكون جزءاً لا ينفصم عن العراق ويكون البلدان من نصيب بريطانيا . »

ربما كانت المذكرة التي قدمها السيد لويد جورج اهم حدث في ذلك الاجتماع .
وعنوان المذكرة « مشروع تسوية لقضية الامبراطورية العثمانية » وينص البندان السابع

والثامن على ما يلي :
« البند السابع - تحصل فرنسا على انتداب موقت على سوريا الى ان تقدم اللجنة التي هي في طريقها الآن الى منطقة الشرق الادنى تقريرها .
« البند الثامن - وتحصل بريطانيا على انتداب موقت على العراق وفلسطين الى ان تقدم اللجنة التي هي الآن في طريقها الى الشرق الادنى تقريرها » . ولكن كليمنصو لم يكن راضياً اطلاقاً عن هذا التدبير . فان كلمة « موقت » لم تعجبه وكذلك العبارة الشرطية « الى ان تقدم اللجنة تقريرها » وهي لجنة عارض على تشكيلها منذ البداية ، ولم يداي اهتمام بأمرها .

عندما اجتمع مجلس الكبار الاربعة في اليوم التالي قال لويد جورج :
« ان المنطقة التي هي موضع النزاع ، بحسب ما نصت عليه اتفاقية سايكس - بيكو ، لم تكن منطقة مخصصة لفرنسا ، بل كانت بأسرها منطقة عربية . وهذا ينطبق على دمشق وحلب وحمص التي نص عليها انها داخلية في المنطقة العربية . وبحسب منطوق اتفاقية سايكس - بيكو لم تكن هذه المدن من منطقة سوريا ، ولم يكن لفرنسا سوى المنطقة الساحلية . واني اكون مسروراً اذا ما كان في النية الحفاظ على هذه الاتفاقية . وذكر انه يوافق على القول ان هذه الاتفاقية كانت اتفاقية رديئة ، ولكنه يود ان يعلم اذا كانت لا تزال قائمة اولاً ، فاذا كانت لا تزال سارية المفعول فان فرنسا ليس لها الحق ان ترفع راية او ان تضع جندياً في المنطقة العربية . انما لفرنسا الحق ان تمد هذه المنطقة بالمستشارين . »

ثم تقدم بعرض حجة ثانية - ولكنها حجة لم يكن اختيارها مناسباً سيكولوجياً اذ ذلك لانها مست شعور كليمنصو - وهي ان المجهود الحربي الذي بذلته بريطانيا لقهر الامبراطورية العثمانية واسقاطها كان اكثر بكثير من المجهود الحربي الفرنسي . فقد بلغ عدد الضحايا من البريطانيين انفسهم - لا من الجنود الملونين - مئة وخمسة وعشرين الف قتيل . اما المعونة التي قدمتها فرنسا فقد كانت ضئيلة « لا يؤبه بها » - « ربما الف قتيل من اصل مئتي الف جندي ، اي واحد بالمئة . » وازضاف لويد جورج ملاحظة اخرى حادة في ازعاجها مؤداها انه كان من الافضل مهاجمة تركيا من الاسكندرون . وكان اللورد كتشنر يرغب في هذه الخطة العسكرية ، غير ان الفرنسيين اعترضوا عليها وقاوموها « فلم يكن الفرنسيون في وضع يمكنهم من تحقيق هذه الخطة ولم يدعونا نحققها نحن . »

« قال كليمنصو : ان اتفاقية سايكس - بيكو قائمة وسارية المفعول ، وانه يتمسك بها . فقطعه لويد جورج سائلاً : « اذا كانت الاتفاقية تشمل دمشق » فقال كليمنصو انه من الطبيعي انه عندما تنازل عن الموصل كان يعتقد انه سيحصل على

نصيب في دمشق وحلب حسب شروط مماثلة - . وهو يعترف ان دمشق كانت في المنطقة العربية . . . ولو انه لم يوافق على التنازل عن الموصل في اجتماع لندن لما كنا وقعنا في هذه الورطة التي نجد انفسنا فيها . . . ان البريطانيين يحتلون المنطقة عسكرياً . . . وهو ليس على استعداد ان يقبل بالمشروع المقترح الآن . . . كما انه يعتقد ان لويد جورج على خطأ غير انه سيحاول جهده الا يتمسك بوجهة نظره لئلا يسبب ذلك سوء تفاهم بين الحلفاء . . . »

في مثل هذه اللحظات عندما كان النقاش يبلغ حد الخطورة لم يكن الرئيس ولسن ذاك الرجل الذي يستطيع ان يتدخل لتهدئة الحال . من المرجح انه لم يكن يرغب في التدخل او انه لم يكن يفهم ديبلوماسية القرن التاسع عشر السرية . ومهما يكن من امر فقد كان يبدو انه لم يرد ان يتورط في هذه المسائل ، كما انه لم يكن لديه وسيلة للتوفيق يقترحها لحل مشكلة الشرق الادنى الشائكة . وعوضاً عن ان يحاول ايجاد حل للمشكلة كان يرغب في التملص منها والغائها دفعة واحدة على انها تعارض مع مبادئ نقاطه الاربعة عشرة التي اعلنها للعالم في الثامن من كانون الثاني سنة ١٩١٨ ، ومع ما جاء في خطابه الذي القاه في مونت فرنون (Mount Vernon) يوم الرابع من تموز من السنة ذاتها . (١١) والواقع ان الوفد الاميركي لمؤتمر الصلح سجل لنا في وقائع الاجتماع الذي عقده في ١٨ شباط ان الولايات المتحدة كانت تنوي تجاهل اتفاقية لندن المعقودة في نيسان من سنة ١٩١٥ واتفاقية سايكس - بيكو تجاهلاً تاماً عند بحث مشكلات الشرق الادنى « ما لم تكن هاتان الاتفاقيتان تتضمنان عن طريق الصدفة ، بعض الشروط التي تعتبرها شروطاً عادلة لائقة تتفق روحاً مع المبادئ التي اعلنها » وعليه عندما كان الرئيس ولسن يشعر بالسأم المضني لدى سماعه محاجة كليمنصو ولويد جورج ، وعندما كان صبره ينفذ لدى اصغائه الى الادعاءات والادعاءات المضادة لكليهما : كان يسأل - بحسب ما جاء في الوقائع المشار اليها آنفاً - « هل لي ان اعرف ما هو الدور الذي يطلب الي ان اقوم به في هذه القضية ؟ لانه هو نفسه لم يكن يستطيع ان يدرك باي حق تنذرع فرنسا وبريطانيا العظمى لتسليم البلد الى اي واحد من الناس . » وبما ان لويد جورج كان يسعى لاستمالة الرئيس ولسن وللتحالف معه ضد كليمنصو ، مع العلم انه كان يقامر في تلك اللعبة بشيء لا يملكه ، اجاب فوراً « انه على استعداد للرضوخ لارادة السكان كما ستقلها اللجنة المقترحة لاجراء الاستفتاء . » ويبدو ان هذا الكلام الصادر عن لويد جورج اعجب الرئيس ولسن فاضاف قائلاً : « لا شك في ان هذا الرأي هو رأيه ايضاً . . . فانه لم يكن يرى ان تترك هذه الشعوب لذاتها اذ انه يعوزهم الارشاد والوصاية الودية الرفيقة ، ولكن الارشاد والوصاية ينبغي

لهما ان يستهدفا صالح السكان وخيرهم لا صالح الدولة المتدبة وخيرها . « اما لويد جورج ، عند سماعه ملاحظة الرئيس هذه ، وحرصاً منه على عدم اثاره حفيظة كليمنصو ، وتجاوباً مع نفسه لان لويد جورج لم يكن متحمساً لفكرة ارسال لجنة الى سوريا - فقد قال : « انه لا يمكنه ان يرسل موفدين اذا امتنع الفرنسيون عن ارسال موفدين ، ولكن الاميركيين يستطيعون ان يذهبوا بمفردهم . » عندها قال الرئيس ولسن « ان الموفدين الذين سيوفدهم جماعة من المحايدين لا غرض لهم ولا هوى . واقترح تأجيل البحث في هذه القضية على ان يعاد النظر فيها فيما بعد . »

وبعد تسعة ايام عقد مجلس الاربعة الكبار جلسة كانت سوريا فيه على جدول اعماله . عقد الاجتماع في مكتب بيشون في مقر الوزارة الخارجية الفرنسية . وفي الاجتماع « قرأ لويد جورج برقية كان قد تلقاها من الجنرال اللنبي يعلمه فيها ان الموقف في سوريا ينذر بالخطر الشديد ما لم يوفد مؤتمر الصلح لجنة تحقيق الى سوريا ولذا حانت اللحظة التي يجب فيها ان نتخذ قراراً حاسماً . » (١٢)

غير ان كليمنصو ظل متصلباً في موقفه . وقد قال : ما دامت سوريا كلية تحت الاحتلال العسكري البريطاني فانه من غير المجدي ارسال موفدين فرنسيين . كذلك بقي لويد جورج متصلباً في موقفه . وقال : « انه لن يرسل موفدين بريطانيين اذا امتنعت فرنسا عن ارسال موفدين من قبلها . . . » (١٣)

وقد اطلع هذا الكلام صدر كليمنصو : لن تتوجه لجنة انكلو - اميركية الى سوريا . في هذه الاثناء كان « الوفد الاميركي في اللجنة الدولية للانتداب على تركيا » قد غادر قاصداً الشرق الادنى . (١٤) وكان العضوان الرئيسيان في اللجنة الدكتور هنري تشرشل كنج (King) والسيد تشارلز ر . . كرين (Crane) (١٥)

واستمرت وزارة الخارجية تتلقى الاشارات من الممثلين البريطانيين في منطقة الشرق الادنى وكلها تؤكد للحكومة البريطانية ان فيصلاً وقواته السورية ستقوم بعمل عدائي ضد فرنسا ، لا بل ضد جيوشنا المتمركزة هناك .

وفي خلال شهر حزيران سعى فيصل بكل ما اوتي من قدرة الى حمل الانكليز على البقاء في سوريا منعاً للاحتلال الفرنسي للبلاد . ولكن الحكومة البريطانية كانت قد اوضحت بصورة لا يرقى الشك اليها انها لن تقبل بالانتداب على سوريا وذلك على الرغم من توسلات فيصل الملحة بان يقبلوا بالانتداب عليها . غير ان بريطانيا حاولت ان تقلل من مخاوفه بتطمينه ان بريطانيا لن تخذله ولن تتخلى عن مناصرة قضية العرب لانها « ترغب ، بكل اخلاص ، في ان تساند فيصلاً والعرب . » ان الوثائق التالية تعطينا صورة مقتضبة عما وقع من احداث رئيسية في شهر حزيران . عند مطلع هذا الشهر زار السفير الفرنسي السيد كرزون وذكر له « الشعور

المتوتر » الذي يسود العلاقات بين رئيس الوزارة الفرنسية كليمنصو ، ورئيس الوزارة البريطانية ، في مؤتمر باريس فيما يتعلق بمستقبل سوريا وفي جوابه قال كرزون للسفير الفرنسي :

« اذا كانت هناك من منطقة ينبغي لفرنسا ان تكون شديدة الامتنان لمناصرتنا لها فيها فان تلك المنطقة هي سوريا ذاتها . فان لويد جورج ، في مؤتمر باريس ، لم يكتف بالتصريح العلني ان بريطانيا لا ترغب في الانتداب على سوريا ولا تقبل به في حال عرضه عليها وحسب بل اننا ، قد ارسلنا برقية الى فيصل اشرفنا فيها الى موقفنا هذا . » (١٦)

وموقف بريطانيا هذا اشعر به فيصل بواسطة الجنرال اللنبي الذي بعث اليه بيرية من القاهرة ، بتاريخ ١٢ حزيران :

« ان حكومة جلالتك قد اعربت عن عدم رغبتها في قبول الانتداب على سوريا ، ولكنها ستعطي اهمية بالغة لنصائح لجنة التحقيق التابعة لمجلس الحلفاء والدول المشاركة » (١٧)

ليس هناك دليل يثبت صحة ما جاء في العبارة الاخيرة من برقية الجنرال اللنبي . والمرجح انها عبارة اضيفت لازالة بعض المخاوف التي كانت تساور فيصلاً . وفي ١٤ حزيران ارسل فيصل بالجواب التالي : -

« لقد تسلمت برقيتكم ، واخذت علماً بما ذكرتموه عن عدم رغبة بريطانيا بقبول الانتداب على سوريا . اما عزم بريطانيا على ان تعطي اهمية بالغة لنصائح اللجنة الموفدة من قبل مؤتمر الصلح فأمر ندرکه بكل سرور . ان السوريين سيجمعون على الاعراب ، لدى اللجنة ، عن رغبتهم في الانتداب البريطاني لا في غيره ، وذلك لأسباب سأعرضها في مؤتمر سيعقد قريباً في دمشق يضم مندوبين عن كل صقع في سوريا . يعرضهم رأي عام قوي . واني ارغب في نقل هذه المعلومات الى سعادتكم آملاً ان هذا الشعور الوطني بالود المتبادل وبالاحترام والثقة القائمة بين شعبينا سيبقى الى الأبد . كما ان لي ملء الثقة بالشرف البريطاني الذي لا يسمح بدفع الناس الذين يطلبون العون منها الى احضان غريبة . » (١٨)

في هذه الأثناء وصلت « اللجنة الدولية المشتركة » التي طالب بها هوارد بلس ، الى يافا كوفد اميركي ، في ١٠ حزيران . وقد جاء هذا الوفد ليشكل لجنة تحقيق تنظر في رغائب الأهلين الحقيقية ثم ترفع تقريراً بالنتائج الى مؤتمر الصلح . (١٩) ولكن لسوء الطالع ، خلق هذا الوفد مشكلات اضيفت الى قضية شائكة كثيرة التعقيد ، وذلك بحمل الناس على ترقب خائب او على تمسكهم بأوهام سابقة . وكان الناس يترقبون وصول هذا الوفد بفارغ صبر اذ ظنوا انها الوسيلة الوحيدة التي يستطيعون

عبرها ان يعبروا عن امانهم لدى مؤتمر الصلح . وترك الوفد في نفوس الأهلين انطباعاً ان السوريين يستطيعون ان يعتمدوا على الرئيس ويلسن وعلى الشعب الأميركي « الذي يدرك ان عليه مسؤولية تسوية الأمور بحق وعدل تحت لواء عصبة الأمم وذلك بغية الحصول على سلام دائم . » (٢٠)

بعث الجنرال كلايتون في الثالث والعشرين من شهر حزيران بتقرير يوجز فيه الوضع القائم في سوريا حتى ذلك التاريخ . وقد جاء في التقرير :

« ان معضلة الشاقة الآن (والكلام عن فيصل) هي موقف بريطانيا الشاذ . فانه ، بعد تحرير الأقطار التي تتكلم العربية بكثير من الدم والمال ، وبعد سنوات اربع من الصداقة المستمرة بين بريطانيا والأمير فيصل والشعب العربي ، يجد ان انكلترا قد اخذت تبدي فتوراً الآن ، فانها ترفض ان تعلن اذا كانت ستستمر في تقديم العون ، فضلاً عن انها تترك في النفوس انطباعاً انها قد باعت العرب لكي ترضي مقتضيات السياسة في اوربا ... ويبدو جلياً ان فرنسا تعتمد على انكلترا والولايات المتحدة وحدها من اجل مستقبلها ، وهذا امر يعرفه الأمير جيداً ، ولكنه لا يستطيع ان يفهم لماذا تخشى انكلترا ان تقوم بأي عمل من شأنه ان يسيء الى البلد الذي ينبغي له ، منطقياً ، ان يكون مستعداً لقبول اية توضيحات من جانبه كي لا ينفر انكلترا او يصرفها عنه ...

« ان انتداباً فرنسياً يعتبره الأهلون موتاً وهلاكاً للأمة . فالانتداب يعني مقدم المستعمرين الفرنسيين والجنسية الفرنسية كما انه يعني السيطرة الفرنسية . وما كان للأمير وللعرب ان يقوموا بهذه الثورة ليروا اجمل منطقة من البلاد العربية تسلم الى الفرنسيين الذين يعتبرونهم اقرب الى الأعداء منهم الى اصدقاء ، والذين سيقاومونهم بقوة السلاح اذا ما حاولوا ان يمارسوا الحماية على سوريا ... »

« واذا كانت انكلترا لا تنوي قبول الانتداب على سوريا فمن الأفضل اعلان هذا الأمر بأسرع ما يمكن وتعميمه على الملأ من الناس . اما اذا كانت انكلترا تقبل بالانتداب على سوريا فان السوريين سيكفون فوراً عن المطالبة بالاستقلال ، وعن التجسيد . واذا كانت بريطانيا قد وطدت العزم على عدم التورط في مسؤوليات جديدة في سوريا ... فان سوريا تريد استقلالاً تاماً ناجزاً » . (٢١)

وعندما ظهر للعيان ان بريطانيا مصممة على البقاء في العراق ، شرع فيصل ومستشاروه بالتفكير بوسيلة جديدة لحملها على البقاء في سوريا وذلك باقتراح يرمي الى توحيد البلدين ، سوريا والعراق ، « تحت حكومة واحدة » وعليه رفع الوفد الحجازي في باريس ، بتاريخ ٢٤ حزيران ، الى لويد جورج مذكرة مؤرخة في ٢٣ حزيران موقعة من الجنرال نوري باشا السعيد المعاون العسكري الأكبر للأمير

فيصل . « وكانت الغاية من تقديم هذه المذكرة التدليل على ضرورة تشكيل حكومة موحدة لقطرين العربيين المحررين سوريا والعراق ... ان غالبية السكان الساحقة في سوريا والعراق تتطلع الى تشكيل حكومة واحدة تتألف من مجموعة من الدول المتحدة ... ان الرغبة التي تدفع بأولي الأمر للفصل بين سوريا والعراق تقوم ، الى حد معين ، على السياسة الاستعمارية التي تتبعها بعض الأحزاب في اوربا ... ان افضل حل لقضية العرب ، وهو الحل الوحيد الذي يحظى بقبول غالبيتهم ، هو تشكيل حكومة واحدة تتألف من ولايات فدرالية من نمط الفدرالية التي تتألف منها الولايات في اميركا الشمالية . ويكون لكل ولاية نوع من الحكم الذاتي الذي يتجاوب مع تقاليد السكان في تلك الولاية ومع عاداتهم ودرجة رقيهم الاجتماعي . » (٢٢) في الوقت الذي استمر فيه فيصل يعزل النفس بأن تغير بريطانيا رأياً فتقبل الانتداب على سوريا عبر الاقتناع الذاتي ، وعبر المواقف التي كان يقفها الجنرالان اللبني وكلايتون اللذان لم يكونا مقتنعين اقتناعاً تاماً بأن انكلترا ستدخل كلياً عن سوريا ، نقول في هذه الأثناء بعث بلفور من باريس بالبرقية التالية الى الجنرال اللبني في القاهرة بتاريخ ٢٦ حزيران :

« ان حكومة جلالته لم تحد عن رأيها الذي عبرت عنه شفهاً بواسطة رئيس الوزارة - واطن ان ذلك كان بحضورك - لدى كليمنصو وبحضور الرئيس ولسن والسنور اورلندو من ان انكلترا لا تقبل ، بصورة ما وفي اي ظرف ما ، الانتداب على سوريا . وقد كررت الحكومة هذا الرأي بوضوح تام في برقية رقم ١٦ ، بعثت بها الى كلايتون وجاء فيها :

« يمكنكم ان تعطوا رداً الى الأمير فيصل بأن حكومة جلالته قد وطدت العزم على الا تقبل الانتداب على سوريا » .

« واني لمتيقن ان فيصلاً اطلع على هذا القرار عندما كان هنا ، ولكن ليس بإمكانني الآن ان اجد سجلاً حول هذا الموضوع ... ولكن ... ليس هناك ما يبرر اعتقاده بأن رفضنا الانتداب يشكل تخلياً عنه نفسه ، او تخلياً عن مناصرتنا القضية العربية . اننا نرغب بكل اخلاص ان نناصره وان نساعد العرب ايضاً » (٢٣) .

وهكذا يكون الفرنسيون قد احرزوا انتصاراً آخر على طريق تحقيق مطامحهم في سوريا : ان بريطانيا قد وطدت العزم على الا تقبل الانتداب على سوريا .

والواقع انه في الثاني من تموز بعث السيد بلفور من باريس بمذكرة الى لويد جورج حول موضوع « توزيعات الممتلكات التركية » جاء فيها على اعطاء وجهة نظره الخاصة التي كان قد عبر عنها اكثر من مرة واحدة وعلى وضع تدبير جديد لتسوية « القضية التركية » قال بلفور : « اسمح لنفسني ان اعيد باقتضاب جوهر التسوية :

« أولاً ان الأقطار التي تقطنها الشعوب الناطقة بالعربية ينبغي فصلها نهائياً عن تركيا ووضعها تحت الانتداب . اما الدول التي ستتولى الانتداب عليها فأمر يتفق عليه فيما بعد .

« ثانياً ينبغي ان يكون الانتداب على سوريا لفرنسا والانتداب على العراق لبريطانيا ، وعلى فلسطين للأميركيين او البريطانيين ، وعلى ارمينيا والمضائق (استانبول) للأميركيين ، ويكون الانتداب على القوقاس ربما من نصيب ايطاليا .

« رابعاً ينبغي ان يشمل الانتداب الفرنسي الاسكندرونة على الرغم من انه يصعب الحزم تاريخياً ، في كون هذه المنطقة جزءاً تابعاً لسوريا . ومهما يكن من امر فاني اكون آسفاً ان ارى منطقة الانتداب الفرنسي تمتد غرباً على محاذاة شاطئ الأناضول وذلك ليس لأني ضنين بها على الفرنسيين ، ولكن لأن كل ربح يحصل عليه الفرنسيون في شرقي المتوسط سيكون ممسكاً لدى الايطاليين ليتقدموا بمطالب جديدة » .

« هذه هي الخطوط العريضة لاعادة تنظيم الممتلكات العثمانية خارج اوروبا والتي ارى ان ارفعها اليكم كتنوصية . واذا كان بالامكان الجمع بين هذا المخطط وتسوية جميع القضايا الثانوية الشائكة التي تشكل حيناً بعد آخر نقاط خلاف بين الفرنسيين والايطاليين والبريطانيين في افريقيا وفي الشرق ، واذا كان الحل سيسفر بالتالي عن زوال التحاسد والتناؤد والخداع بين الدول الحليفة ، فان هذه الدول الثلاث المتحالفة ، والعالم بأسره ستجني منافع جمّة . هذا واني لا اعتقد ان تحقيق مثل هذه التسوية امر بعيد المنال كلياً ، واذا ما اردنا له النجاح فينبغي لنا ان نشرع فوراً في العمل لأجل تحقيقه . » (٢٤)

وعلى الرغم من رفض بريطانيا الاشتراك في لجنة التحقيق ، وعلى الرغم من اصرارها على عدم قبول الانتداب على سوريا ، فان مخاوف فرنسا من عدم الاعتراف بالحقوق التي تدعيها في سوريا لم تخف بشكل من الأشكال « فقد اتهم الضباط الانكليز والموظفون البريطانيون في الشرق الأدنى علناً انهم يحاولون التأثير في السكان ضد فرنسا » وكان الرأي العام الفرنسي الذي كان دوماً يتطلع بشوق ناحية سوريا ، يرى في استمرار الاحتلال البريطاني عاملاً مشؤوماً ، عاملاً كان السبب الذي حال دون استحالة حلم وطني رومنيقي الى حقيقة هائلة مرغوب فيها . » (٢٥)

وكان مما زاد اللهيب اشتعالاً ، وأثار حفيظة الفرنسيين التقارير الواردة من سوريا ، تلك التقارير التي كانت اللجنة الأميركية تبعث بها والتي تتحدث فيها عن موقف السوريين السلبي المعادي لفكرة انتداب فرنسا على سوريا . فقد بعث

اعضاء الوفد الأميركي في العاشر من تموز ببرقية من بيروت الى مؤتمر الصلح جاء فيها :

« هناك بعض نقاط لا يتنازع في صحتها منها الرغبة الشديدة في توحيد سوريا بأكملها مع فلسطين ، ونيل الاستقلال في اقرب وقت مستطاع . تعبير عنيف عن الشعور الوطني لم نكن نتوقعه . رفض جازم لفكرة جعل البلاد مستعمرة لأية دولة ، ورفض جازم لفكرة الانتداب الفرنسي . نستثني من هذا القول الشعور الذي لمسناه لدى احزاب لبنانية قوية تطالب بفصل لبنان فصلاً تاماً ، وبالتعاون مع فرنسا » (٢٦) .

وعليه ظهرت في الصحافة الفرنسية حملة مسعورة ضد بريطانيا العظمى تتهمةا بالقيام بدعاية معادية لفرنسا في سوريا . وفي السادس والعشرين من تموز بعث الوزير البريطاني المفوض في باريس ، السير ج. غراهام ، بتقرير الى اللورد كرزون لخص فيه محتوى مقالين يعتبران مثلاً على الاتهامات الفرنسية . كتب السير غراهام :

« صدر في Bulletin de l'Asie Française عدد تموز ، مقال للكاتب السياسي المعروف ، السيد روبر دي كاي (de Caix) هاجم فيه الدعاية البريطانية الموجهة ضد فرنسا في المشرق بلهجة عنيفة . ويزعم دي كاي ان الغاية التي تستهدفها هذه الدعاية هي القضاء على النفوذ الفرنسي في سوريا . وتحقيقاً لهذه الغاية كما جاء على لسان الكاتب ، راح البريطانيون يشجعون قيام الوحدة العربية في سوريا ، كما انهم اوفدوا الأمير فيصلاً الى باريس بعد ان وضعوا لزيارته برنامجاً مبالغاً فيه . ويقول الكاتب ان بريطانيا تبرر موقفها هذا من ملك الحجاز بقطعها وعوداً له في سنة ١٩١٥ .

غير ان هذه الوعود تناقض الالتزامات التي التزمت بها بريطانيا نحو فرنسا في سنة ١٩١٦ . ويشكو الكاتب من ان هذه الوعود المقطوعة « لملك العرب » تغلب على الوعود المقطوعة لفرنسا . واما السبب في ذلك فهو انانية الانكليز وحرصهم على منافعهم الخاصة » .

« وقد نشرت جريدة الطان (Temps) بتاريخ اليوم معظم ما جاء في مقال دي كاي ، وتصادق على كامل وجهة نظره ، كما انها تضيف قولها انه من صالح البلدين المتحالفين تحالفاً وثيقاً كفرنسا وبريطانيا ان يخلصا الود وان يتصارحا ... »

ثم اشارت جريدة الطان الى الأعمال الارشالية الأميركية في سوريا تقول انها تعتقد ان نتائج التقرير الذي تعده الارشالية لن يكون في صالح الانتداب الفرنسي ، وذلك لأن وجهة نظرها هذه متأثرة بالدعاية البارعة التي قامت بها اوساط معينة في اثناء الأشهر الستة والتي كانت تستهدف النيل من فرنسا بصورة خاصة . » (٢٧)

وقد اشترك كليمنصو نفسه في هذه الحملة الاتهامية . فانه قبل هذا التاريخ بشهرين تقريباً ، في الحادي عشر من ايار ، راح يشكو البريطانيين الى السيد ستيد على موقفهم العدائي من فرنسا في سوريا . فقد قال للسيد ستيد : « ان جل ما نريده الآن ان يتفق البريطانيون معنا ، وان يبعثوا بتعليمات الى الموظفين المحليين ليكفوا عن اثاره السكان ضدنا » . (٢٨) وفي شهر تموز ، في الجلسة التي عقدها رؤساء وفود الدول الخمس العظمى في الكاي دور ساي ، في الثامن عشر من هذا الشهر قال كليمنصو مخاطباً المؤتمرين بغضب : « ان الجنرال اللبني قد تصرف في سوريا كجنرال بريطاني لا كجنرال قائد عام لقوات الحلفاء . واسفرت النشاطات التي قام بها عن خلق شعور معاد للفرنسيين ، ليس في ذلك اي ابهام . ان هذا الوضع المبهم غير مرضي . فانه ، بصفته قائداً عاماً لقوات الحلفاء قد منع الجيوش الفرنسية من دخول سوريا . لقد وضعهم في قيليقيا (Cilicia) في الوقت الذي يعرف فيه ان الانتداب على قيليقيا ربما كان من نصيب الأميركيين . وكان عملاؤه جميعاً يعملون بصورة مستمرة ضد الفرنسيين . وفي كل مناسبة كان اللبني يقول ان العداء الذي كان يظهره الأهليون للجنود الفرنسيين كان يحول دون اقامتهم في مراكز عسكرية في سوريا » . (٢٩)

ولا نرى بنا حاجة الى القول ان الحكومة البريطانية دحضت جميع هذه المزاعم بشدة وعنف . وعندما رد بلفور على كلام كليمنصو قال : « انه على يقين من انه ليس هناك من موظف بريطاني مسؤول يرغب في تشويه سمعة الفرنسيين في سوريا . فان موظفينا يعلمون ان بريطانيا لن تقبل الانتداب على سوريا بأي صورة وفي اية ظروف كانت . وعليه فان الحكومة البريطانية لا تجد سبباً او دافعاً يحملها على خلق المصاعب في وجه الآخرين » . (٣٠)

عندما بلغ صخب الحزب الاستعماري الفرنسي المطالب بسوريا حداً من العنف ، وبعد ان بدا ان الخلاف حول سوريا راح يهدد التحالف القائم بين فرنسا وبريطانيا ، وضع بلفور ، وهو بعد في باريس ، مذكرة « حول سوريا وفلسطين والعراق » .

ان هذه المذكرة وما انطوت عليه من نفاذ في التحليل لجوهر القضية ، ومن عرض واضح للدوافع السياسية ، ومن صراحة في الاعتراف بأنه « لا يمكن » الوفاء بالوعود التي قطعها الحلفاء للعرب وفاء يتفق حرفياً مع النص ، ومن شجاعة في مجابهة الحقائق في وضع دقيق مستقبح ، نقول ان هذه المذكرة وما انطوت عليه تحتل بين الوثائق المتعلقة بالعلاقات البريطانية الفرنسية العربية مرتبة بارزة . ونكتفي منها باقتباس الفقرات التالية :

« ان الأثر الذي تحدثه المشكلة السورية في العلاقات البريطانية الفرنسية امر يحملني على القلق الشديد - قلق لا يخفف من ازعاجه ان ما قيل علناً عن المشكلة هو قليل ، وان ما يلوح اليها كثير ... وهذه الحقيقة المؤلمة تزيد من مخاوفي ، اعني ان فرنسا وانكلترا واميركا تجد نفسها في وضع مضطرب معقد بسبب الورطة السورية بحيث لا ارى ان احداً من هذه الدول سيخرج منها بحل مرضي رتيب » .

ثم ان المذكرة تتابع بحث المصاعب الناشئة عن الاتفاقيات السرية التي عقدت في اثناء الحرب ، وتركز بصورة خاصة على اتفاقية سايكس - بيكو . ويرى بلفور ان الذين وضعوا نصوص هذه الاتفاقية « كان منطلقهم من ان لفرنسا حقاً قديمة ومطامح في الجزء الغربي من سوريا ، وان لبريطانيا مطالب واضحة المعالم في بغداد وفي جنوبي العراق ... هؤلاء الذين وضعوا نصوص الاتفاقية لم يخطر قط ببالهم انهم يعالجون شؤون ثلاثة : دولة قائمة لا تحتاج سوى الى « اعتراف موقت » بها ، ولا يعوزها سوى ازالة الأتراك من الوجود والمشورة التي تسديها دولة متدبة ، وشيء من الوقت يمكنها من « الوقوف على ارجلها وحدها » . كما انه لم يخطر قط ببالهم انه كان عليهم ان يعالجوا شؤون دول او امم عصرية بالمفهوم الغربي لمعنى الدولة او الأمة والأمم .

ويعترف بلفور « ان الوفاء بجميع الوعود التي صرحنا بها واعلناها امر لا يمكن تحقيقه . اولاً لأنها وعود يناقض بعضها بعضاً ، ثانياً لأنها تناقض الحقائق ... وكجزء من مشروع حل جديد يقترح بلفور « الابقاء على المبادئ الأساسية التي تنطوي عليها اتفاقية سايكس - بيكو اي ان يكون لفرنسا منطقة نفوذ في سوريا ، ومنطقة نفوذ لبريطانيا تقع بين النهرين دجلة والفرات ، وأن يكون لليهود وطن في وادي الأردن » . (٣١)

في هذه الأثناء استمرت الصحافة الفرنسية طوال شهر آب في حملتها المعادية لبريطانيا وذلك بسبب المشكلة السورية . اما الوزارة البريطانية التي كانت هذه الهجمات الفرنسية قد ازعجتها فانها بعثت بتعليمات الى السير ج. غراهام لكي يطلب مقابلة السيد بيشون ، وزير الخارجية الفرنسية ، ويحاول ان « يزعرع ايمانه فيما يتعلق بالنشاط المعادي لفرنسا الذي يقوم به الموظفون البريطانيون في سوريا » . ولكن ايمان بيشون لم يترزع . فبعث السير غراهام بتقرير الى اللورد كرزن جاء فيه :

« قال السيد بيشون ، في بادئ الأمر ، بشيء من الحدة والغضب ، ان الملفات التي في متناوله مليئة بالتقارير عن الدعاية المعادية لفرنسا التي يقوم بها عملاء بريطانيون وسوريون . وقال انه يتلقى مثل هذه التقارير كل يوم تقريباً ، وهي تشكل ادلة ثبوتية يستحيل دحضها . وهذه التقارير مسهبة ينسجم الواحد منها مع الآخر بحيث

لا يمكن للحكومة الفرنسية الا ان تقبلها على انها تقوم على اساس من الصحة ... وهنا قاطعت سعادته لأقول له ... ان الحكومة الفرنسية لعل خطأ جسيم اذا هي كانت تعتقد اننا نعمل ضدها في سوريا ... غير ان بيشون اصغى الى كلامي ولكنه تشبث بموقفه من ان معلومات تختلف عن المعلومات التي لدي تصله من مصادر واما كن مختلفة لا يمكنه ان يتغاضى عنها . « (٣٢) »

كما ان السيد بيشون كان ايضاً مقتنعاً بأن حكومة جلالته « ليست مطلعة الاطلاع الكافي على الشعور الملتهب في فرنسا بالنسبة الى سوريا » وبالنسبة الى « المصالح الحميمة » التي يربطها الشعب الفرنسي بهذه القضية . « واذا تعرضت الحكومة الفرنسية الى الاتهام بأنها تتعاس في قضية حماية المصالح الفرنسية فانها ستخذل وتسقط ، ولن تستطيع الحصول على عشرة اصوات في الجمعية العمومية اذا هي حاولت مقاومة هذا الشعور او عارضته ... » (٣٣)

الفصل التاسع تسوية "القضية السورية" - ١٩١٩

« كان الفرنسيون لا يزالون على موقفهم من تعهداتهم ، وجميع الوسائل والحلول الاصطناعية التي تذرعت بها الولايات المتحدة لم تجد نفعا . وكان فيصل يلقي من جانبنا مساندة في الكلام والجدل ، ولكن ليس بالفعل وبعد ان دفعنا به الى مؤتمر الصلح في باريس كممثل معتمد لدولة حليفة تخلينا عنه ليعود الى امته وليقول لها انه باستثناء الحجاز سيكون استقلالها نوعاً من الاعتماد على دولتين اجنبيتين لمدة من الزمن غير محددة . »

D.G.Hogarth in The Quarterly Review.
No. 464 of October 1920.

عند منتصف شهر آب بدا ان الحكومة البريطانية كادت ان تأس من إيجاد اساس لحل المسألة الشرقية . فقد جاء في رسالة بعث بها اللورد كرزن ، في العشرين من آب ، الى اللاردي كرزن : « لقد كلفني مجلس الوزراء ، برئاسة رئيس الوزارة ، بالاجماع ، هذا الصباح عند نهاية جلستنا الثالثة - والتي دامت ثلاث ساعات ونصف الساعة - ان اتوجه الى باريس لمعالجة المسألة الشرقية ، وقد اولاني صلاحية مطلقة ان اسوي القضية على اي شكل ارتضيه » (١) ...

في الحادي والثلاثين من شهر آب بعث فيصل ببيان وجهه الى رئيس الأركان للقوات البريطانية العاملة في مصر ، والى ضابط الارتباط السياسي في دمشق . وقد يكون هذا البيان ، بلغته البسيطة الواضحة ، افضل عرض موجز للقضية العربية . يقول فيصل في هذا البيان :-

« تلقى والدي ، ملك الحجاز ، رسالة من المفوض السامي في مصر ، السير هنري مكماهون ، بواسطة احد العملاء ، وفيه وعود قطعها المفوض السامي على نفسه من ان بريطانيا ستساعد العرب اذا رمى العرب بثقلهم الى جانب بريطانيا . » وعليه فان اي ، استناداً الى هذه الوعود ، اعلن الثورة ضد الأتراك الذين كانوا قد اعلنوا الجهاد ضد الحلفاء ، وضد بريطانيا بوجه خاص ، وقبل ان يتحمل عن طيب خاطر جميع مسؤوليات الحرب . »

« لقد كنا نحن العرب ، قبل ذلك مع الأتراك ، غير اننا حاربناهم . ولم يكن في نيتنا ان نجزىء البلاد لتقسمها فرنسا وبريطانيا ، فتنازل فرنسا منها نصيباً وتنازل بريطانيا نصيباً آخر ... » (٢)

ولكن بعد ثلاثة عشر يوماً كانت القضية السورية ومستقبلها قد بلغت اخر نقطة تحول وذلك عندما تم الاتفاق بين لويد جورج وكليمنصو في ١٣ ايلول « على ان ينتهي جلاء القوات البريطانية عن سوريا في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني ، سنة ١٩١٩ ... » (٣) وكان على الجيش البريطاني ان يسلم ، عند هذا التاريخ ، الحاميات العسكرية في دمشق وحمص وحماة وحلب ليصل فينما « يسلم الحاميات » الواقعة غربي خط اتفاقية سايكس - بيكو في سوريا « الى الجيش الفرنسي » . (٤) وليس من شك ان هذا القرار الحاسم الخطير كان ينطوي على مغزى بعيد الأثر في نتائجه . فقد كتب الأستاذ وليم يابل (٥) يقول : « ان الاتفاق الذي تم بين لويد جورج وكليمنصو على ان يتم انسحاب الجيش البريطاني من قيليقيا وسوريا وجبل لبنان في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني ليحل محله الجيش الفرنسي في قيليقيا وعلى الشاطئ السوري ، والجيش العربي في المدن الأربع دمشق وحمص وحماة وحلب ، كان من ادهى الأمور واخبتها . »

« ظاهرياً لم يكن هذا الاجراء اجراءً سياسياً ولكن مجرد تغيير في الوضع العسكري في « ارض العدو المحتلة » . ولكن الواقع هو ان هذا الاجراء لم يقتصر على كونه تسوية تتناول مستقبل الولايات العربية ، بل كان اجراء من شأنه ان يعرض سلم الشرق الأدنى والشرق الأوسط الى خطر جسيم . » (٦)

وكان من جراء الاتفاق الذي تم في الثالث عشر من ايلول ان عقد الرؤساء الخمسة لوفود الدول العظمى اجتماعاً في مكتب كليمنصو في وزارة الحرية في باريس يوم الخامس عشر من ايلول . (٧) ثم وزعت على الحاضرين « مفكرة للويد جورج حول احتلال سوريا وفلسطين والعراق الى ان يتخذ قرار بشأن الانتداب . » واعيد بحث القضية السورية بأكملها بدءاً باتفاقية سايكس - بيكو . قال لويد جورج : « انه بحسب منطوق اتفاقية سايكس - بيكو تقع دمشق وحمص وحماة وحلب

داخل منطقة الدولة العربية » . ولذلك فانه اقترح ان يسلم الجيش البريطاني الحاميات في هذه المدن الى الأمير فيصل . وأما في المناطق الأخرى من سوريا ، غربي خط اتفاقية سايكس - بيكو ، فينبغي تسليم الحاميات الى الجيش الفرنسي . والنقطة الثانية التي اشتملتها مفكرة لويد جورج هي « ان اتفاقية سايكس - بيكو مبنية على ارتباطات والتزامات معقودة بين الحكومة البريطانية والعرب . » غير ان الحكومة البريطانية لا يسعها ان تقبل بوجهة النظر التي تقول ان الحكومة البريطانية ، بناء على نص هذه الاتفاقية ، قد تخلت عن اقسام كان العرب قد وعدوا بها . « ففي مراسلات الحكومة البريطانية مع الملك حسين كانت تقول بكل وضوح انه بالنسبة الى وجهة نظرها فان البلاد الواقعة غربي دمشق وحمص وحماة وحلب ليست عربية خالصة » . ولكن رئيس الوزراء اعترف انه بناء على « بعض الارتباطات والتزامات » المعقودة مع الملك حسين ، فانه قام بتقديم « معونة كبيرة » مناصرة منه للجيش البريطاني . « واستناداً الى تلك الارتباطات فان العرب ارهقوا الأتراك بغاراتهم ، وابقوا قرابة ثلاثين الف جندي من اصل اربعين الفاً في حالة حرب مستمرة ، كما انهم قدموا لنا كل عون مادي عند احتلالنا البلاد . لقد قام العرب بالتزاماتهم ، ومن واجبتنا نحن ان نففي بمواثيقنا » .

اما كليمنصو فقد كان يرى « ان مسألة انشاء امبراطورية عربية يخلق مصاعب كبيرة وعلى الحكومات المعنية ان تفكر في الأمر ملياً ... » انما كان هناك امر ملح في الجلسة اراد كليمنصو ان يفوز بجواب عنه من لويد جورج ، وهو ان احتلال الجيوش الفرنسية سوريا يعتبر تنفيذاً لجزء من اتفاقية سايكس - بيكو ام انه يعتبر قبولاً نهائياً للاتفاقية برمتها ؟ فانه اذا كان هذا الأمر يعني قبول الاتفاقية برمتها (ومعنى هذا الاعتراف بحقوق العرب في سوريا بمفهومها العام وفي المدن الأربع دمشق وحمص وحماة وحلب) فان كليمنصو لا يسعه ارسال جيوش . وكان جواب لويد جورج ان ارسال جنود ليس من شأنه ان يلزم كليمنصو بقبول الاتفاقية برمتها . (٨) في هذه الأثناء كان فيصل بطريقه الى اوروبا بعد ان الح لويد جورج في دعوته آملاً ان تصل جميع الأطراف المعنية الى حل مرض بالنسبة للقضية السورية . وعندما وصل فيصل الى فرنسا كانت تساور نفس كليمنصو ، كما كانت تساور اعضاء حكومته ، « حالة من الريبة والشك حول القضية السورية » كما انه كان غاضباً على الحكومة البريطانية شديد الغضب بسبب ازدواجية تصرفها المزعوم وعلى سوء نيتها . ولذلك رفض ان يقابله . (٩) وقد اطلع لويد جورج على رفض كليمنصو مقابلة فيصل بلهجة شديدة العنف . وعليه بادر رئيس الوزارة البريطانية الى ارسال دعوة الى فيصل ليأتي فوراً الى لندن . (١٠)

وصل فيصل لندن في ١٨ ايلول ، وفي اليوم التالي دعاه رئيس الوزارة ليحضر اجتماعاً في مقر رئيس الوزارة في رقم ١٠ دونغ ستريت (Downing Street) بغية حمله على قبول الاقتراح المتعلق بالاحتلال الذي تم الاتفاق عليه في باريس . (١١) وما ان سمع فيصل رسمياً بمضمون الاتفاقية التي تمت في الثالث عشر من شهر ايلول بين الفرنسيين والبريطانيين حتى قدم احتجاجاً معترضاً على ذلك بكل ما أوتي من قوة . وقال ان العرب يعارضون بشدة اي تقسيم يتناول الارض العربية مهما يكن شكل التقسيم ، وان السوريين لا يقبلون بتقسيم سوريا . وفضلاً عن ان السوريين لا يعترفون لفرنسا بآية حقوق في سوريا تخولهم حق الانتداب عليها . وما كان الامير فيصل ليطمئن الى التأكيدات التي راح رئيس الوزارة يقدمها له قائلاً ان حكومة جلالته ستلتزم بكل تعهد قطعتة للملك حسين ، وانها ستفي بوعودها وموائيقها تماماً « كما وفي العرب بوعودهم لبريطانيا العظمى » . فاجاب فيصل « انه لا يستطيع ان يجابه العالم الاسلامي ليقول له انه قد طلب اليه ان يحارب خليفة المسلمين ، وهو يشاهد الآن الدول الأوروبية العظمى تقسم البلاد العربية... » (١٢) في الحادي والعشرين من ايلول بعث فيصل برسالة مطولة الى لويد جورج علق فيها على المذكرة التي قدمها له رئيس الوزارة البريطانية في الاجتماع السابق ، والتي تضمنت فحوى الاتفاق الذي تم بين بريطانيا وفرنسا في الثالث عشر من ايلول ، وطلب الغاءها الغاء تاماً . وقد شجها قائلاً انها ردة الى سياسة الاستعمار الغاشمة ، وحذر رئيس الوزارة من ان العرب سيدافعون عن وحدتهم وكيانهم بكل ما أوتوا من قدرة وتنصل من كل مسؤولية تجاه الحكومة البريطانية ، وتجاه العالم بأسره . وختم رسالته بقوله انه من الأفضل كثيراً الابقاء على الوضع كما هو الآن . او سحب جميع الجيوش الأوروبية الى ان تم التسوية النهائية . « اذا كان لا بد من انسحاب الجيوش البريطانية في سورية » كتب فيصل في رسالته الى لويد جورج « لماذا لا تنسحب ايضاً سائر الجيوش الأوروبية وتترك المسؤولية للحكومة العربية المستعدة لقبول تلك المسؤولية لدى الحلفاء والدول المشتركة معهم ، لحماية الأمن العام في البلاد ريثما يرم مؤتمر السلام قراره بشأن مصير سورية ؟ » (١٣) وبعد يومين ، اي في ٢٣ ايلول ، بعث فيصل بمذكرة اضافية الى رئيس الوزارة البريطانية (١٤) يعلمه فيها انه رفض امس ان يبحث مع القائد العام للجيش المتحالفة في سورية امر انسحاب الجيوش البريطانية من البلاد ، وهو الآن يطلب احد امرين : اما اعادة المناطق الساحلية الى القوات العربية كما كانت الحال عليه في الفترة الأولى لاحتلال سوريا (اي قبل ان انزل البريطانيون انفسهم الاعلام العربية عن مباني الحكومة في بيروت) او الابقاء على الوضع الراهن الى ان تم تسوية نهائية . (١٥)

في التاسع من تشرين الأول بعث فيصل برسالة اخرى الى رئيس الوزارة البريطانية ، الذي لم يكن قد اجاب بعد عن رسالته السابقة اليه والمؤرخة في ٢١ ايلول ، ملتصقاً فيه الغاء الاتفاقية البريطانية الفرنسية المعقودة بينهما في ١٣ ايلول ، او على الأقل تأجيل البت في امرها . ان انسحاب الجيش البريطاني من سوريا يشكل « كارثة جسيمة » بالنسبة الى العالم العربي . وطلب فيصل ان تطرح القضية برمتها امام مؤتمر الصلح لتقوم لجنة تتألف من اعضاء بريطانيين وفرنسيين وعرب بدراستها برئاسة اميركي يرفع نتائج مدولانها في تقرير الى المؤتمر . ولكنه اكد ان الحاجة القصوى لبلوغ تسوية مرضية هي اولاً الغاء اتفاقية باريس . قال فيصل في رسالته : « انني شديد الرغبة في ان اتجنب كل ما يؤدي الى احراج المركز او ما يؤول الى اضطراب الحبل بين الحلفاء والعرب ... » « اني اعتبر الغاء ذلك القرار الباريسي من الأوليات الحيوية للوصول الى حل مرض وان لم يعمل بذلك فالكارثة في سورية يعجل وقوعها ، وربما تطرأ امور تمنع المباحثات الودية ولذلك فأنا اثق بأن مطالبتي هذه التي هي جوهرية لمصالح الجميع تقابل من فخامتكم بالاستحسان ... » (١٦) وفي اليوم ذاته بعث اللورد كرزون برسالة مطولة الى الأمير فيصل جواباً عن رسالته المؤرخة في ٢١ ايلول . في هذه الرسالة كرر اللورد كرزون التعهدات والالتزامات التي كانت حكومة جلالته قد قطعتها على نفسها في اثناء الحرب لكل من الشريف حسين والحكومة الفرنسية قائلاً ان تلك التعهدات والالتزامات تقوم على نقطتين محددتين : (اولاً) لقد تعهدت الحكومة البريطانية للملك حسين ان تعمل على اقامة « مملكة عربية مستقلة » تضم داخل حدودها اربع مدن هي دمشق وحمص وحملة وحلب . (ثانياً) ان الحكومة البريطانية اوضحت ، « دون اي شك او ابهام » للملك حسين ، قبل ان يدخل العرب الحرب ، ان لفرنسا حقوقاً في ذلك الجزء الواقع غربي المدن الآنف الذكر . ثم بعد ذلك حاول اللورد كرزون ان يوضح الأسباب التي حملت الحكومة البريطانية على سحب جيوشها من سوريا . وقال ان بريطانيا تحملت اعظم قسط من التضحيات ، في الرجال والمال ، لدحر تركيا . وجندت مليوناً واربع مئة الف رجل وكانت نفقات هذه الحملة ٧٥٠ مليوناً من الاسترليني . وفقدت الامبراطورية البريطانية اكثر من ٩٥٠ الف قتيل ، وترتب عليها دين هائل بلغت قيمته تسعة بلايين من الاسترليني . وفضلاً عن هذا فانه لم يكن في متناول الحكومة البريطانية حتى الآن - كما كانت تأمل بذلك - ان تجد حلاً سريعاً مرضياً لجميع المشكلات المعقدة الصعبة المتعلقة بمستقبل الشرق الأوسط . ولكن ليس من العدل بشيء ان

نحمل المكلف البريطاني مزيداً من الضرائب التي تحمل دفعها حتى الآن . وعليه ، فان حكومة جلالتة قد قررت سحب جيوشها من سوريا بدءاً من اليوم الأول في تشرين الثاني .

اما الجزء الثاني من رسالة اللورد كرزون والمتعلقة بفرنسا فاننا نؤثر اثبات نصه لما له من شأن . يقول صاحب الرسالة : « اما فيما يتعلق باحتلال الجيش الفرنسي للأجزاء المتبقية من سوريا فان حكومتنا تطلب الى سموكم ان تذكروا ان العرب مدينون الى مدى بعيد بتحررهم الى ما بذله الشعب الفرنسي من تضحيات جسام . في الحرب الأخيرة ، نعم ، ان الخدمات الحربية التي قدمتها فرنسا في سوريا نفسها ليست ذات شأن كبير ، والسبب في ذلك ان فرنسا كانت منهمكة انهماكاً كبيراً في اثناء الحرب على جبهات اخرى . غير انهم على هذه الجبهات الأوروبية الحيوية الخطيرة فقدوا مليوناً واربعة مئة الف قتيل ، وترتبت عليهم ديون لا تقبل عن الديون التي ترتبت على بريطانيا العظمى ، وذلك في سبيل دحر القوة العسكرية التي كانت تساند الحكم التركي الغاشم والذي لولا المساعدة والمناصرة التي كانت تقدمها الى القوة العسكرية التركية لما استطاع الجيش التركي الصمود في ساحة المعركة اكثر من اسابيع معدودة » (١٧) . وانهى اللورد كرزون رسالته باسداء النصيحة حيث يقول انه من الأفضل للعرب ولمصالحهم ان يقبلوا « بالاجراء الموقت » وان ينضموا الى حلفائهم البريطانيين والفرنسيين لتنفيذه بطريقة ودية عملية . وقد رغب في ان يؤكد للأمين ان قضية الاحتلال العسكري لتلك المناطق التي كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية لم تكن بأية صورة « اتفاقاً » بين الحكومتين البريطانية والفرنسية ، ولكن مجرد « اقتراحات » قدمتها الحكومة البريطانية من تلقاء ذاتها الى ان يكون مؤتمر الصلح قد توصل الى قرار بشأن مستقبل هذه المناطق . وان الحكومة البريطانية ، بصفتها صديقة مخلصه للعرب ، فانها تدعوهم الى قبول هذه المقترحات وتحت سمو الأمير على بحثها فوراً مع الجانب الفرنسي .

قال كرزون : « ان حكومة جلالة الملك لا تشك ابدأ في ان احسن الطرق للشعب العربي هو ان يقبل التدبير الموقت المقترح ، وان يدخل في تدابير حية عملية لاجل انقاذها مع حليفته بريطانيا العظمى وفرنسا ، وهي كما اشارت سابقاً تلج على سموكم بان تبحثوا حالاً في هذه التدابير مع الحكومة الفرنسية وحكومة جلالتة تعمل ما في وسعها بكل سرور لتسهيل اتفاق مرضٍ حي بين حليفتيها فيما يتعلق بالاحتلال سحابة هذه المدة ...

« واني التمس من سموكم ان تثقوا بأن للحكومة البريطانية العاطفة والاعجاب بالشعب العربي اللذين حملاه على تأييد جلالة الملك حسين في ثورته ضد الترك ،

واللذين يمثلان طرق العلاقة مع سموكم في الحرب العظيمة التي اشركتم سموكم في الجهاد فيها زمناً طويلاً . (١٨)

واذا كان فيصل آنذاك لا يزال يعلل النفس بارجاء اليوم المشؤوم فان تلك البارقة من الأمل تلاشت عندما تلقى في اليوم التالي ، اي في ١٠ تشرين الأول رسالة من مقر رئيس الوزارة البريطانية ، ١٠ دونغ ستريت ، مؤرخة في ١٠ تشرين الأول من سنة ١٩١٩ وموقعة بتوقيع رئيس الوزارة نفسه لويد جورج . في هذه الرسالة ابدى رئيس الوزارة رفضه للاقتراحين اللذين تقدم بهما فيصل في رسالته التي كان قد بعث بها اليه في اليوم السابق . وكذلك ابدى رغبته في عدم مواصلة بحث القضية اذ ان الأمر قد اصبح واضحاً جلياً كما يبدو ذلك في الرسالة التي بعث بها وكيل الوزارة الخارجية البريطانية اللورد كرزون الى الأمير والتي يجب ان يكون قد تسلمها . ان حكومة جلالتة قد قررت انه يستحيل عليها ان تداوم على احتلال سوريا بالجيوش البريطانية . وقد اعلنت منذ ستة اشهر مضت امام مؤتمر الصلح ، كما انها ايضاً اشعرت فصلاً بأنها ليست مستعدة في اية ظروف كانت ، ان تقبل بالانتداب على سوريا وعليه ، فمن المستحيل لحكومة جلالتة ان تسحب الاقتراحات التي ابدتها للعمل في القضية السورية اثناء التأجيل الا ان يفصل فيها مؤتمر السلام عن سوريا . (١٩)

في هذه الأثناء استمر الفرنسيون في شعورهم ان حماية الانكليز لاستقلال فيصل في المنطقة الفرنسية تعد صارخ يتناقض كل التناقض مع الاتفاقيات الانكلو - فرنسية المتعلقة بالانتداب على سوريا (٢٠) . ففي رأي السيد نيشون والسيد كليمنصو ان وضع فرنسا وانكلترا في المنطقة العربية في الشرق الأدنى ينبغي له ان يحدد اساساً بناء على اتفاقيتين : الأولى اتفاقية سايبكس - بيكو المعقودة سنة ١٩١٦ ، والثانية اعتراف مؤتمر الصلح بضرورة انتداب دولة اوروبية على العرب الذين لا يمكن اعتبارهم مؤهلين ان يحكموا انفسهم بأنفسهم في سوريا وفي العراق . وفضلاً عن هذا فان وضع فرنسا في سوريا ، وعلاقتها مع العرب في منطقتها ، لا يمكن ان يكونا تماماً كوضع انكلترا في العراق وعلاقتها مع العرب في منطقتها . فقد كان كليمنصو يشكو من ان الحكومة الفرنسية لا تستطيع التفاهم بطريقة مباشرة مع فيصل ما دام فيصل « تابعاً » للبريطانيين يتولون حمايته .

بين العاشر والثامن عشر من شهر تشرين الأول بعث كليمنصو اولاً برقية الى لويد جورج ثم رسالة جوابية عن مفكرته المؤرخة في ١٣ ايلول وكلتاها تنمان عن « غضب شديد » ابداه كليمنصو . فقد كانت برقيته المؤرخة في ١٤ تشرين الأول ، كما قال عنها لويد جورج ، برقية « صيغت بلهجة عنيفة في ساعة استياء

شديد ، ومليئة بالعبارات المبطنة التي تلقي ظلالاً من التهم الموجهة ضد تصرف البريطانيين . « (٢١) وعليه فان رئيس الوزارة البريطانية كتب رسالة طويلة ، في الثامن عشر من الشهر ، الى كليمنصو كرر فيها ملخص تاريخ القضية السورية برمته مستعرضاً نص المواثيق التي قطعتها بريطانيا للعرب وللفرنسيين كما جاءت في المراسلات التي جرت بين الشريف حسين والسير هنري مكماهون ، واتفاقية سايكس - بيكو ، والتصريح البريطاني الفرنسي الذي صدر في ٨ تشرين الأول من سنة ١٩١٨ ، والتصريح البريطاني الذي ادلت به بريطانيا في جلسة الأربعة الكبار التي عقدت في ٢٠ آذار ، ١٩١٩ ، ومكرراً القول ان بريطانيا لا تقبل ، في اية ظروف كانت ، الانتداب على سوريا . وهو يرغب في ان يؤكد للسيد كليمنصو ان الحكومة البريطانية ، عندما كانت تجري مفاوضات حول جلاء الجيش البريطاني عن سوريا واحلال جيوش فرنسية وعربية محله ، « لم تتغافل عما لفرنسا من حقوق ومطالب » . وهنا جاء رئيس الوزارة على ذكر فقرة وردت في رسالة اللورد كرزون الى الأمير فيصل حول الدين المترتب على العرب تجاه فرنسا في تحررهم . غير انه يريد من رئيس الوزارة الفرنسية ان يعلم بأن الحكومة البريطانية « كانت مرتبطة بعهود ومواثيق ملزمة نحو كل من العرب والحكومة الفرنسية » . وليس من اللياقة بشيء ان يعامل الأمير فيصل بهذا الجفاء المتعالي . وعندما يحضر الى باريس فان الحكومة البريطانية تنتظر ان يعامل « معاملة كريمة محترمة كالمعاملة التي تعامل بها احد الحلفاء » . ويتابع رئيس الوزارة كلامه ليقول : « ان الحكومة البريطانية تود ان تذكركم انه هو الذي بدأ الثورة ضد الحكم التركي في وقت بلغت فيه معنويات الحلفاء مستوى متدنياً ، وانه كان مخلصاً وفياً للحلفاء حتى النهاية ، وانه الى جانب اتباعه من العرب لعبوا دوراً رئيسياً لم يستغن عنه في دحر تركيا الذي كان فاتحة عهد جديد ينذر بسقوط المانيا وحلفائها . كما ان الأمير فيصل يمثل شعباً عريقاً فخوراً بنفسه ، وعلى كليتنا نحن البريطانيين والفرنسيين ان نتعاش مع هذا الشعب على احسن ما يكون من حسن العلاقات والود » . (٢٢)

وكانت هذه آخر كلمات عنيفة استعملها لويد جورج في دفاعه عن فيصل وعن قضية العرب . ولكنها لم تكن لتجدي نفعاً اذ ان البريطانيين تركوا امر فيصل الى الفرنسيين « مع احسن التمنيات » من الحكومة البريطانية . وكان ذلك بداية النهاية بالنسبة الى استقلال العرب برئاسة فيصل في سوريا . وللمرء ان يقول ان الحكومة البريطانية هي التي كانت « المنتصرة » في التنافس الذي وقع بين البريطانيين والفرنسيين في الشرق الأدنى عندما افلحت في شهر تشرين الأول من سنة ١٩١٨ في اقامة حكومة عربية برئاسة الأمير فيصل في دمشق ومناحرتها ، ولكنها بعد

سنة تقريباً ، وفي شهر تشرين الأول من سنة ١٩١٩ تراجعت نهائياً من جراء الضغط المستمر الشديد الذي مارسته الحكومة الفرنسية . ولكن ، الى جانب الضغط الفرنسي ، كانت هنالك عوامل اخرى خطيرة حملت لويد جورج على ان يتخذ قراره الذي اصدره في ١٣ ايلول . فقد كانت الثورة قد عمت مصر ، وكان الوضع في العراق آخذاً بالتدهور . ثم كانت هناك « القضية المراكشية » وتهديد الفرنسيين بتدويل طنجة . فقد كانت الحكومة البريطانية ترفض قبول وجهة النظر الفرنسية السائدة في ذلك الحين من « اعتبار مراكش بلداً لفرنسا وحدها مصالح عليها فيها » . فقد كان من المستطاع تثبيت المصالح البريطانية في مراكش على اسس قوية لو ان لويد جورج وافق على نوع من المقايضة في سوريا مع الفرنسيين . وفي الوقت ذاته كان الوضع في آسيا الصغرى وفي روسيا ، وفي المانيا ، وقد اقتصرنا على ذكر ثلاث مناطق خطيرة فقط من بين عدد كبير من المناطق المضطربة ، يتطلب اهتمام الحكومة البريطانية الشديد . وفي الجبهة الداخلية ، في انكلترا نفسها كانت هناك اسباب عدة للشكوى والتذمر ، اسباب تهدد بنشوب ازمة حادة من الدرجة الأولى . وكانت المشكلة الايرلندية تتفاقم ، كما ان حركة « سين فاين » (Sinn Fein) (٢٣) اخذت تخلق قلقاً واضطراباً في صفوف الوزارة الائتلافية . وقامت في انكلترا اضطرابات مستمرة في الحقل الصناعي ، كما انه كان هناك تهديد حاد بقيام اضراب سياسي عام . وكانت مالية البلاد في حالة سيئة فقرّر لويد جورج ان يعصر النفقات في مختلف دوائر الحكومة بغير هوادة . (٢٤) وقد جئنا على ذكر هذه الأسباب لماماً بغية الاشارة الى تشابه هذه المشكلات المتعددة الجوانب التي كان على سياسي تلك الفترة ان يبحثوها وان يجدوا لها حلولاً في مختلف مناطق الدنيا . وهكذا كان لدى لويد جورج ووزارته امور اخرى خطيرة غير القضية السورية عليهم ان يتخذوا بشأنها قرارات حاسمة . والواقع ان الوزارة اصبحت تشعر انه ينبغي لها ان تنهي القضية السورية في اسرع ما يمكن من الوقت منعاً للاحتكاك الدائم ولسوء التفاهم بينهما وبين الفرنسيين .

وصل فيصل الى باريس في العشرين من شهر تشرين الأول . وفي اليوم ذاته كتب السيد موريس بارس (Barres) - وهو كاتب ومؤلف مشهور ، ونائب في الجمعية الفرنسية العامة وعضو في الأكاديمية الفرنسية - مقالاً في جريدة « اكو دي باري » (Echo de Paris) انتقد فيه بريطانيا والأمير فيصلاً بلهجة شديدة . قال : « اذا اعتبرنا سوريا فان احداً من الناس لا يمكنه ان يشك في ان لفرنسا حق الانتداب على المدن الأربع : دمشق وحمص وحماة وحلب . والرأي الفرنسي العام لن يسمح لنا اطلاقاً ان نطرد من تلك المنطقة . ان الدهشة عمت فرنسا

لدى سماعها ان الجنرال غورو لن يسمح له باحتلال هذه المدن . ان هذه المسرحية الهزلية التي يقوم بتمثيلها الأمير فيصل قد تبادت اكثر مما يجب لها من التماذي . ليس هناك من امة سوى الأمة الفرنسية لها من العبقريّة والصدّاقة قسماً وافراً يؤهلها ان تكون الأمة التي تعرف كيف تتصرف مع الشعب العربي ... ان النظرية البريطانية القائلة باقامة حكومة عربية حجازية في سوريا امر لا يمكن لانسان ان يدافع عن صوابيته ، وليس للأمير فيصل اي حق في ان يحتل دمشق وحمص وحماة وحلب . ان فرنسا تعرف كيف تقيم في هذه المدن حكماً سورياً . فمن هو فيصل بالنسبة الينا ، او بالنسبة الى السوريين ؟ هو رجل لا شأن له ، ولا حقاً شرعياً له ، ولا نفوذاً له ، فاذا شاءت بريطانيا ان تهيبه ملكاً فلتنصبه ملكاً في بغداد » . (٢٥)

اقام فيصل في باريس اكثر من شهرين ونصف الشهر ، «محاولاً جهده» — كما قال في رسالة بعث بها الى لويد جوزج — «ان يقيم علاقات طيبة مع الحكومة الفرنسية ، وان يسعى لازالة اي سوء تفاهم بغية الحفاظ على مصالحنا المشتركة » . (٢٦) وفي خلال شهر تشرين الثاني اجري محادثات مع كليمنصو وبرتلو (Berthelot) ، وغو (Cout) ، والجنرال غورو ، ومع غيرهم من الرسميين الفرنسيين في الكاي دورساي (٢٧) (مقر وزارة الخارجية الفرنسية) كما انه جرى تبادل رسائل بينه وبين كليمنصو عبر فيها فيصل عن تخوفه من تقسيم سوريا آخر الأمر ، وعن قلقه من حدوث قلاقل داخلية نتيجة لهذه التجزئة . وغير ان كليمنصو طمأن الأمير فيصل قائلاً ان مخاوفه هذه لا تتركز على اساس من الصحة . فليس هناك من قضية سياسية ، او من قضية تتعلق بمحدود سوريا في المستقبل ، يمكن ان يحدث خلاف من جرائها . واذا ما حدثت اضطرابات داخلية فان الجيش الفرنسي يهب فوراً الى النجدة اذا ما طلب الأمير فيصل ذلك . (٢٨) ولكن الأمير ظل غير مقتنع . فبعث بنداء الى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح يناشدهم فيه «اعادة النظر» في الاقتراح الرامي الى استبدال الجيش البريطاني بجيش فرنسي . وقد اسهب في ندائه هذا في التعبير عن مخاوفه من هذا «المشروع المقترح» وعن التأثير الذي سيخلفه هذا الاقتراح «في النفوس النائرة في المناطق العربية وفي الولايات الاسلامية في الامبراطورية العثمانية الآسيوية» . وتقوم مخاوفه على الاتفاقية السرية المعروفة باتفاقية سايكس — بيكو «التي عاجلت شؤون البلاد كأنها ملك خاص او سلعة من السلع» والتي لم يعترف بها العرب ولا الولايات المتحدة . كما ان الأمير كان يخشى تفجر ثورة طائفية بين المسلمين والمسيحيين سببها التعصب الذميم . وكتب فيصل يقول : «اني ، طوال الحرب ، كنت اسعى جاهداً لمحاربة التعصب في كل زمان ومكان ... ان وحدتنا تقوم على القومية لا على الدين . وهناك عدد كبير من الأعوان الذين

يعملون معي الآن في هذه القضية القومية لا ينتمون الى الطائفة الدينية التي انتمي انا اليها » . في التاسع من الشهر كتب كليمنصو الى لويد جورج يشكره على ايعازه الى فيصل بالمجيء الى باريس كي يصل الى نوع من التفاهم مع الفرنسيين . وكانت رسالة كليمنصو هذه تحتوي عبارتين تنطويان على مغزى هام ، الأولى منهما اشارته الى الماضي والثانية اشارته الى مستقبل الأمور العتيبة . قال رئيس الوزارة الفرنسية في هذه الرسالة : «الواقع هو ان هذا الاجراء لو اتخذ فوراً منذ البدء اي يوم احتلال دمشق منذ سنة ، لما كان قد نشأ سوء التفاهم هذا ، ولكان بالامكان تحاشيه . واني معتبط الآن لأن مثل هذا الأمر لن يتكرر في المستقبل ، كما اني معتبط لأن مؤتمر الصلح لن يكون له يد بعد في هذه القضية سوى الموافقة على الاتفاق الذي تم بيننا ، اعني الاتفاق على ان يكون الانتداب على سوريا من نصيب فرنسا ، والانتداب على العراق من نصيب بريطانيا » . (٢٩)

في هذه الأثناء كان قد وصل الى باريس في ٢٢ آب ، ١٩١٩ ، وفد لبناني يرثسه البطريك الماروني ، البطريك حويك ، واخذ يعمل بنشاط للحفاظ على الاستقلال اللبناني تحت الانتداب الفرنسي (٣٠) وقد استقبل رئيس الجمهورية ، السيد بونكاره ، والسيد كليمنصو اعضاء الوفد الذي رفع الى مؤتمر الصلح ، في السابع والعشرين من الشهر ، مذكرة تضمنت امانى الشعب اللبناني . وفي رسالة بعث بها البطريك الماروني الى كليمنصو ، في الخامس والعشرين من الشهر ، لخص البطريك هذه الأمانى في النقاط التالية : (اولاً) الاعتراف باستقلال لبنان وسيادته التامة «في الداخل والخارج» . (٣١) (ثانياً) تعديل حدوده الطبيعية والتاريخية والاقتصادية . (ثالثاً) مساعدة فرنسا ومناصرتها لنيل هذه الأمانى وذلك في نطاق الصداقة التقليدية التي حافظ عليها لبنان دوماً مع دولة فرنسا . وفي العاشر من تشرين الثاني بعث كليمنصو نفسه برسالة الى البطريك يؤكد له ان فرنسا متفقة اتفاقاً تاماً مع الأمانى اللبنانية وستقدم كامل العون لتحقيقها . ولكن هناك بعض القيود التي ستحد من الاستقلال اللبناني ، ومن العسير الآن تحديد هذه القيود قبل ان تحصل فرنسا على حق الانتداب على سوريا . (٣٢)

بدأ جلاء القوات البريطانية عن سوريا في الوقت الذي كان فيه فيصل لا يزال في باريس . ولو انه كان موجوداً في سوريا لربما كان استطاع — وهذا افتراض نفترضه — ان يزيل ما كان يخامر السكان من مخاوف وشكوك ، ولربما استطاع ايضاً ان يجمع حول شخصه تلك العناصر المعتدلة المتروية . ولكن الأخبار الواردة اليه من دمشق كانت كلها تشير الى ان الحكم هناك لم يكن ليقوى على ضبط الأمور ومجابهة الرأي العام المتهب حماسة وطنية وشعوراً دينياً . كانت سوريا في حالة

من الهياج المسعور . ولم تكن جميع الأحزاب السياسية السورية منها والعراقية والفلسطينية ، معادية لفرنسا وحسب بل أصبحت الآن معادية للغرب — كما انه ظهرت « تلميحات معادية لبريطانيا » (٣٣) . ونشطت الدعاية التركية ، فقد بعث الملك حسين بريقة الى فيصل يؤكد له فيها ان « السكان في المناطق الواقعة الى الشمال الغربي من حلب يجرون مفاوضات مع مصطفى كمال باشا » . وعتت البلاد موجة من العطف على الأتراك وهو عطف لم يكن قد زال بعد عند نهاية الحرب — تغذيتها المناشير البارعة التي كان يوزعها « حزب كمال باشا » في حلب ، ويعمل على تشجيعها ومناصرتها الضباط العرب الذين كانوا في السابق يعملون في الجيش التركي ، والذين اصبحوا الآن يشعرون بحجة امل مرير (٣٤) ويعتقد العملاء السياسيون من البريطانيين ان ياسين باشا « الروح المحركة في سوريا » كان « يرأس كمال باشا نفسه » . ويزعم بعضهم ان ياسين كان يسعى الى « اعادة الحكم التركي في سوريا » . (٣٥)

في هذه الأثناء عمت الاضطرابات والفوضى سهل البقاع وجميع المناطق الواقعة على الحدود الشرقية اللبنانية مع سوريا . وهاجمت عصابات منظمة النقاط العسكرية العربية التي كانت متمركزة في زحلة وبلبك والزبداني بغية ارغام الجنود السوريين على الانسحاب الى ما وراء خط المنطقة الزرقاء في اتفاقية سايكس — بيكو . ومن الانصاف القول ان نشاط هذه العصابات لم يقتصر على جانب واحد من الحدود . وكان الفرنسيون ، في الوقت ذاته ، يحشدون قوات عسكرية قوية في منطقة البقاع التي كانوا قد وطدوا العزم على احتلالها كما صرح بذلك الجنرال غورو نفسه للجنرال اللبي في ٢٧ تشرين الثاني . وقد وافق الجنرال اللبي على قرار الجنرال غورو تمام الموافقة . (٣٦) وأخيراً ارغمت الحامية العربية ، التي لم تكن سوى قوة رمزية هناك ، على الانسحاب الى دمشق . (٣٧) ويبدو ان التحذيرات والمخاوف التي كان يعبر عنها فيصل في رسائله الى كل من لويد جورج وكليمنصو واللورد كرزن من ان العرب سيثورون دفاعاً عن حريتهم لم يكن لها من اثر يذكر في نفوس أولئك السياسيين ، كما انهم لم يأخذوا الأمر بعين الجد . وما كان للسلطات العسكرية البريطانية والفرنسية التي كانت تعرف مبلغ قوتها ، ومبلغ ضعف العرب ، ان تكثر بمثل هذه التهديدات التي وردت ، مثلاً ، في بريقة بعث بها الأمير زيد الى فيصل حيث قال : « انني لا استطيع ان اوقف جماح الثورة ... واذا عبر الفرنسيون الحدود مسافة شبر واحد فستبدأ المعركة . واذا كنت تكره سفك الدماء فمن الخير ان تسعى جهديك لابقاء الفرنسيين داخل منطقتهم الحالية ... » (٣٨) او كما جاء في رسالة بعث بها الملك حسين الى فيصل حيث قال : « وفضلاً عن هذا اذا اراد السوريون ان يحاربوا في سبيل حريتهم واستقلالهم فاني لن اتردد في السير

اليهم لاتعاون معهم بصفتي مواطناً عربياً كي لا يتهموني اني خنت قضيتهم . » (٣٩) اخلت القوات البريطانية دمشق يوم السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني ، وفي الأسبوع الأول من شهر كانون الأول كان الانسحاب البريطاني من دمشق قد تم . ولم يبق من شيء لدى الحكومة البريطانية تقوله للأمير فيصل او تفعله من اجله . في الحادي والعشرين من تشرين الثاني ، وبعد مقابلة طويلة تمت بين فيصل والسفير البريطاني في باريس ، اللورد دربي (Derby) بعث السفير دربي الى اللورد كرزن يقول : « انه (فيصلاً) كان شديد التشوق ان يعرف رأيي في الوضع ، وقد كنت حذراً جداً من ان اقول له شيئاً . » (٤٠) ثم في التاسع عشر من كانون الأول عندما كتب فيصل الى اللورد كرزن ليقول له ان الفرنسيين قد قاموا بغزو البقاع ، وانه طلب الى الحكومة الفرنسية « ان تسحب فوراً جيوشها » وان له ملء الثقة « بأن الحكومة البريطانية لن تتردد في هذه اللحظة الحاسمة في مد يد العون من اجل احلال السلام في الشرق » نقول عندما بعث بهذه الرسالة لم يتلق عنها جواباً كتابياً ، بل تلقى رسالة شفوية من السيد كدستون (Kidston) من وزارة الخارجية مؤداها انه « لا يرى كيف نستطيع ان نساعد او ان نتدخل في الأمر . اننا سنستاء جداً اذا ما اقدم الفرنسيون على تقديم احتجاج ضد تصرفنا في العراق ، او حتى في ولاية الموصل او على حدودها ، مع العلم ان وضع الفرنسيين في البقاع مماثل ، الى حد ما ، لوضعنا هناك . » (٤١)

ليس بواضح كل الوضوح ما جرى في باريس في الأسابيع الثلاثة التالية بين الأمير فيصل والحكومة الفرنسية . غير اننا نعلم ان فيصلاً كان ينوي الرجوع الى سوريا ليل الأحد الواقع فيه الحادي والعشرون من الشهر . ولكنه لم يغادر باريس ، على الرغم من ان السفير البريطاني اشار عليه بالذهاب . (٤٢) لدينا وثيقة واحدة حول هذه الفترة على كثير من الأهمية والمغزى وقد ابلغ امرها اللورد دربي الى اللورد كرزن في العشرين من كانون الأول وارسل اليه نسخة عنها في اليوم التالي لتسلم اليه تسليم اليد . كانت هذه الوثيقة نسخة عن اتفاقية مقترحة بين الحكومة الفرنسية والأمير فيصل . وكانت الاتفاقية تشمل ثمانية بنود واهم مضمونها ما يلي :

١ — تعد الحكومة الفرنسية بتقديم كل نوع من المساعدة للشعب السوري وبضمان استقلاله ضد كل تعد .

٢ — يطلب الأمير فيصل من الحكومة الفرنسية ، وحدها دون غيرها ، تعيين مستشارين ومعلمين وتقنيين لتنظيم جميع الادارات المدنية والعسكرية ، ولتولي بعض الدوائر في هذه الادارات مثل المالية والأشغال العامة .

٣ — يكون للأمير فيصل في باريس ممثل مفوض (un agent plénipotentiaire)

يعمل تحت امرته وممثل في لندن وروما وواشنطن ضمن اطار السفارة الفرنسية في هذه العواصم . اما في غيرها من البلدان فان القناصل الفرنسيين سيرعون مصالح السوريين .

- ٤ - يعترف الأمير باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي .
- ٥ - يسهل الأمير تشكيل ادارة مستقلة لدروز حوران داخل الدولة السورية .
- ٦ - تقدم سوريا الى فرنسا كل عون عسكري في جميع الحالات .
- ٧ - يعترف باللغة العربية لغة رسمية في الادارة وفي المدارس . تدرس اللغة الفرنسية كلغة ثانية .

٨ - تكون دمشق عاصمة سوريا ، ويقيم المفوض الفرنسي السامي في حلب . ولكن يكون لرئيس الدولة السورية وللممثل الفرنسي مقر شتوي في بيروت ينعم باستقلال بلدي . وفي آخر الاتفاقية ملاحظة على ان بنود هذه الاتفاقية ستبقى سرية بين الطرفين المتعاقدين الى ان يتم التوقيع النهائي على الاتفاقية وتفاصيلها التي سيتم وضعها فور عودة الأمير فيصل الى فرنسا ، ومن ثم يجري رفعها في الوقت المناسب الى مؤتمر الصلح .

وهكذا انصرم عام ١٩١٩ ، وقرر فيصل العودة الى سوريا . وينبغي للقارئ الا ينظر الى ازدهار هذه الأحداث الخطيرة التي وقعت في ذلك العام على انها مجرد فيلم اخباري مسلسل ، كما انه ينبغي الاتفوتة اهمية الاتجاهات الرئيسية والتيارات الخفية . فقد بدأ العام وبريطانيا العظمى وفرنسا في حالة من الخلاف الحاد حول مستقبل سوريا . ثم تلا ذلك جدل طويل مرير . كان لويد جورج يناصر فيصلاً مناصرة تامة وكان يساند اقامة حكومة عربية مستقلة في سوريا . ولكن بعد احداث ثلاثة خطيرة وقعت في ١٣ شباط ، و ٢٠ آذار ، و ١٣ ايلول ، اذعن لويد جورج اخيراً واستسلم لارادة كليمنصو المتصلبة . وهكذا انقضى العام وفرنسا ثابتة القدم في سوريا .

الفصل العاشر

فيصل ملكاً على " المملكة السورية المتحدة "

« نحن اعضاء هذا المؤتمر (المؤتمر السوري) بصفتنا ممثلين للأمة السورية . . . اعلنا بأجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بمجدها الطبيعية . . . وقد اخترنا سمو الامير فيصل ابن جلالة حسين . . . ملكاً دستورياً على سوريا بلقب صاحب الجلالة فيصل الاول . . . »

ساطع الحصري : يوم ميسلون
نص القرار الذي اتخذ المؤتمر السوري في ٧ آذار ١٩٢٠ .

غادر فيصل باريس قاصداً بيروت في ٧ كانون الثاني ١٩٢٠ . وكانت مدة اقامته في اوروبا حوالي اربعة اشهر . كان لهذا الغياب الطويل عن دمشق في فترة كان فيها التوتر يشتد والروح العدائية نحو فرنسا تزداد حدة اثر مشؤوم في حكم فيصل في سوريا . واشتد امتعاض الوطنيين المتطرفين من فرنسا وازدادت شقة الخلاف عمقاً ، وكان التعبير عن هذا الشعور تعبيراً صاخباً . وراحت الجماهير تتطلع الآن الى زعيم فرد قوي « يعلن الحرب على فرنسا ، ويخالف ربما تركيا علناً . » (١) ومما زاد الحالة سوءاً بالنسبة الى فيصل ، جريدة الطان (Temps) الباريسية ، وذلك بنشرها « بياناً يبدو انه كان صادراً عن السلطات العليا » مؤداه انه قد تم الاتفاق الكامل « بين الأمير وبين الحكومة الفرنسية . قالت الطان : « لقد علمنا ان الخطوط العريضة لهذه الاتفاقية التي رفعت الى مؤتمر الصلح للتصديق عليها تتناول الأمور التالية : يوافق الأمير على انتداب فرنسا على كل سوريا . ومقابل هذا تقبل فرنسا باقامة دولة عربية تضم المدن الأربع دمشق وحمص وحماة وحلب ، يرئسها الأمير ويعاونه في ذلك مستشارون ومفتشون فرنسيون » (٢)

وقد كان نشر هذا الخبر عاملاً حاسماً في ايقاع القطيعة بين فيصل وبين الوطنيين المتطرفين وفي تقرير مصيره .

وفي الثالث عشر من كانون الثاني رفع تقرير الى اللورد كرزون جاء فيه انه من غير المحتمل ان يعود فيصل الى سابق مكانته بسبب اتفاقه الأخير مع الفرنسيين . ولم يبق امامه سوى ثلاث امكانيات : « ان ينضم الى المتطرفين ، او ان يعيده الفرنسيون الى مركزه في دمشق عبر الحراب الفرنسية ، او ان يتخلى عن الحكم ويتنازل عنه لأحد الزعماء المتطرفين » (٣) . وعندما وصل فيصل الى بيروت في الرابع عشر من كانون الثاني اخبر الكولونيل واترز تابلور انه لم يوقع الاتفاقية مع الفرنسيين ولكنه حملها معه ليعرضها على الشعب للموافقة على بنودها . واذاف قوله ان الاتفاقية ، في معظمها ، غير مقبولة لديه ، وانه اذا قبل بها فسينقم الشعب عليه ، ولكن السلطات البريطانية قد خذلت له ولم تترك له في الأمر خياراً سوى هذا الخيار . وجد فيصل الوضع في سوريا على اشد ما يكون من القلق والاضطراب . حتى ان اقرب الأصدقاء اليه واشد الأعوان إخلاصاً اليه كانوا في حالة من الهياج والتخوف . فان اخبار استبدال الجيش البريطاني بجيش فرنسي ، واخبار المفاوضات مع كليمنصو كانت قد سبقت مجيء فيصل واشاعت في البلاد جواً من الاشاعات المفرقة في الخيال . كانوا يقولون ان رئيس الحكومة في سوريا قد ذهب الى مؤتمر الصلح ليضع حداً للحالة السيئة التي تتردى بها الحكومة والبلاد كجزء من « ارض العدو المحتلة » بينما هي ، نظرياً ، بلاد مستقلة ، كما انه ذهب الى المؤتمر ليطلب سحب الجيوش الأجنبية من سوريا ونيل الاستقلال التام غير المشروط . ولكنه عوضاً عن ان يفعل هذا كله فانه سوى خلافه مع العدو « وباع » البلاد . وهكذا اتسعت شقة الخلاف بين فيصل والسوريين بصورة تهدد بكارثة . وشعر كثير من رجالات الأحزاب جميعها ان فيصل اقترف خطأ خطيراً . وارتفعت اصوات النقد من على المنابر ، وفي الجرائد ، وفي الشوارع في دمشق . (٤) وكانت الضربة التي اصابت زعامة فيصل وسمعته قاصمة مما تعذر معها اصلاح ما افسدته هذه الظروف . وفي الوقت ذاته خلق هذا الوضع جواً صالحاً وترتبة صالحة لنمو النشاط الموالي لفرنسا ونجاحه . واستقر رأي جماعة صغيرة من السوريين النافذين البارزين على ان احتلال فرنسا لسوريا امر محتتم في آخر الأمر ، وعليه فمن الحكمة اقامة علاقات طيبة مع فرنسا . (٥) وبعد ان اخذ الوطنيون والمفكرون السياسيون والضباط في جيش فيصل جميع الظروف بعين الاعتبار اصبحوا مقتنعين ان الثورة المسلحة ضد فرنسا امر لا محيد عنه . انها الطريقة الوحيدة لاجراج الفرنسيين من البلاد . فاتخذ المؤتمر السوري في شهر كانون الأول ، ١٩١٩ ،

قراراً بالاجماع يقضي بفرض التجنيد الاجباري وذلك قبل رجوع فيصل الى دمشق . فقد كانت الحكومة تفكر جدياً بالدفاع عن سوريا وبضرورة اعلان استقلالها التام فوراً ، وهكذا تكون قد جابهت الفرنسيين بالأمر المبتوت فيه وبالأمر الواقع . (٦) وعندما اطلع فيصل على الحالة النفسية النائرة في البلاد تردد في بادئ الأمر ، لأنه في قرارة نفسه كان على شيء من الاقتناع بأنه من الخير العميم ان يصل مع الفرنسيين الى نوع من التفاهم والاتفاق . ولكنه آخر الأمر استسلم للتيار النفسي الجارف ، ذلك التيار الذي غرق فيه الاستقلال السوري .

في الثاني والعشرين من كانون الثاني حزم فيصل امره بالرد على منتقديه علناً ، وان يزيل مخاوفهم وشكوكهم . ففي خطاب القاه في النادي العربي في دمشق امام جمهور عظيم من الأعيان والوطنيين وضباط الجيش صرح لهم انه لم يتغير بل انه لا يزال فيصلاً الذي يعرفونه . ولا يزال له هدف سام وحيد وهو استقلال سوريا وحدها بل استقلال البلدان العربية « لأن كل بلاد العرب بلادي » . وهو يريد « ارجاع مجدنا الغابر » . وفي الغرب عبر عن امانيه هذه بالطريقة ذاتها التي يعبر عنها امام هذا الحشد . وليس هناك من انسان عربي في اي بلد عربي يرضى الاستعباد لقوة اجنبية . ولكن الكلام وحده لا يكفي ، فقد ظل العرب يرددون الكلام طوال سنة ونصف السنة . وقد آن وقت العمل . « كفانا خطباً كفاناً قولاً » ، نحن في ايام العمل لا في ايام القول . ان الأقوال لا تأتي بفائدة ، ولكن الأفعال تفيد كثيراً وهذه الفورة من الحماسة الوطنية التي شهدناها عند عودته من اوروبا لم تكن كافية في حد ذاتها . فراح يطلب الى الشعب ان يعمل . ولكن على الشعب ان يعتمد على الحكومة ، كما ان عليه ان يثق بها ثقة كاملة وبفيصل الذي كان هو الحكومة . وذكر الأمير الحضور بان الحكومة السورية لا تزال حكومة عسكرية موقته لم تأت الى الحكم نتيجة انتخاب الشعب لها . ثم انه ركز في هذا الخطاب على خطورة الوضع الحالي وقال : « نحن في موقف حرج يجب ان لا نحتقر فيه الأمم . لأننا باحتقارنا لاحداها ، نكون احتقرنا انفسنا امام دول كبار وامم عظام . يجب علينا ان نحترم كل امة وكل حكومة متى احترمت بلادنا واستقلالنا ومنافعنا ... » ولأسباب لا يستطيع شرحها سيؤجل تشكيل حكومة منتخبة من قبل الشعب قبل ان يقدم للبلاد « هدية الاستقلال » . وختم فيصل خطابه بطلب ثقتهم في شخصه وطلب ان « يؤيدوا ويعتمدوا على الحكومة » . (٧)

كان اقرب الناصحين لفيصل واخلص اصدقائه يلحون عليه بضرورة اعلان استقلال سوريا بلائاً مستقلة لدى العالم بأسره ، واعلان نفسه ملكاً عليها . غير ان فيصلاً كان رجلاً منهوكة القوى خائر العزيمة . فقد كانت تخامر نفوس شعبه

ربية من امره ، وراح ابوه يحذره من المساومة على استقلال سوريا ، وكانت تفد الوفود اليه تبعاً طالبة اليه بالحاح ان يقوم بعمل فوري. (٨) وكانت هناك دلائل على نشوب ازمة خطيرة وشبكة الوقوع في البلاد ، ازمة لم يكن يستطيع منع وقوعها او معالجتها بفعالية . وظهرت بوادر عصيان وتمرد وخروج على القوانين في مختلف انحاء البلاد . وهاجمت جماعات من البدو قرى مختلفة في سهل البقاع وعلى الحدود غير الواضحة المعالم بين سوريا ولبنان . وقتل في قضاء مرجعيون عدد من الناس وسفكت فيها دماء ، ووقعت اعمال السلب والنهب والتخريب ، كما ان خسائر الفرنسيين كانت جسيمة .

ينبغي لنا ان نشير الى ان اقرب المعاوين لفصيل كانوا من العراقيين والسوريين والفلسطينيين ، حتى ومن اللبنانيين . اما العراقيون فكانوا ناقلين على بريطانيا لاحتلالها العراق ، وكان السوريون معادين للفرنسيين وللبريطانيين الذين خذلهم وسلموا امرهم الى الفرنسيين . واما الفلسطينيون ، بعد اعلان وعد بلفور ، فكانوا يتهمون بريطانيا بأنها « باعت » فلسطين الى الصهاينة . واما بعض اللبنانيين فقد اصابتهم صدمة نفسية بسبب تدخل فرنسا المباشر في كل كبيرة وصغيرة في شؤونهم . وكانت كل فئة من السكان تعتبر مشكلتها القضية الأولى فكانت تلح بشدة على فيصل ان يعالج اولاً مشكلتها وان يجد لها حلاً قبل ان يجد حلولاً للمشكلات الأخرى . ولكن الملك حسين ، في هذه الأثناء ، كان مترعجاً قلق البال اذ ان ابنه فيصلاً كان يفاوض الفئات الاقليمية المختلفة على اساس من الوحدات الجغرافية المستقلة ، بينما كان ملك الحجاز يريد نيل الاستقلال للأمة العربية بأجمعها ، واعادة امجاد الامبراطورية العربية القديمة . وقد قال المغفور له الملك عبد الله لمؤلف هذا الكتاب ان « للعرب تاريخين ، قديم انقضى باندثار دولهم وجديد ابتداء من الثورة الأخيرة التي قام بها الشريف حسين بن علي في مكة المكرمة وسميت بالنهضة العربية في الحرب العظمى الأولى وكان القصد منها ايجاد دولة واحدة عربية تحمل شرف الشرق العربي مرة ثانية على عاتقها وتخوض غمار الحياة مع الأمم الحية جنباً الى جنب . هذا كان النظر الذي جر الحسين بن علي الى ان ينضم الى صفوف القائلين بلزوم الانفصال عن المجموعة العثمانية فالثورة العربية انتهت منتصرة في الحرب الأولى . ولكن خذلت بعد تلك الحرب بأن دعى حلفاؤها الى انتدابات فرضتها خلفاً لعهدوها » .

في شهر كانون الثاني من سنة ١٩٢٠ كان الملك حسين يعاني همماً شديداً من جراء تردي الوضع في سوريا . وعندما قابله الفيصل مارشل فيكونت اللبي في جدة في الثامن من ذلك الشهر بشأن العلاقات مع ابن سعود ، قال له الملك حسين :

« لقد بعثت حكومة جلالته الي برسالة تتعلق بقضية ابن سعود . وانني اعتبر هذه القضية ثانوية ليست بذى شأن . ان مشكلات سوريا تستأثر باهتمامي الكلي ، وكذلك مركزي الخاص بالنسبة الى العرب ... ان السياسة التي تتبعها بريطانيا الآن من تسليم سوريا الى حليفاتها فرنسا من شأنها ان تفسد كل ما انجزته بريطانيا والعرب كحلفاء من اعمال ... ويتلفت العرب الآن الي ويسألوني لماذا خذلهم بريطانيا ، ثم يطلبون الي ان اكون المتكلم بلسانهم لدى بلادكم . » فأجاب اللبي انه لم يحضر الى الحجاز لبحث الشؤون السورية ، او الزعامة العربية ، بل جاء « ليسهل امر ايجاد تسوية لقضية ابن سعود . » (٩) وفي وقت لاحق قابل الكولونل فيكري (Vickery) ، المعتمد البريطاني في جدة ، الملك حسين بموجب تعليمات صدرت اليه من القاهرة ان يقرأ عليه النص العربي (اي الترجمة العربية) لرسالة السير هنري ماكماهون للشريف حسين المؤرخة في ٢٤ تشرين الأول ، ١٩١٥ . عندها يقول فيكري ، « ابرز الملك حسين رسالة وكرر بشيء من الغضب العبارة التالية الواردة في هذه الرسالة ، وهي : « بالنيابة عن الحكومة البريطانية العظيمة أقبل بكل مطالبكم . » ثم دفع بالرسالة الى فيكري وقال له « اقرأ يا نور عيني . » فلاحظ فيكري ان اللغة التي صيغت بها الرسالة لم تكن عربية خالصة يكتبها اديب عربي ، وانه لم يكن هناك على هوامش الرسالة ترجمة انكليزية ، كما انه لاحظ ان العبارة المشار اليها « والتي صيغت بشكل مؤسف » تتعلق بطلب الذخيرة الحربية. (١٠) وقد كتب فيكري حول هذا الحادث يقول : « انني استطيت الحزم في القول ان جميع مطالب الملك حسين كانت تتركز على سوريا وعلى سوريا وحدها . » (١١) في هذه الأثناء كان مؤتمر الصلح في باريس قد اختتم في ٢١ كانون الثاني دون ان تشترك الولايات المتحدة في تسويات ما بعد الحرب المتعلقة بالشرق الأدنى . وقد عقد اثر انتهاء مؤتمر الصلح عدد من المؤتمرات الدولية في فترات متقطعة كان اولها مؤتمر مجلس الحلفاء الأعلى في لندن الذي عقد جلساته بين الثاني عشر والسابع عشر من شهر شباط لاستئناف البحث في المعاهدة التركية . (١٢) في هذه الأثناء كان كليمنصو قد اختفى عن المسرح السياسي نتيجة فشله في الانتخابات الفرنسية العامة ، الأمر الذي حملة على الاستقالة . واصبح ميلران (Millerand) رئيس الوزراء . لم يخضر ميلران مؤتمر لندن بل ارسل عوضاً عنه السيد برتوله (Bertholet) الذي كان لويد جورج يقول عنه انه اقدر موظف في الكاي دورساي . وطلب من لويد جورج تلا السيد برتوله بنود الاتفاقية المعقودة بين الفرنسيين والأمير فيصل ، وازاف برتوله قوله ان الأمير فيصل غادر باريس راضياً كل الرضى عن الاتفاقية التي توصلنا اليها ، وكرجل شرقي فاننا لا نرى شائبة في حسن ولائه

للحكومة الفرنسية . وهو شخصياً له ملء الثقة بحسن طويته وأمانته . وبرتوله يدرك تمام الادراك ان الأمير ذو شخصية ضعيفة وان وضعه سيكون وضعاً صعباً بسبب الحاشية التي تحيط به في دمشق والتي تتألف من جماعة من الخصوم الذين يضمرون العداء لفرنسا . ولكن اذا فقد الأمير مكانته بسبب ضعف شخصيته فمن المفهوم لدينا ان جميع الاتفاقات التي عقدناها معه ستكون لاغية بحكم الطبع .

وكان الوضع في سوريا يزداد سوءاً على سوء . وكان عدد من اتباع فيصل واعوانه ينظرون الى سياسة الاعتدال التي كان يقول بها فيصل بكثير من الريبة والشك ، كما انها كانت سياسة قد اخفقت فعلاً . وفيصل نفسه اخذ يفقد الكثير من قوته ونفوذه . وقد كتب السيد برسيغال فيلبس (Percival Philips) احد مراسلي جريدة الدايلي اكسبرس ، من دمشق يقول :

« لقد ترك الأمير في نفسي عند مقابلتي الأخيرة له انه رجل على حافة الانهيار التام من جراء اليأس الذي يشعر به ، وذلك لأن كل امرئ هنا يشك فيه . والفرنسيون لا يثقون به ، كما انهم يتوقعون قيام الدسائس والتآمر لرفض الاتفاقية ولاعلان سوريا دولة مستقلة . وملك الحجاز ، ابوه ، لا يثق به ظناً منه ان فيصلاً قد اسلم امره وبلاده للتبعية وذلك عبر الاتفاقية التي لا تعرف مكة شيئاً عن امرها . » (١٣) وفي مقابلة سابقة جرت في ٨ شباط اعترف فيصل للسيد فيلبس انه عقد اتفاقاً مع الفرنسيين لأن « الحكومة البريطانية الحت علي في الطلب ان افعل هذا » . ولكن فيصلاً اضاف قائلاً « حتى ان اعز اصدقائي يعارضون هذه الاتفاقية . »

وقول فيصل لمستشاريه ومعاونيه المتحمسين ، ولكن غير الواقعيين ، من ان « الحق » الى جانبهم لن تجدي نفعاً لأن « القوة » كانت الى جانب فرنسا ، وانه اذا جدّ الجدد وقعت المواجهة فان قوة السلاح هي التي ستفصل في الأمر . (١٤) في السادس من شهر آذار عقد المؤتمر السوري العام جلسة في دمشق وكان فيصل قد دعا المؤتمر الى الانعقاد قبل مجيء اللجنة الأميركية المعروفة بلجنة كنج - كراين (١٥) وكان المؤتمر قد قرر اتخاذ الخطوة الخطيرة . وكان فيصل قد القى خطبة مقتضبة طلب فيها الى المؤتمرين ان يتخذوا قراراً بشأن مصير البلدان العربية على ضوء مبدأ تقرير المصير وحرية الشعوب التي اعلنها الرئيس ولسن والحلفاء . كما انه ذكرهم ان العرب خاضوا غمار هذه الحرب من اجل حريتهم واستقلالهم القومي . واما اليوم فان المسؤولية الخطيرة والواجب العظيم يقعان على كواهلهم ، اذ انه يتوجب عليهم ان يقرروا اولاً الشكل الذي ستحكم البلاد بموجبيه ، وان يضعوا لها دستوراً « يعين لكل من أمرنا وأمورنا حقوقه ووظائفه في حياتنا المستقبلية » واختتم كلامه بتذكير الحاضرين ان اخوانهم العراقيين جاهدوا وابلوا بلاء حسناً

في سبيل الوطن . (١٦) في اليوم التالي ، أي في السابع من شهر آذار وضع المؤتمر السوري العام « الذي يمثل الأمة العربية » قراره التاريخي الخطير . وبعد ذكر الأسباب التي من اجلها قامت الثورة العربية ، والضحايا من العرب الذين سقطوا في ساحات القتال ، والوعود التي قطعها زعماء الحلفاء التي تقوم على مبدأ حق تقرير المصير ، وكيف ان سوريا قد جزئت الى ثلاث مناطق عسكرية اعتبرت مناطق من ارض العدو المحتلة ، نقول بعد ذكر هذا كله ، تطرق القرار الى وجوب الخروج من هذا الموقف المالي بالمخاوف والشكوك واعلان الاستقلال التام . وعليه فان المؤتمر السوري اعلن بالاجماع « استقلال سوريا بمحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالاً تاماً لا شائبة فيه ، على الأساس المدني النيابي وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود او محل هجرة لهم . »

« وقد اخترنا سمو الأمير فيصل بن جلالة الملك حسين ... ملكاً دستورياً على سوريا بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول ، واعلنا انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث ، على ان تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية ... وعلى ان تدار مقاطعات هذه البلاد على طريقة اللامركزية الادارية ، وعلى ان تراعى امانتي اللبانيين الوطنية في كيفية ادارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب بشرط ان يكون بمعزل عن كل تأثير اجنبي . » ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب العربي من حكم الأتراك ... « فنحن نطلب استقلال القطر العراقي استقلالاً تاماً ، على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي . » (١٧)

وفي نهاية القرار تأكيد على الابقاء على صداقة الحلفاء ، وتعهد برعاية مصالحهم ، كما انه يعبر عن امله بأن تعترف حكومات الحلفاء ، وسائر الدول الأخرى ، باستقلال سوريا .

وفي اليوم الثامن من آذار ، قرىء البيان على الناس حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر من شرفة نايبة البلدية في دمشق بعد ان وصل الأمير راكباً جواده يشق الجماهير التي استقبلته بابتهاج عظيم . واعلن فيصل ملكاً دستورياً على البلاد السورية المستقلة بمحدودها الطبيعية « اي على سوريا ولبنان وفلسطين . » (١٨) واطلقت مئة طلقة وطلقة اعلاناً لولادة المملكة الجديدة ، ورفع علمها الجديد . (١٩) وبعد دقائق معدودة ومن على الشرفة ذاتها قرىء بيان آخر اعلن فيه استقلال العراق استقلالاً تاماً برئاسة الأمير عبد الله اخي فيصل . وقد اتخذ هذا القرار مؤتمر عراقي عقده رجال عراقيون كانوا في دمشق وكانوا يتعاونون مع رجال المؤتمر السوري العام . يقول السيد علي جودت :

« اما العراقيون الذين كانوا انذاك في سورية ، وهم فريق من اعضاء « جمعية العهد » ومن الضباط الذين ساهموا في الثورة العربية الكبرى ، ومن منوري الحالية العراقية في دمشق ، فقد تداولوا فيما بينهم وقرروا اعلان استقلال العراق في اليوم نفسه الذي يعلن المؤتمر السوري فيه استقلال سوريا . وهكذا فقد تلى السيد توفيق السويدي قرار المؤتمر العراقي من شرفة البلدية في المرجة . » وفي القرار العراقي جاء ما نصه :

« وبصفتنا ممثلي الشعب المكلفين بالاعراب عن ارادته ، اعلنا الآن باجماع الآراء ، استقلال البلاد العراقية المسلوخة عن تركيا بحدودها المعروفة من شمال ولاية الموصل الى خليج فارس استقلالاً تاماً لا شائبة فيه . وايدنا استقلال سوريا التام واعلنا اتحاد العراق معها اتحاداً سياسياً واقتصادياً . » (٢٠)

يجدر بنا ان نشير الى ان اعلان المملكة السورية المتحدة كان امراً يناقض الهدف الأول الذي كان يسعى الى تحقيقه الملك حسين وهو استقلال جميع العرب والبلدان العربية في الشرق الأدنى على ان يكون هو ملكاً عليها . ولكن الزعماء العرب الذين اجتمعوا في دمشق وجدوا ان القرار الذي اتخذه هم كان قراراً اقرب انسجاماً مع مقتضيات الظروف في تلك الفترة . ولكن الملك عبد الله ، فيما بعد ، انتقد صراحة اعلان اخيه ملكاً على سوريا . فانه كان عملاً يخالف ارادة ابيه الذي كان يرغب في تأجيل مثل هذا الاعلان الى ما بعد توقيع معاهدة الصلح مع تركيا ، والى ان تكون تركيا قد اعلنت عن تنازلها عن حقوقها في جميع البلدان العربية . وكان الملك عبد الله يرى ان السياسة العربية التي اتبعت في اعلان سوريا بلداً مستقلة وفي اعلان العراق ايضاً بلداً مستقلاً والاعتراف باستقلالهما كانت من اعظم الأخطاء التي ارتكبتها العرب بعد الحرب العالمية الأولى . ذلك ان هذه الخطوة التي اتخذت افسدت على العرب وحدتهم وكانت السبب المباشر لفرض الانتداب على هذين البلدين . وكان يعتقد ان ذلك القرار الذي اتخذ كان بتأثير من الزعماء العرب الذين ظلوا سنوات يعملون في خدمة الأتراك ، وكانوا لا يزالون يفكرون « باللامركزية » التي كانت الهدف الأول للاستقلال العربي . (٢١)

في التاسع من آذار عين رضا باشا الركابي اول رئيس للوزارة في المملكة السورية الجديدة ، وطلب اليه تأليف وزارة . (٢٢) احاط الركابي بحكومات الحلفاء فوراً علماً باعلان سوريا دولة مستقلة ، ورافق ذلك بنسخة مترجمة طبق الأصل عن القرار الذي اتخذته المؤتمر السوري العام . ثم اوضح لهم حسن نوايا الحكومة السورية طالباً اليهم ان يعترفوا بالمملكة السورية الجديدة . (٢٣) كما ان فيصلاً نفسه بعث برسائل وبرقيات الى كل من الرئيس ولسن ، واللورد كرزن ، والجنرال النبي ،

والجنرال غورو ، شارحاً لهم الأسباب الموجبة لاعلان وحدة سوريا واستقلالها ، وموضحاً لهم ان انشاء مملكة سورية متحدة لا يضر بمصالح الحلفاء ، مؤكداً لهم ايضاً ان الدولة السورية الجديدة ستحافظ على صداقتها مع الحلفاء وعلى تعاونها معهم . (٢٤) يقول لورنس افنس (Evans) (٢٥) في معرض دراسته المخبرات والمراسلات التي كانت تبث بها القنصليات الأميركية في كل من دمشق وبيروت وحلب ما يلي :

« عندما اعلن استقلال سوريا بذل فيصل ، بالاشتراك مع حكومته ، جهوداً كبيرة ليحصل على موافقة الولايات المتحدة ، كما انه حاول ان يضع قضية اعلان استقلال سوريا امام الحكومة الاميركية في اطار مرض بقدر المستطاع كي يحظى برضاها وموافقتها ، ولكن حكومة الولايات المتحدة ظلت على موقفها المتحفظ ... »
« لم تبد الولايات المتحدة اكترائاً بأمر استقلال سوريا ، ولم تعترف بفيصل ملكاً ... ففي ٢٨ آذار بعث فيصل ببرقية الى الرئيس ولسن يطلبه فيها على الأسباب التي حملته على اعلان استقلاله ، ويطلب فيها مساندته ... قال فيصل في برقيته ان العرب لا يبتغون سوى الحصول على حقوقهم ، وانهم على اتم استعداد ان يقوموا بما عليهم من متوجبات . وختم برقيته بأن طلب الى الرئيس ولسن ان يستخدم نفوذه في حمل الحلفاء على ان يقبلوا باستقلال سوريا . ولكن الولايات المتحدة لم ترد على اية من المراسلات التي كانت تردها من دمشق بهذا الخصوص » .

اما اللورد كرزن فانه بعث فوراً ببرقية جوابية في ٩ آذار باسم الحكومة البريطانية والفرنسية ضمنها احتجاجاً عنيفاً . فقد ذكر ان المؤتمر العربي ليس له صفة شرعية وانه تصرف تصرفاً مخالفاً لارادة الحكومتين البريطانية والفرنسية ، وان اعلان استقلال سوريا من شأنه ان يعقد تسوية القضية التركية في مؤتمر الصلح . وفضلاً عن هذا فان بريطانيا لا تعترف لأحد بحق اية فئة في دمشق ان تتكلم نيابة عن فلسطين والعراق . وتجدر الاشارة الى ان فيصلاً كان قد اطلع بريطانيا في السابع من آذار على القرار الذي اتخذه في ذلك اليوم ذاته المؤتمر السوري العام ، ولكن بما انه اعلن ملكاً في اليوم التالي فلم يكن قد تسنى للحكومة البريطانية ان تبث اليه بوجهة نظرها . ولكن عندما ابرق فيصل ثانية الى اللورد كرزن بواسطة الكولونل ايستون (Easton) ضابط الارتباط البريطاني في دمشق ، ليبرر ما قام به المؤتمر السوري العام رفضت بريطانيا الاعتراف بفيصل سوى انه « امير هاشمي » ورئيس الحكومة العربية المؤقتة ويخضع لسلطة الجنرال النبي بصفته القائد العام في مناطق العدو المحتلة . ان أية تسوية نهائية ينبغي تأجيلها الى ان يتخذ مؤتمر الصلح قراراً نهائياً بشأنها . وكانت الحكومة الفرنسية والصحافة والرأي العام على غاية من الانزعاج ، ولا

سيما لضم لبنان في مملكة فيصل ، لأن ليس له حق ، كما كان يقول الفرنسيون ، ان يتدخل في شؤون المناطق « التي وضعت مباشرة ضمن النفوذ الفرنسي » . وقد عبرت بريطانيا عن اسفها لما حدث في دمشق ، وعن استعدادها لتقديم احتجاج الى الأمير ، وذلك في برقية جوابية عن برقية كان قد بعث بها رئيس الوزارة الفرنسية ، السيد ميلران (Millerand) الى الحكومة البريطانية ليلفت نظرها الى ان اي اعتراف بفيصل من قبل بريطانيا يعتبر عملاً غير ودي نحو فرنسا . (٢٦) ابدت الصحافة البريطانية والفرنسية والأميركية اهتماماً كبيراً بشؤون سوريا في تلك الفترة . فقد كتب المراسل السياسي لجريدة التايمز ، في ١٣ آذار يقول « ان فيصلاً كان دوماً على استعداد لقبول الانتداب الفرنسي على لبنان والانتداب البريطاني على فلسطين ولكن يبدو ان ثقل الأحداث كان أكثر مما يستطيع تحمله . وكان من المتوقع ان يعلن فيصل ملكاً على سوريا المستقلة المتحدة التي تضم شمالي العراق ولبنان وفلسطين ... ولكن مما لا شك فيه ان السرعة التي تم بها اعلان سوريا المستقلة كأمر واقع هو الذي خلق حالة من الارتباك ، وفرض نفسه كتحد للجماعة التي كانت تناصر الاتفاقية الانكلو - فرنسية وتعضدها » . اما السيد ارنست سميث (Smith) ، مراسل جريدة الدايلي نيوز فقد كتب من القاهرة في العشرين من آذار يقول : « ولو ان الأمير فيصلاً لم يأخذ جانب الاستقلال لكانت سلطته قد تلاشت ، وكان من المحتمل ايضاً فقدان الحجاز » . كما ان فيصلاً سمح ايضاً بعدد من المقابلات لمراسلي الصحافة الأجنبية . فبعث ج. م. ن. جفرز (Jeffries) (مراسل جريدة الدايلي مايل) بتقرير مطول حول زيارته الى دمشق واجتماعه بفيصل . (٢٧) يقول جفرز : « كانت تلك المرة الأولى التي خاطب فيها فيصل بريطانيا والرأي العام الأوروبي كملك . فكانت مقابلي له محاطة بشيء من الرسميات » . وذكر ان فيصلاً قال في هذه المقابلة : « ان هناك ما يبرر عملنا هذا . فقد وعدنا الحلفاء منذ زمن بعيد باقامة دولة عربية مستقلة حيث اعلانها . اما الذي دفع بالمؤتمر السوري الى استعجال الاعلان فهو التأخر البطيء الذي لم يكن له في مؤتمر الصلح من نهاية حول اتخاذ قرار يتعلق بقضيتنا ... فقد فقد العرب ثقتهم واصبحوا على اقتناع من ان الحلفاء يبتغون ابقاء سوريا مجزأة الى ثلاث مناطق كما هي الآن ، وان الوعد الذي قطعوه على انفسهم من توحيد الأمة العربية في مملكة عربية واحدة ، او في اتحاد عربي فدرالي ، ليست سوى خرافة ، وأسفر الأمر عن ظهور رأي عام في البلاد ينطوي على كثير من المخاطر ولم يعد يتحمل التأجيل » . وعندما سئل فيصل عن رأيه في الانتداب ابتسم وقال : « للآن لم أتمكن من فهم معنى الانتداب . قد لا يعني الانتداب سوى اقامة علاقات ودية وتعاون مشترك بين المنتدب والمنتدب عليه ،

وقد يعني الاستعمار فهي كلمة مطاطة ، وكل شيء يتوقف على الكيفية التي سيمارس بها الانتداب » . وكان تعليق جفرز على ما قاله له فيصل : « انه ينبغي نفيًا باتاً فكرة قبول التجزئة الدائمة في سوريا الى مناطق ، وانه لن يقبل بأقل من استقلال الأرض السورية بكاملها » .

في الثامن عشر من آذار تقدم السيد اورمزي غور (Ormsby-Gore) في مجلس العموم البريطاني بسؤال حول « التطورات السياسية والعسكرية الأخيرة في سوريا » . فأجاب رئيس الوزراء بما يلي :

« يبدو ان مؤتمر سوريا انعقد في دمشق في الثامن من آذار وأعلن الأمير فيصلاً ملكاً على سوريا . كما انه يبدو ايضاً ان سوريا المعنية تضم فلسطين . وظاهر ان مستقبل هذه المناطق التي سُلخت من الامبراطورية العثمانية لا يمكن ان تقرره بطريقة رسمية سوى دول الحلفاء التي هي مجتمعة الآن في مؤتمر لهذه الغاية ، وعليه فان الحكومتين البريطانية والفرنسية قد ابلغتا فيصلاً انه يتعذر عليهما ان تعترفا بشرعية هذه الاجراءات . وقد وجهت الدعوة الى فيصل ليحضر الى اوروبا ليعرض قضيته . » (٢٨)

يحسن بنا ان نشير الى ردة الفعل التي حصلت في لبنان من جراء اعلان فيصل ملكاً على سوريا المتحدة . عاد الوفد اللبناني الذي كان يرثسه البطريك الحويك الى بيروت في العاشر من تشرين الأول ، ١٩١٩ . واثار وصول فيصل الى دمشق في شهر كانون الثاني من سنة ١٩٢٠ اضطرب الرأي العام الماروني ، ووقع في حيرة من امره بسبب الأحداث التي وقعت اخيراً في سوريا ، لا سيما بعد ان اصبح واضحاً ان فيصلاً قد تخلّى عن فكرة توقيع معاهدة مع فرنسا بسبب الضغط الذي تعرض له من قبل الأوساط المتطرفة . وعليه اوفد البطريك الحويك وفداً ثانياً الى باريس برئاسة المطران المونسنيور عبد الله خوري . (٢٩) وصل هذا الوفد الى العاصمة الفرنسية في الحادي عشر من شباط ، وفي اليوم التالي شرع فوراً في القيام بمهمته وهي « انقاذ استقلال لبنان » . واخذ يقوم باجراء اتصالات مع وزارة الخارجية الفرنسية . وعندما وردت اخبار الثامن من آذار (يوم اعلان فيصل ملكاً على سوريا المتحدة) الى بيروت بدأت عرائض الاحتجاج تصل الى مقر البطريكية المارونية من كل مكان في لبنان ، معبرة عن رفض اصحابها ادعاء وفد تألف في بيروت من خمس عشرة شخصية انضمت الى المؤتمر السوري العام بان تمثل لبنان . كما ان اصحاب هذه العرائض عبروا عن رفضهم القاطع لضم لبنان الى مملكة فيصل الحديدية دون استشارة اهله والوقوف على رغائبهم . (٣٠) واما مجلس ادارة لبنان فوضع في ١٢ آذار ، ١٩٢٠ قراراً رفعه الى مؤتمر الصلح بواسطة الجنرال غورو هذا نصه :

« لقد اطلع المجلس على قرار صادر من المؤتمر السوري بمناسبة تتويج الملك فيصل ملكاً على سورية فوجد فيه مساساً بحرية لبنان وحقوقه. وفي حين ان ليس للمؤتمر السوري ولا لغيره من الحكومات المحلية صلاحية البحث والتدخل في امور لبنان وادارته. فان هذا المجلس يحتج بنيابته عن اللبنانيين على كل ما ورد في المنشور المذكور فيما يتعلق بجبل لبنان. ويؤيد استقلاله المطلق المعلن في شهر ايار سنة ١٩١٩ راجياً رفع هذا الاحتجاج الى المؤتمر العام المؤتمن على مصالح الأمم. » (٣١)

في الخامس عشر من آذار، اطلع الوفد اللبناني الذي كان قد ضاعف من جهوده في باريس على نياً مؤداه ان البطريك الحويك ارسل برقية الى رئيس الوزراء الفرنسي، السيد ميلران، محتجاً فيها على اعلان فيصل « ملكاً » على لبنان. (٣٢) وفي اليوم السابق، اي في ١٤ آذار، كان المونسنيور عبد الله خوري قد ارسل الى البطريك الحويك بواسطة الجنرال غورو برقية - بعد ان كان قد اجري اتصالات مع الوزارة الخارجية الفرنسية وحصل على موافقتها في امر هذه البرقية - يعلمه فيها ومؤكداً لغبطته انه لم يطرأ اي تغيير على نوايا فرنسا بالنسبة الى لبنان. وقد كتب الجنرال غورو كتاباً ضمنه فحوى البرقية وبعث به الى البطريك فيه تعبير عن سروره بأن الحكومة الفرنسية عادت واكدت حسن نواياها نحو لبنان وشعبه. نسبة الى اهمية هذه البرقية وخطورتها ثبتت هنا الترجمة العربية لها :

المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

في سوريا وكيليكيا

بيروت، في ١٧ آذار ١٩٢٠

من الجنرال غورو، المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

في سوريا وكيليكيا وقائد جيش المشرق

الى صاحب الغبطة البطريك الحويك،

سيدي،

لقد تسلمت البرقية التالية من سيادة المونسنيور المطران عبد الله خوري لإرسالها الى غبطتكم، وهذا نصها :

« تلقينا من معالي وزير الخارجية تأكيداً بأنه لم يطرأ اي تعديل في نوايا الحكومة الفرنسية بالنسبة الى لبنان منذ مغادرة غبطة البطريك الحويك. ان التأكيدات التي اعطيت لغبطته لا تزال هي هي دون اي تغيير.

» ان الأحداث التي وقعت في دمشق ليس من شأنها ان تعدل شيئاً في السياسة

التي تتبعها الحكومة الفرنسية حيال سوريا. نحن هنا نتابع الآن مساعيها بكل انتظام. نلقى تشجيعاً في كل مكان. »

الامضاء

عبدالله خوري

«وها اني ابعث بها شخصياً الى غبطتكم وارغب في الوقت ذاته ان اعبر لكم عن عظيم سروري بأن الحكومة الفرنسية جددت تصريحاتها القاطعة التي كان قد صرح بها السيد كليمنصو الى الشعب اللبناني.

وتفضلوا، يا صاحب الغبطة بقبول فائق احترامي. »

الامضاء

غورو (٣٣)

بعد ثلاثة ايام وجه المطران عبد الله خوري الى السيد ميلران نداء يلتبس فيه صيانة مصالح لبنان، تلك المصالح الوثيقة الصلة بالمصالح الفرنسية ذاتها. وفي العشرين من الشهر استقبل رئيس الوزارة الفرنسية الوفد اللبناني واكد له ان الرسالة التي كان قد بعث بها كليمنصو الى البطريك الماروني لا تزال تعتبر بمثابة اتفاقية ملزمة تعترم الحكومة الفرنسية العمل على تنفيذها. غير ان الحكومة الفرنسية لا تشعر انها طليقة اليد في الوقت الحاضر للتزول عند مطلب الوفد اللبناني وتتصرف من جانب واحد فتضم الى لبنان ارضاً جديدة (سهل البقاع وحاصبيا وبعلبك) دون استشارة الدول حليفاتها.

في هذه الأثناء كان الوضع المتردي في العراق يسبب قلقاً شديداً للحكومة البريطانية. فالاستياء الشديد وهياج الخواطر العنيف اسفرا آخر الأمر عن قيام ثورة خطيرة ضد السلطة البريطانية هناك. وليس لنا ان نسرد اخبار تلك الثورة لأن ذلك يقع خارج نطاق هذا الكتاب، ولكن ينبغي علينا ان نشير الى ان الضباط العراقيين الذين كانوا في السابق يعملون في الجيش التركي، والذين انضموا بعد ذلك الى الثورة العربية فأصبحوا في دمشق من المستشارين الذين كان فيصل يثق بهم ويعتمد آراءهم، لم يكتفوا بتشجيع الثورة، بل هم الذين كانوا قد خططوا لها وتزعموا قيادتها. وعلى الرغم من انه لا يمكن اتهام فيصل بأنه اشترك مباشرة في الأحداث التي هزت العراق، فان مسؤوليته عن قيام الثورة غير المباشرة امر لا يمكن انكاره. فهو لم يكن يستطيع ان يقف في وجه الضغط الذي كان كبار قواده من العراقيين يمارسونه عليه خشية ان يفقد ثقتهم به او التخلي عنه والكف عن مناصرته. (٣٤) ثم كانت هناك جماعة تشير على فيصل بان يتفق مع مصطفى

كمال باشا كي يحارب العرب الى جانب الأتراك مرة أخرى ، وهكذا يحول الشعبان التركي والعربي دون تثبيت اقدام الفرنسيين في اية بقعة من بقاع الشرق الأوسط . (٣٥) هذه الجماعة التي كانت قد شعرت بامتعاض وخيبة امل من نتائج الزيارة الثانية التي قام بها فيصل الى باريس ، ومن عدم نجاحه في الحصول على استقلال سوريا ، راحت تقنع الأمير زيد على ضرورة الاتصال بالأتراك لحسّ النض بالنسبة الى الأماني القومية العربية . والواقع ان شخصيتين سوريّتين من اعيان البلد غادرتا الى تركيا واجتمعتا سرّاً بممثلين عن مصطفى كمال باشا في استانبول وتم وضع مشروع اتفاقية موقعة على اساس التعاون بين الفريقين . ولكن عندما عاد هذان المبعوثان في شهر نيسان كان الوضع في سوريا قد طرأ عليه تغيير . لان فيصلاً رفض الدخول في مفاوضات مع الأتراك . (٣٦) وعندما بدّل فيصل رأيه حوالي شهر تموز من سنة ١٩٢٠ كان قد فات الأوان . ولم تقتصر فكرة الانضمام الى الأتراك ثانية على اولي الأمر في سوريا بل كان بعض العراقيين الوطنيين ايضاً يفكرون بالأمر جدياً . فلا عجب اذن من تصريح تشرشل الذي كان آنذاك وزيراً للمستعمرات عندما تكلم في الثاني والعشرين من شهر آذار في مجلس العموم البريطاني عن الوضع في الشرق الأوسط مشيراً الى القلق المستحوز على العراق قائلاً : « هنالك جماعة من العرب تبدي خوفاً من احتلال سوريا ، وهي تميل الآن ، ولأول مرة ، لضم صفوفها ، بطرق مختلفة ، الى الأتراك الوطنيين على ان قضيتهم واحدة مشتركة . وهكذا تم وحدة بين قوتين كنا نفيد دوماً من انقسامهما لا من وحدتهما. » (٣٧) اما فيما يتعلق بقضية الاعتراف باستقلال سورية الذي اعلن امره في دمشق ، والتي اثيرت في مجلس العموم في اليوم ذاته عندما اشار اوزمزي غور (Ormsby-Gore) الى الأحداث الأخيرة التي وقعت في سوريا فان رئيس الوزارة رد على ذلك بقوله :

« لقد احطنا الأمير فيصلاً علماً بأن القضية السورية سيببحثها مؤتمر الصلح قريباً بغية الوصول الى تسوية تنسجم مع التصريحات التي تبودلت بين الحكومات البريطانية والفرنسية والعربية . » (٣٨)

كانت اخطر النتائج التي اسفرت عن اعلان فيصل ملكاً على سوريا المتحدة في الثامن من آذار الخسارة المادية والمعنوية التي مني بها فيصل على الصعيد الدولي فقد كانت خسارة فادحة لا يعوض عنها . لقد وجد نفسه وحيداً وفارقه الاصدقاء والأعوان . كما ان وضع حليفته بريطانيا في موقف حرج حيث انه فقد كثيراً من عطفها على قضيتهم . اما بالنسبة الى الفرنسيين والبنانيين فان اعلان استقلال سوريا المتحدة جاء مصداقاً لمخاوفهم وشكوكهم كما ان كشف لهم عن نواياه . فاستقل اللبنانيون في تصريح شؤونهم بأنفسهم — وذلك بمعرفة السلطات الفرنسية

وبمعارضتها — ونهار الاثنين الواقع في الثاني والعشرين من آذار عقد اجتماع حاشد في بعيدا ، عاصمة جبل لبنان القديمة ، حضره اعضاء مجلس الادارة وجمهرة من اعيان لبنان ووجهائه وممثلون عن مختلف الطوائف المسيحية ، وأعلنوا استقلال لبنان . وعند الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم ، وفي احتفال مهيب ، رفع اول علم لبناني على سرايا بعيدا بحضور كتاب من الجيش اللبناني التي مرت امام العلم وادت له التحية العسكرية . وما كان هذا الحادث بالأمر الذي يمكن تجاهله في دمشق او الاستخفاف بالمغزى الخطير الذي كان يرمز اليه . (٣٩)

الفصل الحادي عشر سوريا تحت الانتداب الفرنسي

« ان الانتداب نظام مؤقت ، الغاية منه مساعدة الشعوب التي لا تزال من وجهة سياسية عاجزة عن تربية نفسها كي تبلغ يوماً مرتبة الاستقلال الذاتي التام . وهذا يقتضي ضمناً ان الدولة المنتدبة تسعى تدريجياً الى انشاء تنظيمات وطنية في البلاد المنتدب عليها تستطيع عند اتمام انشائها ، ان تضمن لنفسها القدرة على حكم البلاد ، وبحيث انها ، اذا استطاعت ان تقوم بواجباتها على خير ما يرام من الدقة والتمام ، تحول دون تدخل السلطة المنتدبة في شؤونها فيما بعد . ومن هذا يبدو انه لا ينبغي لسلطات الانتداب ان تتدخل في الشؤون الداخلية للحكومات الوطنية . »

اللجنة الدائمة للانتداب (من وقائع الجلسة الخامسة)
« جلسة استثنائية »

في هذه الأثناء كانت بريطانيا وفرنسا تبحثان خططهما المتعلقة بمستقبل الشرق الأدنى العربي . فقد اجتمع مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو (San Remo) في اليوم التاسع عشر من شهر نيسان واستمر عقد الجلسات حتى السادس والعشرين منه . وقد حضر هذا الاجتماع كل من ميلران (Millerand) ولويد جورج (Lloyd George) . وكان الغرض من عقد هذا الاجتماع وضع صيغة للمعاهدة التركية . وفي اثناء ست جلسات عقدت بين التاسع عشر والرابع والعشرين من شهر نيسان وضعت صيغة معاهدة سفر (Sèvres) . وتنص المادة الرابعة والتسعون من هذه المعاهدة على ما يلي : « يوافق الطرفان المتعاقدان الساميان على ان تكون سوريا والعراق ، وفقاً للفقرة الرابعة من المادة الثانية والعشرين الجزء الأول (من ميثاق عصبة الأمم) بلدين مستقلين معترفاً بهما اعترافاً مؤقتاً على ان تتلقيا العون والمشورة في الادارة من

قبل دولة منتدبة الى ان يحين الوقت عندما تجد الدولتان انهما بغني عن مثل هذا العون والمشورة ... (١) . وفي الخامس والعشرين من نيسان تم توزيع الانتداب على العراق وفلسطين وسوريا . وكانت هذه البلدان تقع تحت الانتداب من فئة آ (A) ، وكانت الدول المنتدبة التي « اختارتها الدول الحليفة الكبرى » فرنسا على سوريا (بما في ذلك لبنان) وبريطانيا على العراق وفلسطين .

كان هذا النظام السياسي الجديد تطبيقاً لما نصت عليه المادة الثانية والعشرون من ميثاق عصبة الأمم . وقد اقترح هذا النظام بمناسبة البحث في قضية تصفية المستعمرات الألمانية . كان المبدأ الذي تم عليه الاتفاق بهذا الشأن هو « ان لا تعاد الى المانيا مستعمرة واحدة من مستعمراتها » « وانه ليس هناك رغبة لدى ممثلي بريطانيا العظمى في ضم اراض جديدة الى الممتلكات الشاسعة المتخلفة التابعة للتاج البريطاني » (٢) ان رفاهة شعوب المستعمرات وتنمية مواردها تستلزمان رعاية « الدول المتقدمة التي ، استناداً الى مواردها والى خبرتها ، او استناداً الى موقعها الجغرافي تستطيع ان تتولى هذه المسؤولية على اتم وجه ، والتي تبدي استعداداً لقبول تحمل هذه المسؤولية ، على ان تمارس هذه الدول رعايتها بصفتها دولاً منتدبة من قبل عصبة الأمم ... » (المادة الثانية والعشرون) وعندما تقرر ايضاً تطبيق نظام الانتداب على الشرق الأدنى اصبحت الصيغة النهائية للمادة الثانية والعشرين ، والتي كانت قد تمت المصادقة عليها في ٢٨ نيسان من سنة ١٩١٩ ، تشمل الآن الفقرة الرابعة الشهيرة دون الاشارة بصورة محددة الى اية ممتلكات تنطبق عليها هذه الفقرة ، لأن النص هو كما يلي : « ان بعض الشعوب التي كانت فيما مضى تابعة للامبراطورية العثمانية قد بلغت مرحلة من التقدم بحيث يمكن الاعتراف بها كبلدان مستقلة اعترافاً مؤقتاً على ان تتلقى العون والمشورة في المسائل الادارية من قبل دولة منتدبة الى ان يحين الوقت الذي تستطيع فيه هذه الشعوب ان تستغني عن مثل هذا العون والمشورة . ويجب ان تؤخذ رغائب هذه الشعوب بعين الاعتبار عند اختيار الدولة التي ستتولى الانتداب عليها ... » وقد ترك امر تحديد هذه الممتلكات لمؤتمر سان ريمو ، الذي عقد بعد سنة واحدة من تاريخ اقرار هذه الفقرة ، ولكن حتى في ذلك المؤتمر لم يتم الاتفاق على الحدود الثابتة الواقعية لهذه المناطق الا بعد ان تم التوقيع على الاتفاقية الفرنسية - البريطانية المعقودة بينهما في الثالث والعشرين من كانون الأول ، ١٩٢٠ ، والتي كانت الغاية من عقدها « لحل المشكلات التي نشأت عن منح فرنسا حق الانتداب على سوريا ولبنان من قبل المجلس الأعلى في سان ريمو حلاً تاماً نهائياً ... » (٣)

وتجدر بنا الاشارة ثانية الى اهمية النفط في شؤون الشرق الأوسط فنقول انه

في اليوم الذي تم فيه توزيع الانتداب في مؤتمر سان ريمو وافق كل من لويد جورج وميلران على التوقيع على مذكرة الاتفاقية حول النفط وكانت قد وضعت صيغتها قبل ذلك الحين بيوم واحد ووقع عليها بالحروف الأولى كل من السيد فيليب برتلو (Berthelot) المدير العام للشؤون السياسية والتجارية « في وزارة الخارجية الفرنسية ، والأستاذ السير جون كادمن (Cadman) « المدير المسؤول في دائرة النفط الملكية . » ففي العراق وبموجب هذه الاتفاقية ، تتعهد بريطانيا « ان تمنح الحكومة الفرنسية ، او من ترشحه ، ٢٥ بالمائة من صافي انتاج النفط الخام ... او في حالة تولي شركة خاصة انتاج النفط في العراق فان الحكومة البريطانية تضع تحت تصرف الحكومة الفرنسية حصة قدرها ٢٥ بالمائة من اسهم الشركة ... » ومقابل هذا توافق الحكومة الفرنسية على اعطاء جميع التسهيلات لممر خطين لأنابيب النفط « في الأراضي التي تقع ضمن دائرة النفوذ الفرنسي (وظاهر ان هذه الأراضي ستكون سوريا ولبنان) لا يصال النفط من العراق ومن ايران عبر المناطق الواقعة تحت النفوذ الفرنسي الى ميناء او الى موانئ في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . » (٤)

ان نظام الانتداب في جوهره ، كما يعترف لويد جورج « هو بديل عن الاستعمار القديم . » (٥) فقد كتب الجنرال سمتس (Smuts) يقول ان الشعوب التي خلفها انهيار روسيا والنمسا وتركيا هي شعوب متخلفة سياسياً ، « فان كثيراً منهم اما لا يستطيعون ممارسة الحكم الذاتي ، او انه تنقصهم القدرة والكفاءة على ذلك . وهي شعوب في معظمها فقيرة جداً ، وتحتاج الى رعاية كبيرة الى ان تصل يوماً الى الاستقلال الاقتصادي والسياسي . » (٦) وقد كانت الاتفاقية الفرنسية - البريطانية المشار اليها اعلاه والمعقودة في ٢٣ كانون الأول ، ١٩٢٠ ، بعد تعديل آخر الصيغة النهائية التي نفذت بواسطتها اتفاقية سايكس - بيكو . (٧)

في السابع والعشرين من شهر نيسان ارسل اللورد اللنبي برقية الى فيصل من القاهرة يخبره فيها ، نيابة عن حكومة جلالته ، عن القرار الذي اتخذ في سان ريمو والقاضي بوضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي ، وبوضع العراق وفلسطين تحت الانتداب البريطاني . وقد كان اللورد اللنبي في نقله الخبر المفجع الى فيصل كالطبيب الذي يحاول بلقاء ان يقول الى ابي المريض المضطرب البال ان ابنه ليس في خطر من ان يموت فعلاً . فقد بدأ اللنبي كلامه في برقيته بقوله انه نتيجة للمقررات التي اتخذها الحلفاء اخيراً في سان ريمو ، وقد تم الاعتراف بسوريا والعراق دولتين مستقلتين ، شريطة ان تتناولهما مساعدة دولة متتدبة ، الى ان يحين الزمن الذي تستطيعان فيه الوقوف وحدهما ... « ان حكومة جلالته مستعدة ان تعترف مبدئياً بسموكم رئيس دولة سورية مستقلة ، الا انها تعتقد اعتقاداً قوياً بأن قضية ملكيتكم

ينحصر حق البت فيها بمؤتمر الصلح وحده . ولذلك فهي تلح على سموكم بان تأتوا الى اوروبا ، دون ابطاء ، فتبسطوا ، امام اعضاء المؤتمر الذي سيعقد دورته القادمة في آخر شهر ايار في باريس . » (٨)

وصلت في اليوم الأول من ايار برقية من رئيس الوزارة الفرنسية ، السيد ميلران . وكانت البرقية بمثابة تصريح نشر في جريدة « العاصمة » في الثالث من ايار . تبدأ البرقية بالقول ان الحكومة الفرنسية « تؤكد اعترافها بأن للأهالي المتكلمين اللغة العربية من جميع المذاهب والساكنين القطر السوري الحق في ان يحكموا انفسهم بأنفسهم بصفة شعوب مستقلة » وجاء هذا التصريح وفقاً لما كانت قد صرحت به الحكومة الفرنسية في السابق ، ومنسجماً مع المبادئ العامة لتحرير الشعوب الي اعلنها مؤتمر الصلح . ويتابع ميلران قوله في البرقية ان الحكومة الفرنسية « ترى من واجباتها ان تقبل المهمة التي عهد بها اليها مؤتمر الصلح لاعطاء هؤلاء الأهالي مشوراتها لتحقيق امانهم المشروعة وجعلهم ينتظمون امماً ... وستضمن استقلالهم ضد كل اعتداء ضمن الحدود التي يعينها مؤتمر الصلح ... » (٩) ولا بد أن يكون القارئ قد لاحظ انه لم ترد قط في هذا التصريح ، لفظة « انتداب » .

نزل خبر فرض الانتداب الفرنسي على سوريا نزول الصاعقة على الوطنيين السوريين . وشعروا انها ضربة اصابهم في امانهم الوطنية ، فاندلعت في البلاد تظاهرات صاخبة ، قامت بها الجماهير الغاضبة احتجاجاً ضد الانتداب ، واعلن الاضراب في جميع المدن السورية ، وراح الشعب يطالب الحكومة باتخاذ اجراءات فورية فعالة لحماية استقلال الوطن . وسقطت حكومة علي رضا الركابي باشا فعين فيصل هاشم الأتاسي ، رئيس المؤتمر السوري ، رئيساً للوزارة وتشكلت الوزارة الجديدة في الثالث من ايار ، ومثلت في اليوم ذاته امام المؤتمر السوري الذي كان يقوم ، منذ الثامن من شهر آذار ، بوظيفة « مجلس الأمة » الذي يذكرنا بالأيام الأولى المضطربة للثورة الفرنسية . وقد تعهدت الوزارة في بيانها الذي تقدمت به امام المؤتمر بتنفيذ اهداف ثلاثة تحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية :

- (١) تأييد استقلال الوطن التام الناجز المتضمن في جملة ما يتضمنه حق التمثيل الخارجي .
- (٢) المطالبة بوحدة سوريا بحدودها الطبيعية ، مع رد طلب الصهيونيين في جعل بعض القسم الجنوبي منها - وهو فلسطين - وطناً قومياً لليهود .
- (٣) رفض كل تدخل اجنبية يمس السيادة القومية .

وقد رحبت الوزارة بذلك الجزء من القرار الذي اتخذ في سان ريمو والمتعلق باستقلال سوريا ، ولكنها تعهدت ان تعمل ما في وسعها كي لا تنقيد بقبول دولة متتدبة عليها . واذاف البيان : « لا شك بأن المؤتمر الذي سيعقد في اواخر هذا

الشهر في باريس سيعيد نظره في مقرراته السابقة ، ولنا الأمل ان يعود فينصفنا ولا يهمل وعود حلفائنا لنا ، على اننا ان لم ننصف فلنا بقوة شعبنا وعزمه الثابت اكبر ضامن لتأييد حقنا . » (١٠)

ما ان اعلنت القرارات التي اتخذت في سان ريمو حتى كان السوريون الوطنيون بمناصرة الضباط العراقيين الذين كانوا سابقاً في الجيش التركي قد وطلدوا العزم على اعلان الثورة ومحاربة فرنسا . فقد قضت قرارات سان ريمو على كل اثر من التردد الذي كان فيصل يبدية ودفعت به الى السيل العرم من العواطف الوطنية المتأججة النائرة حوله . والواقع ان فيصلاً ، في كتاب التكليف الذي بعث به الى هاشم الأتاسي في ٣ ايار ليشكل الحكومة ، اتهم الفرنسيين صراحة بأنهم هم الذين كانوا السبب في نشوب الأزمة التي ادت الى سقوط الحكومة في دمشق ، وذلك غير البرقية التي ارسلها ميلران في اليوم الأول من ايار . اذ قال فيصل : « بالنظر لما احدثته برقية الحكومة الفرنسية الواردة اول من امس من التأثير الذي نتج عنه وقوع ازمة وزارية ، رأينا ان نعهد اليكم تأليف وزارة جديدة . » وطلب الى الأتاسي ان يشكل حكومة يكون « همها الأول المحافظة على الأمن والراحة في داخل البلاد والدفاع عن حقوق هذا الوطن تجاه كل من يريد به سوءاً او يحاول الوقوف دون استقلاله المقدس من الخارج . » (١١)

اعتبرت الوزارة الجديدة اعطاء فرنسا حق الانتداب على سوريا استفزازاً وتحدياً للشعور الوطني السوري . فكان اول قرار اتخذته الوزارة جعل الخدمة العسكرية اجبارية شاملة تطبق على جميع السوريين . وضاعفت المنظمات الوطنية المختلفة جهودها ونشاطها في اعداد الشعب للدفاع عن الوطن في حالة « نشوب حرب مع فرنسا » . وفي الوقت ذاته ازداد نشاط العصابات المسلحة ضد المواقع الفرنسية بين سوريا ولبنان . ومما زاد في تصلب السوريين في عدائهم للفرنسيين ، ومما شجعهم على المقاومة كان النصر البارز الذي احرزه مصطفى كمال باشا في كيليكيا ، ولا سيما في مرعش عندما جهز حملة قوية ضاربة هاجم بها الفرنسيين . وبسبب انه لم يكن لدى الفرنسيين من خيار سوى واحد من اثنين ، فاما ان يفقدوا كيليكيا فتعود الى الأتراك ، او ان يفقدوا سوريا فتعود الى العرب ، وبسبب تذرهم من بريطانيا العظمى التي كانوا يتهمونها بخلق المشكلات لهم في سوريا ، قرروا آخر الأمر ان يتفقوا مع مصطفى كمال باشا على صيغة من المصالحة (١٢) ، الأمر الذي مكن الجنرال غورو من سحب جيوشه من الجبهة التركية وحشدها على الحدود الغربية لسوريا . وقد اخبر احد اعضاء المؤتمر السوري مؤلف هذا الكتاب انه لم يكن ليخطر ببال احد من العرب آنذاك ان بريطانيا ستسمح لفرنسا ان تقوم بعمل عسكري

ضد سوريا . كما ان احد الوزراء السابقين في حكومة الملك فيصل اخبره ايضاً ان فيصلاً كان يتكل على وعود غامضة مبهمة شفوية قطعها له الرئيس ولسن في باريس خلاصتها ان السوريين اذا ما استطاعوا ان يوطدوا دعائم استقلالهم فانه (اي الرئيس ولسن) لن يسمح اطلاقاً بتهديم هذا الاستقلال بقوة السلاح . ولكن في شهر آذار من سنة ١٩٢٠ كان الرئيس ولسن قد اصبح رجلاً مريضاً يشكو من وهن جسدي ، وفي التاسع عشر من ذلك الشهر رفضت سياسته التي كان قد اقترحها للصالح . فان مجلس الشيوخ الأميركي صوت ضد ميثاق عصبة الأمم - وكان الرئيس ولسن قد رفض ، واستمر في رفضه الى النهاية ، بعض التحفظات التي اصر عليها الحزب الجمهوري بالحاح - ونتيجة لذلك انسحبت اميركا من المجلس الأعلى للحلفاء .

في هذه الأثناء استمر الوفد اللبناني في مساعيه الناشطة لمنع دمج لبنان في سوريا . (١٣) وفي مطلع أيار عندما علم أعضاء الوفد بالقرارات التي اتخذت في سان ريمو وجموا وامتلأت قلوبهم خوفاً لعدم وجود أية اشارة الى لبنان في تلك الوثيقة التي صدرت عن المؤتمر . وفي ١٣ أيار بعثوا برسالة الى ميلران يعبرون فيها عن عظيم تخوفهم وعن خيبة أملهم آمليين ان يتلقوا تأكيداً من الحكومة الفرنسية بالمحافظة على استقلال لبنان التام الناجز ، لأن اللبنانيين قد وضعوا ثقتهم التامة بفرنسا . في ١٩ أيار بعث ميلران برسالة جوابية للوفد اللبناني يؤكد فيها لهم أن فرنسا التي منحها مجلس الحلفاء الأعلى الانتداب على سوريا لم تغير قط عزمها على تثبيت استقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي . (١٤) في السابع والعشرين من شهر أيار القى فيصل أطول خطبة له منذ أن دخل دمشق ، وذلك في أثناء مأدبة افطار أقامها لوجهاء المدينة واعيانها . ويبدو من مضمون الخطبة ان القصد منها كان رفع معنويات فئتين من الناس : اولئك الذين شعروا ، بعد موجة الحماسة العارمة ، ان جميع جهودهم ضاعت سدى ، واولئك الذين في ساعة يأسهم كانوا يقولون قد قضى الأمر وانه لا يمكن عمل اي شيء الآن سوى الحرب والموت في ساحة المعركة ميتة الشرف والتضحية من أجل الوطن . ولكن قال فيصل للحضور ان هاتين النظرتين غير مطابقتين للحقيقة ، وكل ما حدث هو الاعتراف باستقلالنا تحت ظل الانتداب . ولكن « لقد اتخذت الأمة قراراً من قبل اعلنت فيه استقلالها » واما كلمة « انتداب » فهي كلمة مطاطة وليست بذات معنى واضح محدد ، ولكننا رفضنا الانتداب رفضاً قاطعاً ، لأن القبول به اذلال لأية امة تحب الحرية دون قيد وشرط . وليس الاستقلال نعمة تعطى ، انه يؤخذ ، ولكي يؤخذ يجب اعداد الوسائل للفوز به . ان البلاد بحاجة الى جيش ، اولاً ، لكي يحافظ على النظام والأمن

في الداخل ، وثانياً للحفاظ على كيان البلاد عندما تدعو الحاجة الى ذلك . وليس من الميسور انشاء جيش دون المال . وعليه فان الحكومة اصدرت قرصاً ، ويأمل فيصل ان يقدم الناس على البذل بسخاء عند شراء السندات لكي تبرهن الأمة للعالم المتمدن ان سوريا ليست بحاجة الى معونة من الخارج ، حتى الدراهم ذاتها لسنا بحاجة للاستجداء من اجلها وعليه فان المطلبين الأساسيين اللذين ينبغي لنا ان نحصل عليهما هما المال والجيش .

« في هذه الأثناء ينبغي الا يتسرب اليأس الى نفس احد من الناس ، وليس هناك من سبب ينيء بالموت ، بل اننا سنعيش . قال فيصل : « اني اطمئنكم انه لم يحكم علينا بالاعدام . وهذا الحكم لم يصدر ولن يصدر . وعلينا ان نستعد وان نرعى ، وان لا تكون حركاتنا تابعة للخيالات ، بل للماديات والمحسوسات » . وختم فيصل كلامه قائلاً : « ان مسألة سوريا من أعظم مشاكل العالم ... فلا يحكم فيها حكماً نهائياً بمجرد قول جريدة او خطبة شخص مسؤول او غير مسؤول ... اريد من الأمة ان تثبت الى النهاية وان تنتظر النتيجة برباطة جأش. » (١٥)

لقد قلنا من قبل ان الحكومة البريطانية ، منذ الثامن من شهر آذار وما بعده ، كانت تحت الملك فيصل على المجيء ثانية الى اوروبا بغية الوصول الى نوع من التفاهم مع الحكومتين الفرنسية والبريطانية . غير ان اعضاء حكومته والمؤتمر السوري العام عارضوا بشدة عودة فيصل الى اوروبا طالما ان الدول العظمى لم تعترف باستقلال سوريا التام الناجز (١٦) ، وآثروا ان يرسلوا وفداً للدخول في مفاوضات مع الحلفاء . وبالفعل فان وفداً عيّن في شهر حزيران برئاسة السيد نوري باشا السعيد . ولكن عندما كان اعضاء الوفد يتداولون الأمر فيما بينهم ويضعون الخطط من اجل ايجاد افضل السبل لعرض قضيتهم امام مؤتمر الصلح ، كانت الاستعدادات العسكرية الفرنسية على قدم وساق في لبنان ، وكانت تنذر بشر مستطير بحيث قرر فيصل على الذهاب الى اوروبا بنفسه ، على الرغم من معارضة مستشاريه ، لبحث القضية في مؤتمر الصلح . (١٧) فبعث بنوري باشا الى بيروت لاجراء الترتيبات اللازمة مع الجنرال غورو للسفر الى فرنسا . ولما التقى الجنرال غورو ومبعوث فيصل في التاسع من شهر تموز قال الجنرال غورو : « اننا لا نستطيع ان نسمح للأمير بالسفر الى فرنسا قبل ان يقبل بمطالبنا . هذه المطالب ستُرسل اليه بعد ايام قليلة » . وأضاف مهدهداً : « واذا سافر الأمير عن طريق آخر ، فان فرنسا ستمتنع بصورة قطعية عن التعرف اليه ، والمفاوضة معه ، بأي شكل كان . » ثم ان الجنرال غورو اخذ يسرد لنوري باشا المبادئ العامة التي تتضمنها مطالبه (١٨) :

(١) وضع سكة حديد رياق - حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي .

(٢) قبول الانتداب الفرنسي .

(٣) الغاء التجنيد الاجباري وتسريح المجندين .

(٤) قبول الأوراق النقدية التي اصدرها البنك السوري .

(٥) معاقبة « المجرمين » الذين استرسلوا في معاداة فرنسا .

بلغت الأزمة ذروتها في سوريا في الحادي عشر من تموز عندما بلغها خبر الانذار الفرنسي الذي انتشر انتشار النار في الهشيم عند عودة نوري باشا الى دمشق . وقد أثار هذا الانذار قلقاً شديداً وهياجاً في جميع المدن السورية ، وقامت تظاهرات صاحبة معادية لفرنسا . وفي ذلك اليوم ذاته بعث فيصل برفقة الى جميع قناصل الدول الأجنبية في دمشق يطالعهم فيها على « الانذار » غير الرسمي الذي تلقاه من الجنرال غورو ، ويناشد الدول الحليفة ان تنصرف بروح العدل والانصاف ، ويلتمس من عصبة الأمم ان تتدخل في الأمر لحقن الدماء ، وللحيلولة دون سقوط الاستقلال السوري وانقاذه من التدمير بالقوة .. وأخيراً طلب اليهم تأليف لجنة تحكيم من دول الحلفاء تعرض عليها مطالب الجنرال غورو متعهداً انه وشعبه يقبلان مقدماً قرارات هذه اللجنة والخضوع لها . واتبعت هذه البرقية برسالة تفسيرية ارسلت الى عميد الهيئة القنصلية بدمشق ، دي باترنو (Marquis de Paterno) القنصل العام لاطاليا . (١٩) وقد جاء فيصل في رسالته هذه على ذكر المطالب التي بعث بها غورو اليه . كما انه شكها فيها من عدم السماح له بالسفر الى اوروبا ، وأبدى قلقه الشديد من حشد الفرنسيين جيوشهم على جميع الحدود السورية . وقال انه يخشى من ان يكون الجنرال غورو ينوي القيام بعمل عدائي ، لأن جنوده قد احتلوا رياق وجسراً هاماً على الطريق المؤدية الى حلب - جسر الشغور . ان القضية السورية قضية عدل ، وسوريا تحرص على العيش بسلام وراحة . وفي الختام طلب الى عميد الهيئة القنصلية ان يستخدم نفوذه لمنع نشوب الحرب التي لا تعود على البلاد السورية بغير الخراب والدمار . (٢٠) ثم ارسل فيصل برفقة ثالثة عامة الى كل من بريطانيا واطاليا وبلجيكا والولايات المتحدة وعصبة الأمم يسألها فيها ان تسمع « صراخ سوريا » مكرراً مناشدته هذه الدول أن تتوسط لدى فرنسا بأن لا تطأها بجيوشها الجائرة . وأكد هو وشعبه « انهم حاضرون للتفاهم ، بشرط المحافظة على شرفنا وعلى قرار سان ريمو ، وان يسمح بذهابي الى اوروبا لاجابة دعوة المؤتمر وطلب وزارة بريطانيا . (٢١)

في اليوم الثالث عشر من تموز تلت الحكومة السورية بياناً في المؤتمر السوري العام اتت فيه مرة ثانية على ذكر الأحداث والتطورات ، ولا سيما المطالب التي تقدم بها الجنرال غورو ، كما انها استنكرت هذه المطالب وطالبت احالة القضية الى التحكيم الدولي . وختمت الحكومة بيانها باعلان النقاط الأربع التالية :

(١) نحن لا نريد الا السلام والمحافظة على استقلالنا وشرفنا الذي لا نتحمل ان تشوبه شائبة .

(٢) نحن نبرأ من تهمة نوصم بها ويراد بها الايهاً بأننا نريد الاخلال بعلاقتنا مع حليفتنا وحلفائها .

(٣) نحن لا نرفض المفاوضات ومستعدون ان ندخل بها ، وها ان الوفد تحت رئاسة جلالة الملك مستعد للذهاب لمواصلتها . ونحن نقبل كل حل لا يمس استقلالنا وشرفنا ويكون مبنياً على اساس الحق والاستقلال .

(٤) اننا مستعدون كل الاستعداد ومصممون كل التصميم على الدفاع عن شرفنا وحقوقنا بكل ما اعطانا الله من قوة . » (٢٢)

في اليوم التالي ، الرابع عشر من تموز ، الموافق ذكرى سقوط الباستيل باسم الحرية والمساواة والاخاء ، وهو عيد الاستقلال لدى الفرنسيين ، بعث الجنرال غورو انذاره الى « سمو الأمير فيصل » ، وقبل الدخول في تفاصيل الانذار وما اليه يحسن بنا ان نشير الى حادث خطير ذي مغزى وقع في لبنان بين العاشر والثاني عشر من تموز . ولم يقتصر هذا الحادث على اغضاب الجنرال غورو واثارته بل ربما كان له اثر في اتخاذ القرار لاحتلال سوريا وانهاء الحكم الفيصلي في اقصر مدة ممكنة . (٢٣) كان اللبنانيون ، لفترة من الزمن ، يشكون من حكم الفرنسيين المباشر لبلادهم ، وراحوا يرفعون الاحتجاجات الى الجنرال غورو مطالبين باستخدام اللبنانيين في الادارة المدنية في البلاد . غير انهم لم يتلقوا اجوبة مرضية عن مطالبهم ، وظلت الروح العسكرية متغلبة في دوائر الحكومة اللبنانية . (٢٤) جاء في القرار الذي بعث به الكولونل مينرتساغن (Meinertzhagen) في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٠ ، الى اللورد كرز ، والموسوم بـ « الأحداث الأخيرة في سوريا » ان الادارة الفرنسية في لبنان تسبب قلقاً واستنكاراً شديدين وذلك لسيطرة الادارة الفرنسية على الادارة اللبنانية سيطرة مباشرة مما يمنعها من ممارسة استقلالها التي كانت تنعم به أثناء العهد السابق » (٢٥) ولذا اجتمع مجلس الادارة اللبناني سرّاً في منزل نجيب الأصفر في بيروت في العاشر من تموز ، ١٩٢٠ ووضع مضبطة يطالب فيها باستقلال لبنان التام الناجز ، وبالسيدة الكاملة متجاهلاً قراره السابق الذي اتخذ في شهر أيار ، ١٩١٩ . الذي طالب فيه بوضع لبنان تحت الحماية الفرنسية . كما ان مجلس الادارة طلب الحياد السياسي التام ، وعقد اتفاقية مع سوريا بشأن المطالب اللبنانية فيما يتعلق بالأرض المسلوخة عنه ، والتعاون بين مجلسي النواب اللبناني والسوري في المسائل الاقتصادية . وبموجب هذا القرار الذي اتخذته مجلس الادارة في لبنان تتعاون الدولتان السورية واللبنانية في السعي لدى الدول العظمى للموافقة على هذه البنود وضمها

احكامها ، لأنها تعبّر عن اماني الشعب اللبناني ومصالحه الخاصة . ومن جملة القرارات التي اتخذت في هذه الجلسة السرية قرار يقضي ان يتوجه الموقعون على المضبطة بالذات الى اوروبا لاجل ابلاغ هذا القرار برمته الى المقامات الرسمية . (٢٦) وقد صوّت الى جانب هذه القرارات ثمانية من اعضاء مجلس الادارة ، وتوجهوا بعد ظهر ذلك اليوم الى دمشق للإنضمام الى الوفد السوري الذين كانوا يعتقدون انه يستعد للتوجه الى اوروبا . ولكنهم فشلوا في رحلتهم لأن الفرنسيين اطلعوا على خفاياها وسرعان ما القي القبض عليهم قبل ان يغادروا حدود لبنان الى دمشق . (٢٧) وفي الثاني عشر من تموز بعث الجنرال غورو برسالة شديدة اللهجة الى البطريك الماروني اتهم فيه ثمانية من اعضاء مجلس الادارة في لبنان انهم « ابتيعوا » بدهام فيصل ، اذ انه علم منذ ايام ان الأمير كان قد بعث الى بيروت مبلغاً من المال قدره « اربعون الف ليرة لشراء بعض اللبنانيين » (٢٨) ويزعم غورو في رسالته الى البطريك ان الموقعين الثمانية قد اعترفوا بأنهم قبضوا سلفة مسبقة قدرها ١٥٠٠ ليرة . وهذا يعتبر خيانة . ويتابع الجنرال كلامه ليقول انه آسف ان يكون بين الموقعين اخوه سعد الله . ويتابع الجنرال قوله ان هذا الحادث ، بما سيكون له من ذيول وخيمة في فرنسا وفي اوروبا ، يقتضي فوراً الفصل بين المصالح الحقيقية للبنان ومصالح أولئك الذين « يريدون بيعه للغير » لأنه ليس من العدل بشيء ان يلوّث بعض ابناء لبنان شرف البلاد بأسرها . وعليه فان الجنرال غورو يقترح على غبطة البطريك ان يبعث ببرقية الى السيد ميلران ، رئيس الوزارة الفرنسية ، على غرار البرقية التي بعث بها اليه سيادة المطران مبارك . (٢٩)

لقد تضاربت الآراء حول الدوافع الحقيقية التي حدثت بالاعضاء الثمانية من مجلس الادارة في لبنان للقيام بهذا العمل . فقد اتهموا بالرشوة والفساد والتواطؤ مع حكومة دمشق . ومما لا شك فيه أن الملك فيصل كان يعلم بما كانوا ينوون القيام به ، واقترح ان يقدم لهم مبلغاً من المال لتغطية نفقاتهم في الخارج لعلهم بحالهم المادية التي لا تمكنهم من السفر . ولكن يبدو انه ليس هناك من ادلة ثبوتية تشير الى صحة الاتهام الرسمي الذي عبّر عنه الجنرال غورو من انهم كانوا قد قبلوا الرشوة من فيصل . (٣٠) على كل حال في الرابع عشر من شهر تموز ارسل البطريك رسالة جوابية الى الجنرال غورو عبّر فيها عن عميق دهشته للقرار الذي اتخذته بعض اعضاء المجلس الاداري . ولكن عملهم هذا لا يتعدى كونه « حادثاً مزعجاً » و « عملاً محزناً » وليس من داع للتأكيد الى سعادة الجنرال أن البلاد بأسرها تتمسك باستقلالها تحت الانتداب الفرنسي . كما ان البطريك عبّر عن عظيم ثقة اللبنانيين بفرنسا التي سبق ان صرحت عن رغبتها المخلصة في منح لبنان استقلاله ، وفي السير به الى

ما فيه التقدم والفلاح . ان ما يعلقه اللبنانيون من آمال تقليدية على حسن نية فرنسا وصدقتها لم يتغير على الرغم من ان بعضهم قد حمل على التصرف الأرعن دون روية . علماً بان البطريك يعرف ان الجنرال لا يقسو في حوادث كهذه . الا انه يتوسل الى « الجنرال العظيم » ان يلجأ الى الحكمة والرافة في معالجة هذه القضية المؤسفة لأن جل ما يهم البطريك منها أن يجمع بين محبة بلاده ومحبة فرنسا التي كان يكنّ لها دوماً عظيم الود . (٣١)

الفصل الثاني عشر نهاية الحكم الفيصلي في سوريا

« وهكذا سقطت دولة الامير فيصل السورية المستقلة - دولة خلقتها بريطانيا العظمى وتمهدت رعايتها وفاء للمهود والمواثيق التي قطعها على نفسها للعرب ، او وفاء لبعض وعودها . لقد سقطت دولة سوريا لأن قيامها كان يتعارض معارضة مباشرة مع أمانى فرنسا ومطامحها ، كما انها سقطت في فترة من الظروف حالت دون النفوذ البريطاني من ان يتمكن من المحافظة عليها - واخيراً سقطت لان قوتها العسكرية لم تكن من القوة الكافية لضمان بقائها . »

H. W. V. Temperly in *A History of the Peace Conference of Paris, Vol. VI.*

لقد ذكرنا آنفاً انه في اليوم الذي بعث فيه البطريك الماروني ، اي في ١٤ تموز ، رسالته الى الجنرال غورو وجه هذا الأخير انذاراً الى الملك المك فيصل . وهذا الانذار يبدأ بلفت نظر الأمير فيصل الى تعكير صفو الأمن وقيام الاضطرابات في أعقاب جلاء القوات البريطانية لتحل محلها الجيوش الفرنسية . يقول الجنرال غورو انه ، باسم الحكومة الفرنسية ، يود ان يعرض على « سموه الملكي » موقف هذه الحكومة ازاء السلوك الذي سلكته حكومة دمشق منذ مطلع هذا العام . لقد اثرت هذه الاضطرابات في رقي سوريا ونظامها السياسي والاداري والاقتصادي . فحكومة دمشق تحمل كل التبعة ازاء أهالي سوريا الذين عهد مؤتمر الصلح الى فرنسا بأن تمتعهم بحسنات ادارة مؤسسة على الاستقلال والنظام والتساهل والثراء . ان فرنسا قد عبرت عن رغبتها في مساندة حقوق الأهالي الذين يتكلمون العربية ويقطنون القطر السوري بحكم انفسهم بأنفسهم . ولقد اعترف فيصل نفسه بأن للشعب السوري مصلحة

كبيرة في طلب المشورة والمساعدة من دولة كبيرة لتحقيق وحدته وتنظيم شؤون الأمة . وبحسب زعم الجنرال غورو فان فيصلاً دعا فرنسا للقيام بهذه المهمة باسم الأمة السورية .

ثم ان الجنرال غورو اورد نص برقية كان قد تلقاها من كليمنصو في شهر كانون الثاني عندما كان فيصل يجري مفاوضات مع الحكومة الفرنسية . يقول كليمنصو في هذه البرقية انه عندما علم عن خبر هجوم البدو في جنوب سوريا وشمالها قال للأمير فيصل انه اتفق معه مؤقتاً على بعض المبادئ . انه يحافظ على كلامه بشرطين ، الشرط الأول خلوص النية من قبل فيصل والشرط الثاني أن يجعل فيصل سلطته محترمة على انصاره . فاذا لم ينفذ هذان الشرطان تنفيذاً دقيقاً ، فالحكومة الفرنسية تستأنف العمل بحرية وتستعمل القوة لفرض ما عهد به اليها المؤتمر في تأييد النظام واحترام الحقوق . ثم ان غورو انتقد حكومة دمشق لأنها لم تنقطع عن انتهاج سياسة معادية ومخالفة كل المخالفة لسياسة التعاون التي رمى اليها رئيس الوزراء الفرنسي . ولكي يدلل على السياسة المعادية التي تنتهجها حكومة دمشق ضد الحكومة الفرنسية فان الجنرال غورو ذكر ستة أمور :

اولاً : عداء جلي ضد قواتنا . ان سكة رياق - حلب لا بد منها لاعاشة وتموين جنودنا الذين يحاربون الأتراك في الشمال . واصرار حكومة دمشق على رفض السماح للسلطة الفرنسية باستعمالها هو عمل عدائي بحت وفضلاً عن هذا فان حكومة دمشق هي التي وضعت مبدأ تنظيم العصابات واستخدمها ضد جنود الاحتلال الفرنسيين . ثم انه اورد ما كان قد اعلنه قائد الفرقة الثالثة في حلب يوم ١٣ نيسان : « لما كنا لا نستطيع أن نعلن الحرب رسمياً على الفرنسيين ، يجب أن نملأ البلاد بالعصابات التي تجهز عليهم تدريجياً وسيقود ضباطنا هذه العصابات ، واذا استشهد احدهم فستعيل الحكومة عائلته » : ثم اورد خبر تسعة حوادث مع ذكر اسماء الزعماء المسؤولين عنها . وهي حوادث تشمل أعمالاً تخل بالأمن اخلاقاً خطيراً في مناطق الشيعة في جنوبي لبنان ولا سيما في مرجعيون وعين ابل والقلعة مما أدى الى مقتل عدد من المسيحيين ونهب بيوتهم وتهديمها .

ثانياً : سياسة حكومة دمشق العدائية . فقد رأى فيصل أن يدخل اشخاصاً مشهورين بعدائهم لفرنسا في حكومة دمشق . ولم تقتصر خطة هذه الفئة على اهانة فرنسا ورفض مساعدتها بل تناولت المجلس الأعلى الذي منح فرنسا حق الانتداب على سوريا .

ثالثاً : التدابير الادارية الموجهة ضد فرنسا . ان رفض الحكومة السورية قبول ورق النقد السوري الجديد الذي أصدره البنك السوري لحساب فرنسا هو دليل جديد

على عداء يضر بمصلحة البلاد . كما ان منع نقل الحبوب الى المنطقة الفرنسية من حماة اولاً في شهر آذار ومن ثم دمشق وحلب هو عمل يضر أيضاً بمصلحة البلاد . ثم ان القوات الشرقية اجتازت حدود المنطقة الشرقية وتغلغل تدريجياً في المنطقة الغربية بغية اخراجنا .

رابعاً : اعمال عدائية مباشرة ضد فرنسا . ان من كان صديقاً لفرنسا او موالياً لها في المنطقة الشرقية يكون مشتبهاً به من السلطة السورية . اما من كان عدواً لنا فانه يحترم في المنطقة الشرقية ويحصى من كل شيء ... وهنا ذكر الجنرال غورو اسماء اشخاص معينين . ثم ان الحكومة السورية كانت تبث دعاية خبيثة ضد فرنسا في المنطقة الغربية . وآخر هذه الأعمال وأكثرها وضوحاً شراء القسم الأعظم من اعضاء مجلس ادارة لبنان باثنين واربعين الف جنيه مصري . (١)

خامساً : انتهاك حرمة القوانين الدولية . لقد احتل قائد الجيش الحجازي القطر السوري الذي لا بد له ان يظل عثمانياً ، بموجب القانون الدولي الى ان تقضي معاهدة الصلح بخلاف ذلك . وعليه ان يحافظ على الحالة الراهنة وان يكون حارسها . لكنه تصرف عكس ذلك متخذاً صفة السيادة العليا . وقد تقرر التجنيد الاجباري ونفذ في كانون الأول من سنة ١٩١٩ مع ان البلاد لا تزال بلاداً أجنبية . ثم ان المجلس الملقب بالمؤتمر السوري العام ليس مجلساً قانونياً . ومع هذا فانه يحكم باسم حكومة وباسم دولة لم يعترف بوجودها دولياً . وفضلاً عن هذا فان هذا المؤتمر غير القانوني قدّم الى سمو الأمير لقب ملك بدون حق ولا وكالة .

سادساً : الأضرار التي أصابت فرنسا وسوريا من جراء ذلك . ان السلطة الفرنسية لم تستطع ، حتى الآن ، أن تنظم البلاد التنظيم الذي ترغب فيه ، لأنها اضطرت الى صرف قواها وجهودها لقمع الفتن المتوالية ومواصلة المفاوضات السياسية العقيمة مع حكومة دمشق . وعليه فقد كان عليها ان تتحمل عبئاً مالياً وعسكرياً الامر الذي يؤثر في الميزانية السورية . ولقد بلغت الفوضى التي أوجدها مثيرو الفتن في البلاد حداً دعا الى استجلاب قوات كبيرة ، اعظم عدداً مما يقتضيه مجرد استبدال الجنود الانكليز في حالة سكينه وسلام .

ان جميع هذه الأسباب تدل دلالة كافية على انه لا يمكن بعد الآن ان تعتمد فرنسا على حكومة جاهرت بعدائها لفرنسا كل المجاهرة وبرهت انها عاجزة عن تنظيم ادارتها . لذلك ترى فرنسا انها مضطرة لأخذ الضمانات التي تكفل سلامة جنودها وسلامة السكان الذين نالت من مؤتمر الصلح مهمة الانتداب عليهم . وأما الضمانات التي طلبها الجنرال غورو فهي ما يلي :

١ - حق التصرف بسكة رياق - حلب بصورة مطلقة . ويتضمن هذا التصرف بأن

يراقب مفوضون عسكريون فرنسيون جميع ما ينقل في محطات رياق ويعلمك وحمص وحماة وحلب . كما انه من الضروري جداً احتلال مدينة حلب التي هي مركز مواصلات هامة لذا لا يسعنا تركها تسقط بيد الجيش التركي .

٢ - الغاء التجنيد الاجباري . كما انه ينبغي تسريح الجنود الى ان يبلغ الجيش الشريفى العدد الذي كان عليه بتاريخ الأول من كانون المنصرم .

٣ - قبول الانتداب الفرنسي . ان هذا الانتداب يحترم استقلال الشعب السوري ، ولا يناقض مبدأ الحكم بسلطة دستورية تستمد سلطتها من ارادة الشعب . ولا يتضمن الانتداب سوى المعاونة بشكل مساعدة من الدولة المنتدبة ، دون أن يتخذ مطلقاً شكل استعمار او الحاق او ادارة مباشرة .

٤ - قبول العملة الورقية السورية كعملة وطنية سورية .

٥ - تأديب « المجرمين » الذين كانوا اشد اعداء لفرنسا .

وقد قدمت هذه الشروط جملة وينبغي قبولها جملة ايضاً في غضون ثلاثة ايام تبدىء من منتصف ليل ١٤ تموز وتنتهي في ١٧ تموز عند منتصف الليل . فاذا قبلت هذه الشروط رسمياً وبتعهد رسمي لتنفيذها ينبغي ان يتم تنفيذها كاملة قبل ٣١ من شهر تموز عند منتصف الليل . واذا لم يشعر فيصل الجنرال في الوقت المحدد لقبول هذه الشروط فان الحكومة الفرنسية ستكون مطلقة اليد في ان تعمل ما تراه لازماً (٢) . كما ان الجنرال غورو لا يستطيع ان يؤكد ان الحكومة الفرنسية ستكفي بالضمانات المعتدلة المشار اليها اعلاه . ان فرنسا قد برهنت على تساهلها وتسامحها منذ زمن طويل ، ولا يمكن اعتبارها مسؤولة عن الشقاء الذي قد يحل بالبلاد السورية . وأنهى الجنرال رسالته بقوله : « ... فحكومة دمشق هي التي تتحمل جميع مسؤولية الحلول المتطرفة التي لا أنظر اليها إلا آسفاً ، ولكنني مستعد لها بعزم لا يترزعزع » . (٣)

بعد ان تسلم فيصل الانذار بعث ببرقية الى ممثلي الدول العظمى يطلمهم فيها على محتويات الانذار ويطلب اليهم ان يلتمسوا من حكوماتهم حمل فرنسا على قبول التحكيم منعاً لاراقة الدماء في بلاد اصابها بلاء شديد منذ وقوع الحرب . (٤)

في هذه الاثناء كانت حماسة الجماهير تتفجر في دمشق عن دعوات ملتبهة الى الحرب فالنصر دون النظر الى واقع الوضع العسكري المرير في سوريا . فلم تكن الجماهير وحدها تجهل مبلغ ضعف الجيش العربي جهلاً مطبقاً بل كان بعض الوزراء المسؤولين يجهلون حالة الجيش العربي وما هو عليه من سوء التجهيز ، كما انهم كانوا يجهلون ايضاً وضع الجيوش الفرنسية وما هي عليه من قوة في العتاد والتدريب . وها هو ساطع الحصري يسجل لنا في كتابه يوم ميسلون (٥) وبكثير من الدهشة والأسى ما قاله له ضابط قديم خبير - وهو ياسين الهاشمي الذي كان قد عيّن قبل

مدة وجيزة رئيساً للأركان في الجيش العربي - انيطت به مهمة الدفاع في سوريا في حالة هجوم فرنسي عليها ، من انه في حال وقوع معركة حقيقية فان لديه من الذخيرة ما يكفي لساعتين فقط . ويحسن بنا ان نذكر هنا ان ساطع الحصري كان صديقاً شخصياً لفصيل واحد مستشاريه ، كما انه كان في هذه الفترة بالذات وزيراً للتربية في الوزارة السورية . وقد كان هناك ضباط كبار آخرون في الجيش العربي - ومنهم يوسف العظمة - يدركون حقيقة الواقع المرير اذا ما وقعت حرب بين فرنسا وسوريا . وقد اصبح فيصل ، مع معظم وزرائه ، على اقتناع بضرورة قبول الشروط الواردة في الانذار الذي وجهه الجنرال غورو . (٦) غير أن المؤتمر السوري كان يرى غير هذا الرأي ، فراح يهاجم بعنف الملك فيصل واعضاء وزارته . وفي اجتماع عقده المؤتمر في ١٩ تموز اتخذ قراراً شديداً للهجة هاجم به اعضاء الحكومة صراحة . وما جاء فيه : « ... فالحكومة الحاضرة اذا خالفت بيانها الرسمي ، ولم تقم بواجبها تجاه البلاد ، وادارت ان توقع على صك يخالف قرار المؤتمر ، فالمؤتمر يعتبرها ، بتوقيعها ، غير شرعية والصك غير صحيح ... والمؤتمر يعتبر سوريا بلاداً مستقلة استقلالاً تاماً ... وان كل تدخل اجنبي في البلاد هو غير مشروع وللأمة السورية ان ترفضه في كل وقت . (٧) وعندما اجتمع المؤتمر في اليوم التالي امرت الحكومة بحله لمدة شهرين . (٨) ولكنه لم يجتمع مرة واحدة فيما بعد .

في التاسع عشر من شهر تموز القى السيد بونار لو (Bonar Law) في مجلس العموم البريطاني البيان الثاني حول الانذار الذي وجهه غورو الى سوريا : « لقد علمت ان الحكومة الفرنسية ، بسبب الهجمات التي تعرضت لها جيوشهم ، وبسبب العداء العام الذي ابدته الحكومة السورية لفرنسا ، وجهت في الرابع عشر من تموز انذاراً ينتهي في الثامن عشر من تموز ، وتطلب فيه الاستيلاء على سكة حديد رياق - حلب وقبول الانتداب الفرنسي دون قيد او شرط ، وقبول العملة الورقية التي اصدرتها السلطات الفرنسية ، واستسلام الذين حاربوا ضد القوات الفرنسية وتقديمهم للمحاكمة . وهذا الانذار لم يرفع اولا الى المجلس الأعلى للحلفاء . كما ان شروط الانتداب على سوريا لم ترفع بعد الى الدول الحليفة . (٩)

(وعصر اليوم العشرين من تموز توصلت الوزارة السورية الى اتخاذ قرار نهائي بقبول الانذار ومطالب الجنرال غورو . وعليه ارسلت برقية الى الجنرال تشعره بقرار الوزارة . واتخذت جميع التدابير لتنفيذ المطالب ، بما في ذلك تسريح الجيش (١٠) ولكن ما ان انتشر خبر قبول الانذار في دمشق حتى قامت تظاهرات عنيفة فورية ضد الوزارة تطالب بسقوط الحكومة . وكان المتظاهرون يحرضون الأهالي ليهبوا للدفاع عن البلاد . واتهم بعض المتظاهرين فيصل بالجن والخيانة . وبعد جهد كبير

استطاع الجنود منع المتظاهرين من الوصول الى الدار التي كان يقيم فيها فيصل. (١١) وفي صباح اليوم التالي تلقى فيصل خبراً مفاده ان الجيش الفرنسي تقدم من شتورا وزحلة نحو مجدل عنجر ، ثم دخل وادي الحرير في اتجاه دمشق . فاستدعى الملك فيصل الكولونل كوس وطلب اليه تفسيراً جلياً للأمر ، فعاد كوس بعد الظهر وقال : « ان البرقية المتعلقة بقبول شروط الانذار قد تأخر وصولها الى الجنرال غورو بسبب انقطاع الأسلاك في جهات سرغايا ، فأصدر الجنرال امره بالزحف » . واقترح كوس ايفاد رسول من قبل فيصل للتفاهم مع غورو في هذا الأمر . ووافق الوزراء وفيصل بالاجماع على ان يكون ساطع الحصري موفدهم في هذه المهمة . (١٢) غادر ساطع الحصري دمشق عصر يوم الحادي والعشرين من تموز برفقة جميل الاشلي ، كمرافق عسكري والكولونل تولا . ووصلوا مقر الجنرال غورو في عاليه صباح يوم الثاني والعشرين . (١٣) وقد ترك لنا ساطع الحصري ، موفد الملك فيصل الخاص ، وصفاً للاجتماع التاريخي الدقيق الذي جرى له مع الجنرال غورو . (١٤) قال الجنرال : « انتظرت جوابكم حتى منتصف الليل وبقيت انتظر بعد ذلك ايضاً مدة من الزمن . ولما لم يأت اي جواب اصدرت اوامري الى الجيش بالزحف الى الأمام ... واما البرقية التي تبنى بقبول الشروط ، فقد وصلتني بعد مرور نصف ساعة على صدور اوامر الزحف . وعندما قال له ساطع الحصري ان هذه البرقية سلمت الى الكولونل كوس في دمشق قبل انتهاء مدة الانذار بست ساعات اجاب ان الحكومة السورية هي المسؤولة عن تأخير وصوله في الوقت المحدد لأن العصابات السورية هي التي قطعت اسلاك البرق بين الزبداني وسرغايا . (١٥) واما فيما يتعلق بالبرقيات التي بعث بها فيصل اليه قبل هذه البرقية الأخيرة فقد قال الجنرال عنها انها لم تقل شيئاً عن تنفيذ المطالب وهو الأمر المطلوب ، لأن مجرد القول ان الحكومة السورية قد قبلت بها لا يعني ، بالنسبة اليه ، شيئاً فقال له ساطع الحصري : ولكن بما ان نوايا فيصل وحكومته قد اتضحت لكم فما الذي يمنع سعادة الجنرال من اصدار اوامره لجيوشه بالعودة الى قواعدها ؟ ويبدو ان هذه الحجة التي تذرع بها ساطع الحصري افقدته هدوءه واتزانة فقال : « Ah! Ça non... » واقرنت انتفاضته هذه بالعبرة التالية : « اننا لم نعد نثق بكم ومن واجبا ان نطلب منكم ضمانات جديدة » . قال هذا ومدّ يده نحو مكتبه واخرج من بعض دروجه مذكرة مهيأة من قبل وراح يتلو على ساطع الحصري « الضمانات الثمانية الجديدة » . وخلاصتها : تظل الحملة العسكرية في المنطقة التي كانت قد وصلت اليها في زحفها نحو الأراضي السورية « ريثما يتم تنفيذ الشروط التي قبلها الأمير تنفيذاً تاماً » وتنسحب الجيوش الشرفية من مواقعها الحالية نحو مشارف دمشق ، وتكون سكة حديد

رياق - حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي تصرفاً مطلقاً « خلال هذه المدة » وتقام في دمشق بعثة فرنسية - مفوضة لدى الحكومة - بغية تطبيق الانتداب بالتعاون مع الحكومة السورية واعادة تنظيم الادارة ومصالحتها المختلفة لكي يتم الانسجام بينها وبين مقتضيات الانتداب . ويقول مندوب فيصل ، ساطع الحصري ، ان الأمر ظهر له جلياً واضحاً من ان الفرنسيين كانوا مصممين على احتلال دمشق وفرض الانتداب الفرنسي على سوريا . وطال الجدل بين غورو وساطع الحصري في جو متوتر ولم يسفر سوى عن نتيجة واحدة توصل اليها الطرفان وهي تأجيل الزحف على دمشق الى صباح اليوم التالي كي يتمكن ساطع الحصري من الرجوع الى دمشق ليطلع فيصل ومجلس الوزراء على مضمون المطالب الجديدة « او كما قال الجنرال غورو » الضمانات الجديدة » . كما ان الجنرال كتب رسالة شخصية الى فيصل وقال لساطع الحصري : « ارجو ان توصل هذه الرسالة الى سمو الأمير . واني اناشد فيها وطنيته وحكمته العالية » وكان هذا خاتمة الحديث بين ساطع الحصري والجنرال غورو .

اضطر ساطع الحصري ان يعرّج على مقر قيادة الجنرال غويبه (Goybet) في طريق عودته الى دمشق ليلتمس منه تأجيل « ساعة الصفر » حتى منتصف ليلة الرابع والعشرين من تموز وذلك لاستحالة وصوله الى دمشق نظراً للعراقيل التي جابهها وهو في طريق عودته الى دمشق . وقد استجاب غويبه الى طلبه بعد حصوله على موافقة الجنرال غورو . وفي ساعة متأخرة من الليل وصل الحصري الى دمشق وتوجه فوراً الى الملك فيصل وسلمه رسالة الجنرال غورو . (١٦) وعقدت الوزارة في الصباح التالي ، وبحضور فيصل ، جلسة اطلعت فيها على المطالب الجديدة التي تقدم بها الجنرال غورو . وفي اثناء انعقاد الجلسة ، وفي الجو المحموم الذي خيم فوقها ، وصل الكولونل كوس ومعه برقية جديدة من الجنرال غورو يقول فيها انه لعدم توافر الماء ، وبسبب رداءة الطرق ، فانه يقتضي نقل الجيش الى مراكز امامية ، الى خان ميسلون (١٧) حيث تتوافر هذه الشروط الضرورية للجيش . وقد اتضح الآن انه لم يعد باستطاعة الحكومة ان تقبل بشروط غورو . فقرر كحاولة اخيرة ، ارسال برقيات استغاثة جديدة الى جميع الدول ، كما انه تقرر دعوة جميع قناصل الدول الأجنبية الى اجتماع ، بغية اطلاعهم على تفاصيل الوضع وخطورته . وقد القيت المهمة الأخيرة على عاتق ساطع الحصري . (١٨) اجتمعت هيئة القناصل في القنصلية الايطالية في دمشق . وكانت الحكومة السورية قد علمت ان رئيس الوزارة الايطالية الجديد ، الكونت سفورزا (Sforza) قرر ان يعنى عناية خاصة بالشؤون الشرقية . ومنذ ان وصل المركز دي باترنو

(Marquis de Paterno) ، القنصل الايطالي اخذ يظهر عطفاً كبيراً على القضية العربية بوجه عام ، والقضية السورية بوجه خاص . وفي ذلك الاجتماع عبر الماركيز دي باترنو عن اسفه واستنكاره لما كان يبيت ضد سوريا . (١٩)

ولكن عندما عاد ساطع الحصري من ذلك الاجتماع الى مقر فيصل كان خبر « قرار الدفاع » قد ذاع بين الناس ، وكانت حماسة المتظاهرين في ازقة دمشق وفي شوارعها قد بلغت الذروة في حداثتها . (وفي الأصيل عندما جاء الكولونل كوس ليتسلم جواب فيصل النهائي اما بقبول الشروط او برفضها لم يكن قد كتب بعد . فعاد ادراجه يحمل رسالة الى غورو جاء فيها : « اننا نأبى الحرب ، ولكن قبول الشروط الواردة في مذكرتكم الأخيرة يعرضنا لا محالة الى حرب اهلية . اننا مستعدون لتنفيذ الانذار المؤرخ في ١٤ تموز بخذافيره وقد نفذنا حتى الآن اربعة من شروطه واننا نتعهد بشرفنا بتنفيذه باخلاص على ان ينسحب الجيش الفرنسي من الأماكن التي احتلها مؤخراً . » (٢٠))

عند فجر اليوم الرابع والعشرين من شهر تموز بدأت معركة ميسلون (٢١) وقبل منتصف النهار ذاته توقف الجيش العربي عن كل مقاومة واستشهد على ساحة المعركة وزير الحرية ، القائد يوسف العظمة . وزحفت باتجاه دمشق جيوش تتألف من جنود جزائريين وسنغاليين ومراكشيين وافريقيين وفرنسيين تساندتهم الدبابات والسيارات المصفحة والمدفعية الثقيلة والطائرات . (٢٢) وفي اليوم التالي احتل الجيش الفرنسي مدينة دمشق وسار في شوارعها بشكل استعراض عسكري مهيب . وعصر ذلك النهار غادر فيصل واعضاء وزارته دمشق وانتقلوا جميعاً الى الكسوة وهي محطة للسكة الحديدية المؤدية الى عمان على بعد ١٢ ميلاً الى الجنوب الشرقي من دمشق . (٢٣) وقد كان فيصل في حالة شاذة من جراء توتر نفسي شديد . هل كان ينبغي له ان يلقي بمصيره ، في آخر لحظة بارتماثه في احضان فرنسا ام هل كان عليه ان يبقى مصراً على استقلال سوريا ؟ ويبدو انه كان يبتغي التوصل الى نوع من التسوية لأنه كان قد ارسل نوري باشا السعيد الى دمشق ليرى اذا كان هناك من امكانية للتفاهم مع فرنسا . وبعد فترة وجيزة تلقى برقية من نوري تقول « اتفاهم مؤقت ، والحكومة القديمة باقية ... تقرب جلالته من دمشق ضروري . أنتظر توكيل تحريري للمفاوضات السياسية » . (٢٤) كانت هذه الرسالة ، بالإضافة الى ما تلقاه فيصل من تقارير شفوية من دمشق في اليوم التالي ، مبعث امل وتفاؤل حملاه على اتخاذ قرار خطير وهو تكليف علاء الدين الدروبي ليؤلف حكومة جديدة . فقد ظن الملك فيصل ان الدروبي يستطيع تأليف وزارة تضمن التفاهم مع الفرنسيين . وألف علاء الدين الدروبي الوزارة فوراً . (٢٥) ولكن في اليوم ذاته تلقى فيصل

بصورة غير مباشرة خبراً مؤلماً من الماركيز دي باترنو مفاده ان الفرنسيين قرروا اعلان انتهاء العهد الفيصلي ، لا سيما وان الملك فيصل « قد غادر عاصمته وفر منها » . ونصح دي باترنو الملك فيصل ان يعود حالاً الى دمشق . (٢٦) وفي المساء ذاته عاد الملك الى المدينة . وتوالى الوقائع بعد ذلك بسرعة مذهشة . ففي اليوم التالي اي في ٢٦ تموز ، استدعى الجنرال غوابه اعضاء الحكومة الجديدة الى اجتماع قرأ فيه لهم بياناً جاء فيه ان الأمير فيصل جرح البلاد الى « مسافة اصبعين من الهلاك والدمار » وان مسؤوليته عن كل ما حدث من الاضطرابات الدموية على مسرح سوريا في الأشهر الأخيرة كبيرة وبديهة الى درجة لم يعد معها من الممكن استمراره في حكم البلاد . وهذه الحكومة الجديدة التي قبلت تولي مسؤولية الحكم تحت الانتداب الفرنسي تحظى بثقة السلطات الفرنسية ، ولكنها لا تستطيع ان تتبرأ كلياً من اخطاء الماضي وان ترفض تحمل المسؤولية عما جرى من خراب وتدمير وسفك دماء ، ولذا فان مهمتها الأولى هي ان تجمع غرامة قدرها مئتا الف ليرة ذهبية توزع على العائلات السورية التي تضررت بسبب موت احد اعضائها او بسبب خراب تناول املاكها ... (٢٧) وعندما اطلع فيصل على مضمون البيان الذي القاه غوابه احتج على هذه التصريحات ببرقية ارسلها الى الجنرال غورو . وقد حمل الكولونل تولا جواباً عن هذه البرقية ، سلمه الى الملك رسمياً باسم الحكومة الفرنسية ، يدعوه الى مغادرة البلاد « استناداً الى قرار الحكومة الفرنسية » مع افراد عائلته وحاشيته بأسرع ما استطاع . وقد حدد اليوم التالي الواقع فيه ٢٨ تموز عند الخامسة صباحاً زمناً لتحرك قطار خاص من محطة الحجاز الى درعا . (٢٨) وقبل ان يغادر فيصل دمشق بعث ببرقية احتجاج شديدة اللهجة الى الجنرال غورو جاء فيها انه لا يعترف بحق فرنسا ان تجرّده من السلطة التي منحه اياها رسمياً مؤتمر الصلح ليتولى حكم المنطقة الشرقية . ان دخول الجيوش الفرنسية مدينة دمشق هو انتهاك صارخ للقرارات التي اتخذت في مؤتمر الصلح ومخالفة صريحة لمبادئ شرعة عصبة الأمم . وكان ارسال برقية الاحتجاج هذه آخر عمل قام به فيصل « كملك لسوريا » مؤكداً بذلك « سيادته » طالما هو على الأرض السورية .

وصل فيصل درعا في الثامن والعشرين من تموز . وفي التاسع والعشرين والحادي والثلاثين منه تلقى برقيتين مستعجلتين من علاء الدين الدروبي يطلب فيها اليه ، باسم السلطات الفرنسية ، ان يغادر درعا دون ابطاء ، وفي القطار ذاته ، الى الحجاز بطريق معان او حيفا . وفي الوقت ذاته حلفت طائرة فرنسية يوم التاسع والعشرين من تموز ، فوق درعا وألقت منشورات جاء فيها ان السلطات الفرنسية تمهل سكان درعا والأقاليم المجاورة لها « عشر ساعات » ليلتمسوا من فيصل ان يغادر بلادهم ،

وإذا مانع في ذلك يجب ارجاع القطار الى دمشق والا تعرضت مدينتهم للقصف
بالقنابل من الجو . (٢٩)

كان الأمير عادل ارسلان قد غادر الى فلسطين للاتصال بالمندوب السامي
البريطاني ، السيد هربرت صموئيل ، للبحث معه بشأن وصول فيصل الى حيفا
وتهيئة وسائل السفر الى انكلترا . وفي اليوم الأول من آب غادر فيصل الأرض السورية
في طريقه الى حيفا ، وذلك بعد انقضاء اثنين وعشرين شهراً على دخوله دمشق ،
دخول الظافر المنتصر ، في الأول من شهر تشرين الأول سنة ١٩١٨ . (٣٠)

يقول السير رونالد ستورز : « ذهبت بصحبة السيد هربرت صموئيل للترحيب
بفيصل عندما مر قطار النفي باللد ، وهناك استقبلناه ، استقبالا رسمياً وحيته فرقة
عسكرية قوامها مئة جندي . وكان هادئ الأعصاب ، ترسم على وجهه دلائل
التجمل والصبر عند الشدائد كما يأمر به دينه ، الاسلام ... غير ان الدمع كان في
عينيه ، وامائر الألم على وجهه . (٣١)

يجدر بنا في ختام هذا الفصل ان نأتي على ذكر رأيين جديرين بالاعتبار ،
الأول منهما ادلى به استاذ بارز ، والآخر ادلى به احد كبار رجال الدولة ، قال
الأول منهما ، وهو الأستاذ تمبرلي (Temperley) ويحسن بنا ان نعيد كلامه (٣٢) :
« وهكذا سقطت دولة الأمير فيصل السورية المستقلة - دولة خلقتها بريطانيا
العظمى وتعهدت برعايتها وفاء للعهود والمواثيق التي قطعتها على نفسها للعرب ،
او وفاء لبعض وعودها . لقد سقطت دولة سوريا لأن قيامها كان يتعارض معارضة
مباشرة مع اماني فرنسا ومطامحها ، كما انها سقطت في فترة من الظروف حالت
دون النفوذ البريطاني من ان يتمكن من المحافظة عليها - واخيراً سقطت لأن قوتها
العسكرية لم تكن من القوة الكافية لضمان بقائها » .

اما رجل الدولة فهو ونستون تشرشل (Winston Churchill) الذي علل سقوط
الحكم الفيصلي امام المؤتمر الملكي سنة ١٩٢١ بقوله :

« ... لقد زحف الجنرال غورو على رأس جيش باتجاه دمشق ، فهزم الجيش
العربي ، واستولى على المدن الأربع التي جثت على ذكرها (دمشق وحلب وحمص
وحماة) . كما انه احتل البلاد السورية بأسرها . وقد تمت هذه العملية العسكرية على
ايدي جنود معظمهم من زنوج افريقيا . وما كان يؤلم الرأي العام البريطاني ،
وما كان يحز في نفوس الضباط البريطانيين ، ولا سيما أولئك الذين خدموا في
الجيش العربي ، ان يشاهدوا رفاقهم في السلاح وحلفاءهم في الحرب ، ومنذ فترة
قصيرة ، الذين كانوا يتطلعون اليها لحمايتهم واستعادة حقوقهم المهضومة ، اقول
انه كان من المؤلم ان يقفوا جانباً ليروا فرنسا تسحق هذا الجيش وتمتهن كرامته

وليشاهدوا مدنه يستولى عليها خلافاً لروح المعاهدات لا بل خلافاً لحرفية المواثيق .
كما ان هذا العمل قد آلم رجال السياسة والعسكريين واقلق خاطرهم . ولكن مهما
يكن من امر فان هنالك روابط وثيقة بفرنسا ، وينبغي لهذه الروابط ان تبقى ، ولذا
لم نكن في وضع نستطيع معه ان نساعد العرب في محتهم . » (٣٣)

رياح السياسة والتدخل العسكري ، من قبل اصدقائها واعدائها من الدول الأوروبية على السواء ، من الاندفاع بعنف لملء منطقة الفراغ .

كتب الزعيم الوطني الهنغاري لويس كوسوت (Kossuth) في مجلة Contemporary Review في عددها الصادر في شهر كانون الأول عام ١٨٧٧ يقول : « ان المسألة الشرقية هي مسألة أوروبا ، وليس هناك من دولة في أوروبا لا تشعر بأن مراحل هذه القضية لصيقة الارتباط ، مباشرة او بطريقة غير مباشرة ، بمصالحها » . وكان الايرل بيكونسفيلد (Beaconsfield) يرى ان المحافظة على استقلال الامبراطورية العثمانية والابقاء على سلامة اراضيها هو احسن ضمانة للسلام في أوروبا . وفي بيان صريح شديد اللهجة ادلى به اللورد ألبورن Ellenborough يعزى اليه قوله :

« ان الامبراطورية العثمانية قائمة ليس لصالح الأتراك انفسهم وحسب ، بل لصالح أوروبا المسيحية ، وليس بغية المحافظة على بقاء المسلمين في الحكم بقدر ما هو لانتفاذ المسيحيين من حرب لا يمكن تحديد الغاية من شنها ، ولا معرفة الزمن الذي تستغرقه هذه الحرب » . وهكذا نرى ان تقسيم الامبراطورية العثمانية وتجزئتها بين الدول كانت قضية أوروبية . وما لا شك فيه انها كانت العامل الرئيسي في نشوب الحرب العالمية الأولى ، كما انها كانت من اعقد المشكلات التي طرحت على رقعة شطرنج السياسة الأوروبية .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اخذت الدول المتنافسة بالانسحاب من حلبة السباق في المسألة الشرقية لسبب من الأسباب . ونالت دول الشرق الأدنى التي كانت واقعة تحت الانتداب استقلالها التام . ولكن هذا الجزء من العالم وجد نفسه متورطاً في مشكلات شديدة التعقيد ، وذلك اولاً بسبب قيام دولة اسرائيل ، وثانياً بسبب المصالح المتضاربة بين الجبارين العظميين في منطقة الشرق الأدنى وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ثم تتابعت الانتفاضات السياسية والاجتماعية ، هذا الى جانب محاولات لحل مشكلات جديدة قديمة عبر المساعدات المالية او عبر قوة السلاح ، بحيث نشأت حالة من اليأس والقنوط تدفع بالمرء احياناً الى الاستنتاج ان القدر ذاته كان منذ فجر التاريخ يلعب دوراً حاسماً في مصير الشرق الأدنى المتقلب الكثير النزوات ، وانه « مكتوب » على شعوب هذه المنطقة ان تعيش في حالة مستمرة من التوتر والسخط والتنازع . منذ سقوط الامبراطورية العثمانية لم تحسم قط ، في هذه البقعة من الدنيا ، قضية واحدة حسماً نهائياً ، ولا

كلمة ختامية

ليس علم الأخلاق التجريدي ما تعنى به الدبلوماسية السياسية ، بل انها تقوم اولاً على المصالح القومية . ليس الأمر الهام في عالم السياسة ان نعرف من هو على حق او من هو على ضلال « وانما الأمر لا يتعدى كونه تقييم القوى التي تنطوي عليها القضية المعنية ثم تبني هذه القوى لصالح القضية ولمعالجتها » .

في القرن التاسع عشر كانت جميع الدول العظمى ، الى جانب بريطانيا ، التي لها مصالح قومية في الشرق الأدنى تعنى بحمايتها ، دولاً أوروبية . وكانت هذه المصالح على تباين وتناقض ، فكانت سياسة هذه الدول تتأرجح بين تطرف يبغي الابقاء على سلامة اراضي السلطنة العثمانية وحماية حدودها وسيادتها ، وبين تطرف آخر يرغب في « تصفية » هذه الامبراطورية . وكانت بريطانيا تمثل جماعة التطرف من النوع الأول الذي ذكرناه ، وكانت روسيا تمثل الطرف الثاني . اما سياسة سائر الدول الأخرى التي كانت تسعى ، بصورة عامة ، الى الابقاء على سلامة الامبراطورية العثمانية فقد كانت تملئها عليها مصالحها القومية الخاصة ، او منافستها لهاتين الدولتين ، بريطانيا وروسيا . وهكذا ترى انه لم تكن هناك سياسة مشتركة لدى هذه الدول تجاه تركيا ، كما انه لم تكن هناك ، على مدى الزمن ، قضية حقيقية واضحة المعالم لدى هذه الدول . ان المشكلة برمتها ، المشكلة التي تعرف « بالمسألة الشرقية » كانت في الواقع « قضية الغرب » او « المسألة الغربية » في منطقة الشرق الأدنى . ولم يكن الشرق الأدنى ليشير اية « مشكلة » حول الغرب . ان تحاشد الدول الغربية العظمى ، ومخاوفها ، واطماعها ، وتنافسها القومي ، وتضارب مصالحها ، هي التي كانت تهدد سلامة اراضي الامبراطورية العثمانية الوهنة وسيادتها القومية . ان حالة الضعف والوهن التي كانت تتخبط فيها تركيا هي التي أثارت قضية تقسيمها في وزارة الخارجية البريطانية ، وفي وزارات خارجية الدول الأوروبية الأخرى المعنية بالأمر . ان عامل الضعف جعل من تركيا منطقة « ضغط هواء منخفض » مكن الرياح العاتية ،

يزال الشرق الأدنى منطقة يكتنفها الابهام ، كما ان شؤونه ومشكلاته لا تزال تنتظر حلاً .

يبقى هناك امر جليل حري بأن يستأثر باهتمامنا اذا ما اردنا ان نفهم التسويات التي تمت بعد الحرب العالمية الثانية لمنطقة الشرق الأدنى ، نعني المبدأ الذي كان يتحكم بالسياسة الخارجية لدولة مستقلة ذات سيادة ولا سيما اذا كانت هذه الدولة دولة عظمى ، هذا المبدأ الذي يقوم على القول المأثور : « بلادي بلادي سواء أكانت على حق ام على ضلال » . ان هذا المبدأ القومي الشديد التطرف يظهر لنا جلياً في السياسة الخارجية التي كانت تمارسها الدول العظمى منذ اقدم الأزمنة . ولدعم هذا المبدأ والدفاع عنه ، نشأ بحكم الطبع ، مبدأ آخر للهيمنة على العلاقات بين الشعوب ، وهو المبدأ المعروف بسياسة القوة . فان التعهدات التي قطعتها الدول على نفسها والاتفاقيات التي ابرمتها بعد الحرب العالمية الأولى كانت افضل مثال على اتباع هذا التقليد : سياسة القوة . فقد كانت اساليب السياسة التي تميز بها عصر التوسع وعصر القوة العسكرية في العالم السالف هي الأساليب ذاتها التي كانت تستحوذ على عقول ساسة الحلفاء في أثناء الحرب العالمية الأولى غير ان الديبلوماسية تحاول اخفاء هذه العقلية ، كلما دعت الحاجة الى ذلك ، تحت ستار من اقوال حكيمة وتصريحات بليغة تنم ظاهرياً عن سمو في الأخلاق والمناقب . وهكذا ترى ان الاتفاقيات التي عقدت بين بريطانيا والعرب من جهة ، وبين بريطانيا وفرنسا من جهة اخرى بشأن التسويات التي تمت بعد الحرب في سوريا ولبنان تشير الى ان مصدر الآفة والشر ليس رجال السياسة انفسهم بل سيادة الدول الحديثة ، هذا « الشبح الهائل » الذي هو ، عند التحليل الأخير ، الشريعة في حد ذاتها . فان السياسيين انفسهم اشبه بالكهنة والسدنة العاملين في هيكل هذا الشبح الرهيب . فان عليهم ان يخلصوا في خدمتهم هذا الشبح بكل ما اوتوا من اخلاص اما عن طريق الديبلوماسية او عن طريق استخدام القوة . ولكن هؤلاء السدنة لا يستطيعون ان يخدموا سيدين في الوقت ذاته ، كما انهم ليسوا كمن « يحلف للضرر ولا يغير » كما قال صاحب المزامير (مزمر ٥٠ : ٤) .

ان المصالح القومية اذا اقترنت بالمطامح التي لا تعرف حداً تقف عنده ، واذا رافقتها المطامع والغطرسة التي لا يكبح جماحها قانون اخلاقي وبلغت معاً حداً قصياً من التطرف فانها قد تتحول الى صنم وثني تؤدي عبادته آخر الأمر الى الخراب فاللوت . ولنا ان نسأل : هل يحتاج الانسان حقاً الى ديبلوماسية ؟ او هل انه كان يلجأ الى الحرب لو ان دوافع كل الدول واعمالها تصدر عن محبة وحق وايمان بالعدل؟

ان المنازعات القومية والدولية في عالمنا المعاصر ليست سوى تعبير عن الفراغ الروحي الذي ينتج ضرورياً من الريبة والخوف والبغضاء والصراع والظلم . ان السلام العالمي يتوقف في الدرجة الأولى لا على قوة الأسلحة النووية بل على القوة الخلقية والروحية لدى مختلف الشعوب التي تمزقها المنازعات .

زين نور الدين زين

الجامعة الأميركية في بيروت
بيروت - لبنان

١٩٧١

الهوامش

هوامش الفصل الأول

(١) في العام ١٥٨١ أصدرت الملكة اليزابيث رسائل منحت بموجبها رخصة لتأسيس شركة كانت تعرف بشركة المشرق (Levant Co.) وفي العام ١٥٩٢ اندمجت الشركات السابقة التي كانت تعرف بشركات تركيا والبندقية في شركة واحدة .

(٢) يتخيل الشاعر اليوناني ، جون باربوكولوس (Berbucallus) الذي عاصر هذه الكارثة ، مدينة بيروت المكتوبة تنتحب وتندب سوء حظها :
« هنا ابيت ، مدينة تكلل لا اهل لها ،
في كارثة اليمه امتزجت بي جثث ابنائي .
بعد ان زلزلت الارض زلزالها من الاعماق ،
احدقت بي ألسنة النار ، وأكتنفي اللهب .
واحسرتاه . جمالي الرائع أصبح رماداً كالحاً .
ابكوا ، ايها المارون ، سوء مصيري ،
واذرفوا الدمع على خراب بيروت » .

Shane, Leslie, *The Great Anthology*,

(London, 1929) Book nine, «The Declamatory
Epigrams», No. 425, «The Earthquake» P. 174

(٣) حتى ان جزءاً كبيراً من ارض لبنان الجبلية كان في ما مضى ارضاً صالحة للزراعة، وذلك بدليل المدرجات العديدة التي لا تزال آثارها ترى على سفوح الهضاب والجبال الى علو ما يقرب من ألفي متر .

(٤) يقول السيد هنري غيز (Guys) ، الذي كان قنصلاً لفرنسا في بيروت في الربع الاول من القرن التاسع عشر ان قوافل بغداد كانت تتألف من ثلاثة الى اربعة آلاف جمل ، كما ان القوافل المتجهة الى مكة المكرمة كانت تتألف من عدد يتراوح بين ١٥ الف وعشرين الف جمل . ويعتقد ان هذا العدد كان يرتفع في ازمة معينة الى ٣٠ الف و ٤٠ الف و ٥٠ الف جمل . وكانت مسيرة قافلة بغداد تستغرق من الزمن مدة تتراوح بين ٣٠ الى ٤٥ يوماً بدءاً

من دمشق واما القافلة المتجهة الى مكة المكرمة فقد كانت تستغرق مدة ٣٥ الى ٥٥ يوماً .

Esquisse de L'etat Politique et Commercial de la Syrie. pp. 213 and 216

(٥) على مسافة تقرب من تسعة اميال شمال بيروت عند مصب نهر الكلب - وكان الرومانيون يعرفونه بنهر الذئب - وعلى مقربة من طريق روماني قديم ، يستطيع المرء ان يرى ، في يومنا هذا ، نقشاً على صخرة ، وعلى الرغم من احاء بعض الحروف فان المرء يستطيع ان يقرأ ما يأتي : -

«الامبراطور قيصر ماركوس اوريليوس انطونيوس بيوس فيلكس اوغسطس بنى تلك الطريق بشق الجبل الصخري المشرف على النهر» .

« ان عرض الرصيف ، او الطريق الرومانية في هذه الاقطار ، يبلغ اثنتي عشرة خطوة ، ويقسم الى ثلاثة ممرات تفصل بينها خمسة صفوف من حجارة بارزة تملو قليلا عن حجارة الرصيف ، وعلى جانبي الممرين الطرفين قناة لتسرب الماء عمقها يتوقف على مستوى الطرق» . ذكر هذا : -

Smith, George Adam, *The Historical Geography of the Holy land*, p. 626

(٦) في الفقرة المقتبسة الاتية وصف حسن هذه الطريق التاريخية : -

« على سطح الكرة الارضية طرق قديمة سلكها الانسان قبل التاريخ المدون بازمنة بعيدة ، وقبل ان نعرف شيئاً عن تاريخ الانسان ، وستظل هذه الطرق مطروقة اذا ابقت عليها قوى الطبيعة ، طرق يسلكها شعب بعد شعب ، وجيش بعد جيش ، طرق اقام الانسان على جوانبها مزارات ومقامات مقدسة تختلف باختلاف الاعراق البشرية التي كانت تدين بها وتقدها ، طرق عالمية اممية ، طرق لتدوسها اقدام الفاتحين ، ولتسرع عليها الخطى اقدام المنهزمين المغلوبين ، طرق صنعت التاريخ . من هذه الطرق الطريق التي تشير من صور الى انطاكية . على هذا الطريق دون التاريخ كما يدون على درج ملفوف ... انسان ما قبل التاريخ ، الفينيقيون ، والاشوريون والمصريون والايروانيون والاغريق واليهود والرومان والصليبيون والمسلمون والغربيون المحدثون ، كل من هؤلاء ترك اثرًا من آثاره ومعلما من معالم دينه. جيوش ظافرة تعقب جيوشاً ظافرة مرت على هذا الطريق . دين يتتصر فيغزوديناً انها طريق رائثة ، طريق تحاذي البحر ، هذا البحر الجميل الرائع في تغيره وتقلبه ، الصافي الزرقة ، حتى ان الرسام ليحار في اختيار الوانه ليرسم لوحة لهذا البحر الجميل » .

E.S. Stevens, *Cedars, Saints, and Sinners in Syria*. pp. 114-115

(٧) راجع: Walter Kelly, *Syria and The Holy Land* (London 1944) p. 61

(٨) راجع: W. Thomsson, *The Land and the Book* (London, 1844) p. 61

وقد كتب السيرفلانطين تشيرول (Chirol) الذي قضى سنة ١٨٨٠ - ١٨٨١ في تركيا يقول : « كان السفر في اكثر الاحيان مشقة وعناء . لم تكن آنذاك في البلاد سلكك حديد باستثناء جزء من السكة الجديدة التي بناها الانكليز

بين ازميز وايدنين ، كما انه لم تكن هناك طرق معبدة تؤدي بالمسافر الى اي مكان . ولكن احياناً كان احد الباشاوات ممن كانوا يرغبون في جمع ثروة بسرعة ، او ممن كانوا يسمعون لكسب الشهرة على انه من الحكام المتقدمين يشرع في شق طريق ما بادئاً عمله بكثير من الالبهة والدعاية وقرع الطبول . ولكن ما ان يكون قد أتم انشاء بضعة اميال في الارض السهلة حتى يقف فجأة العمل عندما تنشأ مشكلات هندسية - كبناء جسر عبر النهر ، او شق طريق في مكان مرتفع في الجبال والهضاب ، والسبب في وقوف العمل هو اما نقل الباشا الى ولاية اخرى ، او ان الباشا نفسه لم ير امكانات لجمع المال من المتهمدين » . راجع :

Chirol, Sir Valentine, *Fifty Years in a Changing World*, (London,

1927) p. 92

(٩) مقتبسة من « يوميات السيد جون لوثيان :

John Lowthian:

A Narrative of a Recent Visit to Jerusalem and Several parts of Palestine in 1843 - 1844. (London) p. 35

(١٠) وهي السكة الحديد التي كانت تربط يافا بالقدس - بموجب امتياز اعطي للفرنسيين - والتي انشئت سنة ١٨٩٦. ومن يرغب في المزيد من المعلومات عن تاريخ انشاء الطرق في سوريا وفلسطين في اثناء القرن التاسع عشر عليه الرجوع الى كتاب : -

Noel Verney, George Dambmann

Les Puissances Etrangères dans le Levant — en Syrie

et en Palestine (Paris 1900) pp. 394-398

(١١) يقول كلوت - بيك (Clot Bey) في كتابه المرسوم : -

Aperçu Général Sur L'Egypte (Paris, 1842)

ان الناس كانوا يتحدثون عن العربة التي اهدتها فرنسا الى ابراهيم باشا كأنها امر عجيب جداً (Très Remarquable) كما ان الناس كانوا يتحدثون ابان الحملة الفرنسية على مصر عن عربة نابوليون التي كانت تجرها جياد ستة ، عند اجتيازها شوارع القاهرة الضيقة وازقة بولاق انها « امر طريف نادر » ادّش المصريين .

(١٢) يقول رمزي (W.M. Ramsay) في كتابه : -

The Historical Geography of Asia Minor (London, 1890) p. 23:

« ان شبه جزيرة آسيا الصغرى الواقعة جسراً بين آسيا واوروبا كانت منذ بدء التاريخ ساحة حرب بين الشرق والغرب . عبر هذا الجسر انتقلت ديانات الشرق الادنى وفنونه وحضارته الى بلاد الاغريق وحضارة الاغريق مرت فوق هذا الجسر في رعاية الاسكندر المقدوني في طريقها الى فتح الشرق والاستيلاء عليه . وعلى هذه الطريق ذاتها مشيت شعوب عديدة : الايروانيون

هوامش الفصل الثاني

- (١) راجع : John Morely, *The Life of William Ewart Gladstone*. Vol. I (1809-1859), London, 1903, p. 476
- (٢) راجع : T.G. Djuwara, *cent Projets de Partage de la Turquie*, p. 4
- (٣) راجع : Guichen, Vicomte de - *La Crise d'Orient de 1839 a 1841 et L'Europe*
- (٤) راجع : M.S. Anderson, *The Eastern Question, 1774-1923* (London, 1966), p. 29
- (٥) راجع : Sir Henry Lytton Bulwer, *The Life of Henry John Temple, Viscount Palmerston- With Selections from his Diaries and Correspondence*, (London, 1870) Vol. II, pp. 292-293.
- (٦) كان الاسطول المشترك يتألف من ثلاث وعشرين سفينة حربية بريطانية ومن ثلاث سفن نمساوية ، وخمس تركية . راجع : -
- Hunter, W.P., *Expedition to Syria*, Vol. I, p. 12
- « وزع بضعة الاف من البندقيات على سكان الجبل الذين هبطوا باعداد كبيرة الى جونية للتعبير عن ولائهم للسلطان وفي ٢٠ ايلول توجه الضابط اوستن ، ربان السفينة الحربية سيكلوبس (Cyclops) يرافقه السيد وود (Wood) وجماعة عن وجهاء الجبل الى الساحل السوري الواقع بين بيروت وصيدا لكي يوزعوا مزيداً من السلاح على الفلاحين اذا كان ذلك ممكناً » المرجع السابق ذاته ص. ٧٤ و ٧٦ .
- (٧) وفي ما يأتي نسخة عن النداء الذي نقل الى العربية ووزع في طول البلاد وعرضها . بيروت - عن ظهر البارجة التابعة لاسطول جلالته والمعروفة باسم باورفول (Powerful)
- ايها السوريون : - ان بريطانيا العظمى والنمسا وروسيا وبروسيا بالاتفاق مع عظمة السلطان قد اتفقت جميعاً على انتهاء حكم محمد علي في سوريا . وقد ارسلت على رأس قوة بحرية متقدمة لأساعد في ازالة نير الحكم الذي بسطه باشا مصر على هذه البلاد .
- انكم تعلمون انه قد صدر عن عظمة السلطان « خط شريف » يضمن سلامة رعاياه وضمنان ممتلكاتهم ، وينطبق مفعول هذا « الخط الشريف » على جميع

- والعرب والمغول والأتراك في محاولاتها لأخضاع الغرب للشرق .»
- (١٣) وبما ان الايرانيين احتلوا كذلك منطقة الشرق الأدنى في عهد كورش واحتفظوا بها اكثر من مئتي سنة (٥٣٩ - ٣٣٢ ق . م .) فينبغي ، اذاً ، ان يكونوا قد خلفوا وراءهم نقشاً يكون الثامن عشر ، ولكن لسبب ما اختفى هذا النقش واندثر خبره .
- (١٤) راجع : Colonel Churchill, *Mount Lebanon, a Ten Year's Residence* from: 1842 to 1852, Vol. I, (London, 1853) pp. VII-IX.
- (١٥) راجع : Great Britain, *Foreign Office Correspondences Relating to the Affairs of Syria*, Part I, p. 114.
- (١٦) راجع : R.W. Seton-Watson, *Disraeli, Gladstone and the Eastern Question*, p. 98.
- (١٧) راجع : The *Autobiography of Lincoln Steffens* (N.Y. 1931) p. 574
- (١٨) راجع : John S. Badeau, *East and West of Suez, The Story of the Modern Near East*, (The Foreign Policy Association, N.Y. 1943), p. 58

أجزاء الامبراطورية العثمانية بما في ذلك هذه البلاد بالذات . كما ان الدول الحليفة قد رفعت توصية الى عظمة السلطان من شأنها ان توفر لكم الخير والراحة .
يا أهالي لبنان الذين تسنى لي ان اراكم من على ظهر بارجتي ، ادعوكم الى الثورة والى خلع نير الظلم الذي تثنون تحت ثقله . واننا نتوقع بين ساعة واخرى وصول الجنود والسلاح والذخيرة من استانبول ، سنحمي شاطئكم من هجمات الجيش المصري اذا ما حاول ازعاجكم .
يا جنود السلطان ، انتم يا من اخرجتم من بيوتكم ودياركم بالمكر والخديعة وقذفوا بكم لتحاربوا في رمال مصر الحارقة ، ومن ثم نقلوكم الى سوريا ، انني ادعوكم باسم الدول الحليفة العظمى الى ان تعودوا الى ولائكم القديم ، الى احضان السلطان . هذا واننا ستتغاضى عن الاحداث التي وقعت ، وسوف ننساها . كما انه ستدفع لكم مرتباتكم المتأخرة التي لم تدفع .

التوقيع

شارلز ناير
(Charles Napier)

راجع : Hunter, W.P.,
Narrative of the Late
Expedition to Syria
Vol. 1, pp. 7-8.

(٨) « ويستمر الحكم في مصر في خط مباشر بالاكبر فالاكبر من الذكور والاحفاد في العائلة . اما في ما يتعلق بتسليمهم فأمر يعود الى الباب العالي » .
المرجع ذاته ، ص ٢٧٨

(٩) راجع : Puryear, V.J., *England, Russia, and the Straits Question*, 1844-1856, p. 46.

(١٠) المصدر ذاته ص ٣-٢ ، وص ٧٤-٦٢ .

(١١) المرجع ذاته ص ٣٩

(١٢) كان القيصر ، الذي رفض الاعتراف بنابوليون الثالث كملك مساو له ، قد بعث بجواب عن الرسالة التي كان نابوليون قد بعث بها اليه بعد تسلمه السلطة كأمبراطور لفرنسا ، خاطبه فيه بقوله « صديقي العزيز » عوضاً عن « اخي العزيز » كما جرى عليه العرف عند مخاطبة ملك ملكاً آخر . وكان القيصر فقولا بعد ذلك ، كلما وجد داعياً الى ذكر نابوليون الثالث يشير اليه بقوله « الرقم ٣ » .

(«Le Numéro III»)

(١٣) في اثناء حديث دار بين غولنكور (Gaulaincourt) ، السفير الفرنسي ، والقيصر اسكندر ، في ٢٤ حزيران ١٨٠٨ ، قال القيصر : « ان استانبول ، في حال استبدال اسيادها الاتراك باسياد اخرين ، ستصبح مجرد مدينة ريفية واقعة عند طرف الامبراطورية الروسية . وتشاء الجغرافيا ان اكون انا سيدها ، ذلك بانها اذا سقطت في يد دولة اخرى فاني لا اعود احسب نفسي سيداً في بيتي . وفضلاً عن هذا فاني لا اجد في الامر غضاضة بالنسبة الى الآخرين

اذا كنت احمل في يدي مفتاح بيتي » .

راجع : Puryear, Vernon J., *Napoleon and the Dardanelles* (University of California Press, 1951) p. 326

راجع : (١٤) Marriott, J.A.R. *The Eastern Question*, p. 152.

اسفر تدخل الدول العظمى الاوروبية في شؤون تركيا عن وقوع المسيحيين من رعايا السلطان في حماية واحدة من هذه الدول . فقد كان زمن يستطيع فيه رجل من اتباع الكنيسة الارثوذكسية في فلسطين ان يرفع العلم الروسي على سطح بيته او يدلي به من النافذة ليمنع الشركة التركية من دخول بيته .

(١٥) Great Britain, F.O., 64/424- Dispatch No. 13, «Secret and Confidential» addressed to «The Right Honourable The Lord John Russell» and dated: «St. Petersburg January 11, 1853».

اما العبارة في نصها الفرنسي فهي : — «Tenez-nous sur les bras un homme malade — un homme gravement malade — ce sera, je vous le dit franchement un grand malheur si un de ces jours il devait nous échapper, surtout avant que toutes les dispositions nécessaires fussent prises.»

(١٦) كان اللورد ستراتفورد دي ردكليف (de Redcliffe) وكان يعرف سابقاً باسم السير ستراتفورد كاننغ — (Canning) السفير البريطاني في استانبول من سنة ١٨٤٢ الى ١٨٥٨ — باستثناء فترات قصيرة . وقد كان في هذه الفترة سفيراً « لا ينازعه منازع في قوة نفوذه وسيطرته » . « وكان له من الخلق والهيبة ما جعله رجلاً ذا تأثير بالغ في السلطان عبد الحميد الذي كان مصاباً بوهن في عقله ... » في هذه السنوات الست عشرة نال لقب « السفير العظيم » وكان الرعايا من المسيحيين في الامبراطورية العثمانية يلقبونه « سلطان السلاطين » « وكان يعتبر من ابرز الدبلوماسيين الذين عملوا في السلك الخارجي البريطاني — كما انه كان ينتمي الى مدرسة دبلوماسية قديمة ، عندما كان الاتصال بين السفير وحكومته يتطلب وقتاً طويلاً ، وعندما كان السفير يشعر بأن عليه ، بالضرورة ان يتحمل مسؤولية تصرفه وان يميل ارادته السياسية عوضاً من ان يعمل بموجب سياسة حكومته . كان السفير يعتبر ذاته ممثلاً لجلالة الملك او الملكة لا مجرد ممثل لوزراء غير دائمين ... » .

راجع : Eversley, Lord and Chirol, Sir Valentine, *The Turkish Empire*, pp. 287, 292.

(١٧) Great Britain, F.O., 195/396- Clarendon to Stratford de Redcliffe No. 1, 25 February 1853. Cited by Temperly, Harold and Pen-son, Lellian M. , as Document 34 in *Foundations of Foreign Policy from Pitt (1792) to Salisbury (1902)*. pp. 139-140.

(١٨) راجع : Temperly, H., *The Crimea*, pp. 296-297.

«... ان من الظروف البارزة التي كانت سبباً في نشوب القتال، في بادئ الامر، ظهور تركيا كدولة توفر الحماية لجميع الطوائف المسيحية الممثلة في الاماكن المقدسة لدى جميع المسيحيين، على قدم المساواة. وهذه الحماية ذاتها، وهذه الامتيازات التي كانت تركيا تمنحها للطوائف المسيحية على قدم المساواة، هي التي اثارت غضب الرهبان الذين اوغرت صدورهم المشاحنات. ووراء الرهبان المقتتلين كانت تقف الكنائس المتنافسة، ووراء الكنائس المتنافسة كانت تقف شعوب متحاسدة متنابهة يسعى كل منها للحصول على مكانة مرموقة من النفوذ، او للحصول على امتيازات خاصة...»

(١٩) Argyll, The Duke of, — *The Eastern Question*, Vol. I, p. 3.

Eversley and Chirol, p. 299

(٢٠) Hertslet, ed. *The Map of Europe by Treaty*, Vol. II, pp. 1254-1255. راجع :

(٢١) Argyll, Duke of, *The Eastern Question*, Vol. II, p. 12 راجع :

(٢٢) Jouplain M., *La Question du Liban*. — راجع هذه المصادر :

Abkarius, Iskandar (and Scheltema J.F.) *The Lebanon in Turmoil*. Colonel Churchill, *The Druzes and the Maronites under the Turkish Rule from 1840-1860*, and Great Britain, *Correspondence Relating to the Affairs of Syria, 1860-61*,

يوسف يزبك وانطون عقيقي، ثورة وفتنة في لبنان (بيرت^٩، ١٩٣٨).

(٢٣) في رسالة بعث بها السير هـ. بولور (Bulwer)، السفير البريطاني الى وزير الخارجية البريطانية، اللورد ج. رسل (Russell) من استانبول ومؤرخة ١٧ تموز (١٨٦٠)، يقول: «لدينا الآن امران ينبغي لنا ان نأخذهما بعين الاعتبار، واعني الاسباب التي اسفرت عنها الاحداث الاخيرة، وما ينبغي لنا ان نفعله لمعالجة الوضع. اما في ما يتعلق بالاسباب فاني ارى ان المسؤولية تقع على عدد من الفرقاء؛ اولاً الاتراك الذين لم يهتموا الاهتمام الكافي — ولم يكثرثوا بان يهتموا — بالاحتجاجات التي كانت ترفع اليهم، لافتة نظرهم الى الحالة المتردية التي تجد سوريا نفسها تتخبط فيها. ثانياً اولئك الاشخاص الذين ساهموا، بصورة ما، في جر البلاد السورية الى المأزق الذي وصلت اليه».

«هناك رأي حول هذه القضية — وهو رأي ربما كان على كثير من التطرف — يقول بان الاسباب التي جرت المصائب والفواجع تعود الى الدسائس التي كان خديوي مصر يحوكمها، والى الدسائس التي كان يدبرها الموارنة، بالاشتراك مع الموظفين الفرنسيين، وايضاً دسائس الحكومة الروسية. وهو رأي لا اجد نفسي في وضع استطع فيه اثباته، غير ان الواجب يقتضي ان ارفعه الى سيادتكم. وهذه اسباب وجيهة (يقول اصحاب هذا الرأي) تملل لنا سبب شعور الدروز بالنقمة والتخوف مما دفعهم الى حالة من اليأس، كما انها كانت سبباً في شل

نشاط السلطات العثمانية، ووضعت المسلمين بصورة عامة في حالة نفسية دفعت بهم الى التحريض على القتل والنهب عوضاً من مقاومة الدهماء التي قامت بهذه الاعمال الشائنة في زحلة وحاصبيا ودمشق، والتي لا تتناسب مع التقليد العربي». «... ومن جهة اخرى هناك اناس لا يقلون عن هؤلاء تطرفاً في اتهامهم الاتراك. يقولون ان هذه الاحداث ليست سوى مؤامرة هدفها القضاء على الطائفة المارونية على ايدي الدروز، ثم القضاء على الدروز انفسهم قصاصاً لهم عما فعلوه بالموارنة، وفي اخر الامر يفلح الاتراك في تثبيت سيادتهم. وربما كان اقرب الى الحقيقة ان يفتش المرء عن الاسباب الحقيقية بين هذه الرواية وتلك».

راجع : Great Britain, F.O., *Correspondence Relating the Affairs of Syria* (Confidential) April, 1861, part, I, pp. 33-34.

(٢٤) Great Britain, F.O., *Correspondence Relating to the Affairs of Syria*, 1850-1861, part I, p. 114.

(٢٥) المصدر ذاته ص. ١١١-١١٢. كانت الحكومة البريطانية شديدة الحرص على ان لا يطول بقاء الفرنسيين طويلاً في لبنان، بل ان تكون المدة قصيرة محددة، وكانت الفترة المحددة لبقائهم ستة اشهر، بموجب البروتوكول الموقع في باريس، في ٣ آب ١٨٦٠، ثم اعيد تحديدها مرة ثانية في ١٥ آذار ١٨٦١ — وبعد مفاوضات طويلة مددت حتى ٥ حزيران «عندما يكون الجنود الفرنسيون قد جلوا عن سوريا» كما كان يقول بذلك اللورد ج. رسل. المصدر ذاته ص. ٣٥، ٥٦، ٦١٨.

(٢٦) Great Britain, F.O., *Correspondence Relating to the Affairs of Syria*, part II, pp. 299-300. راجع :

(٢٧) Testa, Baron I. de, *Recueil des Traités de la Porte Ottomane*, Tome Troisième, Première Partie, p. 140, n. راجع :

(٢٨) Ristelhueber. René, *Les Traditions Françaises au Liban*, p. 102 راجع :

(٢٩) Young, G., Vol. II, pp. 125-132, on «The Relations of France and the Latin Church in Turkey». راجع :

(٣٠) في سنة ١٦٨٢ عندما زحف الصدر الاعظم، قرا مصطفى، على مدينة فيينا على رأس جيش قوامه اربعمئة الف جندي «كان بعض الضباط وقواد ومهندسي ذلك الجيش من الفرنسيين الذين اعارهم لويس الرابع عشر للخدمة في تركيا بغية ان يرى قوة الامبراطورية النمساوية العسكرية تتمرغ في التراب»

Lane-Poole, Stanley, *Turkey*, p. 226

(٣١) Ristelhueber, Rene, in *Les Traditions Françaises au Liban*, p. 288. نقلا عن :

في ٢٩ شباط من سنة ١٨٨٨ قال بول ديشانل (Deschanel) في خطابه في مجلس النواب الفرنسي : « ان رجالات الثورة الفرنسية ، وليس اعضاء حكومة المديرين فقط ، بل اعضاء المؤتمر ولجنة الامن العام في سنة ١٧٩٣ عندما بلغ الترويع اوجه ، وعندما كانوا يقطعون رؤوس الاساقفة على المقصلة وعندما كانوا يحرمون اجتماعات المصلين في فرنسا ، اقول ، في هذه الاثناء كانوا يبعثون الى مثلينا في استانبول بأوامر رسمية ان يساروا دوماً الاساقفة وجموع المصلين في الشرق ، وان يحضروا القداس ، وان يحافظوا على التقاليد التي كان يتبعها ممثلونا ايام الملكية القديمة » .
ذكر هذا في كتابه : -

Aboussouan B., *Le Problème Politique Syrien*, P.50.

(٣٢) من الامور المعروفة جيداً ان نابوليون كان يطمح يوماً الى ان يقسم الامبراطورية العثمانية بينه وبين القيصر اسكندر الروسي . « ان الامبراطور اتفق مع القيصر اسكندر على تقسيم الشرق ، وعلى ان تكون حصّة فرنسا مصر وسوريا »
راجع : -

Correspondences de Napoléon Premier, Publié par L'Ordre de L'Empereur Napoléon III. (Paris 1869) Vol., 32. p. 429.

(٣٣) Toynbee, A.J. and Kirkwood, K.P. *Turkey*, pp. 128-129. راجع :

(٣٤) Great Britain, Foreign Office, *Correspondence Relating to the Affairs of Syria*, Part I, p. 114.

(٣٥) المرجع ذاته .

(٣٦) Schonfield, Hugh J., *The Suez Canal in World Affairs*, - : راجع :
(London, 1952)

(٣٧) « حدد رأس المال بأربعمئة الف سهم ، وقيمة السهم الواحد خمسمئة فرنك فرنسي بفائدة قانونية قدرها خمسة في المئة وقد وضعت قيد البيع في الاسواق في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٨ »

(٣٨) « كان موعد افتتاح القناة قد حدد في اليوم السابع عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٦٩ . ويقدر ان عدد المدعوين الذين حضروا حفلة الافتتاح كان يربو على ستة آلاف شخص ، باستثناء الضيوف الوطنيين من المصريين ، والعمال ، والموظفين من ذوي المناصب الخاصة ، والملاحين الذين كانوا يقودون السفن . وكان من جملة ضيوف الخديوي الامبراطورة اوجيني من فرنسا ، وامبراطور النمسا ، وولي عهد بروسيا ، وولي عهد هولندا ، والامير وليم اوف هس (William of Hesse) ، واعيان آخرون وممثلون يمثلون بلادهم » . المصدر ذاته

ص : ٤٢

(٣٩) Seton-Watson, R.W., - : نقلا عن :

Disraeli, Gladstone and the Eastern Question p. 27.

ويضيف سيتون - واطسن قائلا : - « كان لهذه الضربة الموفقة وقع بالغ الاثر

في جميع انحاء اوروبا ، وفسرها الناس بأنها دليل على ان بريطانيا قد تخلت نهائياً عن سلبيتها وشرعت في اتخاذ « سياسة خارجية ناشطة » .
(٤٠) « في هذه الاثناء كانت سياستنا الشرقية تتعرض لتطور بحري في اكثر من ناحية واحدة . فان التحول العظيم الذي احدثته المواصلات البحرية زاد في اهمية مصر على انها المرتكز لأقرب طريق الى الهند . ولم يعد بالامكان ان يظل المرء غير مكترث لما حققته قناة السويس من تغيير في طرق المواصلات . . . - او معادياً للفكرة حتى النهاية كما كان بالمرستون (Palmerston) ، وكما كان دزرائيلي عندما كان شاباً » . « المصدر ذاته ، ص . ٤ » « كان قنصلنا البريطاني الاول في مصر ايام الثورة الفرنسية رجلاً اسمه جورج بولدين (Baldwin) . وفي ذات مرة تسلق ، مع جماعة من اصدقائه ، الهرم الكبير ، وسكب من ثلاث زجاجات ماء من نهر التيمز ونهر الكنج ونهر النيل ثم شرب نخب اتحاد هذه الانهر الثلاثة ، ونخب اتساع التجارة البريطانية في جميع انحاء مصر . في تلك الايام كانت الطريق التجارية الرئيسية طريقاً برية تمر عبر حلب الى الخليج الفارسي ، وكانت تسيطر عليها الشركة الشرقية . . . »
Sidebotham, Herbert, *England and Palestine*,

(London 1918) p. 131.

(٤١) من محاضرة اللورد كرزون القاها في معهد الدراسات الفلسفية في ادنبرغ (Edinburgh) سنة ١٩٠٩ . وقد نقل هذا الاقتباس

Mears, Eliot Grinnell in *Modern Turkey*, p.18.

(٤٢) Seton-Watson, R.W., *Disraeli, Gladstone and the Eastern Question*, pp. 75-76.

هوامش الفصل الثالث

- (١) Winston S. Churchill, *A History of the English Speaking Peoples*, Vol. IV- *The great Democracies*, (London, 1958), p.26.
- (٢) Maurois, André *Disraeli* (The Modern Library, N.Y.1928) p. 309
- (٣) « بعد مرور خمسة ايام على عزله ، اي في ٤ حزيران من سنة ١٨٧٦ ، اعلن انه وجد ميتاً على كرسية في غرفة من غرف القصر (قصر جراغان) ... وكان الى يساره مقص طويل حاد الرأس ... » ولم تظهر على جسمه آثار جروح او دلائل عنف الا آثار وخز عميق في الساعدين . وقد اعلن ١٩ طبيباً قاموا بفحص الجثة ان « سبب الوفاة كان الانتحار » .
- راجع : Pears, Sir Edwin *Life of Abdul Hamid*. pp. 53-55.
- (٤) E.T.S. Dugdale, *German Diplomatic Documents, 1871-1914*, Vol. I pp. 32-33.
- (٥) Seton-Watson, R.W. *Disraeli, Gladstone, and the Eastern Question*, p. 150.
- (٦) غير ان الملكة فكتوريا كانت قد ضاقت ذرعاً بالامر . « قرأحت تبعث برسائل تنم عن روح الحرب الى رئيس حكومتها ... لماذا هذا التأخر في اللجوء الى الحرب ؟ ان الملكة شديدة القلق من ان يؤدي بنا هذا التأخر والتردد الى فقدان نفوذنا ومكانتنا الى الابد » وكان هذا الامر يسبب لها ازعاجاً دائماً ليلاً نهاراً .
- « حتى ان الاميرات اشتركن في التعبير عن قلقهن . عندما كان رئيس الوزراء جالساً الى مائدة العشاء بجانب الاميرة ماري التي التفتت اليه وقالت له « انني لا استطيع ان افهم ماذا تريدون بهذا الانتظار (وهي تقصد بذلك التأخر في اعلان الحرب على روسيا) ؟ » فكان جواب رئيس الوزراء لها تورية لطيفة عندما قال لها : « انني بانتظار صحن البطاطس ! » .
- Maurois, pp. 313-314.
- (٧) Pears, p. 66
- (٨) Seton-Watson, pp. 166-167.
- (٩) راجع المصدر ذاته ص ١٧٢-١٧٤
- (١٠) في ١٠ كانون الاول ١٨٧٨ ، بعث السيد فورنيه (Fournier) السفير

الفرنسي ، برسالة من استانبول ، الى وزير الخارجية الفرنسية يقول فيها : « اني اذكر بعض كلمات قالها لي (السفير البريطاني لايارد) (Layard) : « انت تظن ان لنا مطامع في اينوس (Enos) وميتيلان (Mytielene) ، وفي اسكندرونة ويافا ، ولكنني اؤكد لك الآن اني غير مفوض اجراء اي مفاوضات من هذا النوع . واؤكد لكم اني صادق في قولي . ولكنني لست اقول لك ان في غضون اشهر قليلة ، وذلك بالنظر الى سير الحوادث ، لن يكون هناك من يدبيل آخر » .

Affaires Etrangères, Turquie, Direction politique No. 227:» Bruits de négociations secretees de L'Angleterre.

Horold Temperley; and Lillian.

Penson, *Foundations of Foreign Policy from Pitt (1792) and Salisbury (1902)*. Document 145, p. 384.

(١١) Dugdale, E.T.S., *German Diplomatic Documents, 1871-1914*, راجع : Vol. I, p. 55

(١٢) كتب ساليزبري (Salisbury) يقول : « يتحتم على بريطانيا ان يكون وجودها على مسافة اقرب من مالطة . فقد قبض لي خلال السنة الماضية متسع من الوقت لاراقب بنفسي استحالة عمل عسكري فوري فعال من ميناء يبعد عن ساحة المعركة مسافة اربعة ايام من السفر بحراً . اذ ان الضربة الاولى يجب ان تقع فجأة وبسرعة ، وان يخبر عن الامر قبل وقوعه باربعة ايام ، لاسيما اذا كانت الحملة العسكرية تنوي النزول الى الشاطئ للقيام بمهمتها ، امر ينطوي على خطر جسيم -

Harold Temperly and Lillian Penson, p. 385. «Annex to Convention of Defensive Alliance between Great Britain and Turkey on 4th June 1878. Conditions of British Occupation and Administration of Cyprus. Signed at Constantinople 1st July 1878»

Hertslet, Edward, *The Map of Europe by Treaty* Vol., IV. pp. 2724-2725.

(١٣) Seton-Watson, p. 493. راجع :

(١٤) Wilson, A.T., *Mesopotamia, A Clash of Loyalties, 1917-1920*, p. 303.

(١٥) Temperly, Harold, and Penson, Lillian M., *Foundations of Foreign Policy from Pitt (1792) to Salisbury (1902)*, Document 145, pp. 384-385.

(١٦) من اراد الاطلاع على موجز للأحداث التي ادت الى احتلال بريطانيا القطر المصري فليراجع كتاب : -

Du Velay, A., *Essai sur L'Histoire Financière de la Turquie*.

pp. 134-172, 260-316, 632-648. And Blaisdell, Donald Christy,

European Financial Control in the Ottoman Empire pp. 9-73.

Madden, Richard Robert, *The Turkish Empire*, p. 542. راجع : (٣١)

« اذا كانت مالية بلد ما في حالة من الفوضى ، فان قلب الامة مريض ، والجسم كله في وهن . واذا كان موظفو الدولة : الجيش ، والبحرية ، والصناع ، والعمال ، لا تدفع لهم رواتب كافية وفي اوقات منظمة في مقابل خدماتهم ، فان النتيجة المحتملة هي الظلم والفساد في الطبقات الاجتماعية العليا ، والاستياء العام والبهوس في الطبقات الاجتماعية الدنيا . وهكذا ما يرغم على التسليم به احسن الاصدقاء اخلاصاً ومودة لهذا البلد ... » .

المرجع ذاته ص . ٤٤٤ نقلا عن مقال عنوانه « مالية تركيا » نشر في مجلة فرايزر (Frayzer) في شهر تشرين الاول سنة ١٨٦٠ .

Eversley, Lord, and Chirol, Sir Valentine, *The Turkish Empire*. (٣٢)

pp. 312-313.

(٣٣) يتضح من هذا الوصف الموجز للحالة المالية في الامبراطورية العثمانية ان الاعتبارات المالية كانت تلعب دوراً مهماً في مصالح الدول فتدفع بها للحفاظ على استقرار الامبراطورية العثمانية وسلامة اراضيها .

راجع كذلك : Contenson, Ludovic de, *Les Réformes en Turquie - D'Asie, La Question Arménienne, La Question Syrienne, Avant-Propos*.

(٣٤) « في سنة ١٨٧٨ في مؤتمر برلين ، ظهر عامل جديد . « ذلك بأن بروسيا التي لم تكن بعد تتدخل في شؤون الشرق الا بصفة مراقب اقدمت على اسماع صوتها في الامر لا بل على فرض ارادتها الى حد ما »

Benedetti, le Conte, «La Question d'Orient», *Revue de Deux Mondes*, LXVII Année, 1 Janvier, 1897, p. 51

(٣٥) من رسالة ليلو Bulow الى الكونت مينستر في لندن ، في ٤ كانون الثاني ، ١٨٧٦ . راجع : -

Dugdale, Vol. I, p. 20

جاء في رسالة للفنصل الفرنسي في بيروت ، الفيكونت دي بيتيفيل (Le Vicomte de Petiteville) ، مؤرخة في ١٠ نيسان ، ١٨٨٨ ، قوله : « يجب علينا الحذر من جانب المانيا . فللمرة الاولى يظهر العنصر الكاثوليكي الالمانى في سوريا ، فان راهبات سان شارل بوروم (St. Charles Borromée) قد اسسن لهن مركزاً بمساعدة حكومة برلين ، وهن يأملن بأن يؤسسن مراكز في انحاء مختلفة من منطقة الخليل ان لم يكن في سوريا ذاتها . فبالنظر الى قيام هذا التنافس الذي يمكن اعتباره عملاً غير ودي بالنسبة الى فرنسا ، لان هذا التنافس يتناقض مع بنود اتفاقية دولية رسمية ، فانه لزام علينا ان نحافظ على مؤسساتنا اكثر من اي وقت مضى » .

Kirk, George, *A Short History of the Middle East*, pp., 107-114

اما اذا اراد القارىء مزيداً من المعلومات فعليه مراجعة : -

Cromer, Evelyn Baring, Earl of, *Modern Egypt*, 2 Vols. (London 1908); Young, George, *Egypt*, (N.Y. 1927); Sabry, M., *L'Empire Egyptien Sous Isma'il et L'Ingerence Anglo-Française 1863-1879* (Paris, 1933).

(١٧) كان نوبار باشا وزير خارجية الخديوي اسماعيل باشا من سنة ١٨٦٦ - ١٨٧٤ وفي سنة ١٨٧٦ نقم عليه الخديوي ، ولكن في سنة ١٨٧٨ جملة رئيساً للوزراء المصرية وذلك بضغط من قبل الدول الغربية بغية ادخال اصلاحات على الحالة المالية في مصر .

Dugdale, Vol. I, p. 51. راجع : (١٨)

(١٩) المرجع ذاته ، ص . ٥٣

(٢٠) المرجع ذاته ، ص . ٥٤

(٢١) المصدر ذاته ، ص . ٥٥-٥٧

(٢٢) والحقيقة هي ان « شركة الهند الشرقية » اخذت ، منذ الحروب النابوليونية « تثبيت مركزها التجاري والستراتيجي » مع مشيخات الخليج الفارسي ، ومع جنوب الجزيرة العربية ، ولا سيما مع سلطان عمان . وقد انذر بالمستون (Palmerston) ، محمد علي باشا الا « يتعدى على ولاية بغداد » كما حذره من « ان حكومة جلالتة لا يمكنها ان تتفاوض عن زحف محمد علي باتجاه بغداد ومنطقة الخليج . »

Kirk, p. 80

Arronsohn, Alexander, راجع : (٢٣)

With the Turks in Palestin, (N.Y. 1916) p. 57.

Dugdale, Vol. II, p. 330. (٢٤)

(٢٥) الخط تحت هذه الكلمات ، تأكيداً لقيمتها ، من وضع المؤلف .

(٢٦) الخط تحت هذه الكلمة في الاصل .

(٢٧) الخط تحت هذه الكلمات من وضع المؤلف .

Dugdale, Vol. II, p. 343. (٢٨)

(٢٩) المرجع ذاته ص . ٣٤٢

(٣٠) من اراد الاطلاع على تفاصيل الوضع المالي في الامبراطورية العثمانية وعلى الديون الكثيرة التي اقترضتها من المصارف الاوروبية ، عليه ان يرجع الى : -

France, Archives du Ministère des Affaires Etrangères, Turquie-Beyrouth
No. 17.

Seton-Watson, R.W., *The Rise of Nationality in the Balkans*, p. 127. (٣٦)

David, Wade Dewood, *European Diplomacy in the Near Eastern* (٣٧)

Question, 1906-1909, p. 16.

ويضيف دافيد قوله : « من جهة ثانية لم يكن لدى السلطان ما يخيفه من التغلغل الاقتصادي الألماني في بلاد الأناضول . فان ولاية الأناضول ، وغالبية سكانها من الأتراك ، كانت بمثابة قلب الامبراطورية العثمانية الى جانب كونها اقل الولايات تعرضاً للتيارات الغربية . كذلك كان عدم اهتمام المانيا بمنطقة البحر الابيض المتوسط ، وبمدها جغرافياً عن الممتلكات التركية ، عاملين يشكلان ضماناً اضافية لدى السلطان ضد النوايا السياسية الألمانية .

(٣٨) من اراد الاطلاع على بحث ممتاز عن خط بغداد الحديد عليه ان يراجع : -

Earle, Edward Mead,

Turkey, the Great Powers and Baghdad Railway;

Chapman, Maybelle K., *Great Britain and the Baghdad Railway*,

1888-1914.

(٣٩) « كان ذلك عام ١٩٠٣ عندما حصل البنك الألماني على اتفاقته التي تتناول مشروع الخط الحديد ، خط برلين - بغداد . كان امتيازاً مدته ٩٩ سنة وينص على الحق في انشاء خط من قونية الى بغداد عبر ارضه وحلب والموصل . والمشروع بكامله ، مع الخطوط الفرعية في سوريا والموصل ، ومن ثم الى الخليج الفارسي ، يتضمن انشاء مجموعة من الخطوط طولها ٢٤٠٠ ميل وعند مطلع عام ١٩١١ كان الألمان قد وظفوا اكثر من ٣٠ مليون ليرة تركية في الخطوط الحديد التركية .

راجع : Howard, Harry N., *The Partition of Turkey*, P.48.

(٤٠) « كانت الحكومة الفرنسية ، بالاشتراك مع اصحاب المال من الفرنسيين ، يبدون معارضتهم لاشراك المصالح التجارية في جنوب فرنسا في مشروع خط بغداد الحديد . فقد كان رجال الاعمال يتخوفون ، مثلاً ، من ان تبدل « الطريق الحديدية الى الهند » طرق المواصلات الحالية والقائمة بين بريطانيا والشرق عبر أوروبا بطريق كاله (Calais) الى مرسيليا ، ومن هناك بواسطة البواخر الى السويس بطريق آخر هو الخط الحديد السريع الذي يبدأ في كاله الى استانبول عبر اوستند (Ostend) فمدينة كولون (Cologne) ومونيخ وفيينا . وهكذا يفقد مرفأ مرسيليا اهميته ، وذلك بتحول خطوط المواصلات الى أوروبا الوسطى . كذلك كان يشعر بعض اصحاب الصناعات في مدينة ليون بأن نشوء قوة اقتصادية المانية في الامبراطورية العثمانية قد يحول دون تدفق الحرير الخام الرخيص الثمن من سوريا الى معامل فرنسا ، مع العلم ان انتاج الحرير بكامله كان يستهلك في مصانع فرنسية . وقد أكد مخاوف اصحاب مصانع

نسيج الحرير مصرف من اهم مصارف فرنسا : كردي ليونيه (Grédit Lyonnais) الذي كان قد انشأ له فروعاً في يافا والقدس وبيروت بغية تمويل شراء الحرير وشحن بضائع اخرى من منطقة الشرق الادنى . وكان هذا البنك قد لاقى منافسة شديدة من قبل البنك الألماني الفلسطيني جعلت اصحاب المصرف الفرنسي مقتنعين بان مزيداً من التغلغل الاقتصادي الألماني في تركيا يشكل خطراً على مصالحهم الاقتصادية . «

Earle, pp. 157-158.

(٤١) المصدر ذاته ص. ٧

(٤٢) للاطلاع على المزيد حول هذه القضية راجع : -

Howard, Harry N., *The Partition of Turkey*, pp. 39-102, and Earle, Edward Mead, *Turkey, The Great Powers, and the Baghdad Railway*, pp. 29-52.

(٤٣) من الطريف ان نشير الى ان سياسة بسمارك في الشرق الادنى كانت تتعارض مع سياسة المانيا الرامية الى عقد تحالف مع تركيا . فقد كتب القيصر السابق في مذكراته يقول : « كان بسمارك يتكلم عن تركيا وعن الشخصيات التركية في المقامات العليا ، وعن الاحوال السائدة في تلك البلاد بازدياد واستخفاف ... فلم يكن الاير بسمارك شديد الميل الى تركيا ، ولم يتفق معي مرة حول سياسيي التركية » .

Hohenzollern, W. Von, *My Memoirs*

1878-1918 (New York, 1922) p. 27, cited by Earle, Edward Mead, note 23, pp. 54-55.

اما في ما يتعلق بزيارة الامبراطور للشرق فقد قال بسمارك للقيصر في مقابلة جرت بينهما في شهر تشرين الاول سنة ١٨٨٩ ان « المانيا ليست لها مصالح سياسية في البحر الاسود وفي البحر الابيض المتوسط » . وعليه « فانه من المحال ان تتخذ زيارة القيصر لوناً سياسياً » . و اضاف بسمارك قوله : « ان قبول تركيا في الحلف الثلاثي امر مستحيل بالنسبة الينا ، اذ ليس لنا ان نفرض على الشعب الألماني ان يحارب روسيا من اجل مستقبل بغداد » . المصدر ذاته ص. ٤٢ .

(٤٤) لقد كانت هناك جاليات المانية قد توطنت فلسطين . وكانت تنتمي الى الطائفة المسيحية التي تعرف باسم الداوية او فرسان الهيكل .

« كانت هذه المستوطنات الداوية الألمانية في ضواحي حيفا ويافا والقدس قد أنشئت في فلسطين لدوافع وعوامل دينية ذوات طابع خاص ... وفي سنة ١٨٧٩ سمحوا لغيرهم من الألمان الذين لا ينتمون الى طائفتهم بالانضمام الى جالياتهم . وبعد زيارة القيصر سنة ١٨٩٨ حصلوا على بعض العون المالي من المانيا على اساس انهم يمثلون المصالح الألمانية في فلسطين » .

راجع : *A Handbook of Syria (Including Palestine)* p. 192.
(٤٥) من ترجمة حرفية للخطاب . راجع : -

Great Britain, F.O., 195/2024 — Public Record Office, Dispatch
No. 55, Damascus, Nov, 11, 1898, Inclosure No.1.

ولكي يعبر السلطان عبد الحميد عن صداقته الشخصية للقيصر الألماني أمر بأقامة نصب في خرائب بعلبك نقش عليه : « من السلطان عبد الحميد الثاني ، امبراطور العثمانيين ، الى صديقه المعظم غليوم الثاني امبراطور المانيا وملك بروسيا ، والى الامبراطورة اوغوسطا فيكتوريا ذكرى صداقة متبادلة لا يغيرها الدهر ، وذكرى زيارتهما الامبراطورية لبعلبك » . - تشرين الثاني ، ١٨٩٨ .

(٤٦) وقد نقل هذا : - ورنيه ، برنارد (Vernier, Bernard) في كتابه
(ص ٩) *La Politique Islamique de L'Allemagne*

(٤٦) و اضاف : -

« كتب الدكتور ويرت (Wirth) من جانبه يقول : « ينبغي للأتراك الذين يتحلون بحسن ادراك الواقع ان يفرحوا لحصولنا على مر كهذا الممر في افريقيا الشمالية . وفضلا عن هذا فان هذا الامر يجعلنا دولة لا يستغنى عنها في الدفاع عن الاسلام المهديد بالمخاطر ان الاستيلاء على وادي النيل كان امراً لا مناص منه حرصاً منا على ضمان سيادة الاسلام في شمال افريقيا وعلى تماسك الامبراطورية الألمانية - الاسلامية » . المصدر ذاته ص. ٩-١٠

(٤٧) من الطريف ان نشر الى ان « عامة الناس من المسيحيين في البلاد المسيحية لم ينظروا الى هذا الامر بسخط او غضب » فان المسيحيين ، او الكاثوليك ، في انكلترا وفرنسا ، لم يروا في كلمات القيصر كفراً ، بل نظروا الى الخطاب على انه تعبير محض عن موقف سياسي ليس مرغوباً فيه . اما كاثوليك مقاطعة بافاريا ولوثريو بروسيا (Lutherans) فنظروا الى هذه

الصداقة التي عرضها القيصر على المسلمين من زاوية مختلفة . فانها بالنسبة اليهم كانت تعني ان تركيا قد فتحت باب الشرق على مصراعيه في وجه الامبراطورية النيتونية (Teutonic) التي وفرت لتركيا حليفاً قوياً يتحل بالفضائل العسكرية الممتازة التي قد تقف يوماً في وجه العداوة المتزايدة التي تبديها الدول السلافية (Slavic States) في شبه جزيرة البلقان .

(٤٧) راجع :

Ferrara, Oreste, *Lessons of the War and the Peace Conference* (New York, 1919) pp. 69-70.

(٤٨) لم يكن الخطاب الذي القاه القيصر غليوم الثاني في دمشق السانحة الوحيدة

التي سنحت له للتعبير عن صداقته وتعهده بحماية السلطان والاسلام . ففي ربيع ١٩٠٥ زار مدينة طنجة التي سافر اليها على يخته الخاص وفي آخر يوم من الزيارة كانت العبارة الاخيرة من الخطاب الذي القاه في ذلك اليوم ما يأتي : - « اني اعود الى بلادي شديد الاغباط بهذه الزيارة . غير اني لن اودعكم الآن ،

لاني آمل ان اتمكن من العودة اليكم قريباً ، ليس كزائر بل كحليف للسلطان التركي العظيم ، وكأخلص صديق وحام للاسلام » .

راجع : *A GERMAN Diplomat, The Near East From Within*, p. 75.

(٤٩) عندما بدأت المذابح لم تتخذ الدول المسيحية ، والتي كانت تفاخر بأنها حامية

النصارى في الامبراطورية العثمانية ، اي خطوات عملية لانقاذ الارمن . نعم ، بعثوا باحتجاجات ، ولكنهم لم يقوموا بعمل فعال . فقد كانت الاعتبارات السياسية تطفئ على الاعتبارات الانسانية او على العواطف الدينية التي ربما كانوا يكونونها للأقليات ، في المملكة العثمانية ، في صراعهم وامانيهم القومية .

كتب ج. م. ترفليان (Trevelyan) يقول : « في اثناء الخمسين سنة بين تحرير اليونان في عهد وزارة كاننغ (Canning) ، وبين الحملة التي كان يشنها غلادستون لمناسبة الفضائح التي كانت تقترب في بلغاريا ، كف الشعب الانكليزي عن اظهار عطفه على الحركات القومية التي كانت تصارع في سبيل التحرر من حكم الاتراك . اما قضية تحرير اليونان فقد الهبت شعورهم عندما مات الشاعر بيرون (Byron) شهيداً في المعركة لتحرير اليونان في ميسولوجي (Missoloughi) »

« غير ان جذور هذا العطف على بلاد اليونان كانت في الصلات الثقافية . فان مجرد ذكر اسم « هلاس » اي بلاد اليونان ، كان له فعل السحر في اثاره اعماق الشعور لدى آباءنا واجدادنا ، الذين لم يكن بالسهل اثاره عواطفهم ، تماماً كما كان اسم « ايطاليا » يهز شعور الناس بعد ذلك الحين بجبل من الزمن . ولكن بعدما تحرر وارثو الحضارة اليونانية القديمة ، لم تثر قضية الصرب والبلغار والارمن عواطف الشعب الانكليزي ، مع العلم ان المبدأ كان واحداً ، وهو انقاذ تلك الشعوب العريقة التي كانت ترزح تحت نير الحكم التركي الغاشم . ان التربية الكلاسيكية والادبية التي الهمت الفكر الانكليزي حينذاك اثارت عطف الانكليز على قضية المسيحيين في شبه جزيرة البلقان . والشئ ذو المغزى المهم هو ان اعضاء البرلمان الانكليزي في القرن السابع عشر كانوا يستشهدون باقوال من التوراة عند دفاعهم عن قضية ما ، وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانوا يستشهدون باقوال الكلاسيكيين (ادباء وفلاسفة اليونان والرومان) اما في القرن العشرين فانهم لا يستشهدون باقوال احد من الناس اطلاقاً » .

Trevelyan, G.M., *British History in the Nineteenth Century and After*, 1872-1919, pp. 213-214.

Earle, p. 4.

David, p. 13.

المصدر ذاته ، ص. ٥-٦

Dugdale, Vol. III, p. 390

هوامش الفصل الرابع

- (١) تقول الاسطورة الاغريقية ان بنيلوبه (Penelope) زوجة اوديسيوس (Odysseus) كان لها عشاق كثيرون يزعمونها في اثناء غياب زوجها فكانت تقول لهم انها عندما تنتهي من نسجها تنظر في امرهم. ولهذا السبب كانت تحل في الليل ما حاكته في النهار بماطلة لهم .
- (٢) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية (بيروت ١٩٦٨) الفصلان الثالث والرابع .
- (٣) Temperley, *A History of the Peace Conference of Paris*, Vol. VI., p. 178
- (٤) Lloyd, George, *War Memoirs* Vol. IV. pp. 1802-1803
- (٥) المصدر ذاته ص ١٨١٠
- (٦) Wingate, Ronald, *Wingate of the Sudan*, p. 179
- (٧) قام المرحوم فارس نمر باشا صاحب ومحرر جريدة المقطم باطلاع الكاتب على المكان الذي كانت تمقد فيه بعض هذه الاجتماعات السرية : - في مكتبه في غرفة خلفية لبناية المقطم في القاهرة .
- (٨) كتب رونالد ستورز السكرتير الشرقي لدار الاعتماد البريطانية في القاهرة يقول : « تمت في شهر نيسان سنة ١٩١٤ ، زيارة للقاهرة ما كان لاحد من الناس ان يتصور آنذاك ما يمكن ان يكون لها من أثر بالغ في مجرى الحرب ، وفي تقرير مصير الشرقين الادنى والاوسط . ذلك بأن الامير عبد الله ، النجل الثاني للحسين ، شريف مكة ، قدم الى القاهرة من استانبول بدعوة من الخديوي . وجرت له مقابلة مع اللورد كتشنر . . . في هذه الاثناء بعثت الينا سفارتنا في استانبول تقول ان مثل هذه المقابلات لا يرضى عنها الباب العالي الذي لم يكن يخفي ارتياحه في امر الدسائس التي يدبرها العرب في الحجاز وسورية كانت محادثاتي مع الامير عبد الله تجري بكل دقة وكياسة وفجأة وجدت نفسي امام سؤال صريح محدد: هل بوسع بريطانيا ان تقدم للشريف اثني عشر أو ستة عشر مدفعاً رشاشاً للدفاع عن النفس ضد هجوم يقوم به الاتراك ؟ وشعرت بأني لا احتاج الى تعليمات من رؤسائي لاقول له انه لا يخطر لنا ببال ان نقدم سلاحاً يشهر في وجه دولة صديقة . وما كان

- (٥٤) Anderson, M.S. *The Eastern Question*, (London, 1966) pp. 266-267
- (٥٥) Gooch and Temperley, *British Documents on the Origins of War*, 1898-1914, Vol X, p. 481.
- (٥٦) Temperley, *A History of the Peace Conference of Paris*, Vol. VI, p. 178
- (٥٧) Lloyd, George, *War memoirs* (London, 1933-36) Vol. IV, pp. 1802-1803.
- (٥٨) Churchill, W.S. *The World Crisis*, 1911-1913, Vol. I, p. 435.
- (٥٩) المصدر ذاته ، ص ٤٣٤
- (٦٠) Pressland, John, *Deedes Bey*, pp. 139-140
- (٦١) ولسنا بحاجة الى القول ان هذه الوثيقة كانت موسومة بعبارة «سرية للغاية» . وقد جاء في مذكرة الحقت بها ، وكتبها بلفور الى السيد لنسنگ وزير خارجية اميركا ، قوله : « ان مقررات المجلس الحربي الامبراطوري ، بطبيعة الحال هي مقررات في غاية من السرية » .
- راجع : -
- U.S.A. Department of State, *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: The Lansing Papers*, 1914-1920, Vol. II, p. 23.

للامير عبد الله ان ينتظر مني غير هذا الجواب ، غير اننا افترقنا على خير ما يكون من الصداقة والود » .

R. Storrs, *Orientations*, pp. 122-123.

وينقل السيد ستورز نص رسالة بعث بها اللورد كتشتر من دار الاعتماد في القاهرة الى السير و . تيرل (Tyrrell) ، في ٢٦ نيسان ١٩١٤ ، جاء فيها : « الشريف عبد الله ارسل دعوة الى ستورز الذي اصدرت له تعليمات مؤداها انه ينبغي لعرب الحجاز الا يتوقعوا تشجيعاً منا ، وان اهتمامنا بالجزيرة العربية لا يتعدى كونه اهتماماً بسلامة الحجاج الهنود وراحتهم » .

(٩) المصدر ذاته . ص ١٤٨

(١٠) يبدو ان تجزئة الامبراطورية العثمانية كانت تراود اللورد كتشتر في اثناء سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ . كما انه اصبح راسخ الاعتقاد ان « سورية الجنوبية فما فوق الى حيفا وعكا ، ونزولا الى خليج العقبة ، بناء على اعتبارات سياسية وستراتيجية ، تشكل منطقة ذات مغنم لا يستغنى عنها بالنسبة الى الامبراطورية البريطانية » . وقد جاءت نتيجة الدراسة العسكرية لصحراء سيناء التي اقترحتها اللورد كتشتر نفسه والتي تمت سنة ١٩١٣ تثبت ان كتشتر كان فعلاً يفكر في امر تجزئة الامبراطورية العثمانية .

Great Britain, *Report of a Committee set up to consider certain Correspondence between Sir Henry McMahon (His Majesty's High Commissioner in Egypt) and the Sharif of Mecca in 1915 and 1916*. (Cmd. 5975), p. 12
Great Britain — Foreign Office F.O. 371/2139 — Turkey, September 24th, 1914, No. 219. Secret. (١١)

راجع النص الانكليزي لهذه البرقية في الملحق عدد ١٦
F.O. 371/2139 — Turkey, October 31st. (1914),
Telegram No. 233. (١٢)

راجع النص الانكليزي لهذه البرقية في الملحق العدد ١٧
F.O. 371/2139-Turkey, October 31st 1914.
Telegram No. 303. (١٣)

راجع النص الانكليزي لهذه البرقية في الملحق العدد ١٨
« في هذه الاثناء كان ستورز وجايرت كلايتون (Clayton) من دائرة الاستخبارات العسكرية ، يجران اتصالات مع عزيز علي المصري وغيره حول امكان قيام ثورة عربية » . (١٤)

Kirk, *A Short History of the Middle East*, p. 125.

كان عزيز علي المصري شاباً عربياً ضابطاً يخدم في الجيش العثماني . وهو الذي كان قد اسس في مطلع سنة ١٩١٤ الجمعية السرية المعروفة بجمعية « العهد » التي كانت في الدرجة الاولى جمعية للضباط العرب . القى الاتراك عليه القبض وحكم بالاعدام ولكن اعفي منه واطلق سراحه بعد توسط السفير البريطاني

السير لويس ماليه (Mallet) . ثم سافر الى مصر واقام بها .
راجع : طاهر العمري - تاريخ مقدرات العراق السياسية ، المجلد الاول ص ٣٦٧ - ٣٧٩ . كذلك راجع :

George Antonius, *The Arab Awakening*, pp. 118-121, and Gooch and Temperley, *British Documents on the Origin of the War*, 1898-1914. Vol. X, Part II, pp. 833-838.

(١٥) راجع النص العربي لهذه الرسالة في كتاب الثورة العربية الكبرى ، وثائق واسانيد (تحرير سليمان موسى) ص ١٥-١٦

(١٦) F.O. 371/2139 — Telegram No. 310 — December 10th, 1914.
راجع النص الانكليزي لهذه البرقية في الملحق العدد ١٩

(١٧) ستورز ، ص ١٤٩

(١٨) المصدر ذاته ص ١٢١

(١٩) Ronald Wingate, *Wingate of the Sudan* (London, 1955) p.168

(٢٠) « لا يسعنا ان نتجاهل ما كان لبريطانيا العظمى من مصالح تهتم بالحفاظ عليها في الاماكن المقدسة ، وذلك بسبب الحج الذي يقوم به الوف من الهنود المسلمين ومن المصريين » .

Lord Kitchner to Sir Edward Grey-Cairo, April, 4, 1914. See Gooch and Temperley, Vol. X Part II, p. 830.

Wingate, p. 180. See also George Mc Munn and Cyril Falls, *Military Operations - Egypt and Palestine*, pp. 211-212. (٢١)

(٢٢) المصدر ذاته ص ١٣١

(٢٣) في ١٥ ايار من سنة ١٩١٥ بعث وينجيت برسالة الى السير ادورد غراي جاء فيها : - « من غريب الصدف ان برقيتكم الى مكماهون التي تسألونه فيها اذا كان بالامكان اجراء مفاوضات مع شريف مكة وصلت بعد ان كنت قد اجريت مقابلة مع السيد علي المرغني بوقت قصير . والسيد علي المرغني مكانة دينية في السودان لا ينازعه فيها منازع » .

The Wingate Papers. See also H.St. J.D. Philby, *Arabia*, (London 1930) p. 239.

في مذكرة بعث بها السيد علي مرغني من الخرطوم بتاريخ السادس من ايار ١٩١٥ كتب يقول : -

١ . ثم ينبغي اعادة الخلافة الاسلامية بعد سقوط تركيا .
٢ . ومقر الخلافة الاسلامية ينبغي ان يكون في الجزيرة العربية لانها افضل وانسب بلاد للخلافة الجديدة بسبب اهميتها الدينية والتاريخية والسياسية للمسلمين .
٣ . واعتقد ان الشريف الحالي ، او امير مكة ، هو افضل رجل لتولي هذا المنصب السامي لانه ينتسب الى آل البيت المكرم

راجع F.O. 633/24 (1915)

(٢٤) كان الشريف حسين يتمتع بنفوذ عظيم وذلك لعلو نفسه ومنصبه . وكان في سياسته متردداً يريد ان يبقى قداماً في هذا الجانب ، وقدماً في الجانب الآخر قدر المستطاع . وقد دام منصب الشرافة في مكة مدة الف سنة . وعلى الرغم من ان عشيرة الحسين كانت قد تولت هذا المنصب اقل من قرن فانها كانت من قبيلة قريش ، قبيلة النبي ، ولذا كانت تتمتع بالمؤهلات والشروط التي كان يتمتع بها من سيتولى الخلافة . وعندما نشبت الحرب كان له من العمر ستون سنة . وكان يجيد العربية وآدابها ، كما انه كان رجلاً محبباً الى اهل مكة والمدينة والقبائل البدوية المجاورة . وكان الحسين رجلاً طموحاً ولكنه كان حذراً » .

Mac Munn and Cyril Falls, p. 210.

(٢٥) اسفر هذا القرار عن نشر الحكومة البريطانية للكراسة الموسومة ب (Cmd.) رقم ٥٩٥٧ (رسائل مختلفة رقم ٣ ، ١٩٣٩) تحت عنوان : -

Correspondence between Sir Henry Mc Mahon, His Majestys' High Commissioner at Cairo and the Sharif Hussain of Mecca, July 1915-March 1916.

(٢٦) راجع : *Correspondences on Palestine, 1939; United Kingdom - Arab meetings.*

يحد القارئ نسخاً من هذه الرسائل في ملحق عدد ١ يقول محمد جميل بيهيم : « وقد زرت الشريف حسين سنة ١٩٢٩ في منفاه ، في قبرص . . . وقد تفضل واطلعت على كل الرسائل المتبادلة بينه وبين مكماهون وكانت مستفة مكسدة في اكياس قطنية ، بيضاء . . . ثم لما عرضت عليه تطوعي لترتيب هذه الوثائق ضمن ملفات على ان تكون نواة لمذكرات قال : « اتركها على بركات الله » . - راجع : العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، ١٩١٨ - ١٩٢٢ (بيروت ١٩٦٨) ص. ٤٤ - ١٤٥ . راجع كذلك كتاب حافظ وهبه ، الجزيرة العرب في القرن العشرين ص. ١٧٨ - ١٨٦

(٢٨) راجع هذه الرسالة في ملحق عدد ١

(٢٩) راجع : Pressland, pp. 244-245.

راجع ايضاً امين الريحاني . ملوك العرب ، مجلد اول ص. ٦٦ - ٦٧ وعبد الرحمن شهبندر في مقال عنوانه : « فيصل ابن الحسين » نشر في المقتطف ، مجلد ٨٣ ، الجزء الثالث (القاهرة ١٩٣٣) ص ٢٥٨ .

(٣٠) يسود الاعتقاد ان الشريف حسين ، في وضعه الحدود للمنطقة العربية المستقلة ، كان يسير على هدى ميثاق دمشق . يقول جورج انطونيوس : « عاد فيصل الى دمشق في الثالث والعشرين من نوار فوجد ان زملاءه في جميعتي « الفتاة » و « العهد » قد اتفقوا على خطة العمل اثناء غيابه . ووضعوا ميثاقاً يتضمن الشروط التي يطالب الزعماء العرب بتحقيقها لكي يؤازروا بريطانيا العظمى على تركيا . واتفقوا على ان يحمل فيصل هذا الميثاق الى مكة ويطلب من والده

ان يعرف من الحكومة البريطانية هل تقبل هذه الشروط اساساً للعمل المشترك » . اما الشريف حسين فقد طلب ان تتمتع بريطانيا العظمى باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود الآتية : - شمالاً : خط مرسين - اضنه الموازي لخط العرض ٣٧ شمالاً الذي تقع عليه برجيك - اورفه - ماردين - مديات - جزيرة ابن عمرو - العمادية حتى حدود ايران .

وشرقاً : حدود فارس الى خليج البصرة . وجنوباً : المحيط الهندي (باستثناء عدن التي ستحتفظ بوضعها الحالي) . وغرباً : على امتداد البحر الاحمر ثم البحر الابيض المتوسط حتى مرسين . وعلى انكلترا ان توافق على اعلان خلافة عربية على المسلمين . . .

راجع : جورج انطونيوس (الترجمة العربية) ص ٢٤٢ - ٢٤٣ . راجع كذلك : الملك عبد الله في « مذكراتي » ص. ١٠٢ - ١٠٣ ، ٢٤١ - ٢٤٢ ، وسليمان موسى ، الثورة العربية الكبرى ، وثائق واسانيد ص. ٢٠ - ٢١ وكذلك : -

Pressland pp. 245-246. and Kirk, pp. 125-126.

(٣١) كانت مفاوضات السياسة العربية تشمل ايضاً « تأكيدات » « واتفاقات » « ومعاهدات » مع حكام عرب اخرين في الجزيرة العربية الى جانب الشريف حسين . « ففي الثالث من شهر تشرين الثاني ١٩١٤ ، تلقى الشيخ مبارك ، حاكم الكويت ، تأكيداً من الحكومة البريطانية بان الكويت سيعتبر امانة مستقلة تحت الحماية البريطانية اذا تعهد الشيخ مبارك بالتعاون مع الانكليز للاستيلاء على البصرة - وهو شرط نفذه فوراً . كذلك تعهدت بريطانيا بموجب معاهدة وقع عليها في ٣٠ نيسان وابرمت في ٦ تشرين الثاني ١٩١٥ ضمان استقلال السيد الادريسي (في العسير) ضمن حدود مملكته . واعترفت بريطانيا كذلك ، باستقلال ابن سعود ، وذلك بموجب معاهدة وقع عليها في ٢٦ كانون الاول ١٩١٥ ثم ابرمت في ١٨ تموز ١٩١٨ » .

راجع : - Toynbee, *Survey of International Affairs*, 1925, Vol. I, The Islamic World p. 272

راجع ايضاً : امين الريحاني : تاريخ نجد الحديث وملحقاته ، ص. ٢٠٦ - ٢٠٧ وفي جميع هذه المداولات كانت « هبات من الذهب توضع في تصرف الزعماء والامراء » .

راجع : Toynbee, Vol. I, p. 273.

(٣٢) *Documents on British Foreign Policy, 1919-1939, First Series, Vol. IV (Edit. Woodward and Butler) p. 481.*

وستشير الى هذا المصدر في سياق البحث تحت عنوان : (Documents I. IV)

(٣٣) Lloyd George, *The Truth About the Peace Treaties*, Vol. II, p. 1021

وفي مذكراته عن السادس والعشرين من شهر تشرين الاول ١٩١٥ ، كتب ريموند بوانكاره (Poincaré) الملاحظة الآتية : « جرى تبادل آراء تمهيدية غربية في نوعها بين الانكليز والشريف حسين ، شريف مكة . فقد وعده الانكليز بالخلافة في مقابل مساعدته لهم ضد تركيا . . . » .

Poincaré, *Au Service de la France*, Vol. VII, pp. 206 and 250.

Documents, I: IV pp. 635-638 — J. Polonsky, *Les Documents* (٣٤)

Diplomatiques Secrets Russe, p. 292. F. Seymour Cocks, *the Secret Treaties and Understandings* pp. 15-24

Laloy E., *Les Documents Secrets des Archives du Ministère des Affaires Etrangères de Russie*, pp. 107-109. (٣٥)

كان انشاء وحدة سياسية اسلامية تضم الاماكن المقدسة والجزيرة العربية امراً اشترطته الحكومة البريطانية وذلك بحسب ما جاء في سجلات السير ادوارد غراي .

« . . . ان الحكومة الفرنسية ، بعد ان درست شروط الصلح التي ستفرض على تركيا ، ترغب في ضم سورية ، والمنطقة المحيطة بخليج الاسكندرون ، وقلقيا حتى جبال طورس » . راجع :

Polonsky, p. 288, and pp. 290-291;

Viscount Grey, *Twenty-Five Years*, Vol II, p. 236 (٣٦)

المصدر ذاته (٣٧)

Sazanov Serge, *Fateful Years*, pp. 259-260 راجع : (٣٨)

Arnold J. Toynbee, *The Western Question in Greece and Turkey*, London (1922), p. 48 راجع : (٣٩)

ويوضح توينبي حقيقة الامر في هامش حول هذه العبارة جاء فيه : « ان نص الاتفاقية النهائي وضعه كل من السير مارك سايكس وجورج بيكو نيابة عن الحكومتين البريطانية والفرنسية . ولكن الحقيقة هي ان ما قام به الرجلان هو انهما اتفقا على اللغة التي صيغت بها عبارة الاتفاقية . اما النقاط الاساسية في الاتفاقية فقد تم الاتفاق عليها في اثناء سلسلة من الاجتماعات التي عقدها الزعماء السياسيون من كلا الجانبين قبل ان يدفعا بها الى هذين الرجلين لوضع الصيغة النهائية . ان الاسم غير الرسمي الذي يطلق اختصاراً على هذه الاتفاقية (اتفاقية سايكس - بيكو) يترك في الاذهان انطباعاً خاطئاً حول دوريهما الحقيقيين في هذه الاتفاقية . والآن ، وبما ان هذه الاتفاقية عرضة للشك والتكذيب ، وبما ان السيد سايكس قد توفي في وادة الانفلونزا في اثناء انعقاد مؤتمر الصلح في باريس ولم يعد له ان يدافع عن موقفه فاني ارى انه من الواجب علينا الاتحکم عليه ظلماً اكراماً لذكراه . ان مسؤولية بريطانيا عن هذه الاتفاقية تقع على كاهل الحكومة البريطانية آنذاك » . راجع ايضاً :

Llyod George, *War memoirs*, Vol. IV, 1826.

(٤٠) في ٢٥ آب ١٩١٦ ، كتب السيد كامبون الى السير ادورد غراي مقترحاً استبدال لفظة « دعم » بلفظة « حماية » كي تصبح العبارة « وان تحميا دولة عربية مستقلة » تحاشياً لسوء تفسير قد يقع في المستقبل . وقد وافقت الحكومة البريطانية على هذا الاقتراح .

(٤١) راجع الخريطة الموسومة بـ « خريطة توضح بنود اتفاقية ١٩١٦ » اما بالنسبة الى الوثائق الرسمية التابعة المتعلقة باتفاقية سايكس - بيكو فعلى القارئ ان يراجع :

Documents I: IV, pp. 241-251. Académie Diplomatique Internationale, *Dictionnaire Diplomatique*. Vol. II, (Paris, 1933) pp. 892-3:

Annex I to Article on «Syrie» by Fr. George — Picot; A. Pingaud, *Histoire Diplomatique de la France Pendant la grande Guerre*. Vol.

III, pp. 223-252: Shane Leslie, Mark Sykes, *His Life and Letters* 'pp. 250-258; 272-275; Laloy, pp. 158-159; *Temps* of 22nd.

May 1919; *L'Asie Française of August-November 1919* and *Die Welt des Islams*, Band 8, Heft, (Berlin 1923) pp. 22-24.

ان الاسم الذي يطلق على هذه الاتفاقية (سايكس - بيكو) يترك في الاذهان انطباعاً خاطئاً حول دور روسيا في هذه الاتفاقية . وان المرء ليقع في وهم ان بريطانيا وفرنسا وحدهما الدولتان المسؤولتان عن تقسيم المناطق العربية في الامبراطورية العثمانية والحقيقة هي ان روسيا كانت شريكة في هذا التقسيم الذي جرى بموافقتها الصريحة التامة . ولان مساهمة روسيا في هذا التقسيم كانت تنحصر في المناطق التركية الشرقية والشمالية من الاناضول فان اسمها لم يقرن بهذه الاتفاقية .

(٤٢) ويحسن بنا ان نذكر ان الحكومة الفرنسية ايضاً قدمت مساعدات ، وان لم تكن على نطاق واسع ، وصفها السير رجينالد وينجيت (Wingate) بقوله

انها « ساعدت الى حد كبير في انجاح العمليات العسكرية المشتركة التي اشترك فيها الفرنسيون ببسالة وبصورة بارزة » . ففي ٢٠ ايلول ١٩١٦ وصلت بعثة فرنسية يرأسها الضابط بريموند (Brémond) الى جدة ، وبصحبه ممثلون من اعيان المسلمين في الجزائر وتونس ومراكش وافريقيا الغربية الفرنسية . وكانت تحمل معها مبلغاً من المال قدره مليون ومئتا الف فرنك ذهبي موعونة الى الشريف حسين . ثم تلا ذلك وصول فرقة عسكرية فرنسية صغيرة مزودة بعدد قليل من الرشاشات الفرنسية ، ومدافع الميدان ، والبنادق الخفيفة . وقد رحب الشريف حسين بالبعثة الفرنسية ترحيباً حاراً . راجع : —

Storrs, 153-155, and 159; Cmd. 5957 of 1939: *Correspondence between Sir Henry Mc Mahon His Majestys, High Commissioner at Cairo and the Sherif of Mecca*, July 1915 - March 1916; *Documents I: IV*, p. 509; General Ed. Brémond, *Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale*, pp. 48-53, 64-67 and 348-349; Toynbee, *Survey of In-*

راجع أيضاً :

Howard, Harry N., *The Partition of Turkey*, pp. 187-193.

(٤٣) وكان أبرز الضباط العرب ينتمون الى الجمعية العربية السرية التي كانت تعرف « بالمهد » .

(٤٤) كان بين هؤلاء الضباط العرب نوري السعيد وجعفر العسكري وعلي جودت الايوبي وجميل المدفني ومولود مخلص وشاكر عبد الوهاب الشبخلي وحامد الشالجي وعبد اللطيف نوري البغدادي وابراهيم الراوي ومحمد شريف الفاروقي الذي كان ايضاً عضواً في جمعية العهد . ويبدو ان طبيعة المعلومات التي ادلى بها الفاروقي الى السلطات البريطانية في القاهرة والمتعلقة بالقضية العربية ، وبما يصبو اليه العرب من مطمع بالاستقلال ، تركت أثراً عميقاً في نفس الموظفين الانكليز . وفي رسالته الاولى الى الشريف حسين من القاهرة ، والمؤرخة ٢٧ محرم ١٣٣٤ هجرية (٦ كانون الثاني ١٩١٦) يكشف الفاروقي عن حقيقة اتصاله بالسلطات البريطانية وبحته معهم قضية العرب ومطلبهم للاستقلال في سوريا وعن « استحالة التخلي عن شبر من الارض لفرنسا » . ويرى البعض ان السير مارك سايكس اخذ رأي الفاروقي واقتراحاته بعين الاعتبار واتخذها اساساً للاتفاقية المعروفة باتفاقية سايكس - بيكو التي عقدها الحلفاء في ما بعد لتجزئة الشرق الادنى . وعين الشريف حسين الفاروقي مثلاً له في القاهرة . وفي رسائل الفاروقي للشريف حسين معلومات كثيرة وامور اخرى على كثير من المتعة والطرافة . راجع : نوري السعيد : مذكرات عن الحركة العسكرية للجيش العربي ص . ١٨-١٩-٥٣ ، العمري ، المجلد الاول ، ص . ٢١٩-٢٣٤ والمجلد الثاني ص . ٥٣ - ١٥١ . راجع ايضاً : -

Great Britain, Cmd. 5974, pp. 23-24.

(٤٥) من اراد ان يكون لنفسه صورة عن فيصل ينبغي له ان يراجع :

Lansing, Robert, *The Big Four*, pp. 161-167.

الريحاني : فيصل الاول ص . ٢٤-٢٦ ، ١٦٤-١٦٧ . الغصين ، مذكراتي ص . ٢٤٥-٢٥٠ . في سنة ١٩١٦ كان لفيصل ٣٥ سنة من العمر .

(٤٦) راجع : Wingate, p. 175.

(٤٧) راجع : Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom*, Chapters IV, V, VI; Temperley, Vol. VI, pp. 118-133; Antonius, pp. 164-183 and Appendix A., pp. 413-427; Storrs, Chapter VIII, Cmd. 5957 of 1939 and Cmd 5974, also of 1939 known as *Report of a Committee set up to Consider certain Correspondence between Sir Henry McMahon (His Majesty's High Commissioner in Egypt) and the Sharif of Mecca in 1915 and 1916*.

راجع ايضاً الملك عبد الله : مذكراتي ص . ٦٧-١٦٧ .

(٤٨) للاطلاع على موجز تاريخ اشراف مكة راجع : -

D.G. Hogarth, *Arabia*, pp. 82-93.

(٤٩) Stitt, *A Prince of Arabia*, Appendix 5, p. 312.

(٥٠) U.S.A. Department of State, *General Records of the American Commission to Negotiate Peace*, Paris 1918-1919. Inquiry Document No. 82.

(٥١) *Arab Bulletin*, No. 50 of 13th May 1917, p. 207

(٥٢) D. Llyod George, *The Truth about the Peace Treaties*, Vol. II, p. 1034.

(٥٣) غني عن القول ان هذه الوثيقة كانت موسومة بـ « سرية للغاية » . وقد كتب السيد بلفور في رسالة الى السيد لانسنغ الحقت بها « ان محاضر جلسات المجلس الحربي الامبراطورية هي سرية للغاية » . راجع :

U.S.A. Department of State, *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: The Lansing Papers*, 1914-1920. Vol. II, p. 23.

(٥٤) راجع : *The Manchester Guardian*, Monday 26th November 1917, p. 5, Col. 6.

(٥٥) نشرت جريدتا « الاسفستيا » Izvestia « والبرافدا » Pravda نصوص هذه الوثائق السرية بكاملها في عدديهما الصادرين في ٢٣ تشرين الثاني ١٩١٧ . وقد وصلت نسخة من هذين المدين الى جريدة مانشستر غارديان التي نشرت في ١٢ كانون الاول ١٩١٧ ترجمة انكليزية للنص الروسي لهذه المعاهدات السرية . راجع :

Price, Philips, *A History of Turkey, From Empire to Republic* (London, 1956) p. 96.

(٥٦) راجع : *Parliamentary Debates*, Fifth Series, House of Commons, Vol. 100, December 1917, pp. 1152 Col. 2 and 1153, Col. 1.

(٥٧) راجع : Lawrence, pp. 555-556.

في الرابع من شهر كانون الاول ١٩١٧ اعلن جمال باشا ، في اثناء مأدبة في بيروت ، عن العرض التركي لعقد صلح مع الملك حسين ، وكشف عن اتفاقية سايكس - بيكو . فقد نشطت الدعاية التركية في الاقطار العربية للترويج لهذه الاتفاقية التي لم تكن في مصلحة العرب .

كتب لورنس يقول : « لبرهة وجيزة كان للكشف عن اتفاقية سايكس - بيكو اثر سيء بالنسبة اليها . لاننا اعتقدنا انه بامكاننا ، والفرنسيين ، رأب الصدع الذي وقع بيننا بصيغة حل يستطيع كل منا ان يفسره بطريقة تختلف عن تفسير الآخر . ولحسن الحظ انني افشيت بسر وجود هذه الاتفاقية الى الامير

فيسل ، وحاولت اقناعه بأنه من الخير له ، كي ينجو من هذه الورطة ، ان يتابع تعاونه مع الانكليز الى ما بعد الصلح ، فلا يمكن للبريطانيين ، حرصاً على شرفهم ، ان يضحوا به ثمناً لتنفيذ الاتفاقية»

Lawrence, p. 555.

(٥٨) Nuri-as Sa'id, *Arab Independence and unity* (Baghdad, Gouvernment press 1943) p. 32 (Appendix E.) Antonius, pp. 431-432.

وقد كتب تمبرلي (Temperley) يقول ان الزعماء العرب اصيبوا بذهول عند اطلاعهم على اتفاقية سايكس - بيكو ، « ولكن ثقتهم ببريطانيا العظمى كانت راسخة فلم يكن للكشف عن الاتفاقية هذه اي اثر في تعاونهم المخلص مع حليفهم بريطانيا » .

(٥٩) Great Britain, Cmd. 5974, p.3.

(٦٠) راجع : امين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، مجلد ٢ ، ص ٣٧ - ٤٠

(٦١) راجع : - Great Britain, Cmd. 5964, p. 6.

راجع : ايضاً سليمان موسى ، ص ١٠٧-١٠٨

(٦٢) كتب ليدل هارت (Hart) يقول : - « جاء احتلال العقبة كشتيت

مفاجيء في سحابة قاتمة خيمت فوق الجبهة المصرية في ربيع سنة ١٩١٧ وصيفها .. فمن جهة استراتيجية قضى احتلال هذا الميناء على كل خطر قد ينشأ من جانب الجيش التركي اذا ما حاول غزو سيناء والهجوم على قناة السويس ، او قطع مواصلات الجيش البريطاني العامل في فلسطين ، كما انه فتح جبهة حربية جديدة يستطيع فيها العرب ان يؤدوا معونة ايجابية للجيش البريطاني حينما يستأنف زحفه » .

راجع : - Hart, Liddell, T.E. *Lawrence in Arabia and After*,

pp. 206. and 220.

(٦٣) راجع : - Wingate, pp. 193 — 195.

هوامش الفصل الخامس

يزعم بعضهم أن الذي وضع تصميم العلم بهذا الشكل كان السير مارك سايكس : « أما الأسود منه فشارة العباسيين في بغداد ، والأبيض شارة الأمويين في دمشق ، والأخضر شارة الشيعة في كربلاء . وأما الشارة الحمراء فيه فهي ترمز الى علم سلالة مضر » . راجع : Shane, Leslie, *Mark Sikes, His Life and Letters*, p. 280

(١) غير أن جعفر باشا العسكري ذكر في مذكراته (التي لم تنشر) أنه في يوم ما من سنة ١٩١٧ ، عندما كان في القاهرة ، أراه كلايتون علماً قائلاً له : « هذا علمكم العربي ذو الألوان الأربعة . وقد وضع تصميمه الشريف حسين ذاته » . (مخطوطة خواطر جعفر باشا العسكري ، ص ٨١) أما الوثيقة الخامسة والعشرون في كتاب الثورة العربية الكبرى ص ٩١ - ٩٢ فهي تشير الى « راية الدولة العربية الهاشمية » هكذا (نقلاً عن جريدة القبلة ، العدد ٨٢ ، الاثنين ٧ شعبان ١٣٢٥ ، حزيران ١٩١٧ ، ص ٣) « صدرت الارادة السنية المملوكية بأن تكون راية الدولة الهاشمية ... مؤلفة من الألوان الثلاثة المتوازية الأسود فالأخضر فالأبيض ، وأن يشمل الألوان الثلاثة المذكورة مثلث ذو لون أحمر عنابي .

« أما اللون الأسود فهو رمز راية (العقاب) وهي راية النبي (صلعم) المشهورة ... ولقد اتخذت دولة بني العباس السواد شعاراً لها حتى عرفت به وعرف بها . واللون الأخضر الذي بين السواد والبياض هو الشعار الذي اشتهر عن أهل البيت عليهم السلام منذ أحقاب طويلة والبياض أيضاً كان شعاراً للعرب في دور من أدوارهم .

« وأما اللون الأحمر الذي شمل هذه الرموز التاريخية الثلاثة بشكل مثلث فهو لون راية الأسرة المالكة الكريمة من عهد جدها ساكن الجنان الشريف ابي نبي الى عهدنا هذا .

« وعلى ذلك ، فان الراية الجديدة التي صدرت الارادة السنية المملوكية بأن تكون راية الدولة العربية الهاشمية قد لوحظ فيها أن تكون جامعة لرموز الاستقلال العربي » .

War Diary- Appendix 5. : 3rd Light Horse Brigade- «Report on Occupation of Damascus on morning of 1st. October 1918» by

(٢)

Brigadier General L.C. Wilson.

راجع كذلك : Falls, Cyril, *Military Operations, Egypt and Palestine*, Part II, p. 586; and General Allenby's dispatch on the *Damascus-Aleppo Campaign*, Published in the *Times* of 31st.

December, 1918, p. 6

(٣) من دخل دمشق أولاً - الجيش البريطاني أو الجيش العربي ؟ بقي الجواب عن هذا السؤال مثيراً للجدال والخلاف لمدة طويلة ولكن الوثائق البريطانية والأسترالية لا تترك مجالاً للشك في أن طلائع الجيش الأسترالي دخلت دمشق قبل أي جيش آخر . في الثاني من كانون الأول سنة ١٩٦٨ كتب لنكستر (W.R. Lancaster) رئيس دائرة الآثار والمحفوظات الحربية الأسترالية في هذا الخصوص إلى المؤلف جواباً عن رسالته الاستفسارية يقول : « لقد كنا على علم بأن هناك اختلافاً في الرأي حول مسألة من من الجيوش دخل أولاً مدينة دمشق . ولكن هناك أدلة تشير إلى صحة دعوى فوج الفرسان العاشر التابع للواء الفرسان الأسترالي الثالث أنهم هم الذين دخلوا أولاً . فقد بدأ الأستراليون زحفهم في وادي بردى عند الساعة الخامسة من صباح الأول من شهر تشرين الأول ، ودخلت سرية الخيالة العاشرة مدينة دمشق عند الساعة السادسة صباحاً من ذلك اليوم . وعند مرور الجنود الخيالة أمام مبنى البلدية سنحت الفرصة لقائد اللواء العاشر أن يطلب تسليم المدينة . ونزل الأمير سعيد ، الذي كان يدعي أن جبال باشا والي سوريا التركي ، كان قد عينه حاكماً على المدينة عصر اليوم السابق ، عند طلب القائد أ. س. أولدن (A.C. Olden) وسلمه المدينة وقد أبى القائد أولدن أن يتناول المربطات . وعند الساعة السابعة صباحاً كان الجيش الأسترالي قد جلا عن المدينة وراح يطارد فلول الجيش التركي الذي ولى الأدبار في اتجاه حمص . ويخطر في بالي أنه لو قيض للورنس أن يدخل دمشق قبل وقوع هذه الأحداث التي أشرت إليها فاني لست أشك في أنه كان قد وصل مبنى البلدية مع الموظفين الرسميين من المدينة ليتخذ الإجراءات التي من شأنها الحفاظ على الأمن والنظام في مدينة دمشق عند دخول القائد أولدن على رأس فوج الفرسان العاشر . ولكن لا لورنس في كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » ولا التقارير الرسمية الصادرة عن لواء الفرسان الثالث يذكر أنه جرى اتصال بين لورنس وأولدن . وبما أن لورنس ، كما صرح هو نفسه بذلك ، كان يبدى اهتماماً خاصاً باحتلال دمشق ، فانه من غير المرجح أن يظل في المؤخر عندما سلم الأمير سعيد المدينة إلى القائد أولدن قائلاً : « باسم السكان المدنيين في دمشق أرحب بالجيش البريطاني » . كما أنه من غير المرجح أن يكون القائد أولدن قد فوت على نفسه لقاء كهذا اللقاء مع شخصية أسطورية كشخصية أ. لورنس . في ذلك الصباح عند الساعة السابعة والنصف التحق الجنرال شوفل (Chauvel) بالجنرال بارو (Barrow) قرابة أربعة أميال إلى الجنوب من مدينة دمشق حيث تسلم برقية تفيد أن المدينة قد استسلمت لفوج الخيالة العاشر .

وأخبر بارو أيضاً شوفل أن لورنس ، الذي كان قد استضافه في الأيام الثلاثة الأخيرة قد غادر في الصباح الباكر وأنه ، بحسب معلوماته ، كان في طريقه إلى دمشق متعقباً أعقاب اللواء الرابع عشر . يقول لورنس في تقريره الذي رفعه إلى هيئة الأركان العامة عن احتلال دمشق ما يأتي : « دخلت دمشق برفقة الشريف ناصر والماجور سترلينغ (Stirling) عند الساعة التاسعة من صباح اليوم الأول من تشرين الأول ... » أي بعد أن كان الفوج العاشر للخيالة قد دخل المدينة بثلاث ساعات تقريباً ... » .

ويذكر الأمير سعيد كذلك في إحدى المقتطفات من مذكراته أن الجيش العربي دخل دمشق بعد طليعة الجيش الانكليزي . كتب الأمير سعيد يقول : « بينما كنا في سرايا الحكومة في دمشق نستعد لتهيئة الوفود من رؤساء الدين المسلمين والمسيحيين لارسالها إلى مقر الجيوش الانكليزية والعربية الزاحفة إذا بالطلعية الانكليزية التي كان على رأسها الماجور ارثور الدن الاوسترالي تصل إلى امام اوتيل فيكتوريا على مقربة من السرايا في دمشق شاهرة سلاحها واعلامها وآتية من الناحية الغربية ، ثم تلاها في ذلك النهار دخول الجيش العربي بقيادة الشريف ناصر بن راضي آتياً من الجنوب ، ويرافقه الكولونيل لورنس ، وبعض ضباط الانكليز ، فقابلهما الاهالي بالترحاب والاهازيج التي تشير إلى الفرح والسرور . »

راجع : محمد جميل بيهيم ، العهد المخضرم في سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢ ص ٥١ .

أما البرقية التي بعث بها الأمير فيصل إلى أبيه الحسين لينقل إليه نبأ دخول الجيش العربي إلى دمشق فلا تشير إلى ساعة الدخول بل تكتفي بذكر تاريخ الدخول . فتقول البرقية : « مكة المكرمة - لحضور مولاي أمير المؤمنين نصره الله أمين .

أزف لعلياكم بشائر النصر بفتح سورية ، والدخول إلى قاعدتها (دمشق الشام) بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ (أول تشرين الأول ١٩١٨) ، وركز العلم العربي فوق دائرة حكومتكم العربية المستقلة ... » (تاريخ هذه البرقية : « دمشق الشام في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ »)

راجع : الثورة العربية الكبرى (تحرير سليمان موسى) ص ١٢٠ . كان لورنس قد كتب يوم ٢٢ آذار ١٩١٥ ما يأتي « يصير الفرنسيون على أن سوريا من نصيبهم - الأمر الذي قد تنازلنا لهم فيه ... اننا نستطيع أن نقوم بهجوم سريع على دمشق ونخيب أمل الفرنسيين في ضم سوريا . انها لعبة كبيرة غير انها لعبة تستحق الاقدام عليها ... الا نحن جنون الفرنسيين اذا نحن ربحتنا معاً ... ؟ » .

راجع : David Garnett, *Letters of T.E. Lawrence*, p. 87 من أراد الاطلاع على وصف لورنس عند دخوله مدينة دمشق وما عقبه من أحداث عليه ان يراجع : *Secret Despatches from Arabia*, pp. 170-171

(٤)

(٥)

Wilson in *The National Review* of September 1920, pp. 41-54.

(١١) كتب النبي في تلك العشية رسالة الى زوجته جاء فيها : « ان فيصلا رجل يعجبك . انه رجل حاد الذهن نحيل الجسم ، عصبي المزاج . يدها جميلتان كيدي امرأة ، وعندما يتكلم تتحرك اصابعه بصورة عصبية . ولكنه رجل قوي الارادة مستقيم المبادئ » .

Wavell, Sir Archibald, *Allenby, a Study in Greatness*, p. 286 n.1

(١٢) في رسالة بعث بها لورنس الى الاستاذ وليم يابل (Yale) سنة ١٩٢٩ انكر فيها مسؤوليته هذه وأكد « ان الذي بعث شكري الى بيروت كان علي رضا باشا » و اضاف : « اذا كان شكري قد اخبرك اني الححت عليه في الذهاب الى بيروت فمن المرجح ان يكون السبب تخوفه من فداحة الخطأ الذي ارتكبه ثم اراد ان يتظاهر لدى الناس بان لديه سلطة اعطيت له » .

راجع : Garnett, *The Letters of T.E. Lawrence*, pp. 67-71
(١٣) راجع : Wavell, p. 286

Cyril Falls, *Military Operation Egypt and Palestine*, Part II, p. 592, and Sir Herbert Young, *The Independent Arab*, pp. 255-256.

في ١٤ تشرين الاول كتب لورنس رسالة من فندق فيكتوريا في القاهرة الى المايجر ر . ه . سكوت (Scott) ؟ يقول :
« عزيزي سكوت

وصلنا دمشق كما تمنى ذلك - وهناك كان علي ان اترك العرب - وانه لمؤسف حقاً ان اذهب ولكني اعتقد انه كان من الخطأ ان اظل معهم . واني اشعر كما يشعر رجل القى عن كاهله فجأة حملاً ثقيلاً . فان ظهره يؤلمه اذا اراد ان يمشي مستقيماً » . Garnett, p. 258.

(١٤) وفي الثلاثين من شهر تشرين الاول - قام الكولونيل لورنس العرب بزيارة لوزارة الحرب .

وكان لورنس يعمل في الجيش الحجازي ويبدو انه كان القائد الحقيقي لذلك الجيش . فرفعت الاركان العامة توصية الى جلالة الملك لمنحه وسام C.B. ووسام D.S.O. ولكنه قال انه جندي عربي ولا حاجة له بالوسمة .

Sam, Fay, *The War Office at War*, (London, 1937) p. 217.

Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom*, p. 337 (١٥)

هذه القصة رواها نوري باشا السعيد للمؤلف . (١٦)

اذا اراد القارئ الكريم الاطلاع على النص العربي فليراجع ساطع الحصري : (١٧)

يوم ميسلون ص ١٩٤-١٩٥ .

(١٨) راجع جريدة التايمز (The Times) عدد الاول من تشرين الثاني ١٩١٨ ؛

الصفحة الثانية العمود الرابع .

(١٩) يذكر فارلي (Farley) الاحصاءات التالية عن عدد السكان : « الموصل

and *Seven pillars of Wisdom*, pp. 424-431 ;

اما في ما يتعلق بما يذكره الفرنسيون عن هذه الاحداث ذاتها فليراجع :
Gontaut-Biron, p. 48, and Philippe David, *Un Gouvernement Arabe à Damas*, pp. 8-11.

ان الاسباب الحقيقية للعداء الذي كان لورنس يضمه نحو الامير سعيد واخيه لم يكشف عنها للآن . غير ان بعضهم يزعم ان لورنس كان يشك في ولاء الجزائريين من كلا الحزبين الموالي للا تراك والموالي للفرنسيين . راجع ايضاً :
Pichon, Jean, *Sur la Route des Indes*, pp. 142-144 and 168-169.

(٦) يوجد صورة فوتوغرافية للنص العربي لتلك البرقية والبيان الذي اعلن فيه تشكيل حكومة عربية في بيروت في الملحق العدد ٢ . راجع ايضاً جريدة الحياة البيروتية عدد ١٠٧٠ بتاريخ ٥ تشرين الثاني ١٩٤٩ ، الصفحة الاولى .
« ووردت برقية الى محمود بك الفضل في النبطية بتوقيع الامير سعيد الجزائري وبها يعلن تشكيل الحكومة العربية في دمشق في الاول من تشرين الاول ١٩١٨ وهذا نص البرقية : « بناء على انسحاب الحكومة التركية قد تأسست الحكومة العربية الهاشمية على دعائم الشرف ، طمنوا العموم . وعليكم ان تعلموا الحكومة باسم الحكومة العربية . في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ هـ . وقد اذاع اسماعيل حقي والي بيروت بياناً باللغة التركية على اثر انسحابه من بيروت : (ترجمة البيان) :

« الى عموم المأمورين ،

بناء على اعلان الحكومة العربية اصبحت المدينة تجاه امر واقع ، فلقد عهد في ادارة امور الحكومة الى رئيس البلدية (عمر بك الداعوق) ، فتجاه هذه الوضعية اصبحت وظيفتكم منتهية لذلك اطلعكم على هذه التبدلات واودعكم اياها » .

(التوقيع : اسماعيل حقي ، والي بيروت في ١ تشرين الاول ١٣٣٤)

(يوجد صورة فوتوغرافية لهذا البيان في الملحق العدد ٢ » . راجع محمد جابر

آل صفا : تاريخ جبل عامل (بيروت ١٩٦٣) ص ٢٢١

(٧) وهي رواية قص نوري باشا السعيد ذاته خبرها على المؤلف وذلك اثناء مقابلة جرت بينهما .

(٨) وكان من جملتهم ، بحسب ما ذكره نوري السعيد ، احمد مختار بيهم وسليم طباره .

(٩) في هذه الاثناء وصل علي رضا باشا الركابي ، المرشح المفضل لدى لورنس كحاكم لمدينة دمشق ، من مقر قيادة الجنرال بارو (Barrow) حيث كان

قد استسلم قبل ذلك عندما كان القائد التركي لمنطقة دمشق « كان قد ارسله ليتولى آخر خط لدفاع الجيش التركي » . اما الآن فقد عين حاكماً عسكرياً للمدينة .

راجع : -

Hart, pp. 365-366

(١٠) راجع مقالا عنوانه « Our Amazing Syrian Adventure, » by Beckles

٦٥٠٠٠ وبغداد ١٠٥٠٠٠ وحلب ١٠٠٠٠٠ وبغداد ٥٠٠٠٠ ودمشق ١٨٠٠٠٠ راجع :

Farley, J. Lewis, *The Resources of Turkey*, (London 1863) p.5

(٢٠) وهي انكلترا وروسيا وفرنسا والنمسا وبروسيا .

(٢١) « كان المتصرف بطبيعة الحال رجلاً مسيحياً وكان مجلس الادارة يتألف من اربعة من الموارنة وثلاثة من الدروز واثنين من الروم الارثوذكس وواحد من الروم الكاثوليك وواحد عن المسلمين السنيين وواحد عن الشيعة (المتأولة) . وقسم السنجق الى سبعة اقصية اربعة منها في المناطق المارونية وقضاء واحد للروم الارثوذكس وقضاء للروم الكاثوليك وقضاء الشوف للمسلمين . وكان رئيس الشرطة مارونياً . وكان لهذا السنجق نظام ضرائبي خاص به » راجع :

Great Britain, *Admiralty, A Handbook of Syria*

(Including Palestine) p. 243.

(٢٢) للاطلاع على نص البروتوكول وعلى « التنظيمات » راجع :

C. Young, *Corps de Droit:*

Ottoman (Oxford 1925) Vol. I, pp. 139-159.

(٢٣) Washington, *The National Archives: General Records of the*

American Commission to Negotiate Peace. Paris 1918-1919 —
Record Group 256.

« ليست لدينا احصاءات دقيقة صحيحة عن عدد سكان جبل لبنان. قبيل الحرب كان ٧٥ في المئة من سكان مقاطعة جبل لبنان من المسيحيين و٢١ في المئة من غير المسيحيين وكان ٨٤ في المئة من المسيحيين من الكاثوليك و١٦ في المئة من غير الكاثوليك اما في بيروت فقد كان ما يقرب ٣٠ في المئة من السكان من غير المسيحيين وكان ٥٢ في المئة من المسيحيين من الكاثوليك . وفي مقاطعة صيدا كان ٥١ في المئة من السكان من غير المسيحيين وكان ٧٥ في المئة من المسيحيين من الكاثوليك. وفي مقاطعة صور كان ٤٦ في المئة من سكانها من غير المسيحيين وكان ٥٨ في المئة من المسيحيين من الكاثوليك. ان هذه الاحصاءات هي احصاءات تقريبية ولكنها تعطي القارىء بصورة عامة فكرة عن نسبة هذه الطوائف بعضها من بعض » . المصدر ذاته .

(٢٤) راجع الريحاني ، مجلد اول ص ٢٩٨ . كتب محمد جميل بيهم في كتابه العهد المخضرم في سوريا ولبنان (ص ٨٦) يقول : فيبينما كانت كثرتهم في ولاية بيروت تطالب بالانضمام الى الدولة السورية في دمشق كانت الكثرة في جبل لبنان ترفض بشدة هذا الانضمام وتصر على الاستقلال . . . » .

(٢٥) وبعث الامير ايضاً ببرقية ثانية الى « الشعب اللبناني » بتاريخ الاول من تشرين الاول ١٩١٨ . وقد وجهت البرقية الى « مخاتير القرى اللبنانية » يقول فيها ان سوريا اعلنت استقلال العرب ويطلب من كل اللبنانيين ان يذهبوا الى بعثها ويؤلفوا حكومة استقلالية .

(٢٦) للاطلاع على نص البرقية راجع ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ص ٥٨٣ .

(٢٧) راجع حرفوش ص ٥٨٤ .

(٢٨) راجع ابراهيم بك الاسود: تنوير الازهان في تاريخ لبنان، المجلد الثالث ص. ٩٩. ان المؤلف ابراهيم بك الاسود اخطأ في ذكر تواريخ هذه الاحداث الانفة الذكر . بعد انتهاء الحفلة في بعيدا ابدى ابراهيم بك الاسود - الذي كان حاضراً - اهتماماً كبيراً بالاطلاع على نص قرار الملك حسين بتعيين حبيب باشا حاكماً للبنان لكن شكري باشا قال له انه نسي القرار هذا في حقيقته في بيروت . يقول ابراهيم بك الاسود : « عندها تبين لي ان التعيين هذا قد دبر امره في بيروت » . حرفوش ٥٨٥ . كتب يوسف الحكيم في كتابه ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان . يقول :

« انقسم اللبنانيون بازاء الحاكم السعد فريقيين : فريق قليل العدد يؤيده في قبوله الحكم على الوجه السالف الذكر ، وفريق كبير انتقده من الانتقاد وهو فريق الوطنيين الذين يرغبون في استقلال لبنان استقلالاً تاماً ، على ان يحتفظ بصداقته مع فرنسا واعتبارها في مقدم حلفائه . . . » ص ٢٤٩

(٢٩) راجع : Cyril Falls, p. 603.

(٣٠) راجع : «Our Amazing Syrian Adventure» by Beckles Wilson in *The National Review* of Sept. 1920, and *Documents I; IV* p. 412,

Pichon *Sur la Route des Indes*, pp. 157-158. راجع ايضاً

Cyril Falls, p. 604.

(٣٢) لمناسبة مغادرة القوات الحجازية مدينة بيروت اعطى الجنرال اللنبي الامير فيصل بعض « التطمينات » . في ١٧ تشرين الاول ارسل اللنبي بتقرير الى حكومة جلالته ذكر فيه نواحي تلك « التطمينات » بالبيان الآتي : -

«لقد اكدت بصورة رسمية للأمر فيصل ان اي اجراءات يمكن ان تتخذ في اثناء الادارة العسكرية للبلاد انما هي اجراءات مؤقتة ولا يمكن بصورة ما ان تؤثر في التسوية النهائية عند عقد مؤتمر الصلح ، الذي لا اشك في ان يحضره ممثل عن العرب . واضفت قائلاً له ان الحكام العسكريين قد صدرت اليهم تعليمات الا يتدخلوا في الشؤون السياسية ، واني ساعزل ايا منهم اذا لم يمثل هذه الاوامر . وذكرتم الامر فيصل بأن الحلفاء قد قطعوا على انفسهم عهد شرف على ان يحاولوا الوصول الى تسوية تتفق مع رغائب السكان . كما اني رغبت اليه بالحاج في ان يضع ملء ثقته بحسن نواياهم . »

Cmd. 5964- Miscellaneous No. 4 (1939): *Statements made on behalf of His Majesty's Government during the year in regard to the Future states of Certain Parts of the Ottoman Empire*, pp. 6-7.

(٣٣) راجع Cyril Fall, p. 607

(٣٤) حرفوش ص. ٥٨٧

(٣٥) وهذا الاجراء لم يكن خروجاً على التعليمات الواردة في البرقية التي بعثت بها « القيادة المركزية العليا بالرقم O.A.M. ٩٨ بتاريخ ٢٢ تشرين الاول ١٩١٨ ». والواقع ان مجلس الادارة كان يتلقى الاوامر من الموظف الاداري الفرنسي الاول في لبنان ، وكان مسؤولاً لديه .

Documents I : IV, 1919, p. 293

ومن اراد الاطلاع على وصف مسهب للحفلة التي اقيمت في بعيدا عليه ان يراجع جريدة لسان الحال البيروتية بتاريخ ٢٦ تشرين الاول ١٩١٨ ، العدد ١٢-٧٦٦٠ ص ٢ .

(٣٦) من جهة يمكن اعتبار ما قام به حبيب باشا السد ثناء على ما كان يتمتع به من زعامة ومن نفوذ قوي في جبل لبنان ، وهي زعامة اعترف بها كل من الاتراك والعرب والحكومة الفرنسية . ولكنه ظل في جميع هذه التقلبات السياسية مارونياً صرفاً طوال مدة ولايته وخدمته لوطنه لبنان .

(٣٧) راجع : Cyril Falls, Part II, p. 620
في اقل من ستة اسابيع استولى جيش الجنرال اللنبي على ٧٥٠٠٠٠ اسير تركي و ٣٦٠ مدفعاً . راجع : Viscount Wavell, Allenby, Soldier and Statesman (London, 1946) p. 245.

(٣٨) انه من الخطل ان ننكر وجود الشك والريبة والمنافسة التي كانت تسود العلاقات البريطانية والفرنسية في مسرح الحرب في منطقة الشرق الاوسط لمجرد قولنا انهما كانتا دولتين « حليفين » او لمجرد قولنا ان الحكومتين كانتا قد سوتا خلافاتهما بعقد اتفاقات سرية لتحديد نصيب كل منهما من ارث « الرجل المريض » . فقد ابدى الفرنسيون امتعاضهم الشديد من النشاط البريطاني في الشرق الادنى ، علانية او سراً ، ولاسيما سياستهم في سوريا ، وعندما جاء وقت توقيع الهدنة مع تركيا وجدوا ان البريطانيين اتخذوا اجراءات متمعدة من شأنها ان تبقى الفرنسيين خارج المسرح . اما مفاوضات عقد الهدنة مع بلغاريا التي وقعت في ٢٩ ايلول ١٩١٨ ، فقد قام بها الفرنسيون بمفردهم . وقد وضع شروطها الجنرال فرانسه دسبري (Franchet D'Espéry) الذي كان القائد العام لقوات الحلفاء في البلقان غير ان بريطانيا كانت مصممة على ان تجري مفاوضات الهدنة مع تركيا على يد ممثل بريطاني . ولذا عندما ادرك الانكليز ان تركيا اوشكت ان تستسلم اصدروا تعليماتهم الى غوف - كاثروب (Gough-Cathrope) القائد العام لقوات الحلفاء البحرية في البحر الابيض المتوسط كي يتوجه الى مدروس حيث كان اعلى رتبة من نائب الاميرال الفرنسي في البحر المتوسط ، أمه (Amet) كذلك كان الانكليز مصممين على « انه عندما يحين وقت دخول اسطول الحلفاء البحر الاسود يجب ان يكون بقيادة اميرال بريطاني » . المصدر ذاته ص ٦١٩-٦٢٠ .

هوامش الفصل السادس

(١) Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, 1917, Supplement I, the World, pp. 27 and 29.

(٢) John Maynard Keynes, The Economic Consequences of the Peace, (London, 1919) pp. 57-58

(٣) Parliamentary Debates, House of Commons, Fifth Series, Vol. 145, Col. 36

(٤) Wilson, Mesopotamia, 1917-1920, pp. 102-103.

كتب لويد جورج عن التصريح البريطاني - الفرنسي يقول انه « اتفق عليه في السابع من تشرين الثاني ١٩١٨ » وعندما اعلن عنه في اليوم التالي ، في ٨ تشرين الثاني ، اصبح هذا التصريح يعرف بهذا التاريخ . ولكن الواقع هو ان لدى المؤلف ادلة ثبوتية حاسمة - ولهذا مغزى ذو اهمية كبرى - ان هذه الوثيقة وضعت باللغة الفرنسية في ٣٠ تشرين الاول ، ووسمت بأنها « سرية للغاية » . وفي الرابع من تشرين الثاني ارسل نص التصريح هذا « كما جرى الاتفاق النهائي على صيغته » برقياً الى الجنرال وينجيت (Wingate) مرفقاً بطلب اليه « ان ينقل الى العربية فوراً وان ترسل نسخة عنه الى الملك حسين ، وان يعمم على اوسع نطاق ممكن في الصحافة المحلية . » وفي السادس من شهر تشرين الثاني ابرقت وزارة الخارجية البريطانية الى وينجيت مرة ثانية تطلب اليه ان يؤجل نشر التصريح الى الثامن من الشهر ، وذلك بناء على طلب الحكومة الفرنسية . ان عدم نشر هذا التصريح قبل هذا التاريخ لغز من جملة الالغاز . او من جملة الفوضى والقلق اللذين كانا يسودان جو تلك الفترة من التاريخ . فهل كان هناك شيء من التردد في نشره بعد صياغته ، وبعد اعداده ، لدى فريق واحد ، او لدى الفريقين ؟

The Wingate Papers.

من اراد الاطلاع على نص الخطبة بحرفيتها فليراجع ساطع الحصري ، ص. ٢١٦-٢١١ . « ان سلطة الامير فيصل كانت تبدو آنذاك كرمز وكأداة لطرد فرنسا واصبحت حكومة الامير فيصل مركز حركة وطنية معادية لفرنسا . ولم تكف الصحافة في دمشق ، التي كانت تحت المراقبة عن تشويه سمعة فرنسا » . راجع المقال : « La France dans le Levant - la Syrie »

بن جبريت كترجم . وقد تبادلنا عبارات المجاملة التافهة ، وهذا مما وفر
علي الخوض في الامور الاخرى المهمة. Poincaré, *Au Service de la France*,
Vol. X, p. 435.

- Erskine, p. 97 (١٧)
جريدة التايمز (The Times) اللندنية بتاريخ ٢ كانون الاول ١٩١٨ ،
ص. ٩ عمود ٤ (١٨)
المصدر ذاته . وتجدر الإشارة الى ان « الاميركيين لم يحضروا هذا الاجتماع
في لندن ، كما ان الرئيس ولسون لم يكن قد وصل الى اوروبا بعد .
Documents I : IV, p. 251. (٢٠)
يشير المسيو اندره تارديو (Tardieu) في كتابه (La Paix) (السلام)
(باريس ١٩٢١) ص. ١١٧ الى هذا الاجتماع الذي عقد في لندن في شهر كانون
الاول على انه « كان حديثاً خاصاً » .
Frank E. Manuel, *The Realities of American-Palestine Relations*,
pp. 215-216 (٢١)
راجع مقال : — Frank E. Manuel on «The Palestine Question
in Italian Diplomacy — 1917-1920» in *The Journal of Modern
History*, Vol. XXVII, No. 3 (Chicago, September 1955) p. 273. (٢٢)
Edward Mandel House and Charles Seymour, *What Really Hap-
pened at Paris, The Story of the Peace Conference, 1918-1919*,
p. 186. (٢٣)
Frank E. Manuel, *The Palestine Question in Italian Diplomacy*,
1917-20 p. 273. (٢٤)
Lloyd George, *The Truth about the Peace Treaties*, Vol. II, p. 1038 (٢٥)
يحسن بنا ان نتذكر ان فلسطين ، بحسب ما نصت عليه اصلا اتفاقية سايكس -
بيكو ، وباستثناء مينامي حيفا وعكا اللذين سيعطيان لبريطانيا ، تقع في « المنطقة
الملونة باللون البني » وهي المنطقة التي « ستنشأ فيها ادارة دولية » .
بعد مضي اثنتين وثلاثين سنة ، عندما نشرت الحكومة البريطانية بعض الوثائق
في المجلد الرابع من الحلقة الاولى من « الوثائق المتعلقة بالسياسة الخارجية
البريطانية » لتوضح « سياسة حكومة جلالة المتعلقة بسوريا وفلسطين » بعد
الحرب العالمية الاولى ، لم تضمن اي وثيقة عن هذا الحادث المشار اليه اعلاه .
Temperley, Vol. VI, p. 182 (٢٧)
Dictionnaire Diplomatique, Vol. II, p. 166, — Article by Henry
Béranger on «Mosul». (٢٨)
في اجتماع ضم الكبار الاربعة في مقر وزارة الخارجية الفرنسية في باريس
يوم العشرين من شهر اذار ١٩١٩ قال وزير الخارجية الفرنسية . « بما ان
اختلاف وجهات النظر بين الحكومتين يستمر ، وبما ان الحكومة الفرنسية لم

by M.R. de Caix in *Histoire des Colonies Françaises et l'Expansion
de la France dans le Monde*, Vol. III (Paris, 1931) by Gabriel Ha-
notaux and Alfred Martineau, pp. 493-494.

- وملاحظة فيصل حول هذا الموضوع كانت اشارة الى المراسلات التي جرت
بين السير هنري مكماهون وشريف مكة ، وبصورة خاصة الى رسالة مكماهون
المؤرخة ٢٤ تشرين الاول ١٩١٥ .
Brémont, pp. 307-308 (٧)
المصدر ذاته . وللاطلاع على نص البرقية بالفرنسية راجع ص. ٣٠٨ من هذا
المصدر .
راجع جريدة لسان الحال عدد ١٨ تشرين الثاني ١٩١٨ . (٩)
وكان فيصل قد قدم احتجاجاً للماجور كورنواليس (Cornwallis) ضابط الارتباط
البريطاني في دمشق يقول فيه ان « عملاء الكابتن مرسيه » جمعوا « مشايخ
الدروز في حوران » وقالوا لهم انه ستنشأ هناك قريباً محمية فرنسية ، وان
الجنود الفرنسيين سيصلون بعد ايام
The Wingate Papers, Telegram of Cornwallis No. c. 198 of 2nd
November 1918.
راجع وصف شاهد عيان كما جاء في جريدة « بيروت » العدد ٢٦١٩ ،
بتاريخ ٥ تشرين الاول ١٩٤٦ .
ابرهم حرقوش ص. ٥٨٩ (١١)
Brémont, p. 308-309 راجع (١٢)
Mrs. Stewart Eeskin, *King Faisal of Iraq*. p. 97 راجع (١٣)
Brémont, p. 309. راجع (١٤)
كان السيد برتراند قنصلاً فرنسياً متقاعداً ، ثم اصبح سفيراً في جدة .
اما الكولونيل برموند ، فقد كان رئيس البعثة الفرنسية في الجزيرة العربية
خلال الحرب .
Brémont, pp. 310-311 (١٥)
عندما علم فيصل ، بعد وصوله بيومين ، بموقف الحكومة الفرنسية من لورنس ،
ارسل فوراً يستدعيه (وكان لورنس برفقة الامير منذ ان وصل الى مرسليليا)
وطلب اليه ان يغادر فرنسا مساء ذلك اليوم ذاته . يقول برموند ان لورنس
« بزيه الابيض الشرقي الغريب » توجه الى السيد برتراند وقال له : « انتم
تطردوني ، واني مغادر هذا المساء » . وقد رد في ما بعد الى الحكومة الفرنسية
وسام « صليب الحرب » الذي كانت قد منحته اياه .
Brémont p. 314.
المصدر ذاته ص. ٣١٦-٣١٧ . (١٦)
وكل ما قاله بوانكاره في مذكراته عن هذه المقابلة هو الآتي : —
« ان الامير فيصل شاب اسمر اللون ، جميل العينين السوداوين ، وقد جاء

تشأ بصورة خاصة ان تصل الى نقطة يمكن معها الوصول الى اتفاق نهائي ، فان رئيس الوزارة الفرنسية ، عند زيارته لندن في شهر كانون الاول من السنة ١٩١٨ طلب من السيد لويد جورج تأكيد اعترافه بالاتفاقية المقودة بين البلدين . فاجاب السيد لويد جورج انه لا يرى عقبات تحول دون الاعتراف بحقوق فرنسا في سوريا وقيليقيا ، لكنه قدم بعض المطالب التي تتعلق بالمناطق التي يرى (لويد جورج) انه يجب ان تضم الى منطقة النفوذ البريطاني ، اعني الموصل وكذلك طالب بفلسطين

Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, Vol. V, p. 3

(٣٠) المصدر ذاته ، ص ٧٦٣

(٣١) ذكر السيد جان مارت (Martet) ، الذي كان يوماً السكرتير الخاص لكليمنصو ، ان كليمنصو اخبره في ١٧ ايار ١٩٢٨ قائلا : « اود ان اخبرك عن جريمة اخرى اقترفتها - نعم جريمة - وهي تنازلي عن الموصل . لقد تعرضت لهجوم عنيف بسبب الموصل وحقوق النفط فيها ، ولكن خصومي ينسون اني استعملت الموصل طعماً كي احصل على قيليقييا التي كان حلفاؤنا يمارضون في اعطائها لنا . ان قيليقييا يمكن ان تصبح يوماً بلداً طيباً ولذا قلت للانكليز : اي من البلدين ترغبون في الحصول عليه : الموصل ام قيليقييا . . . ؟ »

Martet, Jean, Clemenceau, (London, 1930) p. 190

ويؤكد بعضهم ان قضية اعطاء الموصل لفرنسا كانت امراً من بنات افكار مارك سايكس وتديبره لانه يقول : « كانت الغاية الاولى من اتفاقية سايكس - بيكو خلق دويلة محايدة تحت حماية فرنسا وحاجزة بين منطقة روسية الى الشمال ومحمية العراق الى الجنوب » . راجع : -

Shane, Leslie, Mark Sykes, *His Life and Letters*, p. 249; A. Wilson, *Mesopotamia 1917-1920, A Clash of Loyalties* pp. 153-154.

(٣٢) يبدو ان لويد جورج كان احياناً يتمتع لنفسه مردداً ما يحول في خاطره . يقال عنه انه سمع مرة يقول متمتماً ، بعد الصفقة التي عقدها مع كليمنصو :

(في الموصل نفط ، وفلسطين الارض المقدسة ، وسوريا ، وما هي سوريا ؟ » . في الوقت الذي وقع على اتفاقية سايكس - بيكو كان الامين العام لوزارة الخارجية البريطانية السيد ادوارد غراي ، وكان رئيس الوزراء السيد اسكويث (Asquith) .

(٣٤) ولنا نجد متسماً الآن لبحث قضية الموصل التي سميت العلاقات بين الاتراك والبريطانيين سنوات عديدة . ولكن الممتع ان نذكر هنا انه ، بعد وقف الاعمال العسكرية في ٣١ تشرين الاول ١٩١٨ ، بموجب بنود الهدنة ، كتب الجنرال مارشال ، القائد العام للقوات البريطانية في العراق الى علي احسان باشا ، قائد الجيش التركي السادس طالباً منه ان يحلوا بقواته عن الموصل ، وذلك

بموجب المادة السابعة من اتفاقية الهدنة التي تنص على ما يأتي : « في حال قيام وضع يهدد سلامة الحلفاء فان للحلفاء الحق في احتلال جميع النقاط الاستراتيجية لضمان سلامتهم » . غير ان علي احسان باشا ، في بادئ الامر ، رفض طلب الجنرال مارشال البريطاني على انه طلب ليس له ما يبرره . وكان الصدر الاعظم ، عزت باشا ، يعضد علي احسان في موقفه هذا ويناصره . وبعد مفاوضات طال امدها ، وبعد ضغط كان يمارسه نائب قائد الاسطول البريطاني كالثورب (Calthorp) في استانبول ، اصدر عزت باشا اوامره الى قائد الجيش التركي ، علي احسان ، ان يسلم مدينة الموصل للجنرال مارشال ... وعليه دخلت الجيوش البريطانية مدينة الموصل في ١٥ تشرين الثاني عند الظهر . راجع :

La Question de Mosul- De la Signature du traité d'Armistice de Moudros 30 Oct., 1918 au 1er. Mars 1925 published in Constantinople in 1925 pp. 15, 26-28, 34-37. See also, the British Blue Book on Mosul, Turkey, No. 1 (1923) Correspondence between Lord Curzon and Ismet Pasha Respecting Mosul, and Toynbee, Survey of International Affairs, 1925, Vol. I, pp. 481-482.

(٣٥) جريدة « التايمز » بتاريخ الاربعاء في ١١ كانون الاول ١٩١٨ ص ٨ عمود ٤ و اضافت « التايمز » تقول : « وكان بصحبة الامير الكولونيل لورنس لاساً كوفية مكية قرمزية ومذهبة » . وينبغي ان نذكر ان لورنس كان في التاسع من كانون الاول في بولونيا (Boulogne) ينتظر مقدم فيصل على متن باخرة اقلتهما في اليوم التالي من فرنسا الى انكلترا .

(٣٦) المصدر ذاته بتاريخ ١٣ كانون الاول ص ٧ عمود ٥ .

(٣٧) بموجب القرارات التي اتخذت في هذا المؤتمر تشكلت وحدات ادارية وسميت « ارض العدو المحتلة » .

(٣٨) جريدة « التايمز » بتاريخ ١٣ كانون الاول ، ص ٧ عمود ٥ .

(٣٩) Temperley, VI, p. 142

(٤٠) De Haas, J. *History of Palestine*, p. 481

(٤١) Chaim Weizmann, *Trial and Error* (London 1950), pp. 290-294; Also, De Haas, p. 480; see also ESCO Foundation for Palestine, *Palestine a Study of Jewish, Arab, and British Policies*, Vol. I p. 130.

(٤٢) Frischwasser- Ra'anan, H.F., *Frontiers of a Nation*, p. 104. راجع

(٤٣) ESCO Foundation for Palestine, Vol. 1, p. 139 راجع

(٤٤) Temperley, Vol. VI, p. 144 راجع

(٤٥) Brémond, p. 319 راجع

Shane, Leslie, p. 279

(٤٦) راجع . . . راجع البرقيات التي بعث بها جورج - بيكو الرقم ٧٧٧ بتاريخ ٢٩ كانون

الاول سنة ١٩١٨ ، والرقم ٧٨٩ بتاريخ الاول من كانون الثاني سنة ١٩١٩ .

وقد جاء على ذكرها برموند (Brémont) ص ٣١٩ هامش ٦ .

(٤٨) « ان لنا في امبراطوريتهم حقوقاً غير منازع عليها ، وينبغي لنا ان نحافظ

عليها . هذه الحقوق التي لنا قائمة في كل من سوريا ، ولبنان ، وقيليقيا ،

وفلسطين . وهي حقوق قائمة على الواقع التاريخي . وعلى اتفاقيات ومواثيق ... » .

France, Journal Officiel: Chambre des Députés, *Débats Parle-*
mentaires, 2ème Séance du 29 Décembre, 1918, Vol. IV, p. 3716.,

Col. I

(٤٩) ان الكلمة الفرنسية التي استعملها وزير الخارجية الفرنسية «client» تعني

اكثر من لفظة زبائن . انها تعني ايضاً الشخص الذي يطلب حماية غيره له .

(٥٠) جريدة «التايمز» بتاريخ ٣١ كانون الاول ، ١٩١٨ ص ١١ ، عمود ٢

هوامش الفصل السابع

(١) يروي ان كليمنصو ، ذات يوم ، اراد ان يتحدث الى هذا « الشاب » فأتدعاه

الى مكتبه وقال له ان للفرنسيين حقوقاً تاريخية في سوريا وانهم يرغبون في

الاستيلاء على تلك البلاد . ثم سأل لورنس اذا كان يعلم ان معظم الذين حاربوا

في الحروب الصليبية كانوا من الفرنسيين . فاجاب لورنس على الفور : « نعم ،

ولكن الصليبيين غلبوا على امرهم والحروب الصليبية باءت بالفشل » . وهكذا

انتهى الحديث بصورة مفاجئة .

وقد كتب د . ه . ملر (Miller) يقول : « ان موقف الكولونيل

لورنس من الفرنسيين كان موقفاً معادياً وبصورة واضحة . وفي الواقع

اقر بذلك لي مرة ونحن في طريق عودتنا الى منزلنا معاً » .

D.H. Miller, *My Diary at the Conference of Paris*, Vol. I, p. 74

(٢) « كانت الوزارة الخارجية الفرنسية . . . تشكك كثيراً في طبيعة العلاقات

القائمة بيننا وبين فيصل الذي كان الفرنسيون يعتبرونه مجرد دمية بريطانية

تستخدمها لأثارة حفيظة الفرنسيين » .

Chirol, Valentine, *Fifty Years in a Changing World*, p. 330; See

also *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States*,

vol. V, p. 8 and R.S. Baker, *Woodrow Wilson and World*

Settlement, vol. III, p. 11.

Steed, vol. II, p. 300

(٣) وقد كتب لورنس في مذكراته عن مؤتمر الصلح ما يأتي : « لقد نسي السيد

بلفور في الجلسة الاولى مثل الحجاز نسياناً تاماً . فطلبت الى ماليه (Mallet)

وتيرل (Tyrell) وسيسل (Cecil) ان يقدموا احتجاجاً على هذا

الامر . ثم ذهبت لاقابل اريك درموند (Drummond) وعبرت عن شعوري

بلهجة حازمة . حاول اولاً ان يقتنعي بان ليست لنا صفة رسمية ولكن عاد

ثانية ليقول لي انه سيحاول ما في قدرته ذلك . ثم اني تناولت طعام العشاء

مع السيد بلفور ، وحصلت منه على وعد بانه سيحاول جهده . وقد زودته مما

عندي بما يدعم حجته . . . في هذه الاثناء قلت لفصيل ان قضية تمثيله ليست

قضية حكم عليها مسبقاً بل قد أجلت بعض الوقت لابرار بعض الوثائق الضرورية .

وفي اليوم التالي اقترح بلفور ان يمثل الحجاز ، فاحتج بيشون (Pichon)

قبل انعقاد جلسة الثالث عشر من شهر شباط كان الدكتور بلس قد قابل ، بعد وصوله الى باريس ، السيد روبرت لانسنغ (Lansing) والسيد هنري هويت (White) مع سائر اعضاء الوفد الاميركي لمؤتمر الصلح . كما انه سجل آراءه كتابة ، وبطلب من السيد لانسنغ (في ٢٦ كانون الثاني) وهويت (في ٣١ كانون الثاني) . وقد كتب الى لانسنغ ما يأتي : « ان الشعب السوري ، استناداً الى النقطة الثانية عشرة من نقاط الرئيس ولسون الاربع عشرة (وهم يعتبرونه منقذهم العظيم) وبناء على التصريح الذي صدر عن كل من فرنسا وبريطانيا في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩١٨ يطالبون بان يفسح لهم في المجال للتعبير بحرية ومن دون عائق ما عن رغائبهم في ما يتعلق بمستقبلهم السياسي واذا عجزنا عن توفير مثل هذه الفرصة ليعبروا عن امانيهم فائنا ، في اعتقادي ، نكون قد عرضنا شرف الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لملازمة خطيرة » .

« انني اقترح ان يعين مؤتمر الصلح لجنة تتألف من رجال من ذوي الفطنة والاعتدال والحياد ، وان يعطيهم سلطات وافية ، وان يعهد اليهم في مهمة الاطلاع على رغائب الشعب السوري » .

وقد نقل الدكتور بلس لاسيد هويت الآراء ذاتها . كما انه قال لكليهما انه يعتقد ان السوريين سيختارون في الدرجة الاولى الولايات المتحدة لتكون الدولة « الحامية » ومن بعدها بريطانيا - اما اختيارهم اميركا فلأنها بلد محايد وليست لها مصالح اثنائية ، واما بريطانيا فلأنها بلد « ذو كفاءة وعدل » . ولم يكن يعتقد ان السكان سيختارون فرنسا .

في السابع من شهر شباط كتب الدكتور بلس رسالة شخصية الى الرئيس ولسون قال فيها : « الآن وقد جئت من سوريا ، وبعد ان قابلت عدداً من السوريين في مصر ، فاني استميج لنفسي ان اخبركم عن مدى اعتقاد السوريين وثقتهم بالنقطة الثانية عشرة من نقاطكم الاربع عشرة ، وعن تمسكهم بالتصريح الانكلي - فرنسي الذي صدر في شهر تشرين الثاني ، ١٩١٨ .

« انهم يتطلعون بشوق عظيم الى ساحة يمكن معها التعبير عن مطالبهم السياسية ، ويقولون ان لهذا التوق العظيم ما يبرره في الوثائق الآتفة الذكر . هذا مع العلم انه لم يفسح لهم في مثل هذا المجال . فهناك مراقبة الصحف وهناك البريد وخطر التجمع وعقد الاجتماعات العامة والخاصة ، وجميعها عوائق تحول دون التعبير عن آرائهم . . . » .

(من وثائق الدكتور هوارد بلس) .

اما في ما يتعلق بوجهة النظر الفرنسية ازاء الدور الذي لعبته الكلية السورية الانجيلية فقد يكون من الممتع ان ننقل الى القارئ الفقرة الآتية : « اما في سوريا فقد اتخذت الدعاية الاميركية لها مركزاً في الجامعة الاميركية

على ذلك . اما كليمنصو فقد وافق على ان يكون هناك ممثل واحد ، وقال بيشون انه لا يمكن ان يكون هناك اكثر من ممثل واحد لان الحجاز امة في طور الولادة وليست بلداً مستقلاً ذا سيادة . فرد عليهما لويد جورج وبلفور فوراً وبحدة قائلين ان انكلترا بالاتفاق مع فرنسا قد اعترفتا باستقلال الحجاز . وفاز الاقتراح ان يمثل الحجاز مثلاًن عها .

« في هذه الاثناء كان غو (Gout) قد قام بزيارة لفصيل واخبره ان الامر لم يكن قضية نسيان بل تجاهلاً متعمداً ، وان الانكليز انما يتلاعبون به كما يشاؤون . وقال غو لفصيل ان فرنسا دولة قوية عزيزة وكلما سارعت الى عدم الانصياع الى هؤلاء المشاغبين (الانكليز) في العراق وسوريا الذين يدسون الدسائس لفرنسا كان ذلك لخيرك ولنفسك . ان الانكليز لا يعترفون بوجود جيش عربي في سوريا ، واذا كان الجنرال اللنبي قد قال لك انهم يعترفون بمثل هذا الجيش فانه كاذب في قوله . وهكذا ادرك فصيل ان امر تمثيله الحجاز موضع شك وارتياح ، فبات ليلته حزناً كثيراً بسبب ذلك . وقد لقيته الساعة الثانية بعد نصف الليل يحجب انحاء الفندق على غير هدى منه . ولكن عندما ربحنا معركة التمثيل ابتهج ابتهاجاً عظيماً وتفاهل خيراً من انه سيربح بقية المعارك السياسية في المستقبل » .

Garnett, pp. 273-274

راجع (٤) Miller, vol. IV, Document 250, pp. 297-299

راجع ايضاً الملحق الرقم ٥

المصدر ذاته Document 251, p. 251, 300

راجع ايضاً الملحق الرقم ٦

(٦) المصدر ذاته . وثيقة رقم ٢٤٦ ص. ٢٦٢ . راجع الملحق عدد ٧

(٧) Papers Relating to the Foreign Relations of the United States vol, III, p. 796.

(٨) راجع Lloyd George, vol, II, p. 1040.

كتب هارولد نيكولسون يقول : « منح الامير فيصل فرصة ليظهر امام « مجلس العشرة » ليستمعوا الى عرض قضيته . وقد كتب لانسنغ ، وزير الخارجية الاميركية ، يقول ان في صوته اريجاً من بخور » .

Nicolson, Peace Making, P. 142.

(٩) المصدر ذاته ص. ١٠٤٣ - ١٠٤٤

(١٠) وصلت البرقية التي بعثت بها وزارة الخارجية الاميركية الى الرئيس بلس يوم الخامس من كانون الثاني ، فغادر بيروت متجهاً الى باريس يوم التاسع منه . ونص البرقية لا يزال محتفظاً به بين اوراق الرئيس الخاصة .

(١١) للاطلاع على نص البيان الذي القاه الدكتور بلس راجع الملحق العدد ٨ كذلك راجع : - Papers Relating to the Foreign Relations of the United

Papers Relating to the Foreign Relations of the United States vol, IV. p. 3

(١٦) في حديث جرى مع اللورد ريدل (Riddell) في الثالث من شباط ١٩١٩ ، قال لويد جورج : « لقد كان سايكس الرجل المسؤول عن هذه الاتفاقية التي سببت لنا هذه المتاعب مع فرنسا ولقد كان سايكس يتوقع الورطة التي اوقعنا فيها ، ولذا ساورته الهموم من جراء ذلك . واذكر اني قلت له شيئاً عن هذه الاتفاقية وعن رأيي فيها ، وسرعان ما بدت على وجهه امارات اشعرتني بأنني قد جرحته في الصميم ... اني اشعر بالاسف الآن ، وكنت أتمنى لو اني لم اقل له شيئاً عنها. اني اليوم نفسي، اما الرجل فقد عمل ما وسعته قدرته على العمل ... » .

Lord Riddell's Intimate Diary of the Peace Conference and After, 1918-1923, p. 25.

(١٧) *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States*, vol, XI, pp. 76-77.

(١٨) من الممكن ان هذه الفكرة التي تقدم بها لويد جورج كانت من ايعاز اللورد ميلنر Milner الذي كان قد أصبح في ذلك الحين وزيراً للمستعمرات وعهد اليه في ان يعالج مشكلة سوريا الشائكة عله يفلح في تهدئة الجو الذي نشأ حولها اذا كان ذلك مستطاعاً . وفي الثامن من آذار كتب ميلنر الى لويد جورج يقول : « لقد طلبتم الي امس ان ادلي اليكم برأيي في ما اظنه نوعاً من التوفيق الممكن حول الخلاف الناشئ بيننا وبين الفرنسيين في ما يتعلق بسوريا . ونزولا عند طلبكم اتقدم باقتراح خطة عمل ... ولكنني اتحدى اي انسان ان يخرج من هذا المأزق السوري بمجرد اقتراح خطة للعمل لا تكون عرضة للمقاومة والرفض . غير اني راغب في ان اخرج من هذه الورطة من دون شجار صاخب .

« ان الموقف الحاضر هو كما يأتي : ان الطرفين المتنازعين ، فيصل والفرنسيين ، يجدان نفسيهما امام طريق مسدود لا امل لهما في الخروج منه ... والتوفيق الذي اقترحه ... هو ان يكف الفرنسيون عن سيطرة ادارية تامة على فيصل وليمنحه الفرنسيون منفذاً الى البحر عند مدينة طرابلس ... » .

« ومن جهة اخرى لندع فيصل يقبل بفرنسا كدولة متتدة على جميع الممتلكات التي يسيطر عليها ، والتي لا تقع ضمن منطقة النفوذ البريطاني ، على ان يكون الانتداب الفرنسي من نوع الانتداب المعتدل الرفيق ... » .

Lloyd George, vol. II, pp. 1047-1049

(١٩) Miller, vol. VI, Document 489, p. 317

(٢٠) Seymon, Charles, *The Intimate Papers of Colonel House*, vol, IV, p. 371.

(٢١) سجل هذه الوقائع السيد موريس هانكي (Hankey) وجرت العادة

في بيروت (المعروفة بالكلية السورية الانجيلية) . ان هذه المؤسسة الكبيرة الحسنة التجهيز الفنية بملاك يضم نخبة بارزة تتمتع ، من جملة ما تتمتع به ، بشهرة واسعة النطاق بين الاوساط السورية ، ولا سيما في الاوساط الاسلامية ... ولذلك فانه من غير المستبعد ان تكون الجامعة الاميركية قد لعبت دوراً خطير الاهمية في الدعاية لاميركا . راجع Gontaut-Biron, p. 247 في اثناء مقابلة اجراها مثل اوتلوك (Outlook) في باريس مع الامير فيصل في السابع من آذار ١٩١٩ ، قال له الامير : « كان الدكتور دانيال بلس ، مؤسس الكلية (السورية الانجيلية) في بيروت ، يعتبر الجد الاكبر لسوريا وابنه هاورد بلس ، الرئيس الحالي للكلية ، يعتبر والد سوريا . لانه لولا التنشئة التربوية التي كانت هذه الكلية ترعاها لما كان السوريون قد رحبوا معركة الحرية . ان العرب مدينون بكل شيء لاولئك الرجال . » .

(عن اوتلوك (Outlook) بتاريخ ٢ نيسان ١٩١٩) . ان اول شارة تحمل اسم شارع في مدينة بيروت كانت تلك التي وضعتها الحكومة الموقته برئاسة عمر الداعوق ، سنة ١٩١٨ ، وكانت تحمل اسم الدكتور بلس تخليداً لذكراه - « شارع بلس » .

(١٢) اما باقي اعضاء الوفد فقد كانوا انيس شحاده (من الروم الارثوذكس) وجميل مردم (مسلم) والدكتور جورج سمنة (من الروم الكاثوليك) وجميل مكرزل (من الموارنة) والدكتور توفيق فارحي (الممثل اليهودي في الوفد) *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States*, vol. III, p. 1024.

(١٣) المصدر ذاته ص . ١٠٢٤-١٠٣٨

(١٤) للاطلاع على ما جرى في هذا المؤتمر راجع Gaulis, pp. 99-103

(١٥) راجع Shotwell, *At the Paris Peace Conference*, p. 178

بعد يومين ، في الخامس عشر من شهر شباط عقد العشرة الكبار جلسة ثانية في مكتب السيد بيشون في مقر وزارة الخارجية الفرنسية طرحت فيها القضية السورية مرة ثانية ، وذلك عندما دخل وفد لبناني لمناشدة المؤتمرين ان تكون فرنسا الدولة التي ستساعد لبنان وقرأ رئيس الوفد ، السيد داود عمون بياناً جاء فيه : « نحن ندرك انه ليس في استطاعة هذا البلد ، ولا سيما في الفترة الاولى من استقلاله ، ان يستغل موارده من دون عون خارجي ، كما اننا ندرك انه بلد يفتقر الى الوسائل المالية الى المستشارين الفتيين ، ولذا سعت حكومتنا الى التعاون مع الدول العظمى . وهناك دولة واحدة فقط في بالنا ، وهي الدولة الفرنسية . ان مبادئها الحرة ، وتقاليدها القديمة ، والمنافع التي كان لبنان يحصل عليها في الازمنة العسيرة ، والحضارة التي عملت على نشرها في كل مكان جعلت منها دولة تحتل ، في نظر اللبنانيين مرتبة مرموقة . وعليه فان مجلس الادارة في لبنان ، هذا المجلس الذي يعبر بصدق وامانة عن الرأي العام في البلد ، قد قرر بالاجماع ان يطلب التعاون مع فرنسا » .

هوامش الفصل الثامن

- (١) Steed, vol. II, p. 323
- (٢) Miller, vol. XIX pp. 557-569
- (٣) Baker, vol. III p. 11
- (٤) Steed, vol. II, p. 325
- (٥) Documents I: IV, p. 265
- (٦) المصدر ذاته ص ٢٦٥ .
- (٧) جريدة « التايمز » بتاريخ ١٧ ايار ص ١٣ ، عمود ٦ .
- (٨) لم يكن كليمنصو ينتمي الى الجناح السياسي الفرنسي او الى الجناح الديني الفرنسي الذي بلغ اهتمامه بسوريا درجة التعصب والهوس . كما انه لم يشارك قط الجوقة التي كانت تردد « نحن سائرون الى سوريا » .
- (٩) Llyod George *The Truth about the Peace Treaties*, vol. II p. 1076. ذلك بأن الاجتماع عقد في بيت الرئيس ولسون في باريس وحضره الرئيس ولسون ولويد جورج وكليمنصو .
- (١٠) *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States*, vol. V pp. 756-766 and 807-812. راجع أيضاً : Paul Mantoux, *Les Delibérations du Conseil des Quatre*, vol. II, pp. 137-143, and 159-164.
- (١١) تنص النقطة الخامسة من مبادئ الرئيس ولسون الاربعة عشرة على ما يأتي : « تسوى جميع المطالب الاستعمارية بروح من النزاهة والتحرر والتجرد التام تقوم على احترام المبدأ الذي يقول ان جميع القضايا المتعلقة بسيادة البلاد وبمصالح سكانها يجب ان تكون لها اهمية متكافئة مع المتطلبات العادلة للحكومة التي تقرر تسميتها في ما بعد » . وتنص النقطة الثانية على ما يأتي :
- « ان حل كل مشكلة ، سواء كانت مشكلة اراض او سيادة او نظام اقتصادي او علاقات سياسية يجب ان يقوم على استعداد السكان لقبول ذلك الحل عن طيبة خاطر لا على اساس دعاية المصالح المادية ، او على اساس المنافع لاي امة او شعب يرغب في إيجاد حل آخر يتلاءم مع نفوذه وسيطرته على تلك البلاد » .
- (١٢) كان الجنرال اللنبي قد ابرق الى بلفور عندما كان هذا الاخير في باريس .

على ان توزع نسخ منها على الرئيس ولسون او على اعضاء الوفد الاميركي وقد ظهرت هذه الوقائع لأول مرة في السنة ١٩٢٣ في كتاب ر. س . بايكر (Baker) وعنوانه ، *Woodrow Wilson and World Settlement*, vol, III, pp. 1-19.

تحت عنوان « Written from his unpublished and personal material » وفي السنة ١٩٤٦ نشرتها وزارة الخارجية الاميركية في :

Papers Relating to the Foreign Relations of the United States — The Paris Peace Conference, 1919, vol, V, pp. 1-14.

وقد حضر الاجتماع هذا كل من الرئيس ولسون ولويد جورج وكليمنصو وبلفور وبيشون وبرتلو (Berthelot) واورلاندو وصونينو والجنرال اللنبي والجنرال بولز (Bols) والكلونيل السير موريس هانكي . وكان الترجمان الاستاذ ب ج . مانتو (Mantoux) .

Steed, H.W. , *Through thirty years 1892-1922*, p. 298. (٢٢)

المصدر ذاته ، المجلد الثاني ص ١٦٩-١٧٠ . (٢٣)

Miller, vol. VII, pp. 169-170. (٢٤)

والمستغرب في الامر كثيراً هو ان ملر لا يأتي على ذكر ستيد .

(٢٥) راجع الحصري ، ساطع : يوم ميسلون ص ١١٣-١١٤ . كتب بيار بوناردي (Bonardi) في السنة ١٩٢٧ ان فرنسا ذهبت الى سوريا « لاعادة هبة نفوذنا المدني » و « لم يكن لنا من هدف محدد سوى الابقاء على حالة مجدنا المتوهجة » .

Bonardi, *L'Imbroglia Syrien*, p. 44

F.O. Dispatch No. 3475 of 26th May 1919: Earl Curzon to Mr.: (٢٦)

Balfour (Paris) see Documents 1: IV, p. 253

F.O. Dispatch no. 628 of 30th April 1919: Communicated to (٢٧)

Curzon by Balfour. المرجع نفسه ، ص ٢٥٢ .

(٢٨) المرجع نفسه ، ص ٢٥٣-٢٥٢ .

Steed, p. 323. (٢٩)

عاد فيصل الى بيروت على متن البارجة الفرنسية « باريس » يوم الثلاثين من (٣٠)

شهر نيسان .

(٣١) الحصري ، ساطع : يوم ميسلون ص ٢١٧-٢١٨

(٣٢) المرجع نفسه : ص ٢٢١-٢٢٧

والحكيم ، يوسف : سورية والعهد الفيصلي ، ص ٧٢-٧٣

واليك نص البرقية: «القاهرة في ٣٠ ايار. اني اعتبر الوضع خطيراً جداً . وما لا شك فيه ان الامير فيصل سيثير العرب ضد الفرنسيين وضدنا ما لم تقدم للامير تأكيدات ان اللجنة ستوفد الى سوريا للبحث في مستقبل البلاد

» ان معتمدنا السياسي في دمشق يضيف قوله ان الوضع سيزداد خطورة اذا ما وجد ان تفسير فيصل لقرار مؤتمر الصلح في ما يتعلق بسوريا هو تفسير صحيح اي ان الجنود البريطانيين سيسحبون من سوريا لمصلحة الفرنسيين من دون استشارة الاهلين في سوريا . ويوافقه على هذا الرأي جويس (Joyce) من ان فيصلاً جاد كل الجد في انه لن يستطيع - ولو اراد - منع اراقة الدماء والواقع انه سينضم الى اي حركة ثورية تنشأ في البلاد ما لم تكذب هذه الاخبار

«ان ثورة يقوم بها البدو تدفع القبائل العربية الضاربة في سيناء الى القيام بحركة ضدنا ، كما انه من الممكن ان تقع اضطرابات خطيرة في مصر والسودان . وفي حالة كهذه سأجد نفسي غير قادر على معالجة الوضع بالقوات العسكرية التي هي في متناول يدي » .

Documents I: IV, p. 256.

وفي الوقت ذاته ارسل اللنبي ، بصفته القائد العام لجيوش الاحتلال في الشرق الادنى ، برقية الى فيصل حذره فيها بحزم ، لا بل كانت البرقية بمثابة اذار عسكري . قال اللنبي في برقيته : « في هذه الاثناء اعتمد عليكم في المحافظة على القانون والنظام وعلى ضبط النفس فلا تقوموا باي عمل من شأنه تعريض بلادكم الى الخطر . ان اي قرار تتخذونه من دون ترو من شأنه ان يؤدي بكم الى مواجهة عسكرية مع القوات التي هي تحت امرتي . سيكون قراراً يقضي فوراً على جميع امانيتكم الوطنية ... » . المصدر ذاته .

(١٣) راجع *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States*, vol. V. p. 812.

قال السيد كليمنصو : « انني على استعداد لان اوفد وفداً من فرنسيين الى سوريا حالماً تبدأ جيوش الاحتلال بالخلاء . غير اني اجد من غير المجدي ارسال لجنة الى سوريا لتجري تحقيقاً باشراف الديكتاتور اللنبي » .

Mantoux, pp. 143 and 263-264.

(١٤) « بعد عجز كليمنصو ولويد جورج عن الوصول الى اتفاق حول ارسال لجنة دولية الى سوريا اصدر الرئيس ولسون تعليماته الى الاعضاء الاميركيين بوجود التوجه فوراً الى الشرق الادنى . وغادر الوفد باريس في ٢٥ ايار و ٢٩ منه » .

Baker, vol. II, p. 206

عين البريطانيون السير هنري مكماهون والدكتور دافيد هوغارت ليمتلا بريطانيا في هذه اللجنة الدولية ، على ان يكون المؤرخ الاستاذ ارنولد ج. توينبي اميناً للسر . وقد كتب قائد اللواء لونفريغ (Longrigg) يقول ان لويد جورج ايضاً

كان يداخله شك في جدوى ذهاب اللجنة هذه الى العراق (وهو امر اصر الفرنسيون على تحقيقه) . كما انه كان هناك ضغط صهيوني عليه ، لان الحركة الصهيونية في فلسطين كانت تلقى معارضة متزايدة .

Longrigg, Stephen Hemsley, Syria and Lebanon under French Mandate (London, 1958) p. 89, n.l.

ولقد جاء هذا « الضغط الصهيوني » عنصراً آخر زاد في صعوبة تشكيل اللجنة الدولية وفي تعقيدات الشائكة . ففي الفترة الواقعة بين الثامن من ايار والسادس عشر منه ١٩١٩ ، تبادل الاستاذ فيلكس فرانكفورتر (Frankfurter) مع الرئيس ولسون اربع رسائل . « في اليوم الثامن من ايار كتب الاستاذ فرانكفورتر بالنيابة عن المنظمة الصهيونية ، رسالة عبر فيها عن مخاوفه من ان تشكيل لجنة دولية قد يؤخر في تسوية قضية الشرق الادنى الى ما بعد مغادرة الرئيس ولسون باريس ، الامر الذي من شأنه ان يؤدي الى حل هذه المشكلة بصورة تخالف مضمون وعد بلفور الذي يركز اليهود آمالهم على تحقيقه . غير ان الرئيس ولسون لم يبعث بجواب عن هذه الرسالة الا بعد انقضاء ايام عدة ، واخيراً بعث برسالة جوابية الى السيد فرانكفورتر ، الذي كان قد طلب الى الرئيس ان يطمئن اليهود ، قال فيها انه لم يخطر قط بباليه ان هناك حاجة الى اصدار بيان يؤكد فيه التزامه وعد بلفور » .

Howard, Harry, «An American Experiment in Peace — making: the King-Crane commission» in the Moslem World, vol. XXXII No. 2 April 1942, p. 131

وكان من بين اعضاء الوفد الاميركي في هذه اللجنة ايضاً الاستاذ البرت ج . ليبيير (Lybyer) « كمستشار تقني خاص » والكابتن وليم يابل (Yale) « كمستشار تقني لشؤون المقاطعات الجنوبية من تركيا » . وكان الدكتور هنري تشرشل كنغ رئيساً لكلية اوبرلين (Oberlin) « ومدير العمل الديني في جمعية الشبان المسيحيين » للسنة ١٩١٨ - ١٩١٩ . اما السيد تشارلز كرين فقد كان صناعياً مشهوراً من مدينة شيكاغو ، وكان احد اعضاء الوفد الدبلوماسي الخاص الذي اوفده الرئيس ولسون الى روسيا السنة ١٩١٧ ، وفي السنة ١٩١٩ عين الرجلان كرين وكنغ عضوين في الوفد الاميركي لمؤتمر الصلح في باريس ، وفي لجنة الحلفاء المشتركة للنظر في مسائل الانتداب على تركيا .

وقد جاء في وقائع احدى الجلسات اليومية التي كان يعقدها اعضاء الوفد الاميركي المفوضون ان الرئيس ولسون كان يشعر بان الرجلين ، كنغ وكرين ، مؤهلان للذهاب الى سوريا لانهما لا يعلمان شيئاً عن تلك البلاد

راجع : *Editor and Publisher, vol. 55, No. 27 Second Section, New York, December 1922 p. 4, and Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, vol. XI, p. 133*

« يبدو ان فكرة ارسال لجنة تحقيق الى الشرق جاءت كإيماء اشار به هوارد

بلس رئيس الكلية السورية الانجيلية في بيروت (الجامعة الاميركية في بيروت)
في رسالة كان قد بعث بها الى الرئيس ولسون بتاريخ ٧ شباط سنة ١٩١٩ .

Howard, *The Moslem World*, Vol. XXXII No. 2, p. 124

وليس بالثابت ان الايطاليين كانوا ينظرون بعين الجدل الى ارسال وفد ايطالي
الى سوريا . غير انه من المفيد ان ننقل الحديث الآتي الذي جاء على ذكره الاستاذ
مانتو (Mantoux) : « لويد جورج : -

هل سترسل ايطاليا وفداً الى سوريا ؟

السيد اورلندو (Orlando) : - انني انتظر لارى ما يفعله الآخرون .

الرئيس ولسون : - ان الوفد الاميركي قد غادر باريس الى الشرق .

السيد كليمنصو : - لقد قال لويد جورج انه لن يبعث احداً الى سوريا اذا لم

نرسل نحن الفرنسيين احداً .

السيد اورلندو : - اني سأفعل الشيء ذاته » . Mantoux, p. 264

Documents: I: IV, p. 184

(١٥)

المصدر ذاته ، ص. ٢٧٦

(١٦)

المصدر ذاته ص. ٢٧٧

(١٧)

نص رسالة من الجنرال كلايتون الى اللورد كرزون .

(١٨)

القاهرة ، في الاول من حزيران ١٩١٩ .

« لقد قابلت اليوم السيد بيكو . وقد قال لي ان سوريا تقسم الان دون اي
اشارة الى فيصل ، وان اللجنة الاميركية قد قدمت الى هذه الديار لتبقي فيصل في
الظلام في الوقت الذي يتم الاتفاق على تجزئة سوريا . ويقول بيكو انه
قد اطلع على هذا الامر من مصادر فرنسية رسمية . واني لمتفق معه في الرأي
انه اذا صح هذا الامر فانه لعبة خطيرة جداً . لان فيصل ، اذا علم ان تقسيم
سوريا سيتم من دون علمه ، وقبل ان ترفع اللجنة تقريرها فانه سيتخذ موقفاً
عدائياً . وقد اخبرني بيكو انه عندما كان في باريس تم الرأي على ارسال لجنة
دولية الى سوريا وفلسطين . واذا كان هذا الامر صحيحاً ، فاني كنت اتمنى
ان اعرف به منكم قبل هذا الحين » .

Documents I: IV, p. 263.

راجع المصدر ذاته ، ص. ٢٨٦

(١٩)

وما قاله اعضاء الوفد في بيان اصدروه عند وصولهم الى فلسطين : « ان الجانب
الاميركي في اللجنة الدولية قد وصل ، وغايته الاطلاع عن كذب على رغائب جميع
فئات السكان لكي تكون هذه المعلومات التي نتوصل اليها في متناول الرئيس ولسون
والشعب الاميركي عندما يطلب اليهم ان يبتوا الامر في مؤتمر الصلح او في
آخر الامر ، في عصبة الامم » . المصدر ذاته .

راجع المصدر ذاته ، ص. ٢٩١-٢٩٢

(٢٠)

راجع المصدر ذاته ، ص. ٢٩٦

(٢١)

« ارادة الشعب العربي » - « الشعب باسره يطالب بالاستقلال التام الناجز .
ومن دون اي شروط ، لسوريا والعراق . » لا انتداب ولا وصاية ! ولا حماية !

وانما الوحدة العربية والاستقلال التام . ظهرت هذه العناوين بحروف بارزة على
الصفحة الاولى لجريدة الاستقلال الدمشقية في العدد ٢٣ ، تاريخ ٢٨ حزيران
١٩١٩ .

Documents I: IV p. 298 (٢٢)

المصدر ذاته ص ٣٠٢-٣٠٣ وقد قال اللورد كرزون عند تسجيل هذه المذكرة (٢٣)

في الوقائع « انها مذكرة ، كما تبدو لي ، تقوم على اساس صحيحة . . . غير
ان كثيراً مما ورد في المقترحات التي تقدم بها بلفور يتوقف على الكونغرس
الاميركي اذا كان يخول الرئيس ولسون ان يقبل بالانتداب باي ثمن كان .
اني اشك في الامر ، وانه من الافضل عدم نشر هذه المذكرة في الوقت الحاضر » .
(c. 5/7) المصدر ذاته .

Temperley, vol. VI, p. 150 راجع (٢٤)

Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, vol. (٢٥)

XII, p. 749.

Documents I: IV, pp. 318-320 راجع (٢٦)

« لقد اصبح موقفنا في سوريا على كثير من الخطورة بسبب نوعين من العوامل :
اولاً مهزلة اللجنة الاميركية الخبيثة التي كانت موجهة في الدرجة الاولى ضد
فرنسا . فانها لم تتوجه الى بغداد ولا الى الموصل حيث كان من المتوقع ان تلاقي
معارضة شديدة ضد انكلترا . . . ثانياً ان التحقيقات التي قامت بها كانت
تمثيلية مفاجئة ، فانها لم تقابل الا الوفود التي كان يبعث الانكليز بها او الامير
فيصل ، وكانت ترفض مقابلة اي وفد يدي عطفاً على فرنسا فانها كانت
تستقبلهم ببرودة وخشونة » .

Brémond, *Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale*, راجع :

p. 327.

From «Notes of a Meeting of the Heads of Delegations of the Five (٢٧)

Great Powers held at the Quaid'Orsay» in Documents I: IV, p. 134.

المصدر ذاته .

(٢٨)

المصدر ذاته .

(٢٩)

من جهة ثانية ذكر وليم يابل (Yale) في تقريره يقول : « ان البريطانيين
يننون - اذا كان الامر مستطاعاً - الاحتفاظ بفلسطين ، كما انهم يرغبون في
السيطرة على سوريا . انهم لا يريدون ان يروا الفرنسيين حتى في جبل لبنان .
ولكن بما انهم كانوا يدركون انهم لا يستطيعون وحدهم ان يرغموا فرنسا
على التخلي عن مطالبها من دون تفاقم الخلاف معها الى خصومة مفضوحة لذلك كانوا
يودون لو ان اميركا قبلت بان تتولى امر سوريا . فان البريطانيين سمحوا
للشباب العرب ، لا بل شجعوهم ، على ان يقوموا بدعاية لانشاء سوريا موحدة
ولو كان ذلك مما يكلفهم فقدانهم فلسطين ، كي يخلقوا وضماً سياسياً من
شأنه ان يرغم الولايات المتحدة على قبول الانتداب على سوريا » . راجع :

«A Report on Syria Palestine and Mount Lebanon for the American Commissioners, prepared by Captain William Yale, Technical Advisor to the American Section of the International Commission on Mandates in Turkey.» Dated 26th July 1919. pp. 14-15. See U.S.A., *The National Archives: General Records of the Department of State, Record Group 59.*

(٣٠) من اراد الاطلاع على حرفية المذكرة عليه ان يراجع :

Documents I: IV, pp. 340-349.

(٣١) المصدر ذاته ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠

(٣٢) المصدر ذاته ص ٣٥٠ .

هوامش الفصل التاسع

راجع Earl of Ronaldshay, *The Life of Lord Curzon*, III, 204 (١)

وحوالي هذه الفترة (في ٢٣ آب) كتب اللورد ريدل (Riddell) في مذكراته يقول : « لقد وصل كير (Kerr) هذا الصباح قادماً من باريس ، ويبدو انه مقتنع من انه ينبغي لنا ان نتنازل بعض التنازل للفرنسيين في شرق البحر المتوسط . ان لويد جورج غاضب على الفرنسيين بسبب موقفهم من سوريا . يقول ان السوريين لا يريدون الانتداب الفرنسي ، ويتساءل كيف يمكن للحلفاء ان يحملوا السوريين على قبول دولة منتدبة هي في نظرهم دولة غير مستحبة . واضاف قوله : علي ان اصدر بياناً على الناس . ان موقفه قد تبدل كثيراً منذ اواخر سنة ١٩١٨ . ويكثر من الإشارة الى حرصهم وطمعهم . »

Lord Riddell, p. 112.

Documents I: IV Appendix II (٢)

Lloyd George, vol. II, p. 1081. (٣)

Documents I: I p. 690 (٤)

كان الاستاذ ولیم یایل في ذلك الحين عضواً في الوفد الاميركي لمفاوضات الصلح (٥)

في باريس . وقبل ذلك « كان يعمل في شركة ستاندر د اويل اوف نيويورك (Standard Oil of New York) في الشرق الادنى ، اولا كرائد مستكشف (للنفط) ثم موظفاً مقيماً بمدينة القدس ١٩١٥-١٩١٧ . وبعد انقطاع العلاقات الدبلوماسية مع تركيا عاد الى واشنطن . فارسلته وزارة الخارجية الاميركية الى القاهرة ليعتد اليها بتقارير عن الوضع في الشرق الادنى الذي يعتبر منطقة رئيسية حساسة بالنسبة الى تسويات الصلح العامة . See Frank E. Manuel p. 180

راجع Garnett, p. 283 (٦)

للاطلاع على كامل النقاش الذي جرى في هذا الاجتماع راجع : (٧)

Documents, I: I, pp. 685-701.

(٨) ان اتفاق الثالث عشر من ايلول كان حقاً انتصاراً لكليمنصو وحكومته التي استمرت اشهرًا تطالب بان لها « حقوقاً في سوريا » . وفي اعقاب قبول المقترحات البريطانية ، يقول لنا اللواء لونفرغ (Longrigg) « ان وزارة الحربية الفرنسية شرعت في ارسال قوات عسكرية اضافية الى سوريا وقيليقيا تتألف من

جيوش افريقية فرنسية ، وان وزارة الخارجية اختارت الجنرال غورو (Gouraud) ليتولى قيادتها وليكون الممثل الفرنسي الأعلى في الشرق . ويضيف لونغريغ قوله : « ان كليمنصو استخدم هذه السانحة في توجيهه نداء الى الشعب السوري يعد فيه باقامة عهد جديد ، من الحرية والنظام والتقدم يتفق مع اماني الشعب ومصالحه . اما بالنسبة الى الرأي العام الفرنسي فقد كان هذا التدبير يشكل جزءاً من التسوية ، ولكن بطريقة مرضية وان كان الحل قد جاء بعد انتظار طال امده . ولكن هذا الحل لم يكن حلاً شاملاً ، بل كان يبدو نذير شوم اذ انه ابقى الامير فيصل حراً ، اكثر مما كان حراً قبل ذلك ، ليقاوم فرنسا في البلوغ يوماً الى الحصول على « حقوقها » .

Longrigg, p. 94.

(٩) Lloyd George, vol. II, p.p 1081-1083 and 1095, see also Documents I: I pp. 685-686.

(١٠) في الثامن عشر من شهر تشرين الاول ١٩١٩ بعث لويد جورج برسالة الى كليمنصو جاء فيها :

« ان الحكومة البريطانية تبدي كبير اهتمام بوجوب احلال التفاهم بين الفرنسيين والعرب بحيث انها امتنعت عن ارسال رسالتكم التي وصلت الى الحكومة البريطانية الى الامير فيصل باللهجة العنيفة التي تنطوي على شيء من الأهانة ... وفي اعتقاد الحكومة انها لو كانت قد ارسلتها لما تبقى اي مجال لتسوية سلمية للقضية السورية » .

راجع : Lloyd George, vol. II, p. 1097.

(١١) بعث لويد جورج برسالة الى كليمنصو حول هذا الاجتماع جاء فيها : « انه على الرغم من مصاعب جمة ، حاولت الحكومة البريطانية ممارسة اشد الضغط على الامير فيصل ليقبل بالاتفاق الذي تم بيننا ، ولكي يصل الى اتفاق مع الحكومة الفرنسية » . ولكي تدلل الحكومة البريطانية « على انها لم تتناس ما لفرنسا من حقوق » فان لويد جورج ذكر الفقرة الآتية المقتبسة عن مراسلة جرت مؤخراً بين الامير والحكومة البريطانية في الاسابيع القليلة الماضية : « اما في ما يتعلق باحتلال الجيوش الفرنسية الاجزاء المتبقية من سوريا فان الحكومة البريطانية تطلب الى سموكم ان تذكروا ان العرب مدينون الى حد كبير بتحريرهم للفرنسيين الذين قدموا تضحيات جسيمة في الحرب الاخيرة . نعم ، ان الخدمات الحربية التي قامت بها فرنسا في سوريا نفسها لم تكن ذوات شأن كبير غير ان السبب في ذلك هو ان فرنسا كانت منهكة باعمال حربية على جبهات اخرى وعلى هذه الجبهات الحربية الاخرى المهمة في اوروبا والتي كانت جبهات رئيسية حيوية ، فقدت فرنسا مليوناً واربع مئة الف قتيل ، وتراكت الديون عليها بقدر لا يقل عن الديون التي تراكت على بريطانيا العظمى ، وذلك في سبيل قهر القوة العسكرية التي كانت تساند تركيا الطاغية ، تلك القوة العسكرية التي لولا مساندتها لها لما استطاع الجيش التركي ان يصمد

في ساحة القتال اكثر من اسابيع معدودة » .

المصدر ذاته ص ١٠٩٥-١٠٩٦ .

في اثناء هذا الاجتماع أطلع رئيس الوزراء فيصل « ان الحكومة الفرنسية على استعداد ان تدفع للحكومة العربية نصف نفقات المعونة المالية للأدارة العربية في ارض العدو المحتلة ، في المنطقة الشرقية » . وقد كتب اللورد كرزون ، في السابع من تشرين الثاني ، الى السفير البريطاني في باريس طالباً اليه « ان يشعر الحكومة الفرنسية والامير فيصل بأنه بدءاً من الاول من تشرين الثاني ١٩١٩ ، ستخفض المعونة المالية الشهرية وقدرها ١٥٠ الف استرلينية والتي كانت تدفعها بريطانيا حتى هذا التاريخ الى النصف ، اي ٧٥ الف استرلينية » .

Documents I: IV, p. 509

(١٢) للاطلاع على نص النقاش الذي جرى في هذا الاجتماع الذي عقد في ١٩ ايلول في مقر رئيس الوزراء ، ١٠ دونغ ستريت

راجع : Documents I: IV. pp. 395-404.

(١٣) للاطلاع على النص الاصيل لرسالة فيصل راجع :

وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين . ص ٣٧٣-٣٧٦ .

(١٤) المصدر ذاته ، ص ٣٧٧ .

(١٥) في اثناء مقابلة جرت بين الكابتن وليم يابل (Yale) والامير فيصل في شهر تشرين الاول ١٩١٩ ، « قال فيصل انه يرفض فكرة اي تغير يطرأ

على الاحتلال العسكري لسوريا ، كما انه قال اذا سحبت بريطانيا جيشها فانه يبعث باخر نداء له الى الولايات المتحدة واذا رفضت الولايات المتحدة ان تتخذ اي اجراء فانه سيعود الى سوريا ويقود شعبه في مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الاجنبي . ولكنه لم يذكر شيئاً عن ادنى حد من المطالب التي يقبل بها ، بل صرح انه يقبل باي حل تفرضه الولايات المتحدة » .

وبعد مقابلات اخرى اجراها يابل مع المسؤولين من بريطانيين وفرنسيين وعرب وصهاينة راح يضع مشروع حل خاصا لقضية فلسطين ولبنان وسوريا والعراق ، ويبدو ان الوزارة البريطانية كانت على استعداد ان تتبنى « مشروع يابل » ولكن « عندما عاد يابل الى باريس وأوضح لمروسيه في الوفد الاميركي لمفاوضات الصلح ما قام به من مسعى رفض الوفد السماح له بتقديم مشروعه هذا الى الفرنسيين لان الرئيس ولسون عندما غادر باريس نهائياً لم يمنحهم صلاحيات لاتخاذ اي قرارات او القيام باي عمل من هذا القبيل » .

اما في ما يتعلق بلبنان وسوريا فان يابل كان قد اقترح ما يأتي : « يكون جبل لبنان وحدة سياسية منفصلة تحت الانتداب الفرنسي ، وتعتبر سوريا من معان الى العقبة الى حلب مع مينامي طرابلس واللاذقية بلداً مستقلاً استقلالاً «موقتاً» تحت حكومة عربية تمثل سكانها . وهذا البلد يكون تحت الانتداب الفرنسي » .

Garnett, pp. 282-286.

(١٦) وهبه ، ص . ٣٧٨-٣٧٩ .

(١٧) وقد ذكر هذا النص ذاته لويدي جورج في رسالته الى كليمنصو المؤرخة ١٨ تشرين الاول . راجع :

Lloyd George vol. II, pp. 1095-1096.

(١٨) للاطلاع على نص هذه الرسالة الخطيرة التي وجدت بين الاوراق الخاصة بالملك حسين في مكة راجع : وهبه ، ص ٣٨١-٣٨٨ .

(١٩) للاطلاع على نص هذه الرسالة راجع المصدر ذاته ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(٢٠) راجع Documents I : IV pp. 452-454.

(٢١) «تلقيت من السيد كليمنصو برقية صيغت بلهجة عنيفة وينبغي ان يكون قد كتبها في ساعة استياء شديد وفي ساعة كان فيها النمر (كليمنصو) قد تعرض للتعذيب والزناير والبعوض من جماعة المتعصبين المغالين ، والصحافة الاكليريكية ، والنواب الذين كانوا يتهمون به انه تخلى عن المصالح التاريخية لفرنسا في سوريا . ضرب بذنبه مغضباً وعض على احسن اصدقائه بأنياه » .

Lloyd George II, pp. 1081-1082.

وقد لفت اللورد كرزانتوبه السفير الفرنسي في لندن ، يوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الاول الى ان رسائل مهينة بعثت بها الحكومة الفرنسية في خلال الاشهر الستة « وكانت ذروتها تبادل الرسائل الاخيرة بين السيد كليمنصو والسيد لويدي جورج التي كانت ملفومة بقتابل شديدة الانفجار » .

Documents I: IV, p. 496

(٢٢) راجع Lloyd George, vol. II, p. 1097.

(٢٣) ان « سين فاين » كانت حركة قومية متطرفة ظهرت في ايرلندا في اوائل القرن العشرين ، غايتها الانفصال التام عن السياسة البريطانية ومحاربة هذه السياسة .

(٢٤) اصدرت الحكومة في تشرين الاول من السنة ١٩١٩ كتاباً ابيض يحتوي « بياناً منقحاً بالدخل والنفقات » للسنة الحالية . وكان العجز المالي لتلك السنة « الذي قدر في بادئ الامر بمئتين وخمسين مليون استرلينية قد زيد اليه مبلغ ٢٢٣٦٤٥٠٠٠ استرلينية فاصبح مجموع العجز ٤٧٣٦٤٥٠٠٠ استرلينية .

وقد وجهت جريدة «التايمز» نقداً قاسياً الى لويدي جورج ووزارته المؤلفة من عشرين وزيراً في عددها الصادر في ٢٨ تشرين الاول حيث قالت: «في اثناء الحرب لم تكن الحكومة مسؤولة سوى بالاسم فقط ، وهي ليست اليوم مسؤولة سوى بالاسم فقط. ففي اثناء الحرب تولى رئيس الوزراء تدريجاً صلاحيات تشبه الصلاحيات المعطاة لرئيس جمهورية، الامر الذي يتعارض مع عبقرية بنود الدستور ومفعولها الطبيعي . . . ولم يكن هذا التصرف امراً مكروهاً لديه وهو حتى الان يحافظ على هذا الوضع». وفي الثلاثين من شهر تشرين الاول صوت مجلس العموم البريطاني على الموازنة التي تقدمت بها الحكومة . وفي اليوم التالي ، عند اشارتها الى الكلمة التي القاها لويدي جورج في مجلس العموم التي نعتتها بانها كانت « عرضاً لالاعاب نارية من الالفاظ الخطائية » قالت جريدة «التايمز» : « ان ما تجلى في الخطاب من عبقرية كان امراً ظاهراً ، ولكنها

كانت عبقرية مثل لا يبارى في التلاعب بالالفاظ التي لها وقع في السمع ، لا عبقرية رجل دولة يحاول ان يكشف عن المصاعب التي تعانيها ويعكف على حل مشكلات الساعة الخطيرة » .

Documents I: IV, p. 491.

جاء في التقرير الذي رفعه وليم يابل ، بتاريخ ٢٦ تموز ١٩١٩ ، الى الوفد الاميركي ما يأتي : « منذ نشوب الحرب والفرنسيون يتطلعون الى سوريا كغنيمة يفوزون بها اذا ما انتهت الحرب الى انتصارهم . ولست ارى ضرورة للأسباب في الأسباب الجوهرية التي تقوم عليها المطالب الفرنسية في سوريا ، بل اكتفي بالقول انها اسباب تجارية واستعمارية وعاطفية. وليس من شك في ان البريطانيين فاقوا الفرنسيين دهاء وحيلة في فوزهم في السيطرة الحزبية على الحركة العربية الفتية آنذاك بواسطة الاتصالات التي اقاموها مع الملك حسين والامير فيصل » .

The National Archives, Department of State, Record Group 59

(٢٦) راجع Documents I: IV, p. 510.

(٢٧) قال الجنرال غورو ، في سياق حديث عبر فيه عن عطفه على الامير فيصل : « انه سيكون مجبراً على تنفيذ اي اوامر تصدر اليه ». و اضاف قوله انه على الرغم من كراهيته لسفك الدماء ، فانه لن يتردد في القيام بمثل هذا الامر اذا ما كانت الاوامر الصادرة اليه تتطلب ذلك . المصدر ذاته ص ٥١١ .

كان الجنرال غورو قد عين في التاسع من تشرين الاول ، من قبل الحكومة الفرنسية ، مفوضاً سامياً في سوريا وقيليقيا ، وقائداً عاماً لجيش المشرق .

(٢٨) « اني لعل يقين انه ، في المناطق التي يحل الجيش الفرنسي محل الجيش البريطاني ، سيعمل قوادنا العسكريون على حماية السكان وتوفير الامن والنظام لهم . ولكن ، لما تمتعون به من سلطة عليا عليكم ان تفعلوا الشيء ذاته في دمشق وحلب . واني على اتم استعداد لأن اهب فوراً الى تجدتكم في حفظ النظام عند اول نداء تبعثون به الي ، اذا ما حدثت اضطرابات يثيرها المشاغبون . . . » .

من رسالة بعث بها كليمنصو الى الامير فيصل في باريس بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٩ ، تجدها في : Documents I: IV, p. 512.

(٢٨) Documents I: IV, pp. 520-521.

(٣٠) راجع : خير الله Les Régions Arabes Libérées, p. 75

(٣١) النص الفرنسي الحرفي كما هو محفوظ في ملفات بكركي ، مقر البطركية المارونية في لبنان هو :

«Le peuple Libanais demande en premier lieu, la reconnaissance de son indépendance, impliquant sa pleine souveraineté intérieure et extérieure.»

(٣٢) « ان رغبة اللبنانيين في الحصول على الحكم الذاتي وعلى الاستقلال الوطني تنسجم كامل الانسجام مع التقاليد الفرنسية التحررية. » المصدر ذاته. ويستطيع

وفي جلسة لمجلس الحلفاء الأعلى في لندن عقدت في ١٧ شباط ١٩٢٠ ،
عرض السيد برتلو (Berthelot) بطلب من لويد جورج ، ملخصاً
لشروط هذه الاتفاقية المشار إليها اعلاه . راجع . Lloyd George, vol II, pp. 1106-1107.

القارئ ان يطلع على النص بكامله في الملحق الرقم ١٠ .

(٣٣) Documents I: IV, p. 524.

(٣٤) مقتطفات من البيان الذي اصدره مصطفى كمال الى السوريين : « بصفتي مسلماً
اتوسل اليكم الا تكثرثوا بما بيننا من خلاف أدى بنا الى القطيعة . ينبغي لنا
ان نزيل كل سوء تفاهم وقع بيننا ولنوجه جميعنا سلاحنا ضد الاحزاب الخائنة
التي ترغب في تجزئة بلادنا
» ان المجاهدين الذين يؤمنون بالحق سيقومون قريباً بزيارة اخوانهم العرب ،
وسوف يمزقون شمل الاعداء . فلننش كأخوة في الدين ، والموت لاعدائنا » .

Documents I: IV, p. 478.

Documents I: IV, p. 523 راجع (٣٥)

(٣٦) المصدر ذاته ص . ٥٩٠ - ٥٩١ .

(٣٧) في مقابلة اجراها المؤلف مع السيد علي جودت الايوبي الذي كان حاكماً
عسكرياً للمقاع قال له ان منزله في معلقة زحله طوق مرتين ، الاولى على يد
جنود فرنسيين مسلحين بالرشاشات والثانية عندما احاطت بالمنزل جماعة من
الاهلين الذين كانت السلطات الفرنسية قد سلحتهم . وكان عددها حوالي مئتين
 وخمسين رجلاً . واخيراً انسحب الى رفاق . وقد اخبره الجنرال كونغريف
(Congreve) والكولونيل كوس (Cousse) ان عليه ان يفادر المنطقة
مع قواته وذلك بموجب اتفاقية كانت قد تمت بين الحكومتين البريطانية
والفرنسية .

راجع ايضاً ذكريات علي جودت ، ١٩٠٠ - ١٩٥٨ ص ٧٩ - ٨٧ .

Documents I: IV, p. 533.

(٣٨)

(٣٩) المصدر ذاته ص . ٥٤٩ .

(٤٠) المصدر ذاته ص . ٥٤٤ .

(٤١) المصدر ذاته ص . ٥٩٢ .

(٤٢) المصدر ذاته ص . ٥٩٣ .

(٤٣) للاطلاع على النص الفرنسي ، وعلى النص المضاد الذي اقترحه فيصل بعد ان
اجرى تعديلاً طفيفاً على بعض بنوده ، وبعد ان اضاف بنداً يقول انه ينبغي
الا توضع جيوش اجنبية على الارض السورية وبعد ان حدد مدة الاتفاقية
بـعشر سنوات ، كذلك من اراد الاطلاع على الشكل المعدل لها والذي سلم
سراً الى الكولونل غريبون (Gribbon) بواسطة ممثل فيصل في باريس ،
الجنرال حداد باشا ، راجع : Documents I: IV, pp. 593-595 and 624-626.

اما بالنسبة الى الفرنسيين فان هذه الاتفاقية لم تكن سوى مشروع اتفاق مؤقت ،
ولكنهم كانوا شديدي الاعتباط بتحقيقها . وفي الوقت نفسه قال الجنرال حداد
بكل وضوح ان الاتفاقية كانت من وضع الفرنسيين وان فيصل لم يوقعها ،
ولكنه حملها معه الى سوريا .

(١٠) وهذه الإشارة الى مطالب الحسين لم تقتصر على الذخيرة الحربية بل على المال ذهباً ، وعلى المؤن من ارز وطحين وشعير وبن وسكر . راجع الرسالة الرقم ٩ - من الشريف حسين الى ماكاهاون - المؤرخة ١٨ شباط ، ١٩١٦ في Cmd. 5957 pp. 15-16

وللاطلاع على النص العربي لهذه الرسالة راجع الملحق رقم ١ (١١) راجع نص الرسالة التي بعث بها فيكري (Vickery) الى جريدة التايمز بتاريخ ٢١ شباط ١٩٣٩ . ان العبارة العربية المشار اليها في رسالة فيكري مقتبسة عن رسالة ماكاهاون المؤرخة ١٠ آذار ١٩١٦ ، والتي بعث بها جواباً الى الشريف عن رسالته المؤرخة ١٨ شباط ١٩١٦ . وهي لا ترد في رسالة ماكاهاون المؤرخة ٢٤ تشرين الاول ١٩١٥ . وينبغي ان يكون فيكري قد جاء على ذكرها من تذكره لها عندما بعث برسالته هذه الى جريدة التايمز . وليست الكلمات هي الكلمات الصحيحة للترجمة الانكليزية ولكنها تنقل الى القارئ صورة مغلوطة كذلك التي انطبعت في ذهن الملك حسين عنها . النص الانكليزي الكامل لهذه العبارة هو هذا :

«I am pleased to be able to inform you that His Majesty's government have approved of meeting your requests...»

راجع Cmd. 5957 p. 17. اما الترجمة العربية الاصلية لهذه الرسالة التي ارسلت الى الشريف حسين فتحتوي ترجمة العبارة الانكليزية المشار اليها اعلاه على هذا الشكل : « وقد يسرني ان اخبركم بان حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم . . . » ويلاحظ ان لفظة « جميع » قد اضيفت في الترجمة العربية . راجع الرسالة الرقم ١٠ من ماكاهاون الى الشريف الحسين في الملحق الرقم ١

Lloyd George, vol. II, 1108-1109. (١٢) راجع جريدة الدايلي اكسبرس عدد الاول اذار سنة ١٩٢٠ . وفي العدد ذاته تقرير لمراسل الجريدة يروي فيه خبر مقابلة اجراها مع بعض زعماء الدروز في جبل الدروز (عبد الغفار بك الاطرش ونسيب بك الاطرش ، وعبد القاسم بك الاطرش ووهيب بك طليع) . وجميعهم عبروا عن عظيم استيائهم مما آلت اليه الحالة السياسية . وهم يرفضون بكل شدة الانتداب الفرنسي على انه « سياسة استعمارية » . وكانت العبارة الاخيرة التي تفوه بها نسيب بك الاطرش بمثابة نبوة تمت بعض انقضاء سنوات قليلة : « . . . قل لدولة بريطانيا انه اذا فرض الانتداب الفرنسي علينا فستنش حرب دائمة في طول البلاد وعرضها ، لان الناس يعلمون ان سوريا ستصبح اذ ذاك مستعمرة فرنسية » .

جريدة الدايلي اكسبرس ، عدد ٢٤ شباط ١٩٢٠ . (١٣) كتب السيد مارسل كاشن (Cachin) في جريدة الأومانيتيه (L'Humanité) بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٢٠ ، يقول : « ان الشعب السوري الذي كان قد تحرر من نير حكم لا يطاق ، والذي يتطلع منذ الان الى ان يعيش شعباً مستقلاً حراً لا

هوامش الفصل العاشر

(١) كانت السلطات العسكرية البريطانية قد القت القبض على ياسين باشا « الذي كان رئيس الاركان في جيش فيصل العربي » بطلب من الجنرال غورو . « يبدو استناداً الى معلومات تلقاها مدير الاستخبارات العسكرية (ثم ارسلت في ما بعد الى وزارة الخارجية في ٨ كانون الاول ١٩١٩) ان الاسباب التي دعت الى توقيف ياسين باشا هي انه يقوم بدعاية ناشطة ضد فرنسا ، كما انه كان يقوم بالاستعداد العسكري لمقاومة الاحتلال الفرنسي للمنطقة الزرقاء » . Documents I: IV, pp 564 n. 2 and 615.

ورد هذا الخبر في Documents I: IV p. 615 (٢)

المصدر ذاته (٣)

وكانت قد قامت في الثاني عشر من كانون الاول تظاهرات في دمشق ضد فصل والأمير زيد . وفي الرابع عشر منه ارغم رئيس الادارة الحكومية (الركابي باشا) على الاستقالة وحل محله عبد الحميد باشا الذي لم يلبث طويلاً حتى استقال ايضاً . المصدر ذاته ص ٦١٤ .

المصدر ذاته ص. ٥٦٥ . (٥)

(٦) يبدو ان هذه الذهنية التي تعمل بموجب سياسة « الامر الواقع » استمدت وحيتها في ذلك الى حد بعيد من العمل الذي قام به الشاعر الايطالي والطيار غبرييلي دانونزيو (D'Annunzio) كان الجنود الفرنسيون والبريطانيون قد احتلوا فيومي (Fiume) ويذكر القارئ ان الشاعر دانونزيو زحف على رأس جماعة من المتطوعة الايطاليين الى المدينة واحتلها باسم ايطاليا في ايلول ١٩١٩ . فانسحبت القوات الحليفة بعد انذار وجه اليها من دون قتال . والظاهر ان هذا العمل الباهر كان له مغزى في نفوس الوطنيين العرب ، كما انه كان عملاً مشجعاً يحتذى .

(٧) للاطلاع على كامل النص على القارئ ان يراجع كتاب الحصري : يوم ميسلون ص. ٢٣٤-٢٣٦ .

(٨) كان ابوه « الملك حسين » قد وجه اليه نقداً لاذعاً لاجرائه مفاوضات مع الفرنسيين في باريس . وكان الملك حسين يرغب « في بادية الامر » في ان يذهب الى سوريا بنفسه ، ومن ثم الى باريس ليمثل العرب في مؤتمر الصلح . راجع الريحاني « المجلد الاول » ص ٥٢ .

راجع Documents I: IV pp. 617-618 (٩)

- يريد « حمايتنا » ولا يرغب في « انتدابنا عليه » .
 (١٤) كانت الكاتبة الفرنسية الذائعة الشهرة وذات المعرفة النفاذة في تاريخ الشرق الأدنى السيدة برت جورج غوليس (Mme. Berthe-George Gaulis) في دمشق سنة ١٩٢٠ . وكانت قد قابلت الامير فيصل عدة مرات في باريس وفي بيروت . وقد كتبت مدام غوليس تقول « انه في اثناء غياب الامير في باريس كانت النفوس في حالة غليان في دمشق ، وكان الامير من بعيد قد اطلق الحرية في القول والفعل ، فتجسدت الوطنية ونمت ، كما ان الشعور المتطرف ذاته ساد حمص وحماة وحلب وبغداد » . وتضيف قولها : « ان الاحزاب المتطرفة ، يشجعها قيام هذه الفوضى الضاربة ، الهبت شعور الرأي العام الشرقي الذي نحن بدورنا نصر على ان لا وجود له » . راجع : Gaulis, p. 109
 (١٥) راجع الحصري ص . ٢٣٦-٢٣٨ والحكيم ص ١٣٦-١٣٨
 (١٦) للاطلاع على جواب المؤتمر السوري عن خطاب الامير فيصل والذي عبر فيه عن مناصرته التامة لفصيل وعن عزمه لاعلانه « ملكاً دستورياً على سوريا بحدودها الطبيعية » بتاريخ الثامن من آذار . راجع ايضاً الحصري ص . ٢٧١-٢٧٤ والحكيم ١٣٨-١٤١
 (١٧) للاطلاع على كامل النص لهذا القرار راجع الحصري ص . ٢٧٨-٢٨١ وراجع ايضاً الحكيم ص . ١٤١-١٤٣ .
 (١٨) في اليوم التالي ، التاسع من آذار ارسل رئيس المؤتمر السوري ، هاشم الاتامي ، رسالة الى الملك حسين يخبره فيها عن القرار الذي اتخذته المؤتمر ، وعن اعلان ابنه فيصل ملكاً على البلاد السورية . كما انه نقل اليه « شكر ابناء سوريا الاوفياء » على تمهيد السبيل لاستقلال بلادهم . للاطلاع على نص الرسالة بكامله راجع جريدة الحياة العدد ٢٤٠٥ بتاريخ ٧ آذار ١٩٥٤ الصفحة الاولى .
 (١٩) وقد اضيفت نجمة بيضاء في وسط المثلث الاحمر . وللإطلاع على وصف كامل للحفلة هذه وللبلافات المختلفة التي تليت راجع الجريدة السورية الرسمية العاصمة العدد ١٠٧ بتاريخ ٨ آذار ، والعدد ١٠٣ بتاريخ ١١ آذار ١٩٢٠ . وتخليداً لذكرى ذلك اليوم التاريخي صك دينار ذهبي ووضع قيد التعامل . واما الطوايع البريدية السورية فقد طبعت عليها العبارة الآتية : تذكّار استقلال سورية المتحدة ٨ آذار ، ١٩٢٠ »
 (٢٠) ذكريات علي جودت ، ص . ٨٨-٨٩ . راجع ايضاً جريدة القبلة (وكانت تصدر في مكة) العدد ٣٧٢ بتاريخ ٨ نيسان ١٩٢٠ ص . ١-٢ .
 (٢١) الملك عبد الله ، ص . ١٦٧ و ٢٤٢-٢٤٨ .
 (٢٢) الحصري ص . ٢٣٤ .
 (٢٣) للاطلاع على الرسالة التي بعث بها الركابي راجع الحصري ص . ٢٨١-٢٨٣ .
 (٢٤) المصدر ذاته ص . ٢٨٤-٢٨٨ . راجع كذلك جريدة العاصمة العدد ١١٤ بتاريخ الخامس من نيسان ١٩٢٠ .
 « اما الجواب الذي بعث به الجنرال اللنبي فليس معروفاً . غير ان الجنرال

- غورو قد بعث ببرقية ودية جداً مؤكداً فيها انه بصفته مفوضاً سامياً للجمهورية الفرنسية لا يستطيع ان يعترف بهذا القرار الذي اتخذ في دمشق ، ولكنه يقدم الى جلاله الملك الجديد اخلص تهانيه الشخصية » . راجع : Jeffries, p. 320
 زعمت جريدة الطان (Temps) الفرنسية في مقال لها بتاريخ ١١ آذار ، من بيروت ونقلته جريدة الدايلي تليفراغ بتاريخ ١٦ آذار ، ١٩٢٠ انه كان يبدو ان فيصل اخبر غورو بما كان سيحدث « ولكنه اوضح له ان اعلانه ملكاً لا يؤثر اطلاقاً في الصداقة القائمة بين فرنسا وسوريا » .
 وجدير بنا ان نشير الى رأي الجنرال غورو في فيصل : « لقد قال لي الجنرال غورو في بيروت عشية سفري الى دمشق عن فيصل انه في نظر جميع الناس الذين يعرفونه شخصية اخاذة . انه رجل ذكي الفؤاد ، دمث الخلق سريع الفهم . وهو ليس رجلاً متطرساً ويعمل بدأب ومثابرة »
 Gaulis, La Question Arabe, pp. 107, et 123.
 راجع ايضاً يوسف الحكيم ، سورية والعهد الفيصلي ص . ١٤٧-١٤٩ .
 (٢٥) راجع : Laurence, Evans United States Policy and The Partition of Turkey, 1914-1924, pp. 253-254.
 (٢٦) حروفش ص . ٦٢١ .
 (٢٧) راجع : Jeffries, pp. 322-327 .
 (٢٨) راجع المناقشات في البرلمان البريطاني في ١٨ آذار ١٩٢٠ :
 Parliamentary Debates, Fifth Series, vol. 126, 18th March, 1920, pp. 2359-2360.
 (٢٩) وكان الوفد المرافق له يتألف من السادة الامير توفيق ارسلان والشيخ يوسف الجميل والسيد اميل اده .
 (٣٠) راجع جريدة لسان الحال البيروتية ، عدد ٣٥٥ - ٥ - ٨ ، و ٣٥٦ - ٦ - ٨ بتاريخ ١٠ و ١١ آذار ، ١٩٢٠ .
 (٣١) مزهر ، يوسف : تاريخ لبنان العام (مجلد ٢) ص ٩١٦ .
 (٣٢) حروفش ص . ٦٢٠ .
 (٣٣) النص الاصيل الفرنسي لهذا الكتاب في المحفوظات الخصوصية للبطيركية المارونية في برككي .
 (٣٤) ذكر المؤلف احد كبار هؤلاء الضباط العراقيين ، السيد علي جودت الايوبي الحادثة الآتية قبل اكثر من ثلاث عشرة سنة من نشر كتابه . ذكريات علي جودت ، في سنة ١٩٦٧ :
 « ذات يوم ، وكان ذلك في اواخر شهر آذار توجهت مع ضابط زميل لي لتقابل فيصل . قلنا له : قبل ان ننضم الى الثورة العربية في الحجاز كنا ضباطاً عثمانيين في الجيش التركي . ونحن لم نحارب الى جانبك لانقاذ ما يعرف « بسوريا او بفلسطين » . لقد حاربنا معك لتحرير جميع البلدان العربية . وها انك جئت الى هنا واعلنت نفسك ملكاً على سوريا المستقلة .

ولكننا نحن عراقيون والعراق تحتله بريطانيا . فهل حاربنا الاتراك بغية تحرير بلادنا من حكمهم لنحل محلهم البريطانيين ؟ ولقد حاول في الاونة الاخيرة بعض اخواننا الرجوع الى العراق فممنعتهم السلطة البريطانية هناك وارغمتهم على العودة الى سوريا مهددة بالقبض عليهم وارسلهم اسرى الى الهند . وعليه عقدنا العزم نحن الضباط العراقيون على محاربة الانكليز لتحرير العراق . فاجاب فيصل ان العراق شأن من شؤون اخيه عبد الله وهو المرشح لعرش العراق . فقلنا له : امددنا بالسلاح وبالمال وارسل معنا اخاك الامير زيد ، عندها سنشكل عصابات في شمال العراق . لكن فيصل ابى علينا ذلك قائلا : اني اذا ارسلت اخي زيداً معكم فان ذلك يعني انني اعمل ضد البريطانيين ، وهذا امر ليس في مصلحتي في الوقت الحاضر كما انه ليس في مصلحتكم . غير اننا اصررنا والحننا في طلب العون منه ، واخيراً فتحنا خمسة الاف جنية مصري (وكانت العملة الرائجة آنذاك في التداول) . وذات ليلة فتحنا احد مخازن السلاح في دمشق وحملنا ما تمكنا من حمله من اسلحة على عربات وتوجهنا الى حلب . وهناك بدلنا العملة المصرية بليرات تركية ذهبية (والليرات الذهبية العثمانية مرغوب فيها اكثر من العملة الورقية) . ثم توجهنا من هناك الى دير الزور وشكلنا عصاباتنا وقمنا بعد ذلك بهجوم ناجح على تل عفر غرب الموصل . راجع ايضاً ذكريات علي جودت ، ص ٩٠-٩٦ .

(٣٥) افاد مراسل جريدة عربية في دمشق ان الحكومة العربية فيها عقدت العزم على التعاقد مع ضباط اترك بارزين من ذوي الخبرة الذين كانوا قد تسلموا مراكز سامية في الامبراطورية العثمانية . راجع جريدة لسان الحال البيروتية العدد ٢٦٤-٨٠١٤ بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٢٠ ص ٢ عمود ٣ .

(٣٦) كان المبعوث الرئيسي الى تركيا السيد سعيد حيدر احد اعضاء حزب الاستقلال البارزين في المؤتمر السوري العام ، واحد مؤسسي الجمعية السرية الشهيرة المعروفة « بالفتاة » . وقد قص سعيد حيدر على المؤلف خبر تلك الرحلة الى تركيا قال : « عندما كان فيصل لا يزال في باريس في سفرته الثانية اليها ، علمنا بمزيد من الأسى ومن خيبة الامل ان البريطانيين كانوا يلحون باصرار على فيصل بضرورة الوصول الى نوع من التفاهم مع الفرنسيين . وكان الامير زيد ، مثل فيصل في دمشق ، رئيس الحكومة آنذاك ، فطلب الى سعيد حيدر سراً من قبل الحكومة السورية ان يسافر الى تركيا في مهمة خاصة وان يتصل بزعمي الوطنيين الاتراك ، مصطفى كمال باشا وكان رفيقه في هذه البعثة بديع بكداش ، وكان ضابطاً رفيع الرتبة من اصل سوري وكان قد التحق بخدمة الجيش التركي وكان له عبر الزواج صلات وثيقة مع الاتراك من ذوي النفوذ . (ذلك بأنه قد تزوج بابنة رفعت بك ، رئيس مجلس الاعيان التركي ، وكانت اخت بديع بكداش زوجة السفير التركي في باريس) وفيما كان سعيد حيدر وبديع بكداش في بيروت يستعدان للسفر الى تركيا وصل فيصل الى بيروت عائداً من باريس في ٧ كانون الثاني ١٩٢٠ . فلما علم

فيصل بالمهمة المنوطة بهما استدعى سعيد حيدر وطلب اليه ان يتخلى عنها وان يعود معه الى دمشق . اما سعيد الذي كان مصراً على الذهاب الى تركيا وذلك لتخوفه من ان تصبح سوريا مستعمرة فرنسية فقال لفيصل انه يعمل بموجب اوامر صدرت اليه من الحكومة السورية وان عليه ان يطيع . واخيراً اذعن الامير وكف عن الطلب . فسافر المبعوثان على باخرة ايطالية متظاهرين بأنهما يقصدان مصر . وفي بور سعيد استقلا باخرة اخرى وسافرا الى استانبول . وعندما وصلا العاصمة التركية اخذا سراً الى اجتماع للتعرف الى اعضاء لجنة تمثل مصطفى كمال الذي كان في ذلك الحين في مدينة سمسون (Samsun) وبعد مفاوضات طويلة وضعت صيغة اتفاقية تتألف من اربعة بنود ترفع الى الحكومة السورية للموافقة عليها . والبنود الاربعة هي : اولاً : يجري بعض التعديل في حدود سوريا الشمالية لاسيما في منطقة الموصل . ثانياً : تنظيم جبهة مشتركة ضد الدول الغربية « من معان الى البحر الاسود » . ثالثاً : توضع القوات التركية والعربية تحت قيادة موحدة . رابعاً : في حال إسفار الجهود المشتركة المبذولة عن نصر ضد الغرب فان العرب والاتراك يعيشون جنباً الى جنب كل ضمن دولة مستقلة ولكن علاقتهم تكون على ما كانت عليه العلاقات بين النمسا وهنغاريا قبل الحرب عندما كانتا داخل الامبراطورية النمساوية الهنغارية . وتنظم هذه العلاقات بينهم اتفاقية مدتها خمسون سنة . هذه كانت الخطوط العريضة التي على اساسها كان الاتراك والعرب سيتعاونون للدفاع عن مصالحهما المشتركة ضد الغرب .

(٣٧) راجع المناقشات في البرلمان البريطاني ، الجزء ١٢٧ لسنة ١٩٢٠ :

Parliamentary Debates, House of Commons, vol. 127, Fifth Series, 1920, p. 186.

بعثت وزارة الخارجية البريطانية في ٢١ حزيران من العام ١٩٢٠ ببرقية بالشفيرة الى اللورد كرزون ، وزير الخارجية الذي كان في باريس وهذا بعض ما جاء فيها :

« انه بالنظر الى التقارير الواردة اليها حول الزيارة التي قام بها فيصل لمدينة حلب بغية الاجتماع الى مبعوثي مصطفى كمال باشا ، وبالنظر الى ما يبديه من عدم ثقة ظاهرة بنوايا فرنسا ، يبدو ان هناك ما يدعو الى القلق من ان يمد فيصل يده للتعاون مع الاتراك الوطنيين ما لم تسارع فوراً الى تبطينه .

« فهل لكم ان تحصلوا على ضمانات من وزير الخارجية الفرنسية من شأنها تبديد مخاوف فيصل من ان القوات الفرنسية لن تقوم باعمال عسكرية لا داعي اليها ؟ » . (راجع المستند ٣٧١-٥٠٣٥ - F.O. 371/5035 في وزارة الخارجية البريطانية) .

(٣٨) راجع المناقشات في البرلمان البريطاني ، الجزء ١٢٧ سنة ١٩٢٠ :

Parliamentary Debates, House of Commons, vol. 127, Fifth Series, 1920, p. 142.

(٣٩) وهذا وصف لما حدث في ذلك الاحتفال التاريخي كما اورده جريدة لسان الحال البيروتية ، عدد ٣٦٥-٨٠١٥ ، الصادر يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٣ آذار سنة ١٩٢٠ :
اخبار محلية

يوم امس في بعبدا
قبل ظهر امس بدأت الوفود اللبنانية المدعوة ترد الى بعبدا وهي مؤلفة من مشايخ القرى ومختاريتها ورؤساء المجالس البلدية والموظفين ومندوبي الجمعيات ورجال الصحافة وفريق كبير من وجهاء الطائفة الدرزية بينهم مصطفى بك العماد ورشيد بك جنبلاط وامين بك حمادة والشيخ امين تقي الدين ونجيب بك عبد الملك وشفيق بك الحلبي وعلي بك جنبلاط وغيرهم من الوجوه والاركان .
وكان المجلس الاداري اللبناني حينذاك يشغل بترجمة المواد التي تعرض على الوفود اللبنانية للتصديق عليها واساسها البنود الخمسة التي ذكرناها في عدد امس واهم ما كثر النقاش فيه مسألة تأليف لجنة للبحث في درس القانون الاساسي لحكومة لبنان الكبير ومسألة نشر العلم وكيفية شكله

وفيما هم يتناقشون في تهيئة الخطة المبدئية للاجتماع الكبير اقبلت عند الظهر طليعة وفد جمعية الطوائف المسيحية وكانوا يحملون العلم اللبناني الذي نوي رفعه فوق السرايا اللبنانية وهو علم مثلث الالوان ازرق فابيض فاحمر وفي البقعة البيضاء منه رسم الارزة .
وعند الساعة الثانية اقبلت سائر الوفود البيروتية واللبنانية فنزل رئيس المجلس الاداري واعضاؤه الى الرتاج الخارجي لاستقبال القادمين وعلان افتتاح الجلسة .

فوقف حضرة الرئيس حبيب باشا السعد وابان بكلمات وجيزة عن الغاية من دعوة اللبنانيين الى بعبدا وطلب اليهم ان ينتخبوا لجنة منهم تمثل جميع الاقضية للبحث في البنود المشار اليها بالاشترك مع اعضاء المجلس لان كثرة المندوبين تحول دون اشراك الجميع في المفاوضات مخافة ان ينتهي الامر الى الارتباك واللغب . . .
القاعة اكتظت بالحاضرين وحضر الحفلة حضرة القومندان لابرئ حاكم الجبل وافتتحها بكلمات شكر بها عواطف اللبنانيين نحو فرنسا وثقتهم بها وقرأ عليهم نبأ برقياً وارداً من المسيو ميلران رئيس الوزارة الفرنسية يسكن به خواطر اللبنانيين ويؤكد ان الحركة في الداخلية لا تؤثر في شيء على مساعي الوفد اللبناني في باريس . . .
ونقل كلماته الى العربية - منيرة وديع افندي كرم الترجمان الاول للقومسيرية العليا .

ثم تكلم حضرة حبيب باشا السعد داعياً الجمع المحتشد الى المناقشة في تقرير مصيره استناداً الى البنود الخمسة التي سبق للمجلس الاداري فاذاها على الملأ اللبناني .

ثم قرأ حضرة رشيد بك نخله البنود الخمسة بندا بندا لتأييدها والاعتراض عليها فوافق الكل بالاجماع على البنود الثلاثة الاولى المتضمنة اعلان استقلال لبنان الكبير والاحتجاج على اللبنانيين الموجودين في الشام . وهنا اشتد الجدال في البندين الاخيرين وانتهى الامر الى الموافقة عليهما وعندئذ رفع العلم اللبناني الذي احضره وفد جمعية الطوائف المسيحية .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر رفع العلم الوطني الجديد فوق سرايا بعبدا وحياء الجنود اللبنانيون وقد عهد في رفعه الى حضرة الضابط الشيخ رشيد الخازن .

تلك صورة ما حدث في احتفال امس التاريخي نشرناه والوفود منا يخفق سروراً لاجتماع كلمة الشعب اللبناني على ما يرون فيه مصلحة الامة وقد تجسست العواطف الوطنية في شعب يرى من مصلحته وضع اليد في اليد وهذه خطوة الى الامام ينظر اليها بعين الرضى فان لبنان وبالتالي ابناء لبنان الحاضرين والغائبين يعملون بقلب واحد ما فيه خير الوطن وما سعادة الاوطان الا في اخلاص ابنائها المجسم .

هوامش الفصل الحادي عشر

(١٢) لقد استنكر لويد جورج الخطوة التي اتخذتها فرنسا، بلغة صريحة معتبراً عملها هذا بمثابة « خيانة ». فقد كتب يقول : « في أثناء هذه العملية التعيسة (مثيراً بذلك الى اندحار الجيش اليوناني بصورة مزرية) كانت بعض القوات الخليفة تلعب دور المخادع الغادر . فقد باع الايطاليون سلاحاً من مصطفى كمال لمحاربة اليونانيين وقبضوا ثمنها اموالا كانت روسيا تعد بها الاتراك . كما ان الحكومة الفرنسية كانت تفاوض لعقد معاهدة سرية مع (مصطفى) كمال وراء ظهر الحكومة البريطانية » .

راجع : Lloyd George, Vol. II, p. 1349 (١٣)
الريحاني ، ملوك العرب ، المجلد الاول ، ص. ٣١١
(١٤) « انه بفضل المجلس الاعلى فقد منحت الدول الخليفة العظمى فرنسا الحق في الانتداب على سوريا التي لم تغير قط عزمها على منح لبنان استقلاله تحت الانتداب الفرنسي » .

راجع : المحفوظات الخاصة للبطريركية المارونية في بكر كي .
للاطلاع على كامل النص راجع الملحق العدد ١١
للاطلاع على كامل نص الخطبة على القاري ان يراجعه في الحصري ص. ٢٣٩-٢٤٢ (١٥)

(١٦) يقول السيد عبد الرحمن شهنبر ، وزير الخارجية في آخر حكومة فيصلية ، ان هناك سبباً اخر لمعارضته عودة فيصل الى اوروبا هو الدعاية الخبيثة التي كانت تبثها بعض الاوساط السورية لزرع بذور الشك والريبة حول عودته الى اوروبا . تقول هذه الدعاية ان فيصل سيبيع سوريا من فرنسا بموجب اتفاقية سرية . راجع مقال عبد الرحمن شهنبر عن « فيصل بن الحسين » في مجلة المقتطف ، المجلد ٨٣ ، الجزء الثالث (القاهرة ١٩٣٣) ص. ٢٥٧-٢٦٧ . راجع ايضاً الريحاني : فيصل الاول ، ص. ٢٧ .

(١٧) بعث مراسل جريدة الغازت دي لوزان (Gazette de Lausanne) من باريس بالخبر الآتي المتعلق بسوريا :

مجلس النواب - القضايا الشرقية ، باريس ، في ٢٦ حزيران : -
« ان البحث حول موازنة وزارة الشؤون الخارجية مستمر . وقد صرح السيد ميلران في ما بعد ان فرنسا لا تستطيع التخلي عن سوريا ، لان عملاً كهذا سيعرض وضع فرنسا في البحر الابيض المتوسط الى الخطر ، كما انه سيقضي على كل التقاليد التي تربطها بسوريا . وأضاف اننا ذاهبون الى سوريا لمنح الجماهير السورية ما تحتاج اليه من عون ومساعدة . . . هذا هو الدور الحضاري الذي ستولاه فرنسا في سوريا ، فاذا كنتم لا ترضون عن هذا الامر تكونون كن يصوت على وجوب تخلي فرنسا عن مصالحها الواضحة وعن واجبها الاقدس » .

Gazette de Lausanne — Dimanche, 27 Juin, 1920, No. 177- p. 4,
Col. 1.

(١٨) الحصري ، ص. ١١٨-١١٩

Papers Relating to the Foreign Relations of the United States Vol. (١)

XIII p. 95

Lloyd George, Vol. I, pp. 114-115. (٢)

Great Britain, Cmd. 1195 — Miscellaneous No. 4 (1921) (٣)

Great Britain, Cmd. 675 — Miscellaneous No. 11 (11920) (٤)

Lloyd George, Vol. I, p. 622 راجع : (٥)

في الخامس والعشرين من حزيران ذكر السيد دلاديه (Daladier) في مجلس النواب ، عند اشارته الى الانتداب على سوريا الذي حصلت عليه فرنسا في مؤتمر سان ريمو ، انها كانت غلطة خطيرة ارتكبتها فرنسا عندما وضعت يدها على سوريا وحاولت السيطرة عليها . قال : « يتكلم الناس احياناً عن التغفل السلمي ، واما الان فانكم تتكلمون عن الانتداب . وفي الحقيقة انكم تعرضون الانتداب عليهم برؤوس حرايبنا » .

Journal Officiel, Débats Parlementaires, Vol. IV, 25th June 1920
p. 2431.

Smuts, J.C., The League of Nations — A Practical Suggestion (٦)

(London 1918) p. 11.

(٧) كتب السيد روبر دي كاي (de Caix) ، الذي كان في اوائل الانتداب الفرنسي الامين العام للمفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان ، في جريدة (L'Europe Nouvelle) بتاريخ ١٦ آذار من العام ١٩٢٩ يقول :
« ان الانتداب على سوريا ولبنان منح لفرنسا من قبل الدول الخليفة العظمى في اثناء انعقاد مؤتمر سان ريمو عند مطلع سنة ١٩٢٠ - وهذا الانتداب بصيغته الحالية تجسيد للاتفاق الذي وقع بين الانكليز والروس في شهر ايار من السنة ١٩١٦ والذي ، من جملة بنوده، الاعتراف بالعراق كمناطق نفوذ بريطانية ، وبسوريا كمناطق نفوذ فرنسية » .

الحصري (الترجمة العربية) . ٢٩٠-٢٩١ (٨)

المرجع نفسه (الترجمة العربية) ص ٢٨٩ - ٢٩٠ (٩)

للاطلاع على النص الكامل للبيان الوزاري راجع الحصري ص. ٢٥٨-٢٥٩ (١٠)

الحصري ، ص. ٢٥٥ (١١)

راجع أيضاً : - Lloyd George, Vol. II, pp. 1111-1112.

(١٩) راجع : Catroux, Deux Missions en Moyen-Orient, pp 218-219.

(٢٠) للاطلاع على النص الكامل لهذه الرسالة راجع المصري ، ص ٢٩٤-٢٩٦

(٢١) المصدر ذاته ، ص. ٢٩٦

(٢٢) المصري ص. ٢٩٦-٢٩٩

(٢٣) من المفيد ان نذكر انه في هذا الوقت بالذات كان المؤتمر السوري العام

منهمكاً بالقراءة الثانية لمسودة الدستور الذي كان قد وضعه والمؤلف من ١٤٨

مادة . وبموجب هذا الدستور تصبح سوريا ملكية دستورية لها مجلس نواب

ومجلس شيوخ . في الثاني عشر من تموز تمت مناقشة المواد السبع الاولى واقرت

عند القراءة الثانية ولكن المؤتمر لم يتمكن من انجاز القراءة الثانية لجميع المواد

بسبب وقوع ازمة الانذار الذي ارسله الجنرال غورو . راجع جريدة العاصمة

العدد ١٤٠ بتاريخ ١٤ تموز ١٩٢٠ ص. ٣-٢ . راجع أيضاً المصري ص.

٢٦٢ . ونجيب الأرمنازي : محاضرات عن سوريا ص. ٣-٤ . Rémusat, pp. 11-12.

العربي ، المجلد ٣ ، ص . ٢٠٥-٢١٠ . لمراجع نص الدستور بكامله راجع

دساتير البلاد العربية التي نشرتها الجامعة العربية في معهد الدراسات العليا

(القاهرة ١٩٥٦) ص. ٢٢-٣ .

(٢٤) حروفش ص. ٦٣٥-٦٣٦ .

(٢٥) راجع Documents I: IV, p. 614

(٢٦) للاطلاع على صورة فوتوغرافية لهذه المضبطة راجع جريدة الحياة البيروتية العدد

٢٠٠٩ بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، ص. ١ . راجع أيضاً يوسف مزهر :

تاريخ لبنان العام ، المجلد ٢ ، ص. ٩٢٠-٩٢٥ . يقول الدكتور مزهر : « وفي

١٠ تموز سنة ١٩٢٠ وضعت المضبطة ووقعها سبعة من اعضاء المجلس هم :

سعد الله الحويك ، خليل عقل شديد ، سليمان كنعان ، محمود جنبلاط ، فؤاد

عبد الملك ، الياس الشويري ، محمد الحاج محسن وتحلف يوسف البريدي ، وكان

متضامناً مع الموقعين ، بسبب مرضه - وارسل نسيبه مخول القاصوف للاشتراك

في اجتماعاتهم وواعد بأن يلحق بهم الى دمشق ولم يكشفوا داود عمون وحبيب

باشا السعد » .

(٢٧) بعد محاكمتهم امام مجلس عسكري نفوا اولاً الى جزيرة ارواد ومن ثم الى

كورسيكا ، وبعدها الى باريس . ثم افرج عنهم وسمح لهم بالعودة الى لبنان

سنة ١٩٢٣ . المصدر ذاته ص. ٩٢٧ . وكان من نتائج هذا الحادث ان النفي

مجلس ادارة لبنان بقرار من الجنرال غورو في ١٢ تموز ١٩٢٠ : -

Arrêté No. 273 — Beyrouth, le 12 Juillet 1920: «Art. 1. — Le

Conseil Administratif du Liban, dans L'impossibilité d'exercer

son mandat, est dissous.»

— Recueil des Actes administratifs du Haut-Commissariat de la République Française en Syrie et en Liban, Année 1919-1920, Vol. I. p. 105.

(٢٨) هكذا في اصل الرسالة : «Il y a deux ou trois jours, j'étais averti que

L'Emir Faïçal avait envoyé à Beyrouth 40,000 livres pour

a cheter des Libanais, leur faire renier leur pays et la France».

(٢٩) من محفوظات البطريركية المارونية في بركي .

كان المطران اغناطيوس رئيس اساقفة الطائفة المارونية في بيروت قد وضع

نص برقية الى السيد ميلران ، رئيس الوزارة الفرنسية عن لسان البطريرك

الماروني . وما لا شك فيه كان هذا بايعاز من الجنرال غورو نفسه . وقد

ارفق غورو هذه البرقية بالرسالة التي بعث بها الى البطريرك . وتعتبر البرقية التي

صاغها المطران مبارك « عن ولاء المواطنة واساقفتهم لفرنسا » . وعن شديد

استنكارهم « للعمل الارعن الذي يتصلون من تبعته ويستنكرونه بالاجماع » .

(٣٠) كان الامير عادل ارسلان احد مستشاري فيصل سنة ١٩٢٠ ، وقد جرت

للمؤلف مقابلة معه انكر فيها انكاراً قاطعاً امر الرشوة ، ونفى بشدة التهمة التي

الصقت باعضاء المجلس الاداري اللبناني . وكان الامير عادل قد نشر في

جريدة الحياة البيروتية بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٥٢ ، تقريراً مفصلاً

عما حدث من احداث قبل توقيف الاعضاء الثمانية . اما امين الريحاني فقد

ذكر ، في سنة ١٩٢٤ ، ان الدراهم ارسلها فيصل بواسطة وسيطه نوري

باشا السعيد غير ان الايصال وقعه السيد عارف النعماني احد اعيان بيروت الذي

كان شديد الولاء لفصيل . فقد كان ذلك المبلغ من المال ضرورياً لدفع نفقات

« الوفد اللبناني » المسافر الى اوروبا بطريق حيفا ، واذا اقتضى الامر فالى

الولايات المتحدة - راجع امين الريحاني : ملوك العرب ، المجلد ١ ، ص. ٣٢٢

راجع ايضاً اسكندر رياشي في كتابه ، قبل وبعد ، ص. ٢٦ حيث يؤكد ان المال

كان « رشوة » لشراء عشرة اعضاء من اصل الاثني عشر عضواً ، وان الذي دفعه

كان عارف النعماني .

غير ان عارف النعماني اعطى اخيراً الجواب النهائي عن السؤال : « من اين

اتي المال ؟ » «ففي مطلع سنة ١٩٥٥ اخبر محمد قرا علي الذي كان يميل عليه

مذكراته بقوله : « اني دفعت كل المبلغ ، » فقد دفعت ١٢٠٥٠٠ ليرة

ذهبية لتوزع على اعضاء مجلس الادارة» راجع جريدة الحياة البيروتية العدد

٢٠٩٣ بتاريخ ٤ آذار ١٩٥٣ ، ص. ٧ .

وقد نشرت مذكرات النعماني تباعاً في جريدة الحياة سنة ١٩٥٣ . نشرها

محمد قرا علي . راجع الاعداد من ٢٠٨٣ الى ٢١١٠ ، من شباط الى ٢٤

آذار سنة ١٩٥٣ .

كان النعماني تاجراً غنياً ، محترماً ، كما انه كان رجل بر واحسان . وكان

صديقاً حميماً لفصيل والعائلة الهاشمية . ومن اشد انصار الدعاة للقضية العربية

وكان ينفق بسخاء على هذه القضية وقد نفى الى جزيرة كورسيكا مدة سنة ونصف

السنة . وعندما افرج عنه وعاد من منفاه استقبلته الجماهير على الميناء استقبالا ملكياً .

في سنة ١٩٢٤ ، عندما هاجم الوهابيون الحجاز تنازل الملك حسين عن العرش

لمصلحة ابنه علي. وكان الملك علي في أمس الحاجة الى المال. فلجأ الى النعماني واستدان منه ٢٢٣٠٠ ليرة ذهبية لدفع نفقات الحكومة العربية ولدفع مرتبات الجيش المرابط على مقربة من مكة. وفي شهر كانون الاول ١٩٢٥ هزم الملك علي وتنازل عن العرش ولجأ الى العراق حيث توفي سنة ١٩٣٤. فكان من الطبيعي ان الدين هذا لم يدفع، وكل ما تبقى منه هو ورقة الايصال الموقعة بخط الملك علي. هذا والمؤلف يعترف بالجميل والشكر لآل النعماني الذين اطلعوه على هذه الوثيقة التاريخية الموقعة باسم الملك علي. راجع كذلك جريدة الحياة البيروتية العدد ٢٨١٥ بتاريخ ٨-٥ تموز ١٩٥٥.

(٣١) يجد القارئ النص الفرنسي للرسالة هذه في حرفوش ص. ٦٣٨-٦٣٩.

هوامش الفصل الثاني عشر

كانت العملة المتداولة بين الناس، بعد ان احتلت جيوش الحلفاء سوريا ولبنان، مصرية ورقية وليرات ذهبية تركية وانكليزية. وكان على الادارة الفرنسية ان تتعامل ايضاً بالعملة المصرية المضمونة بالاسترليني. وفي سنة ١٩١٩ سمحت السلطات الفرنسية بتأسيس مصرف سوريا. وقد تم الاتفاق مع الخزينة الفرنسية في ٨ و ٢٨ نيسان ١٩١٩ على اصدار عملة سورية ورقية مبنية على الفرنك الفرنسي. وكانت الوحدة «الغرش»، فكانت كل خمسة غروش تساوي فرنكاً وكانت الليرة تساوي مئة غرش. راجع: -

Recueil des Actes Administratifs du Haut-Commissariat, Arrêté

No. 129, p. 24.:

في رسالة شخصية ارفقها الجنرال غورو بالانذار المشار اليه، التمس من «سمو الامير فيصل» ان ينصت الى صوت التعقل وان يتخلص من حكومته التي لم تكن تمثل سوى الفئة المتطرفة من الشعب. وختم الجنرال غورو هذه الرسالة الشخصية بقوله: «اني لا استطيع ان اعول في تنفيذ الضمانات التي تشرفت بطلبها من سموكم الملكي اذا تولت الحكومة الحاضرة. فبقاؤها في الحكم ينطوي على معنى العداء لفرنسا، وعلى جر بلاذكم الى الحرب وويلاتها. والقرار الذي سيتخذه سموكم الملكي هو الامر الوحيد الذي يجنب البلاد وويلاتها».

Pichon, *Sur La Route des Indes*, p. 362.

هذه ترجمة بعض النقاط المهمة للانذار. راجع ملفات وزارة الخارجية البريطانية F.O. 371/5038 - رسالة الجنرال اللنبي الى اللورد كورزن (Curzon) وزير الخارجية البريطانية، المؤرخة ٣٠ تموز ١٩٢٠. راجع ايضاً لويد جورج في كتابه: - *The Truth About the Peace Treaties*, Vol. II. pp. 1111-1112.

الريحاني: ملوك العرب المجلد الاول ص. ٣٢٢-٣٢٤، وهبه ص. ٢٠٦-٢٠٨ انظر Pichon, pp. 353-361; *L'Europe Nouvelle*, No. 46, Decembre 12, 1920, pp. 1849-1851

نشرت جريدة غازت دي لوزان (Gazette de Lausanne) في عددها الرقم ٢٠٣ الصادر نهار الجمعة الواقع فيه ٢٣ تموز ١٩٢٠ (ص. ٤ عمود ٤) خبراً على غاية من الغرابة حول الانذار الذي بعث به غورو الى فيصل وردها

من مراسلها في باريس . يقول هذا المراسل الصحافي انه بناء على معلومات حصل عليها من مصادر مطلعة لا يرقى الشك الى صحة معلوماتها ان الجنرال غورو ارسل الانذار الى الامير من دون اعلام الحكومة الفرنسية به مسبقاً . ويتساءل هذا المراسل عما اذا كان غورو قد قام بهذا الامر منفرداً خشية معارضة بعض الوزراء في الوزارة الفرنسية وحمله على تلطيف الشروط التي بعث بها وتعديلها ، او انه كان يرغب في مجانية مناقشات طويلة مع باريس في الوقت الذي كان يحرص على ابقاء الخطة سرية مما يضمن لحملته العسكرية النصر .

الى اي حد كان عامل الطموح لدى الجنرال غورو هو الذي دفع به لارسال الانذار ؟ « قد يكون الجنرال الذي كانت تستولي على خياله ذكريات الماضي اراد ان ينهي مجاده العسكرية بانتصار شرقي معاملاً حليفاً وكأنه عدو ، ويضطلع حكومة عسكرية وطنية محبة الى رعاياها ، فيفوز بأمجاد يسيرة عند دخوله دمشق المدينة المفتوحة ، راكباً جواداً ابيض تحف به الدبابات وتحلق فوقه الطائرات » .

Paul de Rémusat, *Les Cents-jours du Roi de Syrie* (Extrait de la Revue des Etudes Historiques — Paris, Avril — Juin, 1924) p. 1.

- (٤) يجد القارئ نص البرقية في الحصري ص ٣٠٨-٣٠٩
- (٥) الحصري ص ١٢٢ . روى احد كبار الضباط مؤلف هذا الكتاب الرواية المفجعة الآتية : قال « عندما كنا نبحث مع فيصل في احد اجتماعاتنا قضية نقص الذخيرة ، غادر احد المتحمسين الغلاة قاعة الاجتماع وعاد الينا بعد مضي نصف ساعة تقريباً ومعه مندب له وفيه رصاصات مدس وبعض خرطوش البنادق من عيارات مختلفة . فوضع المندب قرب فيصل وقال لنا بسذاجة : « اشترت هذه الرصاصات من احد الدكاكين في المدينة . من قال لكم انه ليس في البلاد ذخيرة ؟ »
- (٦) يقول الحصري (ص ١٢٥ من كتابه يوم ميلون) ان الانكليز انفسهم ، نصحوه الملك فيصل بعدم رفض الشروط الفرنسية . ويظن ان فيصل استشار الجنرال اللنبي الذي اشار عليه بأن يقبل شروط غورو من دون تردد . راجع جريدة العمل بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٥٤ ، العدد ٢٥٠١ ، ص ٦ ، يقول الكاتب استناداً الى مصادر حسنة الاطلاع ، ان فيصل طلب تدخل الانكليز عندما تسلم الانذار الفرنسي . ولكن قيل له ان امر الانتداب على سوريا اعطي الى فرنسا ، وعليه ان يتصل بالحكومة الفرنسية . وما تجد الاشارة اليه ان الحكومة الفرنسية لم تشعر الحكومة البريطانية بانها سترسل انذاراً الى فيصل .
- (٧) للاطلاع على النص الكامل لهذا القرار راجع الحصري ، ص ٢٧٤-٢٧٥
- (٨) الأرمنازي ، ص ٤-١٢
- (٩) *Parliamentary Debates, House of Commons, Fifth Series, Vol. 132, Col. 39.*
- (١٠) لم تكن الوزارة السورية تعلم آنذاك ان فيصل بعث الى الجنرال غورو ببرقيتين الاولى منهما بواسطة الكولونل تولا (Toula) في ١٨ تموز وفيها يعبر

- عن « قبوله بشروط الجنرال غورو مبدئياً وشخصياً » فأجاب غورو عن هذه البرقية في ١٩ تموز يقول ان المقصود ليس قبولها فحسب ، بل هو تنفيذ احكامها . كما انه وافق على تمديد مهلة الانذار حتى ٢١ تموز عند منتصف الليل . « عليه فقد قررت ان لا تحرك جيوشي قبل ٢١ تموز عند منتصف الليل » . اما البرقية الثانية فقد ارسلها فيصل بواسطة اللفتنت كولونل كوس (Couse) ضابط الارتباط الفرنسي في دمشق . ان مضمون البرقية الثانية ليس معروفاً ولكن من جواب كوس ، بالنسبة عن غورو يستطيع المرء ان يلاحظ ان الجنرال غورو كان راضياً عن البرقية وأكد كوس لفصل مرة ثانية ان الجيش الفرنسي لن يزحف الى حلب قبل ٢١ تموز عند منتصف الليل ، وانه سيصلها بعد ثلاثة ايام . وينتظر الجنرال ان يتم تنفيذ مضمون الرد الذي بعث به فيصل بصورة رسمية . ويختتم كوس برقيته بأعطاء فيصل تأكيدات من قبل غورو بان سوريا ستلقى كل رعاية وعطف وعدالة . وليس هناك من مبرر للتخوف من الانتداب اذ انه لمصلحة فيصل ، ومن الخير له ان يقبل بالشروط التي نص عليها الانذار الذي وجهه اليه غورو . - راجع نص البرقية بكاملها في الحصري ص ٣٠٩-٣١٠ .
- ذكر فيصل في المذكرة التي بعث بها الى لويد جورج في ١١ ايلول ١٩٢٠ ، انه تلقى من اللورد كرز ، قبل ان يحتل الفرنسيون دمشق بثلاثة ايام ، كتاباً يحث فيه على ان لا يتخذ موقفاً عدائياً من فرنسا مهما تكن الاحوال والظروف . - راجع العياشي الايضاحات السياسية ص ١٤٣
- (١١) راجع اسعد داغر : « مذكراتي » ص ١٣٩-١٤١
- (١٢) وهذا نص البرقية التي ارسلها فيصل الى الجنرال غورو في ٢١ تموز ١٩٢٠ : « حضرة الجنرال غورو : بعد قبولي بكافة الشروط المنصوص عليها في مذكرتك المؤرخة ١٤ الجاري - الامر الذي لم يمنع الجيوش الفرنسية من متابعة زحفها الى دمشق - ورغبة مني في الحيلولة ، حتى آخر لحظة ، دون اراقة الدماء بلا طائل ، - اطلب اليكم عقد هدنة بين الجيشين المتحاربين تسمح لنا بالمحادثة وفقاً لما اشرتم اليه في برقيتكم . المرسله هذا اليوم . وقد اوفد اليكم ممثل عن حكومتني للتفاوض معكم باسمها . التوقيع : فيصل » . (راجع الحصري ، ص ٣١١)
- (١٣) لاحظ الرجلان الحصري وتولا ، وهما في طريقهما الى لبنان ان الجيش السوري كان يقوم باتخاذ اجراءات دفاعية قرب خان ميلون على مسافة ٢٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من دمشق ، على التلال المطلّة على وادي الزر زور . وكان يوسف العظمة نفسه قد اختار ذلك الموقع لحشد جنوده فيه . كما انهما شاهدا كتاب من الجيش الفرنسي مع دباباته . وتوقف الوفد في مقر قيادة الجنرال غوبه (Goybet) قائد الحملة الفرنسية الزاحفة نحو دمشق . وقد افلح الحصري في الحصول على هدنة مدتها ٢٤ ساعة كي يتمكن في خلالها من مقابلة الجنرال غورو للتفاهم معه . راجع الحصري ص ١٣٣ .
- (١٤) راجع الحصري ص ١٣٥-١٤٦ . وهذه هي الوثيقة الوحيدة في اللغة العربية

حول هذا الموضوع . اما في الوثائق الفرنسية بشأن هذا الموضوع بالذات فلدينا تقرير غفل من الامضاء في مكتبة ويدنر (Widener) في جامعة هارفرد (Harvard) يجد القارئ هذا التقرير في الملحق الرقم « آ » ص. ٥٣٣-٥٤٠ في كتاب : William Ernest Hocking, *The Spirit of World Politics*

ويبدو ان الحصري نفسه قد كتب هذا التقرير .

(١٥) جاء في مقال نشر في جريدة مورننغ بوست (Morning Post) بعنوان « فيصل يوضح » وبتاريخ الاول من شهر تشرين الاول ١٩٢٠ ، ما يأتي : « يقول فيصل في بيانه بشأن الثورة السورية انه ارسل في العشرين من تموز عند الساعة الخامسة والنصف من بعد الظهر ، اي قبل انتهاء مدة الانذار بست ساعات ونصف الساعة جواباً مفصلاً الى ضابط الارتباط السياسي الفرنسي في دمشق » . راجع ايضاً وهبه ص. ٢٠٩ .

(١٦) في هذه الرسالة يبحث الجنرال غورو الملك فيصل على « ابعاد المتطرفين من حوله لضمان تأسيس العلاقات الودية بين سوريا وفرنسا وتطبيق الانتداب الذي قبلته فرنسا بناء على قرار جمعية الامم في جو مشجع بروح التفاهم والاخلاص » . وتلي ذلك تأكيدات الجنرال السابقة بان « الانتداب لا يقصد منه الاختلال باستقلال البلاد » . الحصري ص. ١٥٢ راجع ايضاً : Pichon, p. 362

(١٧) يجد القارئ ترجمة البرقية في الحصري ، ، ص. ١٥٣-١٥٤

(١٨) عندما اطلع لورنس على هذه الاحداث في سوريا كتب رسالة وبعث بها الى جريدة التايمز ، وهذا بعض ما جاء فيها :

« لقد ثار العرب في اثناء الحرب ضد الاتراك ليس لان حكم الاتراك كان حكماً سيئاً وانما حاربوا في سبيل نيل استقلالهم . وما جازف العرب بحياتهم في ساحات المعارك ليستبدلوا سيداً بسيد ، او ليصبحوا من رعايا بريطانيا او فرنسا بل ليصبحوا اسدياً في ديارهم » . عن جريدة التايمز بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٢٠ ، ص. ١٣ العمود ٣ .

(١٩) الحصري ص. ١٥٥-١٥٦ . وتجدر الإشارة الى ان القنصل الاميركي قال لسلطان الحصري عند بدء الاجتماع ان حكومته « قررت منذ مدة عدم التدخل في شؤون السياسة الأوروبية » .

(٢٠) الحصري ص. ١٥٨ . راجع كذلك Storrs, P. 430

(٢١) راجع : « L'Oeuvre de la France en Syrie- 1. Le Général Gouraud Pacificateur. »

في مجلة : *Revue des Deux Mondes* (Paris, 1921) الجزء ٦١ ص. ٨٢٤-٨٢٥ .

راجع ايضاً : Pierre Lyauty, *Le Drame Oriental et le Rôle de la France* (Paris, 1923)

ص. ١٦٩ .

وفي ٢٤ تموز ارسل فيصل برقية مقتضبة الى والده، الملك حسين، يخبره فيها ان الحرب قد نشبت ، ويضيف قوله « والنصر من الله » . وقد سبقت ارسال هذه البرقية برقيتان اخريان الى الملك حسين ، في ٢١ تموز و٢٣ تموز التمس فيصل فيهما من ابيه ان يرسل اليه فوراً بعض المعونة . وفي برقيته المؤرخة ٢١ تموز اخبر والده ان قوات الجنرال غورو تزحف باتجاه دمشق على الرغم من انه (اي فيصل) كان قبل الانذار الذي بعث به غورو اليه . وقد لفت نظر العالم المتمدّن الى هذه الجريمة النكراء مطالباً بالعدل والانصاف . وقد بعث الملك حسين بنسخ عن هذه البرقية الى ممثلي الدول الغربية في جده طالباً اليهم ان يقوموا « بما يقضيه الواجب » . وختم كلامه بقوله انه يخشى ان تهب الامة العربية للدفاع عن كرامتها . كما ان نص البرقية التي بعث بها فيصل ارسل الى وزراء الخارجية البريطانية والاطالية والولايات المتحدة واليابانية والبلجيكية ، مرفقاً باحتجاج من لدن الملك حسين . راجع جريدة القبلة ، العدد ٤٠٣ ، بتاريخ ٢٦ تموز ١٩٢٠ ص. ٢-١ .

(٢٢) من الصعب ان نسمي التصادم الذي وقع في ميسلون بين الجيش الفرنسي المجهر بأحدث الاعتدة الحربية وبين الجيش العربي معركة حربية بالمعنى الصحيح ، لان الجيش العربي كان مؤلفاً من جنود متطوعين غير نظاميين من اهل المدن ومن البادية ، قليل التدريب وناقص العتاد .

ذكر الجنرال غوايه القائد العام للجيش الفرنسي الذي زحف الى دمشق ، في مجلة *Revue des Troupes du Levant* العدد ٥ ، بتاريخ كانون الثاني من السنة ١٩٣٧ ان عدد القتلى في معركة ميسلون من الجانب الفرنسي بلغ ٥٢ قتيل و ٢٠٠ جريح . اما عدد افراد الجيش العربي فلم يعرف لإنعدام الوثائق الرسمية . ولكن يقدر انه كان هناك قرابة ٦٠٠ جندي نظامي فقط من بقايا الجيش العربي الذي كان قد سرح وبين الفين واربعة الاف جندي غير نظامي اكثرهم من المتطوعين « المجاهدين » . راجع امين الريحاني ، المجلد ١ ص. ٣٢٨ ويوسف الحكيم ، ص ١٩٦-١٩٧ و Pichon, p. 330 . و راجع جريدة العمل البيروتية العدد ٢٥٠٧ بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٤٥ ، ص. ٦ العمود ٢ ، راجع كذلك داغر ص. ١٤٢-١٤٥ .

وفي مقابلة اجراها مراسل جريدة المورننغ بوست (Morning Post) الخاص مع فيصل في فندق بلاس (Palace) في مدينة ميلان في الاول من ايلول ١٩٢٠ قال فيصل « لمناسبة الكلام عن ميسلون » : « لقد سرحت جيشي وابقيت ٣٥٠ جندياً فقط مع عدد من المتطوعين من دمشق يراوح عددهم بين الف والفي متطوع . ثم وقعت المعركة فكانت بالنسبة الى العرب مذبة » .

راجع المقال الموسوم بـ « مستقبل سوريا : مقابلة مع فيصل - مهمته في اوروبا » الذي نشرته جريدة المورننغ بوست بتاريخ ٦ ايلول ١٩٢٠ . وقد قص اثنان من الجنود غير النظاميين نجحوا من معركة ميسلون على المؤلف ان الامر لم يقتصر على نقص في الذخيرة فحسب وانما عندما بدأت المعركة اكتشفوا

ان الرصاص والخرطوش الذي وزع عليهم لم يكن من عيار الاسلحة بين ايديهم. لذلك لا يسع المرء الا ان يشعر بشيء من الغرابة حين يقرأ في البلاغ الرسمي الذي صدر عن السلطة العسكرية في بيروت مساء يوم معركة ميسلون ، ٢٤ تموز ، ان تلك المعركة التي وقعت صباح ذلك اليوم « فتحت قتالا شديداً . . . فقامت اذ ذاك الدبابات والطائرات بالضرب على صورة باهرة كما يقع في اعظم معارك الحرب الكبرى . . . وكان من وراء ذلك اندحار الشريفين واعظم انتصار للجيش الفرنسي في سورية » . راجع الحصري ص. ٣٣٩-٣٤٠ .

راجع ايضاً لويد جورج ، الجزء الثاني ، ص. ١١١٣ .
وليد هارت *T.E. Laurence in Arabia and After*, (Liddell Hart) ص.

٣٩٦-٣٩٧ .

(٢٣) راجع المقتطف ، الجزء الثالث من المجلد ٨٣ (القاهرة ١٩٣٣) ص. ٢٦٥

(٢٤) تجد كامل البرقية في الحصري ص. ١٦٥

(٢٥) واما اسماء الوزراء في الوزارة الجديدة فهم :

فارس الخوري ، جلال الدين ويوسف الحكيم (من الوزارة السابقة) ،
وجميل الاثني ، عطا الايوبي ، عبد الرحمن اليوسف وبديع المؤيد (اربعة وزراء جدد) .

(٢٦) راجع داغر ، اسعد ، مذكراتي ، ص. ١٤٧-١٤٨

(٢٧) لمراجعة النص لبيان الجنرال غوابه ، راجع جريدة العاصفة ، ٢٩ تموز ١٩٢٠
كذلك راجع : Pichon, pp. 367-368

ويوسف الحكيم ، ص ٢٠٦-٢٠٩

(٢٨) وهذا نص الجواب الذي حملة تولا :

« اتشرف ببلاغ سموكم الملكي قرار الحكومة الفرنسية انها ترجو منكم ان تغادروا دمشق باسرع ما استطاع ، بسكة حديد الحجاز مع عائلتكم وحاشيتكم وسيكون في تصرف سموكم والذين معكم قطار خاص يتحرك من محطة الحجاز غدا في ٢٨ تموز الساعة الخامسة صباحاً واطلب من سموكم الملكي ان تتقبلوا فائق احترامي » .

تولا

راجع : Storrs, p. 430 والحصري ص. ١٦٧

(٢٩) راجع الحصري ، ص. ١٧٠-١٧١ وايضاً داغر ، ، ١٤٨-١٥٠ ويوسف الحكيم ص ٢١٠-٢١٢

(٣٠) ظهر في جريدة التايمز اللندنية بتاريخ ٣ آب ١٩٢٠ ، ص. ١٠ العمود ٣ ، خبر مقتضب من مراسلها في حيفا مؤرخ في الاول من آب ، جاء فيه : « وصل الامير فيصل اليوم الى حيفا قادماً من درعا حيث كانت سلامته معرضة هناك للخطر . . . وقد استقبل استقبالاً رسمياً وهو ينزل ضيفاً على حاكم المنطقة » .

(٣١) راجع ستورز ص ٤٣١ . اما اللورد هربرت صموئيل فقد كتب في مذكراته يقول : « قررت ان استقبل فيصل على الارض الفلسطينية لا كلاجيء غلب على

امره بل كصديق محترم . ولذا امرت فصيلة من الجند لاختذ التحية له في المحطة عند وصوله ثم تقدمت مع السير رونالد ستورز لاستقباله . وقد قيل لي بعد ذلك ان الملك فيصل لم يدر اذا كان اولئك الجنود هناك لالقاء القبض عليه او لتكريمه ، بعد الايام العصيبة التي عاشها . سري عنه عندما علم انهم كانوا هناك لاستقباله استقبالا عسكرياً » .

Viscount Samuel, *Memoirs*, (London 1945) pp. 158-159

(٣٢) وقد توجنا هذا الفصل برأيه .

Temperley, Vol. IV, p. 158

Lloyd George, Vol. II, pp. 1113-1114.

(٣٣) راجع :

- فائز النصبين
قدري قلمجي
لطف الله البكاسيني
محمد جابر آل صفا
محمد جميل بيهم
- مذكراتي عن الثورة العربية ، ، دمشق ١٩٥٦
جيل الفداء ، بيروت (بدون تاريخ)
نبذة من وقائع الحرب الكونية ، بيروت ١٩٢٢
تاريخ جبل عامل ، بيروت ١٩٦٣
المهد المخضرم في سوريا ولبنان ١٩١٨-١٩٢٢ ،
بيروت ١٩٦٨
حول الحركة العربية الحديثة ، صيدا ، ١٩٥٦
خطط الشام (الجزء الثاني والثالث والخامس) ، دمشق
١٩٢٥ و ١٩٢٧
تأريخ مقدرات العراق السياسية ، بغداد ١٩٢٥
العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى ،
بيروت ١٩٧٠
محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء ، القاهرة
١٩٥٤
محاضرات عن الحركة العسكرية للجيش العربي في الحجاز
وسوريا ١٩١٦-١٩١٨ ، بغداد ١٩٤٧
سورية والمهد الفيصلي ، بيروت ١٩٦٦
في سبيل الاستقلال ، ١٩٠٦-١٩٢٢ ، بيروت ١٩٦٧
تاريخ لبنان العام ، بيروت (بدون تاريخ)

جرائد ومجلات :

- العاصمة ، ١٩١٩-١٩٢٠
القبلة ، ١٩١٩-١٩٢٠
لسان الحال ، ١٩١٧-١٩٢٠
المقتطف ، الجزء ٧٩ (١٩٣١) والجزء ٨٣ (١٩٣٣)
المقطم ، ١٩١٨-١٩٢٠
المنار ، الجزء ٢٠ (١٩١٩) والجزء ٢٢ (١٩٢١) والجزء ٢٣ (١٩٢٢)

مراجع الكتاب

(١) مؤلفات باللغة العربية

- ابراهيم الاسود
ابراهيم حروفش
احمد قدري
اسعد داغر
»
امين الريحاني
»
انور الحندي البنا
بشارة البويري
بولص مسعد
جمال باشا ، (احمد)
- جمال باشا (ترجمة
فؤاد ميداني)
حافظ وهبه
ساطع الحصري
ساطع الحصري
سليمان موسى
عبد الله (الملك)
ابن الحسين
علي جودت
غالب العياشي
- تنوير الازدهان في تاريخ لبنان ، بيروت ١٩٢٥
دلائل العناية الصمدانية ، جونيه ، لبنان ١٩٣٥
مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، دمشق ١٩٥٦
مذكراتي على هامش القضية العربية ، القاهرة ١٩٥٩
ثورة العرب ، القاهرة ١٩١٦
ملوك العرب ، بيروت ١٩٢٤
فيصل الاول ، بيروت ١٩٣٤
قضايا الاقطار الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٦
اربع سني الحرب ، بيروت ١٩٢٦
لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده ، القاهرة ١٩٢٩
ايضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان
الحرب العربي المتشكل بعاليه ، استانبول ١٣٣٤ هـ
(١٩١٦)
كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب ،
بيروت ١٩٢٢
جزيرة العرب في القرن العشرين ، القاهرة ١٩٣٥
يوم ميسلون ، (طبعة جديدة مع ملحق جديد) ،
بيروت ١٩٦٥
البلاد العربية والدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٥٧
الثورة العربية الكبرى ، وثائق واسانيد ، بيروت ١٩٧٠
مذكراتي. عمان ١٩٤٥
ذكريات علي جودت ، ٩٠٠ - ١٩٥٨ ، بيروت
١٩٦٧
الايضاحات السياسية واسرار الانتداب الفرنسي في سوريا ،
بيروت ١٩٥٥

- General Headquarters from Gertrude Bell — being Despatches reprinted from the *Arab Bulletin* (London, the Golden Cockerel Press, 1940).
- Cocks, F. Seymour, *The Secret Treaties and Understandings* (London, The National Labour Press, Ltd., 1918).
Documents Diplomatiques Français 1871-1914. 2e série, 1901-1914 (Paris, 1948).
- France, Ministère des Affaires Étrangères, Commission des documents relatifs aux origines de la guerre 1914.
 France — Haut-Commissariat en Syrie et au Liban. *Recueil des Actes Administratifs du Haut-Commissariat de la République Française en Syrie et au Liban. Année 1919-1920, vol. I* (Beyrouth, n.d.)
- Gooch, G.P. and Temperley, H.W.V. *British Documents on the Origins of the War, 1898-1914. Vols. IX and X* (London, 1936).
 Great Britain, Foreign Office, British State Papers. *Cmd. 671, Miscellaneous No. 7* (London 1920): Agreement between France, Russia, Great Britain and Italy, signed at London, April 26, 1915.
 " " *Cmd. 1195* (London 1921): Franco-British Convention concerning the mandates of Syria, the Lebanon, Palestine and Mesopotamia.
 " " *Cmd. 5957, Miscellaneous No. 3* (1939); *Correspondence between Sir Henry McMahon, His Majesty's High Commissioner at Cairo and The Sherif Hussein of Mecca — July 1915- March 1916* (London, 1939).
 " " *Cmd. 5964. Miscellaneous No. 4* (1939): *Statements made on behalf of His Majesty's Government during the year 1918 in regard to the future status of certain parts of the Ottoman Empire* (London, 1939).
 " " *Cmd. 5974* (March 16, 1939): *Report of a Committee set up to consider certain correspondence between Sir Henry McMahon, His Majesty's High Commissioner in Egypt and the Sharif of Mecca in 1915 and 1916* (London, 1939).
 Great Britain, Foreign Office. (See Woodward E.L. and Butler, R.)
 Great Britain, Office of the Chief Political Officer, I.E.F. «D.» *A Sketch of the Political History of Persia, Iraq and Arabia — With special reference to the present campaign* (Calcutta, Government printing, 1917).
 Jewish Agency for Palestine, *Documents Relating to the McMahon Letters* (London, March, 1939).

وثائق ومؤلفات بلغات اجنبية

I. DOCUMENTS

A. UNPUBLISHED:

- The National Archives* — Department of State — Record Group 59 (Washington, D.C.), containing a «Report on Syria, Palestine and Mount Lebanon», written in July 1919 for the American Commissioners, by Captain William Yale, Special Agent of the United States in the Near East and Technical Advisor to the American Section of the International Commission on Mandates in Turkey.
- The National Archives* — General Records of the American Commission to Negotiate Peace, Paris 1918-1919: Record Group 256 (Washington D.C.), containing Inquiry Documents Nos. 42, 79 and 82, concerning the Government of Syria and the desires of the Syrians.
- The Private Archives of the Maronite Patriarchate* at Bkerki, the Lebanon: Papers and Correspondence relating to the relations between France and the Lebanon, 1918-1920. (Abbreviation: *The Bkerki Archives*).
- The Wingate Papers*: The private Papers of General Sir Reginald Wingate: Letters, telegrams, despatches and reports, dealing with the Arab Revolt.
- The Arab Bulletin*. This was the official publication of the Arab Bureau in Cairo, from 1916 to 1919. It contained «Arab Bureau Summaries» which dealt «with any political events in Turkey or elsewhere that affected the Arab Movement.» The contents though printed were to be treated as «strictly secret.»
- The Private Papers of Dr. Howard S. Bliss*, President of the Syrian Protestant College (now the American University of Beirut), in Beirut, the Lebanon, during the years 1918-1920. They consist mainly of correspondence and reports on the Syrian Question. (Abbreviation: *The Bliss Papers*)
- Khawatir Ja'far Pasha al-'Askari*, being an Arabic manuscript of Ja'far Pasha's Memoirs and containing many references to the Arab Revolt and the situation in Syria in 1918 and 1919.

B. PUBLISHED

- Bell, Gertrude, *The Arab War* (Confidential information for

- Cambon, P. Paul, *Correspondances, 1870-1924. Vol. 3* (Paris, 1940).
- Cataluccio, Francesco, *Storia del Nazionalismo Arabo per Gli Studi di Politica Internazionale* (Milano, 1939).
- Chirol, Sir Valentine, *Fifty Years in a Changing World* (London, 1927).
- Comité Central Syrien (Ganem, Chekri), *La Syrie devant la Conférence. Mémoire à M. Georges Clémenceau, président du Conseil français, Président de la Conférence de la Paix, et à MM. les délégués des Puissances alliées et associées à cette conférence* (Paris, janvier, 1919).
- Comité Central Syrien (Ganem, Chekri), *La Question Syrienne exposée par les Syriens A L.L. Excellences les Plénipotentiaires Alliés et Associés à la Conférence de la Paix* (Paris, 1919).
- " " *L'Opinion Syrienne à l'Etranger pendant la guerre* (Paris, 1918).
- Dave, Edmund, *British Campaigns in the Near East, 1914-1918* 2 vols. (New York, 1917-1919).
- David, Philippe, *Un Gouvernement Arabe à Damas. Le Congrès Syrien* (Paris, 1923).
- Dickinson, G. Lowes, *Documents and Statements Relating to Peace Proposals and War Aims* (London, 1919).
- Djémal, Ahmad, Pasha, *Memories of a Turkish Statesman, 1913-1919* (New York, 1922).
- " " " *La Vérité sur la Question Syrienne* (Stamboul, *La Syrie aux Syriens* (Paris, 1926).
- Doris, J., *King Faisal of Iraq* (Plymouth, 1933).
- Erskine, Mrs Steuart, *History of the Great War: Military Operations — Egypt and Palestine. From June 1917 to the end of the War. Parts I and II* (London, 1930).
- Falls, Cyril, (edit.) *Rapport sur la Syrie et la Palestine, présenté par M. Etienne Flandin* (Paris, 1915).
- Flandin, Etienne (Groupe sénatorial pour la défense des intérêts français à l'étranger) *Rapport sur la situation de la Syrie et du Liban* (Paris, 1924).
- France, Ministère des Affaires Etrangères, Paris, *Journal Officiel: Débats Parlementaires* (Paris, 1918-1920).
- France, Chambre des Députés, *Frontiers of a Nation* (London, 1955).
- Frischwasser-Ra'anan, H.F., *The Letters of T.E. Lawrence* (London, 1921).
- Garnett, David, (edit.) *Documenti per la storia della Pace Orientale, 1915-32* (Roma, 1943).
- Gianni, A.,

Laloy, E., (edit.)

Lawrence, T.E.,

Mantoux, Paul,

Polonsky, J. (transl)

U.S.A. Department of State,

" "

Woodward, E.L. and Rutler, R. (edit)

II. OFFICIAL PUBLICATIONS, MEMOIRS, DOCUMENTED BOOKS

Admiralty (British) Naval Staff, Int. Dpt. Albrecht-Carrié, René

Amery, L.S.

Azoury, Negib

Bell, Lady (Edit.) Baker, R. Stannard,

Brémond, Edouard,

Les Documents Secrets des Archives du Ministère des Affaires Etrangères de Russie (Paris, 1919). *Secret Despatches from Arabia* (Published by permission of the Foreign Office, London — the Golden Cockerel Press, 1939).

Les Délibérations du Conseil des Quatre (24 mars-28 juin 1919) 2 vols. (Paris, 1955).

Les Documents diplomatiques secrets russes, 1914-1917. Archives du Ministère des Affaires Etrangères de Péetrograd (Paris, 1928).

Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: The Lansing Papers 1914-1920, 2 vols. Vol. II (Washington, 1940).

The World War: Supplement I, 1917 (Washington, 1931).

Supplement II, 1917 (Washington, 1932).

The Paris Peace Conference, 1919.

Vol. I (Washington, 1942)

Vol. II (" ")

Vol. III (" 1943)

Vol. V (" 1946)

Vol. VI (" ")

Vol. XI (" 1945)

Vol. XII (" 1947)

Vol. XIII (" ")

Documents on British Foreign Policy, 1919-1939. First Series, Vols. I and II, 1919 (London 1947) and Vol. IV, 1919 (London, 1952).

A Handbook of Syria, including Palestine. (Official Copy) (London, 1919).

Italy at the Paris Conference (Published for the Carnegie Endowment for International Peace) (New York 1938).

My Political Life, vol. II: War and Peace, 1914-1929 (London, 1953).

Le Réveil de la Nation Arabe dans l'Asie Turque (Paris, 1905).

The Letters of Gertrude Bell (London, 1930). *Woodrow Wilson and World Settlement.* Written from his unpublished and personal material. 3 vols. (London, 1923).

Le Hédjaz dans la guerre mondiale (Paris, 1931).

- Poincaré, Raymond, *Au Service de la France*. 10 vols. (Paris, 1926-32).
- Rabbath, E., *L'Evolution Politique de la Syrie sous Mandat* (Paris, 1928).
- Pingaud, Albert *Histoire Diplomatique de la France pendant la Grande Guerre*. 3 vols. (Paris, 1938-40).
- Lord, Riddell, *Lord Riddell's Intimate Diary of the Peace Conference and After, 1918-1923* (London, 1933)
- Robinson, Edward, *Lawrence the Rebel* (London, 1946).
- Ronaldshay, Earl of, *The Life of Lord Curzon*. vol III (London, 1928).
- Rossi, Ettore, *Documenti Sull' Origine E Gli Sviluppo Della Questione Araba, 1875-1944* (Roma, 1944).
- Samné, Georges (Comité Central Syrien) *L'Effort Syrien pendant la Guerre* (Paris, 1919).
- Samné, Georges, *La Syrie* (Paris, 1921).
- Samuel, Viscount, *Memoirs* (London, 1945).
- Sanders, Liman von, *Five Years in Turkey* (Annapolis, 1928).
- Sazanov, Serge, *Fateful Years, 1909-1916* (London, 1928).
- Scott, James Brown, *Official Statements of War Aims and Peace Proposals — December 1916 to November 1918* (Washington, 1921).
- Scott, James Brown, *The Paris Peace Conference 1919. History and Documents* (Carnegie Endowment for International Peace — Division of Economics and History. Washington, 1934).
- (edit) *At the Paris Peace Conference* (New York, 1937)
- Shotwell, James T., *The Memoirs of Isma'il Kemal Bey* (London 1920).
- Sommerville, S. (edit) *Through Thirty Years, 1892-1922. A Personal Narrative*. 2 vols. (London, 1924).
- Steed, Henry Wickham, *A Prince of Arabia: the Emir Shereef 'Ali Haider* (London, 1937).
- Stitt, George, *Orientations* (London, 1937).
- Storrs, Sir Ronald, *The Truth About the Treaty* (Indianapolis, 1921).
- Tardieu, André, *A History of the Peace Conference of Paris*. Vol. VI (London, 1920 and 1924).
- Temperley, H.W.V., *Survey of International Affairs, 1925, vol. I. The Islamic World* (Oxford, 1937).
- (edit.) *Grey of Fallodon* (London, 1937).
- Toynbee, Arnold J., *Allenby. A Study in Greatness* (London, 1940).
- Trevelyan, G.M.
- Wavell, Sir Archibald,

ANONYMOUS

Exposé du Conseil Libanais au Gouvernement et parlement français (Université de Paris, Bibliothèque de Documentation Internationale Contemporaine) The text suggests that its date may be 1920).

- Gianini, A , *L'Ultima fase della Questione Orientale, 1913-1932* (Roma, 1933).
- Great Britain, Foreign Office — Historical Section: Handbook No 60, *France and the Levant* (London, 1920)
- Handbook No 66, *Parliamentary Debates, Fifth Series*, vols. 100 (1917), 145 (1918) and 132 (1920).
- Great Britain, *Twenty-Five Years, 1892-1916*. 2 vols. (New York, 1925).
- Grey, Edward, Viscount *What Really Happened at Paris. The Story of the Peace Conference, 1918-1919* (London, 1921).
- House, Col. Edward M. *The Intimate Papers of Colonel House*, 4 vols. (Edit. by C. Seymour) (London, 1926).
- Howard, Harry, N., *The Partition of Turkey, A Diplomatic History, 1913-1923* (University of Oklahoma Press, Norman, 1931).
- Khairallah, K.T., *Le Problème du levant — Les Régions Arabes Libérées, Syrie, Irak, Liban. Lettre Ouverte à la Société des Nations* (Paris, 1919).
- Lapradelle, G.A., *La Paix de Versailles — La Conférence de la Paix et la Société des Nations* (La Documentation Internationale) (Paris, 1929).
- (edit.) *Seven Pillars of Wisdom* (London, 1935).
- Lawrence, T.E., *Mark Sykes, His Life and Letters* (London, 1923).
- Leslie, Shane, *The Truth About the Peace Treaties*. 2 vols. (London, 1938).
- Lloyd George, David, *Brochure rédigée par M. Pierre Liautey, Chef de Cabinet du Général Gouraud en Syrie — La Syrie et le Liban*.
- Liautey, Pierre (Publié par le Haut-Commissariat de la République française en Syrie et au Liban — Paris, 1922) This booklet was anonymously published in Cairo, in 1922, under the title of *Ce que tout Français doit savoir de la Syrie et du Liban*.
- Manuel, Frank, E., *The Realities of American Palestine Relations* (Washington, 1949).
- Miller, David Hunter, *My Diary at the Conference of Paris, 1918-1919*. 22 vols. (New York, 1924).
- Nevakivi, Jukka, *Britain, France and the Arab middle East, 1914-1920* (London 1969).
- Nicolson, Harold, *Curzon: The Last Phase, 1919-1925* (New York, 1934).
- Presland, John, *Deedes Bey — A Study of Sir Wyndham Deedes, 1883-1923* (London, 1942).

- Gontaut-Biron, R.,
Le Comte de
Gottlieb, W.W.,
Graves, Robert,
Grousset, René,
Hanotaux, Gabriel,
Hart, Liddell,
Henry-Haye et Pierre
Viénot,
Hocking, William
Ernest,
Hogarth, D.G.,
Hourani, A.H.,
Jeffries, J.M.N.,
Joffre, Alphonse
Jung, Eugène,
Kahil Bey, Jean, M.N.,
Kahil Bey, Jean M.N.,
Kedourie, Elie,
Kirk, George E.,
Kohn, Hans,
» »
Lammens, H.,
Lamy, Etienne,
Lansing, R.,
Lansing, R.,
Larcher, Maurice,
Laurent-Viber, R.,
Loder, J.de V.,
Longrigg, Stephen H.,
Comment la France s'est installée en Syrie,
1918-1919 (Paris, 1922).
Studies in Secret Diplomacy during the First
World War (London, 1957).
Lawrence and the Arabian Adventure (New
York, 1928).
Le Réveil de l'Asie (Paris, 1924).
Etudes diplomatiques — La Politique de l'Equi
libre, 1907-1911 (Paris, 1914).
«T.E. Lawrence» — In Arabia and After (Lon-
don, 1934...1945).
Les Relations de la France et de la Syrie (Centre
d'études de Politique Étrangère, Paris, 1939).
The Spirit of World Politics (New York, 1932).
Arabia (Oxford, 1922).
Syria and Lebanon — A Political Essay (Lon-
don, 1946).
Palestine, the Reality (London, 1939).
Le Mandat de la France sur la Syrie et le Grand-
Liban (Lyon, 1924).
Les Puissances devant la Révolte Arabe (Paris,
1924).
Les Aspirations Syriennes — Le voeu de la Syrie
(Le Caire, 1916).
Syriens et Arabes (Cairo, 1919).
England and the Middle East (London, 1956).
A Short History of the Middle East (London,
1948...1958).
A History of Nationalism in the East (New
York, 1929).
Nationalism and Imperialism in the Hither East
(London, 1932).
La Syrie: Précis Historique. 2 vols. (Beirut,
1921).
La France du Levant (Paris, 1900).
The Big Four, and others of the Peace Conference
(London, 1922).
The Peace Negotiations — A Personal Narra-
tive (London, 1921).
La Guerre Turque dans la Guerre Mondiale
(Paris, 1926).
Ce que j'ai vu en Orient (Paris, 1924).
The Truth about Mesopotamia, Palestine and
Syria (London, 1923).
Syria and Lebanon under French Mandate
(London, 1958).

III. SURVEYS AND GENERAL WORKS

- Aboussouan, Benoît,
Amoun, Iskandar
Adib, Auguste,
Antonius, G.,
Bardoux, Jacques,
Barrès, Maurice,
Belloc, S.H.P.,
Bierstadt, E.H.,
Birdwood, Lord,
Bonardi, Pierre,
Bourdaric, Paul,
Bourgeois, Emile,
Bruneau, André,
Bullard, Sir Reader,
Catroux, Lt. Colonel,
Catroux, Général,
Charles-Roux, F.,
Charmetant (Mgr.),
Chérif, Ihsan El,
Contenson, Ludovic de,
Crane, Charles, R.,
Cressaty, Count, R.J.M.
Cumming, Henry H.,
De Hasse, J.,
Esco Foundation for
Palestine
Gaulis, Berthe-Georges,
Gautherot, Gustave,
Ghali, Paul,
Ghilini, Hector,
Le Problème Politique Syrien (Paris, 1924).
Mémoire sur la Question Libanaise (Le Caire,
1913).
Le Liban Après la Guerre (Le Caire, 1919).
The Arab Awakening: the Story of the Arab
National Movement (London, 1946).
Lloyd George et la France (Paris, 1923).
Une Enquête aux Pays du Levant, en 1914. 2
vols. (Paris, 1923).
The Battleground (London, 1936).
The Great Betrayal. A Survey of the Near East
Problem (London, 1924).
Nuri As-Said. A Study in Arab Leadership
(London, 1959).
L'Imbroglio Syrien (Paris, 1927).
France, Syrie, Angleterre — La Question de
Syrie — Confidentiel — (Paris, n.d.).
L'Europe et le Problème Méditerranéen, 1870-
1930 (Paris, 1931).
Traditions et Politique de la France au Levant
(Paris, 1932).
Britain in the Middle East (London, 1951).
Le Mandat Français en Syrie (Paris, 1922).
Deux Missions en Moyen-Orient (1919-1922)
(Paris, 1958).
La France et les Chrétiens d'Orient (Paris, 1939).
Constantinople, Syrie et Palestine. Lettre ouverte
à nos hommes d'Etat (Paris, 1915).
Le Statut International de la Syrie (Paris, 1920).
Les Réformes en Turquie d'Asie: La question
Arménienne, la question Syrienne (Paris, 1913).
The Row in Syria (Extract from «Our World»,
August 1922) (New York, 1922).
Les Intérêts Français en Syrie (Paris, 1915).
Franco-British Rivalry in the post-war Near
East. The decline of French influence, 1914-1923
(London, 1938).
History of Palestine (New York, 1934).
Palestine — A Study of Jewish, Arab and
British Policies. Yale University Press, (1947).
La question Arabe (Paris, 1930).
La France en Syrie et en Cilicie (Courbevoie,
Seine, 1920).
Les Nationalités détachées de l'Empire Ottoman
à la suite de la Guerre (Paris, 1934).
Les Leçons du Siècle (Paris, 1943).

- Véou, Paul du *La Passion de la Cilicie, 1919-1922* (Paris, 1954).
- Villars, Jean Beraud, *Le Colonel Laurence Ou la Recherche de l'Absolu* (Paris, 1955).
- Weizmann, Chaim, *Trial and Error* (London, 1949).
- Wetterlé, Emile, *En Syrie avec le Général Gouraud* (Paris, 1924).
- Wilson, Sir Arnold T., *Mesopotamia, 1917-1920. A Clash of Loyalties* (London, 1931).
- White, Percy E., *The Disintegration of the Turkish Empire: the passing of a once Great Power* (London, 1920).
- Wright, Quincy, *Mandates under the League of Nations* (Chicago, 1930).
- Young, Sir Hubert, *The Independent Arab* (London, 1933).
- Anonymous *The Near East from Within* (London, 1915).

جرائد ومجلات

- L'Asie Française, April-September, 1916.*
- Bulletin de l'Asie Française, July, 1919.*
- Contemporary Review, September, 1915.*
- Correspondance d'Orient, No. 200, October 25, 1918 and Nos. 253-276 of the year 1921.*
- Current History, November 1919 and February 1921.*
- The Daily Telegraph, July 21, 1920.*
- English Review, (Part III, p. 732) September, 1919.*
- Le Figaro, 10th and 11th August 1919.*
- Fortune, October 1919.*
- Fortune, February and May 1920; May 1921 and November 1924.*
- L'Intransigeant, 13th August 1919.*
- Journal des Débats, 13th August 1919.*
- The Journal of International Relations, vol. XI, No. 4, April, 1921.*
- The Journal of Modern History, vol XXVII, No. 3, September 1955.*
- The Moslem World, vol. XXXII, No. 2, April 1942.*
- The Near East, 26th July 1916 and 14th February 1919.*
- The New Europe, vol. XIV, No. 175, February 19, 1920, pp. 125-126.*
- Oriente Moderno, I, No. 4, September 1921, pp. 193-210, and No. 10, March 1922, pp. 577-591.*
- The North American Review, May, 1920.*
- Palestine — the Organ of the British Palestine Committee*
- Vol VIII, No. 1, August 14, 1920.
- » » » 14, December 11, 1920.
- » » » 15, December 18, 1920.
- » » » 16, January 1, 1921.
- » » » 17, January 8, 1921.
- » » » 21, February, 5 1921.
- » X » 13, January 28, 1922.

- Luquet, Jean, *La Politique des Mandats dans le Levant* (Paris, 1924).
- Massey, W.T., *Allenby's Final Triumph* (London, 1920).
- McGilvary, Margaret, *The Dawn of a New Era in Syria* (New York, 1920).
- Mears, E.G., *Modern Turkey, 1908-1923* (New York, 1924).
- Montagne, R., *L'Evolution Moderne des Pays Arabes* (Paris, 1935).
- Moutran, N., *La Syrie de Demain* (Paris, 1914).
- Murray Gilbert, *The Foreign Policy of Sir Edward Grey, 1906-1915* (London, 1915).
- Nicolson, Harold, *Peacemaking, 1919* (Boston, 1933).
- Orpen, Sir William, *An Onlooker in France, 1917-1919* (London, 1921).
- Panaretoff, S., *Near Eastern Affairs and Conditions* (New Haven, 1922).
- Pic, P., *Syrie et Palestine. Mandats français et anglais dans le Proche-Orient* (Paris, 1924).
- Pichon, Jean, *Les Origines Orientales de la guerre mondiale* (Paris, 1937).
- » » *Sur la Route des Indes — Un siècle après Bonaparte* (Paris, 1932).
- » » *Le Partage du Proche-Orient* (Paris, 1938).
- Powell, Ed. Alex., *The Struggle for Power in Moslem Asia* (New York, 1924).
- Rabbath, E., *Unité Syrienne et l'Avenir Arabe* (Paris, 1937).
- Rémusat, Paul de *Les Cent-jours du Roi de Syrie* (Extrait de la Revue des Etudes Historiques, Paris, avril, juin, 1924).
- Ristel-Hueber, R., *Les Traditions Françaises au Liban* (Paris, 1918).
- Al-Sa'id, Nuri, *Arab Independence and Unity* (Baghdad, 1943).
- Sauvaget, Jean, *La Culture Française et la Renaissance Arabe* (Paris, 1946).
- Sfer, 'Abdullah Pasha, *Le Mandat Français et les traditions françaises en Syrie et au Liban* (Paris, 1922).
- Stein, Leonard, *Syria* (London, 1926).
- Stoddard, Th. Nothrop, *The New World of Islam* (London, 1921).
- Tabet, Jacques-J., *La Syrie* (Paris, 1920).
- Tyan, Ferdinand Prince, *France et Liban, défense des intérêts français en Syrie* (Paris, 1917).
- Tyan, Ferdinand Prince, *The Entente Cordiale in Lebanon* (London, 1917).
- Valyi, Félix, *Spiritual and Political Revolutions in Islam* (London, 1925).
- Vanlande, René, *Le Chambardement Oriental, Turquie, Liban, Syrie, Palestine, Transjordanie, Iraq* (Paris, 1932).

The Quarterly Review, No. 465, October, 1920.
 » » » No. 279, vol. 238, October, 1922.
Revue des Deux Mondes, 1st December 1921; 8th March, 1922.
Revue du Monde Musulman, vol. XXV, 1913, pp. 236-281.
Le Temps, 1918-1920.
The Times, 1918-1920.

ملحق رقم ١

مراسلات مكماهون - الشريف حسين

(عدد الرسائل : ١٠)

الرسائل ٩٧٥٣١ من الشريف حسين الى مكماهون
 الرسائل ١٠٩٧٦٥٤٢ من مكماهون الى الشريف حسين
 المراجع : الرسائل ٩٧٦٥٤٢ و ١٠
 موجودة في محفوظات وزارة الخارجية البريطانية
 الرسائل ٨٥٣ من الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب
 (كتاب اصدرته جريدة « الايام » دمشق ١٩٣٧)
 اما الرسالة الاولى التي هي من الشريف حسين الى السير هنري مكماهون ، والمؤرخة
 في الثاني من رمضان ، ١٣٣٣ (١٤ تموز ١٩١٥) فلم ينشر نصها العربي الاصل حتى
 الآن . ولكن هناك النص الانكليزي الرسمي الذي نشرته الحكومة البريطانية في السنة
 ١٩٣٩ راجع - (Cmd. 5957)

*Correspondence Between Sir Henry McMahon and the Sherif Hussein
 of Mecca, July 1915- March 1916.*

(Miscellaneous No.3, 1939)

لمناسبة توزيع النص العربي لسبع رسائل التي تبودلت بين الشريف حسين والسير
 هنري مكماهون ، على الوفود العربية ابان اجتماعاتها بالحكومة البريطانية في مؤتمر
 للبحث في القضية الفلسطينية ، في شباط ١٩٣٩ ، كتب ه.ف. داووني (H.F. Downie)
 سكرتير هذا المؤتمر ، في ١٥ شباط ١٩٣٩ ، يقول : « ان الوثائق الموزعة ليست من
 المؤكد انها نسخ طبق الاطل عن الوثائق الاصلية ، انما هي نسخ عن الوثائق الموجودة
 في محفوظات وزارة الخارجية والمرسلة من القاهرة الى لندن ، ولكن ليس من المؤكد



2.

Arabic version of letter from the
Minister to King Hussein dated 30.8.15
(Despatch No 94 of 26.8.15).

الى السيد السيد السيد سادة الاشراف وناج
الغفار ووقع الشجرة المهدية والدعوة القرشية المهدية
صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد
والشريف ابن الشريف السيد ابليل المليك دوللو
الشريف من سيد جميع امير مكة المكرمة فله العالمين
وحفظ حال المؤمنين الطاعين تحت ركنه الناس الاممين
بعد رفع رسوم وافر الثبات العاطف والتسليمات
القلبية الخالصة من كل شأنيته تعرض ان انا الشرف
بتقديم واجب الشكر لادباركم باطمة الاخلاص وشرق
الشعور والاصابات من اوتوكلير وقد يسترا عداوة
على ذلك ان نعلم ان سيادتكم ورجالكم مع ابن واحد وار
مجال العرب هي نفس مجال الانكسار والعكس العكس
ولهذه النسبة نحن نفكركم افعال فامة اللورد
كتشفت التي وصلتم الى سيادتكم عن يد علي اقدني وهي
التي كان مؤتمرا رغبنا في استقلال بلاد العرب وسكانها
مع استخوانا للتدنية الغربية عند اقدني
وانا نضرح هنا مرة اخرى ان جلالة ملك بريطانيا العظمى
يحب استرداد الخلافة الى يد عرب صهي من قوع تلكه
الدعوة النبوية المباركة
واما من خصوص مشكلة الحدود والتخوم فالمفاوضة
فيها تظهر انما سافة لادباركم . تصرف الاوقات حد
في مثل هذه التفاصيل في حاله ان الحرب دائرة رحاها
ولدت الاشتراك ايضا لادباركم محتلمين لوعلت ملك
البركات احتلا فعلينا وعلى الاصل ما علمنا . هو ما
يدعش ويحزن ان فرقا من العرب القاطنين بونك
البركات نغسل قد غفلوا واهل هذه الدومة النامية
التي ليس انفسهم منكم . وبديل اقدام ذلك الفريق
على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة الى الدلمان
والبركات . نعم مد يد المساعدة لذلك الشعب
الشراب الجديد وهو الدلمان وذلك النظام العوف

ان رسائل شريف مكة (الموزعة اليوم) هي في كل الاحوال الرسائل الاصلية . كذلك
ليس من المؤكد ان رسائل السير هنري مكماهون مطابقة تماما للرسائل التي ارسلت فعلا للشريف .
ان بيان داوئي تصريح خطير يلقي كثيرا من ظلال الشك والريبة على هذه الرسائل المتبادلة ،
ويجعل الاطلاع على الحقيقة المجردة الكاملة امرا عسيراً ، كما انه يزيد في الفوضى التي
رافقت سياسة ذلك العهد .

من الشريف حسين الى السر ما كاهون

- ٣ -

بسم الله الرحمن الرحيم

مكة في ٢٩ شوال سنة ١٣٣٣ هـ ١٩١٥ م

لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر، سلمه الله.

بمزيد السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في ١٩ شوال وطالعه بكل

احترام واعتبار رغم شعوري بفضوضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطة الاساسية، اعني نقطة الحدود.

وأرى من الضروري أن أؤكد لسعادتكم اخلاصنا نحو بريطانيا العظمى واعتقادنا بضرورة تفهيمها على الجميع في كل الشؤون، وفي أي شكل، وفي أية ظروف ويجب أن أؤكد لكم أيضاً أن مصالح اتباع ديارنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم. ويمدني فخامة المندوب اذا قالت بصراحة ان « البرودة » و « التردد » اللذين ضمنها كتابه فيما يتعلق بالحدود، وقوله ان البحث في هذه الشؤون انما هو اضافة للوقت، وان تلك الاراضي لازال بيد الحكومة التي تحكمها... ويمدني فخامة اذا قلت ان هذا كله يدل على عدم الرضا، او على التفور او على شيء من هذا القبيل. فان هذه الحدود المطلوبة ليست لرجل واحد تتمكن من ارضائه، ودفاوضته بعد الحرب، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود، وهو متفق باجمه على هذا الاعتقاد.

وهذا ما جبل الشعب يعتقد انه من الضروري البحث في هذه النقطة قبل كل شيء مع الدولة التي يثقون بها كل الثقة ويلقون عليها كل الآمال وهي بريطانيا العظمى. واذا اجمع هؤلاء على ذلك، فانما يجمعون عليه في سبيل الصالح المشترك، وهم يرون انه من الضروري جداً أن تنظم الاراضي الجزأة، ليعرفوا على أي اساس يؤسسون حياتهم، كيلا تعارضهم انكسرة او احدى حليفتها في هذا الموضوع مما يؤدي الى نتيجة معاكسة، الامر الذي حرمه الله.

وفوق هذا فان العرب لم يطالبوا - في تلك الحدود - مناطق يقطنها شعب اجني بل هي عبارة عن كلمات والقاب يطلقونها عليها.

أما الخلافة فان الله يرضى عنها، ويسر الناس بها.

وأنا على ثقة يا صاحب الفخامة، انكم لا تشكون قط بأنني لست انا شخصياً الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا، بل هي مقترحات شعب بأسره، يعتقد انها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية.

أو ليس هذا صحيحاً يا فخامة الوزير...؟

وهو التزات .
ويعز ذلك ما أتى على كمال الاستعداد لتت شغل الى ساعة .
ولة السيد ابليل ولبلود العربية المقدسة والعرب
الدارم من المحبوب والصدقات المقررة من البلاد المعروفة
ويستحل بمقر الشارة من سياتكم وفي المكان الذي يقطنونه .
وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع
مفاته البناء ومن على الدوام معكم قلباً وقالباً مستنصبين
رائحة موثقتكم الركية ومستوفيين بغير حجبكم الفالحة
المكين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العداقة بيننا وفي
اختتام الفع الى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسدي
وفائق احذاني

المخلص

السر ارثر مكاهون

نائب جلالة الملك

تحية في ١٩ شوال ١٤٤٢ الموافق
٢ أغسطس ١٩٢٥

Arabic version of letter from Sir Arthur
Heron to King Hussein dated 23.10.15
(Despatch No. 13 of 16.10.15)

بسم الله الرحمن الرحيم
الى فرع الدعوة المحمدية بسلامة النسل النبوي امين
السيد دولة صاحب الكرام الرفيع الاير المخلص السيد
الشريف الشريف امير مكة المكرمة صاحب السيادة العليا
جعل الله عزرا منيعا بسلام والمسلمين بعونه تعالى
امين وهدى دولة الامير البليل الشريف حسين بن علي اعلى
الام مقامه

تدقيقيت بيد الاحفاد السور رتبكم الكريم المورخ تاريخ
٢٩ شوال ١٣٣٦ وبه من عباراتكم الودية المحضه واحمدكم
ما اورثني رضا وسرورا

الى مقاماتكم استنبت من عبارة كتابي السابق اني
قابلت رسالة حدود والتقدم بالتردد والفتور فان ذلك لم
يكن القصد من كتابي فقد وكلك رايت حينئذ ان الوجهة
لم تكن تدعات بعد للبحث في ذلك الموضع بجودة نهائية
ومع ذلك فقد ادركت من كتابكم الاخير انكم تعتبرون
هذه المسألة من المسائل الراهنة الحيوية المستعجلة فلذلك

ناني قد اسرعت في المبلغ حكومية بريطانيا العظمى
كتابكم واني بكمال السرور المخلص بالنيابة عن التصريحات
الاثنية التي لا اشك في انكم تذكرون منزلة الرضى والقبول
ان ولدني بريسك واسكندرونه واجزاء من بلاد
الشام الواقعة في اجمرة الغيبة لوليات دولته الشام
ومصر وحماء وعلب لا يملك ان يقال انها عربية محضة
وعليه يجب ان تستثنى من الحدود المطلقة

مع هذا التعديل ويدون تعرض للمعااهدات المعقدة
بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود
واما من خضوع الدواليب التي تقربها تلك الحدود حيث
بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون ان تمتس بحالي
حليفنا فرنسا ناني مغفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى
ان تقدم المواثيق الاثنية واجيب على كتابكم بما ياتي
(١) انه مع مراعاة التعديلات المذكورة اعلمه فيرطانيا العظمى

وبالاختصار فاننا ثابتون في اخلاصنا نصرح بكل تأكيد بتفضيلنا لكم على الجميع
اكنتم راضين عنا كما قيل - او غاضبين - اما ما يتعلق في قولكم بان قسما من
شعبنا لا يزال يبذل جهده في سبيل تأمين مصالح الاتراك فلا اظن ان هذا ببره البرودة
والتردد الذين شمرت بها في كتابكم فيما يتعلق بموضوع الحدود الموضوع الذي
لا اعتقد ان رجلا مثلكم ناقب الرأي ينكر أنه ضروري لحياتنا الادبية والمادية .

وانا حتى الساعة لا ازال أنفذ ماتأمر به الديانة الاسلامية في كل عمل أقوم به ،
وأراء مفيداً وصالحاً لبقية المملكة ، واني ساستمر في هذا الرأي بأمر الله بغير ذلك .
وأود هنا يا صاحب الفخامة ، أن أوكد لكم بصراحة أن الشعب - ومن جملة
هؤلاء الذين يقولون انهم يعملون لصالح تركية والمالية - ينتظر بفارغ الصبر نتائج
هذه المفاوضات المتوقفة على موافقتكم أو رفضكم قضية الحدود وقضية المحافظة على
ديانتهم ، وحياتهم من كل أذى وخطر .

وكل ما تجده الحكومة البريطانية موافقاً لسياستها ، في هذا الموضوع ، فاعلموا
ان تعلنا به ، وأن تداننا على الطريق التي يجب أن نسلوها .
ولذلك نرى من واجبتنا ان نوكد لكم اننا سنطلب اليكم في أول فرصة بعد
اتهاء الحرب مائدة الان لفرصة في بيروت وسواها .

واست أرى حاجة هنا لان الفت نظركم الى أن خطتنا هي آ من على مصالح
انكثرة من خطة انكثرة على مصالحنا ، ونعتقد أن وجود هؤلاء « الجيران » في المستقبل
سيقاق افكارنا كما يخلق افكارها .

وفوق هذا فان الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء ، وقد يضطرونا
لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق مناعب جديدة ، تفوق في صوابتها
المناعب الحاضرة .

وعلى هذا لا يمكن الدماح لفرنسة بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة .
وأنا أصرح بهذا ، رغم أني اعتقد وأؤمن بالعهدات التي قطعتموها في كتابكم .
ويستطيع عمالي الوزير ، وحكومته أن يتفقا كل النمة باننا لا نزال عند قولنا
وعزيمنا وتمهيدنا التي عرفها « ستر » « بيورس » « ندي عامين » .

ونحن ننتظر اليوم الفرصة السانحة التي تناسب موقفنا وخاصة فيما يتعلق بالحركة
التي أضحت قريبة ، والتي يدفعها البناء القدر بسرعة ووضوح ، لتكون حجة - نحن
والذين يرون رأينا - في العمل ضد تركية ، ودون أن تعرض لوم والتقد .
واعتقد أن قولكم بان بريطانيا لا تمسك ولا تدفعكم للاسراع في حر كتمكم
خافة أن يؤدي هذا التمرع الى تصديق نجاحكم لا يحتاج الى ايضاح ... الا فيما
يتعلق بالاسلحة والذخائر عند الحاجة ...
أعتقد الان أن في هذا كفاية ...

راجع : الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، ص ٤-٧

بعض المسائل المعقدة التي هي من الدرجة الثانية من الاهمية
ولم اذكرها في كتابي هذا -
وفي الختام ابته دولة الشرف ذا الكرم المنيف
والامير الجليل كامل ثميني وخالص مودتي وامرني
مكتوب له ولجميع افراد أسرته الكريمة اجبتا من ذي
الحدود ان يوفقنا جميعا لما فيه خير العلم وصالح الشعوب
ان يبيده مغايير الامر والغيب يحركها كيف يشاء
وشاله تعالى من الختام والسلام

تحريرا في يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة ١٣٤٢
في دار الام الشرف بحاليه بهذا اللون
تأليف مهدي الملك
السيرار محمد هادي

مستعدة بان تعترف باستقلال العرب وتؤكد ذلك الاستقلال
في جميع الدوايم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شرف
ملكة
(٤) ان بريطانيا العظمى تضمن الاماكن المقدسة من كحل اندا
خارجي وتعترف بوجود منع التعدي عليها
(٥) وعندما تسمع الظروف تحث بريطانيا العظمى العرب
بنجاحها وتساعدتهم على ايجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك
الدوايم المختلفة
(٦) هذا وان المفروض ان العرب قد تحرروا طلب اعطاء واستاداة
بريطانيا العظمى وحدها وان المستشارين والموظفين الاوربيين
الذين من التشكيل هيئة ادارة قومية يتولون من التوليد
(٧) اما من خصص ولايتي بغداد والبصرة فان العرب
تعترف ان مركز وصالح بريطانيا العظمى الماطدة هناك تستلزم
اتخاذ تدابير ادارة مخصصة لوقاية هذه الدوايم من الونداء
الاجنبية ووزارة غير سخاير وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة
واني متيقن ان لهذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون اقل
ارتباب من بريطانيا العظمى فورا نائب الصالح العرب وشرفي
بفقد حافزة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستفولة
طرد الاثراك من بلاد العرب وتوحيث الشعوب العربية من نير
الاضرام الذي اتفق كاهلهم السنين الطوال
ولقد اقتضت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات
الاهمية الكبرى وان كان هناك مسائل في خطاباتكم
لم تذكر هنا فنعود الى البحث فيما في وقت مناسب
في المستقبل
ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة
الشريفة وما حظا من الصدقات بالخدمة وانزل بغير
ارشاد اقم السامية وتدابيركم المحمودة قد انزلت الى البر بلاد
تعجب ولاضرر ونجنا عن الاخطار والمصاعب التي تتسببها
هذه الحرب المحزنة ونرجو ان يسمو به ونعالي ان يعجل
الصلح الدائم واكرية لاهل العالم
اني مرسل خطابي هذا مع رسوكم النبيل الامين الشيخ
محمد بن عارف بن حريفات وسيعرض على مسامعكم

٥٨٨/٦٢ بسم الله الرحمن الرحيم

الى معالي الشهم لهما زمانا صالحة والراية التي في الحظيرة
على اننا نعلم انكم منكم الحق الصادر في اعياننا محل النجس وهي موارد نسيب الشمامسة

اوله تسهيل للوفاء وخدمة مودوديه فزارا ما يكلفها المشاق والارواح وبما
لقدوة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا المتنازلة لدينا نترك الان الحاح في ارجاع
الولايات مرصين وطنه فقامت المملكة العربية وما في لا يتبي حبل وبيروت وسواها
فوق بلادنا العربية تحفة وود فرقة بين العرب المسيحيين والمسلمين فاشتملنا انا احد واحد
وستقوم فهم منا ما نشر المستحق ما سلكه امير المؤمنين علي بن ابي طالب من احكام
الدين والاسلام ومن بعد من الفخار ان يعطوا المسلمين كما ياتونهم من انفسهم
يقوله لهم بنا وجهم ما علينا صلوة على امير المؤمنين الحسينية وما تراه الصلوة العامة
وتحكم به

ثانيا حيث اننا نرى اننا نرى من اجزاء المملكة العربية المحضة بل هي مفر حكومنا
على عهد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم على عهد محمد بن ابي طالب كرم الله وجهه
اول ما اخطوه من المدن والاوراق واستغلت دولهم فلما لم يفرقوا اقصاهم وادناهم
القبيلة الغنية ورواها التي لا تنسى فلو كنا ارضاء الدولة العربية وارضاهنا ذلك
ذلك الشرف ومن تسهيل لوفاء سبيلنا والمجادلة التي اشترى بها في الامارة فقامت
من دقناكم انك الفخر بحقوقنا وصيانتها من طمعة وضرورة فلكم فيه وحياة
ما نريد ان يكون اليه نأه انهم في هذا هيبة صيانة تلك الحقوق المبرجة حقوقنا
بصورة كانتا الجوهر الحق يكتا ارضاء بترك الجهاد الى الله الذي له الملك والشال
البرطاني الى مدة يسيرة لم يمت فمات قبل من قدرها دون ان يلقى حقوق الجانبين
حرة او خسران سيما العربية بالنسبة لم يمت فمات قبل من قدرها دون ان يلقى حقوق الجانبين
وان يخدم المملكة العربية في مدة فمات قبل من قدرها دون ان يلقى حقوق الجانبين
ترتكبه كرم الله وجهه مدينة الاحرار مع احترامنا مع احترامنا لوفاءكم المشا عينا
مع مشايخ تلك الجهات وموحدن مكانا منها جوهريا فافنا عيناكم في

Al. 11a
Al. 11b

في الامارة بالكلية في هذه من الفوائد بقدر ما نرى فيه من المبادر اوله خشية لوم السوء
كما سبق اليها الباعث عن حقان حاله باننا شققنا عصاها وادنا فزارها الطائي الما
لم نركبها ما فعلنا بحسب معاني قوتها ما بنا لهما عينا ارجع ولهم احد دول الانكسار
واوجبهما على صلح دولة الاتفاق فكيف تكون عطفة برطانيا الطمعة وعلنا لهما نذكر
الامر به العربيه امام تركيا وعلنا لهما ما اذ لهما ما اذ كانا والعنا به رئيسا لرئيس
وعلى هذا ففروى مدح عطفة هذه الازوجه ونوسينا عقد صلح بشاركتي حرمين بعورة
غير سمية بحول الله تعالى في شوقنا

ان الامارة العربية لتفتقد لفيان العنا عطفة في ارجع الحرب فبنيها
اعمالهم فيها بفضل العرب ويغيب حقوقهم المادية والمعنوية وذهاب شفاهم
واحسانهم وخضاهم بكل معاني الاخصاخ مما ياتواها تحت النفوذ الاماني فكم عازله
على حرمهم على لوبيتنا باقية وما يرس فينا اننا من اننا في قدسيتي بيان علته

خامسا متى علمت العرب ان الحكومة برطانيا حلفاءهم لا يتركهم عند الصلح على حالها امام
تركيا حرمنا بنا وانهم يباضدونهم وبعثت ففوق عندهم الدفاع الفعلي في الدول في الحرب
الساعة لوتشك انما ما يطاق المصالح العمومية العربية

سادسا افارنا السابقة الصادرة بتاريخ ٢٩ شوال ١٣٣٤ تقى عن اعادة
القول في الامارة النكاه والرابعة من مرسومكم هذا الموقر في خصصات الهيئات
الحاكمه والمشارين والموظفين سيما وقد صرحتم يا حضرة الشهم بانكم لا تشاء اخرون
في امور الاخيرة

سابعا وصول الجواب المبرج الذي في اقرب زمن على ذكر اعيانه من الطبقات اذ اننا
استعملنا كما يقرنا انكم من السائلين الذين لا يراهم حقيقة جوهريه فاننا
نظم ان لفيان من هذه الحرب اما سعادته فمن العرب الجياه التي تناسب اادخلهم
او لا يصلح في سبيلها ولولا ما سلكتم ريت ما في عزهم من حيرة العزلة في احد
شواهد الشدة ولكن ابو علي يا عزيزي اعزك الباري برضائه الا ان يقودني
الى هذه المواقف ورم غاما سائما باعجه ونزيره وحرر ٧ من رجب ١٣٣٤

١٩١٥ ٥

RECEIVED TRUE COPY.

Thamam
Assistant Oriental Secretary.
19.6.37.



6.

Arabic version of letter from Arthur
Hemadon to King Hussein dated 14.12.15
(Despatch 192 of 14.12.15)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الامانة والرفعة وشرف المجد سادة بيت
النسوة والكتب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشرة
المعظم السيد حسين بن علي امير مكة المكرمة قبله السلام
والمسلمين اذناه الله في رفعة وعلاوة.

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٢ جمادى
وسترني ما رايته فيه من قبولكم اغراج ولديتي حسين
وأخته من حدود البلاد العربية.

[وأخته]

وقد تلقيت ايضا بمزيد السور والرضى تأكيدكم ان
العرب عارمون على السير بموجب تعاليم ائليهم محمد بن عبد
رضى الله عنه وغيره من السادة اقطاء الدوليين - التعاليم
التي تضمن حقوق كل الديان وامتياراتها على السواء.

هذا وفي قولكم ان العرب مستعدون ان يقرروا
وعبرتنا اجميع معا هذا لنا مع رؤساء العرب الذين تعلم
منه طبعا ان هذا يشمل جميع البعود الداخلي في حدود
المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع
ان تنفذ اتفاقات قد ابرمت بيننا وبين اولئك الدول
اما لبنان ولاين حلب وبيروت فمملوكة بريطانيا
العظمى قد فرضت كما ذكرتم ببقائها ودقوت ذلك عنده
بغضاية تامة - ويكن لما كانت بحالي حليف فرنسا داخل
فيها فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق - وسخايركم بهذا
الثناء مرة اخرى في الوقت المناسب.

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقتم فاخبرتكم مستعدة
لأن تعاليم كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى
المملكة العربية ولكن حالها في ولاية بغداد فتطلب اذلة
ودية ثابتة كما رسمتم على ان صيانة هذه المصالح كما
يجب تستلزم نظرا ادق واتم مما تسمح به الحالة
الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات
واتناستطوع تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ولستنا نريد
ان نذفعكم الى عمل سريع مما يعرقل نجاح اغراضكم ولكننا

في الوقت نفسه نرى من الضروري جدا ان نبذلوا مجهودا لكم
في جميع كلمة الشعوب العربية الى غايتنا المشتركة وان نقتصر
على ان لا يحدوا يد المساعدة الى اعدائنا باي وجه كان . فانه
على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب
ان يتخذوها لا نحاف غرضنا عندما ياتي وقت العمل تتوقف
قوة الاتفاق بيننا وثباته.

وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد وضعت
لي ان ابلغ دولكم ان تكونوا على ثقة من ان بريطانيا
العظمى لا تنوي ابرام اي صلح كان الا اذا كان من ضمن
شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلصها من
سلطة الامان والاضرام.

هذا وعربون على صدق نيتنا ولاجل مساعدكم في
مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسوكم مبلغ
مشتري الى جنبيه
واندم في انعام عاظم الثبات العلية ومخلص السليمان
الودية مع مراسم الاجل والتفويض المشهودين بروابط
اللفة والمجبة الصرفة لمقام دولكم السامي وعرفان
اسركم المكرمة مع فائق الاحترام.

المخلص

تجديا في ٨ صفر ١٣٥٢

نائب ميدان الملك جمال
الديار نور هادي مكاهون

من السير كما هو به الى الشريف حسين

- ٨ -

القاهرة في ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣٣٤ (٣٠ كانون الثاني سنة ١٩١٦)
تلقينا بمرور كتابكم المؤرخ في ٢٥ صفر بواسطة رسولكم الموثوق به ، واطلنا
منه على رسالتكم الشفوية .
واننا لتقدر حق التقدير الدوافع التي تقودكم في هذه القضية الهامة ، ونعرف جيداً
انكم تعملون في صالح العرب ، وانكم لاترمون الى شيء - في عملكم - غير صالحهم وحريةهم
وقد عثيت عناية خاصة بملاحظاتكم بشأن ولاية بغداد ، وسنبحت هذا الموضوع
باهتمام وعناية زائدة عندما تتم هزيمة الاعداء ونصل الى التسويات السلمية .
اما ما يتعلق بالجهات الشالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبةكم في تجنب كل ما من
شأنه الاساءة الى تحالف انكلترة وفرنسة وحررت جداً بابداء مثل هذه الرغبة .
وأظنكم تعرفون جيداً اننا مقرررون قراراً نهائياً بالانسحاب باي تدخل - مهما قل
شأنه - في اتفاقنا المشترك في اصال هذه الحرب الى الفوز ثم متى انتهت الحرب ، فان
صداقة فرانسة وانكلترة ستقوى وتشتد وهما اللتان بذلنا الدماء الانكليزية والفرنسية
جنباً الى جنب في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات .
والان .. وقد قررت البلاد العربية ان تشترك معنا في الدفاع عن الحقوق والحريات
وتعمل معنا في سبيل هذه القضية الهامة ، فانا لنترجو الله ان تكون نتيجة هذه الجهود
المشتركة وهذا التعاون الوطيد ، صداقة دائمة تعود على الجميع بالسرور والغبطة .
وقد سررنا جداً للحركة التي تقومون بها لاقناع الشعب بضرورة الانضمام الى
حركتنا والكف عن مساعدة اعدائنا .
ونترك لفتنتكم وتقديراتكم تقرير الوقت المناسب لاتخاذ تدابير اوسع من هذه .

راجع : الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، ص ١٣-١٤

معالم العزير الخطير الزعيم الهام
بأننا من الانحال والنور نفينا بتمتكم في طهر الجاني وفي حالهم حيث ضوئها وروحاها في نورها
حالا من بهر الجليلها نورها ما يتجلى بهدي آله وهودون حقدك بعد وصول احد شريف وحفظه بالهبة بالبحر
اشابه في الحان الانسان ليس بنا نوع من عطف شخصيه او ما هو في معناها من اجل وانها فرائد وحياتنا
والاست ان صديقين وصديقين لها صفت التي الزوايا بها وهذا عندك من اهم ما يجب دفعه في شهادته الجاني
عنده وجهه . اما ما الحرب الموقرة فالتعلق بالعراق من امر التعويض منه ان شئت فقل فلهذا ايضا ونحن
بريانية العظم بصحنا في القول والعمل في الحارة ونحن في عدادها كاندلطينا يا عينا وكوتنا الحققة نرد
امر تقدير صفة لذلك حكتها وصفتها . اما الجهات التي تطلب من اجلها ما كان في رايك من تعذيب
به الصنيع في رايك السابق هذا وما ذاك الا لمرور من رايك في رايك . انظر بحسبها نسبة ايدينا في دعائهم
هذا المس والرضه هما التي الرضا بملاحظه احتساب ما يراه ليس خلفه بيننا في الطر لثرف انما انها ابناء
الذين الروس والنزول او انما هو هذا من الغرائض التي سيق شهادته الورد حيا اليك ان يتبعها بان عفاك
فرصة تضع لها اوزار هذه الحرب بسط اليك ما تفضل الطر عنه اليوم لفرس في بيروت وسأجعلها وداك كذا
بان حفيكم ما في هذا ايضا من الكتمان من المناهج البريانية و صيانة حقوقها هو اهم وكرما بعد ابناء وان بعد
من هذا على حاله كانت ليم سيطرة البريانية ان نزل حفاة في الابهة والروا التي لهم ان نأخذهم
سما ان جوارهم سيكون جرمهم في كل واحد والما تشاء التي يكون معها استقر احواله عدوان البريانية
بهم وخطبه لا يتبعون هذا الانصال ويحبون على حاشه جديده هم ونشعل برنا بهمه . ان يكون باق من
الاستقامه على ما في النظر ما تقدر . انتم من استرا في المنهج وحاشا وجهه الذي عليه الرجوع . لعدم
اتفاقنا لسواكم في الحارات وجميع سيقنا ان كان في شهادته بكم في فرنسا او سواها كبريا من الامم
تلك الجهات اصرح بهذا مع اعداد لكل جوارحنا وارتبه التي سيطر عليه بفرمانك التي ختمت بها قبلكم اعزكم الله
فلا يفتقد جينا بالوزير الخطير والتقدير برناية اكبرنا على العزم الذي انشرا ليد ويلمه منا جانا بالوزير الخطير
منذ عامين ورواها في رايك ان الرضا لما سبه لحوالنا وخصها رايه . وسجلته التي اقتره . وفيها ما سقوه
انتم قد راينا بكل سرعة ووضوح نحن حجة لنا ومن لم يرضنا عن او عن اذاتنا لسواك المقصود في تقريركم
يقولكم اننا لست نريد ان نضعكم في عمل سيعلم بما يعرف من احوالكم من عن يادنا ان يرضى ما عساه ان
لرؤس عدا حاشه من رايك . راجعها بحسبها . ان في هذا القدر من الشهادته لكم تقديري واقره حاشا
نوترا في شام المقر الموقر وحر في اليوم الخامس والعشرين من شهر المحرم ١٣٣٤



Arabic letter from Sir Arthur
McMahon to King Hussein dated 10.3.16
(Despatch No 54 of 13.3.16)

الى ساحة ذلك المقام الرابع ذي اسم الظاهر والسبب
الفاخر قلعة الاسلام والمسلمية بعدن الشريف وطيب
المختار دولة مهلا الومي المحدث الشريف بن الشريف
صاحب الدولة السيد الشريف حين بن علي امير مكة
المعظم اياه الله نفعه وعلاؤه آمين

بعد ما ليقي بمقام الأمير تخليص من التهمة والامتناع
وتقديم خلاص التهمة والسلام وشرح عوامل اللفة
ومن التناقص والمودة الممزوجة بالهمة القلبية - ارفع
الى دولة الأمير المعظم اتنا تلقينا رقيبكم المرفوع ١٤ ربيع
الآخر ١٢٤١ من يد رسلكم الامين وقد سرنا لولوفنا على
التدابير الفعليه التي تنوون ان وان لمواظفة في الاحوال
اتاحه . وان مكتوبة جداله ملك بريطانيا العظمى تصادق
عليك وقد سرنا ان الحكيم بان مكتوبة جداله الملك
صادقته على جميع مطالبكم وان كل شي رغبتم الاسراع فيه
وفي ارساله فبرسر مع رسلكم حامل هذا . والاشياء
الباقية ستعمل بكل سرعة ممكنة وتبقى في برنسوان تحت
اشركم لمحي ابتداء الحركة والمخاض اياها بصورة رسمية (كما
ذكرتم) وبالمواقع التي يقرها سوف البرا . والوسائل التي
يكون حاملين الوثائق بتسليم اياهم .

١٠٥
 وكتبوا التعليمان التي وردت في محرمكم عند الخيام في محافل
 ورسودان وهو سيجر من غصنكم - وعند ملت جميع
 الشريكات الدارة لادال رسودك حامل خطاكم الاخر الى
 جنات حتى يؤدى ما مورثه التي سال الله ان يكثر بالفاق
 حسن النتائج وسعود الى بررسودك وبعدها يصطكم
 حلافة الله ليعلى على صامح د ولتكم شتيحة حملة
 ونشتر الفضة لتوضيح لدولتكم في خطانا هذا ما تعا
 لم بان وامننا لذيكم او ما عماء ينشج سؤ تفاهم الا وهو
 انه يريد بعض المراكز او النقاط العسكرية من بعض العسكر
 التركية على حامل بلاد العرب يقال انهم يجاهرون بالعداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحفزة زولا صالحه محامه نائب حبله الملك
رام مرييا

[illegible]

لنا والذين هم يعملون على ضرر مصالحنا احرته البحرية في البحر الامير وعليه نرى انه من الضروري ان نأخذ التدابير الفعالة ضدكم ولكننا قد اصدنا الدوامر القطعية انه يجب على جميع بوارجنا ان نفرق بين عسكر الاتراك الذين يبدون بالعداء وبين العرب الذين يمكن ان يكونوا حذرين لنا لانفسنا للعرب اجمع آثر من عطفه ودية

وقد بلغنا ذلكم حتى تكفونا على بينته من الامر اذا بلغكم خبراً مذكوراً عن الدسائس التي تفتريها الى اي عمل من هذا القبيل. وقد بلغنا اشاعت مؤذاتها ان اعلاننا الاولاد بازلون جريدكم في اجمال السفن ليشوا في الاغرام في البحر الامير وبطراف الاضرار بمصالحنا في ذلك البحر وانما نرجوكم سرعة اخبارنا اذا تحققت ذلك لعلكم وقد بلغنا ان ابن الرشيد قد باع للاتراك عدداً عظيماً من اجمال وقد ايلت الى دمشق الشام ونقول ان تستعملوا كما تكلم من التأثير عليه حتى يكتف عن ذلك واذا ما صرتم على ما هو عليه امكنكم عمل الذئب مع العرب الساكين بينه وبين سوريا ان يقضوا على اجمال حال سيرها وبذلك ان في ذلك ضلح لمصالحنا المتبادلة

وقد يسترى ان المبلغ دولتم ان العربان الذين ظفروا السبل تحت قيادة السيد احمد السنوسي وهم الذين اصبحوا ضحية دسائس الديان والاتراك قد ابتدوا يعرفون خطا فيهم وهم ياتون البناء وجدنا وجماعات يطلبون العفو عنهم والتوبة اليهم - وقد واجهناهم هزمتا القوات التي جمعها هؤلاء الدسائس ضدنا وقد اخذت العرب تبحر الغشيق والخذلان التي حافت بهم

وان لسقوط ارضهم من يد الاتراك وكثرة انحرافاتهم في عدد القوات نائب عظيم وهو في محالنا المتبادلة وخطوة عظيمة في سبيل الامر الذي نريد له والكم ونسال الله عز وجل ان يكلل سائلكم بتاج الفلاح والفتح وان يمهّد لكم في كامل ايامكم احسن السبل والمناهج وفي اتمام اقدام لدولتكم وتكامل افراد سركم الشرف عظيم الاخذ امان وكامل عروب المعونة والاخذ مع الحقبة التي يبرزونها كثر العصور ورموز الامم

كتبة المتخلف
السرايكة
نائب حلافة الملك محمد

تمت في ٦ جمادى الاولى ١٢٩٦
الموافق ١٠ مارس ١٩١٦

ملحق رقم ٢

عندما استلم عمر بك الداعوق البرقية التي ارسلها اليه الامير سعيد الجزائري ، والمؤرخة في ٢٤ ذي الحجة من العام ١٣٣٦ معلناً فيها تأسيس الحكومة العربية الهاشمية في دمشق ، حملها الى والي بيروت اسماعيل حقي بك ، الذي كان لا يزال في بيروت ، لاعلامه واستشارته . اما الوالي فقد تقبل الامر الواقع وفي الحال اخذ ورقة رسمية مطبوع عليها « ولاية بيروت » (كما يلحظ القارئ) وكتب العبارة التالية . ثم غادر بيروت في الليلة ذاتها . وهذا هو بيان الوالي منقولاً من التركية :

« الى عموم المأمورين ،

بناء على اعلان حكومة عربية ، اصيحت البلاد تجاه امر واقع ، فلقد عهد في ادارة الامور الحكومية الى رئيس البلدية. فتجاه هذا الوضع اصيحت وظيفتكم منتهية ولهذا وجب اعلامكم ذلك . »

في ١ تشرين الاول ١٣٣٤ (١٣٣٦)

الامضاء : اسماعيل حقي

والي بيروت

ونحن مدينون بالفضل للسيد محمد عمر الداعوق في نشر هذه البرقية وبيان الوالي اسماعيل حقي بك .

بصحة تدمرية

ملكته اذ رافق شحنة بركوت عريه اعدت اذ نه فخذت امره كونه
 بديه ريسه طرفه ودهه ايلقه ست وفتية ق رتوسفه
 فطفه كزك نذيه بوزفنه نظر الطوقه فذيع ايه
 بروت واسب
 ليلان حى



ملحق رقم ٣
 الخيالة العرب وهم يدخلون دمشق في اول تشرين الاول ١٩١٨ (من محفوظات مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت)

تتوالف

جملت راسه اليه الموقر

مصر	وحدوى	تاريخ	كلا	لـ	تاريخ	مصر
مصر	مصر	مصر	مصر	مصر	مصر	مصر
مصر	مصر	مصر	مصر	مصر	مصر	مصر

بناء على قسماه الدوله التركيه فقد تأسست الحكومه التركيه
 على دعائم اشرف طهوا الصمم واعنوا الحكومه باسم
 الحكومه العربيه

تابع ملحق رقم ٢

ملحق رقم ٥

المذكرة التي رفعها الامير فيصل
الى مؤتمر الصلح

« ان البلاد الواقعة ضمن خط يمتد من الاسكندرونة الى ايران وجنوباً الى المحيط الهندي هي موطن « العرب » . ونعني « بالعرب » مجموعة من الاعراق السامية المتعاربة في النسب وجميعها تتكلم لغة واحدة هي اللغة العربية . اما العناصر التي لا تتكلم العربية في هذه المنطقة فاني اعتقد انها لا تتجاوز الواحد في المئة من مجموع السكان . ان هدف الحركة القومية العربية (التي اصبحت والذي في اثناء الحرب زعيمها وذلك نزولا عند رغبة فرعي الحركة في سوريا وبغداد اللذين بعثا بنداء اليه ليتزعم الحركة) هو توحيد العرب في امة واحدة . وبصفتي احد الاعضاء القدامى في اللجنة السورية لهذه الحركة فاني قدت الثورة السورية ، وكان يعمل معي سوريون وعراقيون وعرب من الجزيرة العربية .

ونحن نؤمن ان هناك ما يبرر هدفنا في توحيد الامة العربية في آسيا . ولست ارى به حاجة للتدليل على هذه المبررات . ولكن اذا لم يكن بد من اقامة الحجج فاني اشير اولا الى المبادئ العامة التي اعترف بها الحلفاء عندما انضمت الولايات المتحدة اليهم ، كما اني اشير الى ماضينا المجيد والى مثابرة شعبنا العربي طوال ست مئة سنة في مقاومة الاتراك الذين كانوا يحاولون دمجنا في امتهم التركية . واذا سمح لي فاني اشير ايضاً الى الدور المحتشم الذي قمنا به في هذه الحرب بصفتنا احدى الدول المحاربة الحليفة .

يحتل والذي مقاماً رفيعاً في نفوس العرب بصفته قائداً ممتازاً وزعيماً لأشرف العائلات العربية وشريفاً لمكة المكرمة . وانه راسخ الايمان في ان الوحدة العربية ستكفل بالظفر آخر الامر اذا لم تجر محاولة للضغط علينا لفرض وحدة سياسية مصطنعة ، او لوضع العقبات في وجهنا وذلك عبر تقسيم هذه المنطقة كغنائم حرب بين الدول العظمى .



ملحق رقم ٤

فيصل وهو خارج من فندق فكتوريا في دمشق بعد اجتماعه الى الجنرال اللنبي في ٣ تشرين الاول ١٩١٨
محفوظات مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت)

وقد أصبح توحيد الامة العربية في آسيا امراً يسيراً في الالونة الاخيرة بعد انشاء الخطوط الحديدية والبرق والمواصلات الجوية . فقد كانت هذه البقعة من الدنيا في سالف الايام شاسعة المسافات وقليلة السكان في بعض مناطقها مما كان يصعب معه انتشار الفكر والاهداف العامة .

ان المناطق العربية المختلفة في آسيا - سوريا والعراق والجزيرة والحجاز ونجد واليمن - تختلف اقتصادياً واجتماعياً اختلافاً كبيراً مما يجعل ضمها كلها في اطار حكومة واحدة امراً صعباً لا يمكن تحقيقه .

نحن نؤمن ان سوريا، وهي بلد زراعي صناعي كثيف السكان، وسكانه من الحضرة، متقدمة سياسياً بحيث تستطيع ان تدير شؤونها الداخلية بنفسها . كما اننا نشعر ان اية مشورة تقنية اجنبية تقدم الينا تشكل عنصراً ذا قيمة عظيمة للتنمية الوطنية . ونحن على استعداد ان ندفع ثمن هذه المشورة نقداً اذ انه لا يمكننا ان نضحي في سبيلها شيئاً من الحرية التي ظفرنا بها نحن انفسنا بقوة السلاح .

اما الجزيرة والعراق فيكونان ولايتين شاسعتي المساحة وتشتملان على ثلاث مدن متمدنة ولكن تفصل بينها مساحات كبيرة من ارض عراء صحراوية تقطنها قبائل من الرحل . والعالم يريد ان يستغل العراق وان ينتفع بخيراته في اقصر مدة ممكنة ، ولذا فاننا نعتقد ان نظام الحكم القائم هناك يجب ان تدعمه مساعدة مالية وان تأخذ بيده جماعة من الموظفين التابعين الى دولة اجنبية من الدول الكبرى . غير اننا نطلب ان تكون الحكومة في المبدأ وفي الروح عربية على ان يكون المبدأ المتبع في المناطق المهمة هو مبدأ الانتقاء والتعيين لا مبدأ الانتخاب الى ان يتم توسيع القاعدة الشعبية وتطويرها . وواجب الحكومة العربية الاول سيكون الاشراف على التربية التي من شأنها ان تدفع بالقبائل الى السير في ركاب الحضارة كي تستطيع اللحاق بالمستوى الاجتماعي الذي بلغته المدن .

ان الحجاز منطقة قبائلية ، وستظل الحكومة هناك ، كما كانت في الماضي حكومة تتلاءم مع النظام القبلي والاحوال المعيشية القائمة هناك . ونحن نحس هذه الامور بصورة افضل من التحسس الاوروبي لها ، ولذا نقترح ان نحفظ باستقلالنا التام الناجز هناك .

وليس من المحتمل ان ترفع اليمن ونجد قضيتهما الى مؤتمر الصلح . انهما بلدان

سيهتمان بأمورهما وسوف ينظمان علاقاتهما الخاصة مع الحجاز ومع سواه من البلدان .

اما في فلسطين فان غالبية السكان الساحقة من العرب . واليهود يمتون بصلة نسب عرقية الى العرب وليس بين الشعبين من فوارق في الخلق والمزايا فاننا واليهود ، مبدئياً ، شعب واحد . ومهما يكن من امر فان العرب لا يمكنهم تحمل مسؤولية الحفاظ على التوازن في حالة حدوث تصادم بين مختلف الشعوب والديانات في هذا الاقليم الذي كثيراً ما ورط دول العالم ووقعها في مأزق صعبة . وهم يرغبون في فرض وصاية فعالة يتولاها وصي من الدول الكبرى طالما ان هناك ادارة حكومية تمثيلية محلية تركز نفسها بنشاط وعزم لرعاية الازدهار المادي في البلاد .

وفي بحثي قضايا اقاليمنا باسهاب لست ادعي اني املك من الكفاءة بدرجة ممتازة ومتفوقة وانني لآمل ان تستطيع الدول العظمى ان تجد وسائل افضل لتحقيق اهداف حركتنا القومية . لقد جئت الى اوروبا وبالنيابة عن والدي وبالنيابة عن العرب في آسيا لاقول لكم انهم يتوقعون من الدول الممثلة في مؤتمر الصلح الا تعلق اهمية زائدة على المفارقات السطحية القائمة في الاحوال السائدة والا تنظر اليها من خلال النظرة الاوروبية المادية لمصالحها ولناطق نفوذها المزعومة هناك . انهم يأملون منكم ان تنظروا اليهم كشعب له امكاناته الكامنة ، وكشعب شديد الغيرة على لغته وحرية . ويطلبون اليكم الا تتخذوا اية قرارات تتعارض مع رغبة هذا الشعب في تحقيق وحدة تضم هذه المناطق تحت حكم واحد يتمتع بالسيادة المطلقة .

هذا وانني اذا كنت قد شددت على وجود فروقات في الاحوال الاجتماعية السائدة في هذه المناطق فلست اهدف من وراء هذا ان اترك في اذهانكم انطباعاً من ان هناك خلافاً جوهرياً حول المثل العليا والمصالح المادية ، والعقائد ، والسجايا الخلقية التي تجعل الوحدة بينا امراً مستحيلاً . ان اخطر مشكلة نجابهها هي الجهل وهذه العقبة يتحمل الاثراك بصورة عامة مسؤوليتها .

نحن نرى انه اذا منحنا استقلالنا، واذا اثبتنا كفاءتنا الوطنية فان المؤثرات الطبيعية الناشئة عن العرق واللغة والمصالح ستعمل بعد زمن قصير على جمعنا في امة واحدة . ولكن لكي تعمل هذه المؤثرات عملها فينا يتوجب على الدول العظمى

ان تضمن لنا فتح الحدود الداخلية بين مناطقنا خطوطاً جديدة وخطوط برق مشتركة ونظماً موحداً للتربية. ولكي تحقق الدول العظمى هذه المشاريع عليها ان تترفع عن نيل المنافع الفردية وان تنبذ التحاشد القديم بينها . وبكلمة واحدة نطلب اليكم الا تفرضوا علينا حضارتكم ككل بل ان تساعدونا على انتقاء ما يخدم مصالحنا، وما يفيدنا من اختياراتكم الحضارية وليس لدينا سوى الاقرار بالفضل نرفعه اليكم مقابل هذا العطاء الكريم . »

اول كانون الثاني

١٩١٩

(منقولة من الاصل الانكليزي)

راجع :

D.H. Miller, *My Diary*, Vol. IV, Document, 250., pp. 297-299.

ملحق رقم ٦

المذكرة التي رفعها الامير فيصل الى مؤتمر الصلح وفيها يبسط
« المطالب الاقليمية التي تقدمت بها حكومة الحجاز » .

« جئت ممثلاً لوالدي الذي قاد الثورة العربية ضد الاتراك تلبية منه لرغبة بريطانيا وفرنسا لأطالب بان تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسيا من خط الاسكندرونة - ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً ، معترفاً باستقلالها وسيادتها بضممان من عصبة الامم . ويستثنى من هذا المطلب الحجاز وهو دولة ذات سيادة ، وعدن وهي محمية بريطانية .

وبعد التحقق من رغبات السكان في تلك المنطقة يمكننا ان نرتب الامور في ما بيننا ، مثل تثبيت الدول القائمة فعلاً في تلك المنطقة ، وتعديل الحدود بينها ، وفي ما بينها وبين الحجاز ، وفي ما بينها وبين البريطانيين في عدن ، وانشاء دول جديدة حسب الحاجة وتعيين حدودها .

وستتقدم حكومتي في الوقت المناسب بمقترحات تفصيلية في هذه النقاط الصغيرة . واني استند في مطلبي هذا على المبادئ التي صرح بها الرئيس ولسن (وهي مرفقة بهذه المذكرة) ، وانا واثق من ان الدول الكبرى ستهتم بأجساد الشعوب الناطقة بالعربية وأبرأواها اكثر من اهتمامها بما لها هي نفسها من مصالح مادية » .

في ٢٩ كانون الثاني ، ١٩١٩

(منقولة من الاصل الانكليزي)

راجع :- D.H. Miller, *My Diary* Vol, IV, Document 251, p. 300

للسكان . وهذه الدولة السورية الجديدة تضم اربع مئة الف من السكان . وتكون مساحتها مساحة تقرب من مساحة بلغاريا .

٢ - نوصي بان يطبق على الدولة السورية نظام الانتداب ولكننا لن نسمي الدولة التي تكون منتدبة عليها .

٣ - نوصي كذلك بالا تقوم عقبات وعراقيل تعترض انضمام الدولة السورية اخر الامر ، الى اتحاد عربي كونفدرالي ، اذا ظهر في البلاد ميل الى مثل هذا الحل .

هناك امكانية ان ينشأ في المستقبل اتحاد عربي كونفدرالي يضم جميع المناطق الناطقة بالعربية والتي كانت قسماً من الامبراطورية العثمانية سابقاً . واما مبلغ القوة الذي وصلت اليه هذه الحركة العربية في الوقت الحاضر فامر يصعب تقديره . وانه في نظرنا افضل حل بالنسبة الى تطوير الدول العربية وخيرها .

D.H. Miller, My Diary Vol. IV, Document 246, p. 262

ملحق رقم ٧

مقتطفات من « مختصر التقرير والتوصيات الموقت الذي اعدته دائرة الاستخبارات ، وفقاً للتعليمات الصادرة اليها ، للرئيس ولسن والمفوضين المطلقين الصلاحيات ، في ٢١ شباط ، ١٩١٩ .

« ٢٥ سوريا

نوصي :

- ١ - بانشاء دولة سورية .
- ٢ - ان يطبق على الدولة السورية نظام الانتداب ، غير اننا لن نسمي الدولة التي تكون منتدبة عليها .
- ٣ - بالا تقوم عقبات وعراقيل تعترض انضمام الدولة السورية ، اخر الامر ، الى اتحاد عربي كونفدرالي ، اذا ظهر في البلاد ميل الى مثل هذا الحل .

بحث التفاصيل :

- ١ - نوصي بانشاء دولة سورية . انه على الرغم من ان سوريا جزء من العالم الذي تنطق شعبه بالعربية فان فيها جاليات اوروبية كبيرة ، كما ان لها علاقات تجارية وثقافية وثيقة مع اوروبا . وفيها كذلك عناصر مسيحية قوية وحياة حضرية . ولذا ينبغي ان تفصل منذ البدء عن المنطقة العربية التي تقطنها القبائل الرحل . ان حدودها الشرقية قد وضعت على اساس هذا الاعتبار ، وتمتد الى ما وراء الأرض القابلة للحرارة والزراعة كي تشمل جميع المناطق التي تنتج الحبوب والتي تشكل حوران جنوب دمشق اغني منطقة فيها . اما الحدود الشمالية لدولة سوريا فانها حدود مصطنعة ، اذ انه يصعب في الواقع وضع حدود هنا تقوم على خطوط عرقية

ملحق رقم ٨

(البيان الذي القاه هوارد بلس ، رئيس الكلية السورية الانجيلية في بيروت ، سوريا ، امام مؤتمر الصلح في باريس (في مجلس العشرة الكبار) بعد ظهر يوم الخميس الواقع في ١٣ شباط ، في الكاي دورسي (Quai D'Orsay) في باريس (مقر وزارة الخارجية الفرنسية) .

« حضرة الرئيس ، حضرات السادة :

لن استيقمكم طويلاً في هذا الاجتماع . ان اهتمامي العظيم بشعب سوريا ، بقطع النظر عن العرق والمعتقد والاحوال الاجتماعية ، ينبع من طول اقامتي في تلك البلاد (والواقع اني ولدت في جبل لبنان) وهو المبرر الوحيد لدي في استبقائكم هنا لفترة وجيزة .

اولا كلمة تمهيدية تتعلق بالسكان انفسهم . ان الشعب السوري شعب ذكي الفؤاد ، مقتدر ، حسن الضيافة ، قريب من القلب ، ولكنه شعب يشكو من بعض الخصائص التي تتميز بها الشعوب التي تعرضت للظلم والعدوان امداً طويلاً من مثل الجبن والتملق وعدم مجابهة الامور مباشرة . ولهم ايضاً نقائص وهي النقائص التي يتميز بها شعب يقتبس الحضارة جاهزة دون ان يمر في اختبارات الحضارة وتطورها . ولذا فانه ينقصهم التوازن وسرعان ما يتسرب القنوط واليأس الى نفوسهم ، كما انه تنقصهم الكياسة السياسية فانهم لا يعرفون الحدود التي ينبغي لهم ان يتوقفوا عندها عندما يكون الامر متعلقاً بحقوقهم . وعليه ينبغي التعامل معهم بروح العطف والحزم والصبر فانهم قادرون ان يستجيبوا بنبيل وشرف لكل نداء يوجه اليهم اذا كان النداء منصفاً . وهم قادرون على النمو والتطور في سبيل تقرير المصير ونبيل الاستقلال .

ان الشيء الذي التمس من هذه الهيئة الموقرة ، نيابة عن اهل سوريا هو هذا : ايفاد لجنة محايدة تتألف من اعضاء يمثلون الحلفاء فوراً الى سوريا كي يفسحوا المجال

امام سكان سوريا ، بما في ذلك سكان لبنان ، ليعبروا بحرية تامة عن رغائبهم السياسية وعن امانيتهم الوطنية حول شكل الحكومة التي يرغبون في ان تتولى امورهم ، وحول الدولة التي ستتدب عليهم اذا كان هناك من انتداب سيطبق على بلادهم .

والتماسي هذا يستند الى النقطة الثانية عشرة من مبادئ الرئيس ولسن ، والى التصريح الذي ادلت به حكومتا فرنسا وبريطانيا العظمى في شهر تشرين الثاني من سنة ١٩١٨ ، الامر الذي يربط كلا من الحلفاء والولايات المتحدة بواجب منح الشعوب المحررة من الحكم التركي فرصة للتعبير عن ذواتها . والتصريح الذي اشترت اليه آنفاً ينص على ما يلي : -

« هذا نص التصريح الذي اتفقت عليه حكومتا فرنسا وبريطانيا وابلغ الى رئيس الولايات المتحدة :

« ان السبب الذي من اجله حاربت فرنسا وانكلترا في الشرق تلك الحرب التي اثارها مطامع الالمان انما هو لتحرير الشعوب التي رزحت اجيالا طويلاً تحت مظالم الاثراك تحريراً تاماً نهائياً ، واقامة حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الاهالي الوطنيين لها اختياراً حراً . ولقد اجمعت فرنسا وانكلترا على ان تؤيد ذلك بان تشجعا شعبنا وتعينا على اقامة هذه الحكومات والادارات الوطنية في سوريا والعراق ، المنطقتين اللتين اتم الحلفاء تحريرهما ، وفي الاراضي التي ما زالوا يجاهدون في تحريرها ، وان تساعدا هذه الحكومات وتعترفا بها عندما تؤسس فعلاً . وليس من غرض لفرنسا وانكلترا ان تنزلا اهالي هذه المناطق على الحكم الذي تريدها ولكن همهما الوحيد ان يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما المفيدة عمل هذه الحكومات والادارات التي يختارها الاهلون من ذات انفسهم وان تضمننا لهم عدلاً منزهاً يساوي بين الجميع ويسهل عليهم تنمية الامور الاقتصادية في البلاد بأحياء مواهب الاهالي الوطنيين وتشجيعهم على نشر العلم ووضع حد للخلاف القديم الذي قضت به السياسة التركية تلك هي الاغراض التي ترمي اليها الحكومتان المتحالفتان في هذه الاقطار المحررة » .

اني لا اعتقد ان سانحة كهذه للتعبير عن الذات لم تتوافر بعد لهؤلاء الشعوب . حتى مغادرتي بيروت ، وذلك في التاسع من كانون الثاني كانت مراقبة الصحف والبريد لا تزال على شدتها وصرامتها وكانت تقوم في وجه عقد الاجتماعات العامة لبحث المشكلات السياسية عراقيل ، كما ان حرية السفر كانت تتعرض الى مصاعب جمة بحيث كان يستحيل على الناس (الذين عانوا اجيالا من الترويع والتخويف فاصبحوا على شيء من الجبن والاستسلام) ان يعبروا عن آرائهم السياسية بحرية . نعم ، ان وفداً لبنانياً قد افلح في الوصول الى باريس ، وهو الان ، موجود في

هذه المدينة ، ولكن هناك فئات اخرى في لبنان كانت تود لو اتيح لها ان تتكلم عن نفسها وعن غيرها كما اتيح لهذا الوفد من تنظيم ومن توافر الوسائل للسفر .
ان النقطة التي احب توضيحها هي انه ، حتى التاسع من شهر كانون الثاني (وهو يوم مغادرتي بيروت) ، وبحسب ما عندي من معلومات ، لم تنشر في سوريا اية معلومات عن اجراء ما يشبه الاستفتاء العام لشعب سوريا (بما في ذلك لبنان) ، او ما يشبه محاولة الحصول على معلومات وافية عن شعور الناس العام . نعم ، لقد سمعت عن جماعات من الناس توقع العرائض مطالبة بهذا المنهج ، او بذلك . وعلى الرغم من اني في مركز استطيع فيه الحصول على المعلومات فاني لم اطلع على خطة رسمية منظمة مدروسة درساً وافياً للتأكد من رغبات الناس وامانيهم . غير اني لا علم لي بخطة من هذا النوع . ولكن اعلم ان هناك مواطنين في بيروت ولبنان لم يتقدم احد للتباحث معهم بغية الاطلاع على امانيهم السياسية .

ولذا فاني التمس من مؤتمر الصلح ان يوفد على عجل اللجنة التي اشرت اليها آنفاً مانحاً اياها صلاحيات واسعة . وبديهي ان تحظى هذه اللجنة بتعاون خالص تمنحها اياه السلطات الفرنسية والبريطانية الموجودة الان في سوريا .
وللتأكد من رغبات الناس وامانيهم السياسية ينبغي ان يتم هذا الاستفتاء اما في غياب اية دولة اجنبية (وهذا امر غير عملي الان) او بحضور السلطات الفرنسية والبريطانية التي عاشت سوريا تحت حكمها طوال الاشهر الاربعة الاخيرة .
انه من السهل تخويف الناس وترويعهم في تلك المنطقة حتى في حالة عدم وجود ما يخشى جانبه من اية جهة كان ، ولهذا السبب اقترحت اتخاذ هذه الاحتياطات . ومعرفة ما يريده الناس نعمة تعود بالخير على الدولة التي سيناط بها امر الانتداب على هذه المنطقة ، كما انها تعود بالخير على سكان سوريا انفسهم .
واسمحوا لي ان اقول كلمة حول مهمة اللجنة واسلوب عملها . لن تكون مهمتها امراً يسيراً . ينبغي لهذه اللجنة ان تقوم بعملها هذا بروح العطف السامي وبصبر لا يعرف له حد وبصراحة وحسن نية . واذا ما انيط هذا العمل بأناس متحررين ومنصفين — اناس نبلاء حسي الفطنة والحنكة — يستطيعون ان يوضحوا غايتهم النبيلة لسكان المنطقة الحذرين — ولكنهم اذ كياء — فانه من الممكن الحصول على نتائج ذات قيمة ونفع عظيمين .

اني على يقين من ان هذا الاستفتاء سيسفر عن الكشف عن رغائب الناس في انشاء دولة او دول تتطلع على المدى الطويل الى الاستقلال التام الناجز . اما في الوقت الحاضر فأنهم يطلبون وصاية دولة تتدب عليهم .

وهذه الدولة ، او الدول ، مع الدولة المنتدبة ينبغي لهما ان تعملان تحت اشراف عصبة الامم ومراقبتها .

وما لم يفصل في هذه الدولة ، او الدول ، الدين عن الدولة فصلاً تاماً فستنشأ حتماً حالات خطيرة .

ان الدولة في جانب ، والدين في جانب آخر يستطيعان ان يسيرا كل في سبيله للقيام بالمهمة المنوطة به خير قيام . ولست اشك في ان تاريخ الشرق ، ان لم اقل تاريخ كل امة ، يشير بوضوح الى اثبات هذه الحقيقة (وقد ارتجل هنا الدكتور هوارد بلس ، الكلام ، ولكن ما قاله حرفياً لا يمكن اثباته) . ومما قاله : وكلمة اخيرة : ما لم تقم الدولة المنتدبة العاملة تحت اشراف عصبة الامم ومراقبتها بمهمتها السامية في سوريا بنفس الروح النبيلة التي سادت العلاقات القائمة بين الحلفاء والولايات المتحدة في اثناء الحرب العالمية التي خاضوها في سبيل المثل العليا فان الانتداب سيمنى بالخيبة والفشل .

ولكن ، من جهة اخرى ، اذا اظهرت الدولة المنتدبة رغبة صادقة في العمل المجرد من كل غرض ونفع ، بصبر واناة بغية رفع مستوى هذا الشعب الذكي الذي يستحق المعونة — ولكنه شعب تعرض للظلم والاضطهاد — فان النتائج التي يسفر عنها الانتداب ستكون نعمة وبركة على سوريا وعلى العالم كله .

راجع : — *The Private Papers of Dr. Howard S. Bliss.*

ملحق رقم ٩

- مفكرة عمل تتعلق باحتلال سوريا وفلسطين والعراق الى ان يتخذ قرار بشأن توزيع الانتداب .
- ١ - تتخذ اجراءات فورية استعداداً لجلاء الجيش البريطاني عن سوريا وقيليقيا بما في ذلك مضيق طورس .
 - ٢ - تشعر الحكومة الفرنسية والامير فيصل بنوايانا للبدء بالجلاء عن سوريا وقيليقيا في اليوم الاول من تشرين الثاني سنة ١٩١٩ .
 - ٣ - عندما يتخذ قرار بشأن من يستلم الصلاحيات لاحتلال المواقع العسكرية في مختلف المناطق التي ستجلب عنها ينبغي ان تؤخذ الاتفاقيات المفقودة بين حكومتي فرنسا وبريطانيا والتصريحات التي صرحوا بها بعين الاعتبار ، وليس هذه وحسب بل الاتفاقيات والتصريحات القائمة بين هاتين الدولتين وبين العرب .
 - ٤ - وفقاً لهذه الخطة تحل القوات الفرنسية والانكليزية في سوريا في المواقع الواقعة غرب خط سايكس - بيكو وفي قيليقيا .
 - ٥ - وستحل القوات العربية محل القوات المربطة في مواقع دمشق وحمص وحماء . بعد انسحاب القوات العسكرية لن تتحمل الحكومة البريطانية ولا القائد العام البريطاني اية مسؤولية في المناطق التي انسحب منها الجيش .
 - ٦ - وعليه تكون المناطق التي يحتلها الجيش البريطاني فلسطين في حدودها القديمة كما كانت اي من « دان الى بشر السبع » والعراق بما في ذلك منطقة الموصل .
 - ٧ - وهذا الاحتلال ينسجم مع الاتفاقيات التي عقدت في شهر كانون الاول من سنة ١٩١٨ بين كليمنصو ولويد جورج .
 - ان الحكومة البريطانية على استعداد في اي وقت كان ان تبحث مسألة

- الحدود الفلسطينية - السورية والحدود العراقية - السورية . وفي حال الخلاف على هذه الحدود المشار اليها فان الحكومة البريطانية مستعدة ان تحسم الخلاف باحالة القضية الى تحكيم حكم يعينه الرئيس ولسن .
- ٨ - وفقاً للمبادئ التي تتضمنها اتفاقية سايكس - بيكو فان الحكومة الفرنسية لن تعارض حق انشاء سكة حديدية بين حيفا والعراق تمنحه اياه الحكومة العربية في ممر يقرر بعد المسح الهندسي الذي قد يصل شمالا الى اي مكان عند خط العرض المار في دير الزور .
- كما انه سيكون لبريطانيا العظمى حق انشاء خطوط انابيب للنفط وانشاء سكك حديدية وبالإضافة الى هذا سيكون للحكومة البريطانية الحق الدائم في كل زمان ان تحسن هذه الطرق الحديدية وخطوط انابيب النفط وان تنقل الجيوش بواسطة السكك الحديدية كما ان تمارس هذه الحقوق في زمن الحرب دون المساس بحياد الحكومة الفرنسية او حياد الدولة العربية .
- وفي حال الخلاف على الممر الذي ستمر فيه السكة الحديدية وخطوط انابيب النفط فان الحكومة البريطانية على استعداد ان تعرض هذا الخلاف للتحكيم بواسطة حكم يعينه الرئيس ولسن .
- ٩ - تشعر الحكومة البريطانية الحكومة الفرنسية والامير فيصل عن عزمها على القيام فوراً بمسح هندسي بغية العثور اذا كان هذا الامر ممكناً على ممر للسكة الحديدية ولخطوط النفط يقع كلياً في منطق الانتداب البريطاني وذلك منعاً لاستخدام حقها في بناء هذه الخطوط .
- ١٠ - الى ان يتم تعيين الحدود بين فلسطين والعراق يكون للقائد العام البريطاني حق احتلال مواقع عسكرية واقعة ضمن الحدود التي تدعيها الحكومة البريطانية .
- ١١ - بعد ان تعهدت الحكومة الفرنسية بحماية الشعب الارمني فان الحكومة البريطانية توافق على نقل الجيوش الفرنسية الفوري بطريق الاسكندرونة - مرسين لهذا الغرض .

باريس في ١٣ ايلول ١٩١٩

راجع : Appendix B to Document no. 57: Notes of a Meeting of the Heads of Delegations of the Five Great Powers, held in M. Clemenceau's Room at the war Office, Paris, on Monday September 15, 1919 at 10:30 a.m. in E. L. Woodward and Rohan Butler (Edit.) Documents on British Foreign Policy, 1919-1939 First Series, Vol, I, 1919 pp. 700-701.

ملحق رقم ١٠

باريس في ١٠ تشرين الثاني

١٩١٩ .

يا صاحب الغبطة :

ان المفاوضات التي دارت منذ وصولكم الى باريس بينكم وبين وزير الخارجية وبيني انا ايضاً قد وطدت ولا بد اليقين عندكم ان حكومة الجمهورية تستمر دون تبديل متمسكة بالمودة التقليدية والحب المتبادل منذ قرون بين فرنسا ولبنان .

وقد اكدت لكم ايضاً تلك المفاوضات ان طرق الحل التي نتبعها نحن في مؤتمر الصلح هي بوجه عام موافقة لاماني الشعوب التي انت ممثلها السامي . فان رغبة اللبناني في المحافظة على حكومة ذات سيادة ونظام وطني مستقل تتفق تمام الاتفاق مع التقاليد الحرة الفرنسية .

وليكن اللبنانيون على ثقة من انهم بمعاونة فرنسا ومساعدتها سيحافظون على تقاليدهم ويوسعون نطاق انظمتهم السياسية والادارية ، ويعملون بانفسهم على استثمار كل منافع بلادهم ويرون اولادهم يتهيأون في مدارسهم الخاصة للوظائف العامة في لبنان .

ان النطاق الذي سيمارس فيه هذا الاستقلال لا يمكن تحديده قبل ان يمنح الانتداب على سوريا ولي امل ان الحل النهائي الذي سيتوصل اليه المؤتمر للقضية السورية سيفسح المجال امام الحكومة الفرنسية لتحقيق اماني هذا الشعب الباسل باوسع ما يمكن . وفي الختام ارجو ان تقبل يا صاحب الغبطة تأكيدات فائق احترامي .
كليمنصو .

راجع : حروفوش ، دلائل العناية الصمدانية ، ص ٦٠١-٦٠٢

ملحق رقم ١١

باريس في ١٩ ايار سنة ١٩٢٠

سيادة الرئيس

لقد عبرتم في رسالتكم المؤرخة في ١٣ ايار عن قلقكم حول نص معاهدة الصلح مع تركيا لانه لا ذكر في المعاهدة لاستقلال لبنان وسيادته . انكم تحشون ان يقتصر الامر على استقلال لبنان ادارياً كجزء من سوريا .

اني اتشرف بلفت نظركم الى ان هذه المعاهدة لا تقرر مصير الاراضي التي سلخت عن الامبراطورية العثمانية القديمة تقريراً نهائياً .

وفضلاً عن هذا فان الحلفاء ، بموجب قرار اتخذته المجلس الاعلى ، قد منحوا حق الانتداب على سوريا الى فرنسا التي لم تبدل قط عزمها على جعل لبنان بلداً مستقلاً في ظل الانتداب الفرنسي .

(التوقيع)

ميلران

رسالة الكساندر ميلران ، وزير خارجية فرنسا الى عبد الله خوري ، رئيس الوفد اللبناني في باريس .

راجع : حروفوش ، دلائل العناية الصمدانية ، ص ٦٣٢

ملحق رقم ١٢

قرار المؤتمر السوري

— الموجه الى لجنة الاستفتاء الاميركية —

اننا نحن الموقعين ادناه بامضاءاتنا واسمائنا اعضاء المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق والمؤلف من مندوبي جميع المناطق الثلاث الجنوبية ، والشرقية ، والغربية ، الحائزين على اعتماد سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين ، قد قررنا في جلستنا المنعقدة في نهار الاربعاء المصادف لتاريخ ٢ يوليو سنة ١٩١٩ وضع هذه اللائحة المبنية لرغبات سكان البلاد الذين انتدبونا ، ورفعها الى الوفد الاميركي المحترم من اللجنة الدولية :

اولاً : — اننا نطلب الاستقلال السياسي التام الناجز للبلاد السورية ، التي تحدها شمالاً جبال طوروس وجنوباً (رفح) فالخط المار من جنوب (الجوف) الى جنوب (العقبة الشامية) و(العقبة الحجازية) وشرقاً نهر الفرات فالخابور والخط الممتد شرقي (ابي كمال) الى شرقي (الجوف) وغرباً البحر المتوسط . وبدون حماية ولا وصاية .

ثانياً : — اننا نطلب ان تكون حكومة هذه البلاد السورية ملكية ، مدنية ، نيابية ، تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة ، وتحفظ فيها حقوق الاقليات ، على ان يكون ملك هذه البلاد الامير فيصل الذي جاهد في سبيل تحرير هذه الامة جهاداً استحق به ان نضع تمام الثقة بشخصه وان نجاهر بالاعتماد التام على سموه .

ثالثاً : — حيث ان الشعب العربي الساكن في البلاد السورية شعب لا يقل رقياً من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية ، وليس هو في حالة أحط من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان ورومانيا في مبدأ استقلالها ؛ فاننا نحتاج على المادة ٢٢ الواردة في عهد جمعية الامم والقاضية بادخال بلادنا في عداد الأمم المتوسطة التي تحتاج الى دولة منتدبة .

رابعاً : — اذا لم يقبل مؤتمر الصلح هذا الاحتجاج العادل لاعتبارات لا نعلم كنهها ، فاننا بعدما اعلن الرئيس ويلسن ان القصد من دخوله في الحرب هو القضاء على فكرة الفتح والاستعمار ، نعتبر مسألة الانتداب الواردة في عهد جمعية الامم عبارة عن مساعدة فنية واقتصادية لا تمس باستقلالنا السياسي التام . وحيث اننا لا نريد أن تقع بلادنا في أخطار الاستعمار ، وحيث اننا نعتقد ان الشعب الاميركي هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار ، وأنه ليس له مطامع سياسية في بلادنا ؛ فاننا نطلب هذه المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الأميركية ، على أن لا تمس هذه المساعدة استقلال البلاد السياسي التام ووحدتها ، وعلى ان لا يزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عاماً .

خامساً : — اذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المساعدة منها ، فإننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى ، على ان لا تمس استقلال بلادنا السياسي التام ووحدتها ، وعلى ان لا يزيد أمدها عن المدة المذكورة في المادة الرابعة .

سادساً : — اننا لا نعترف بأي حق تدعيه الدولة الفرنسية في اي بقعة كانت من بلادنا السورية ، ونرفض ان يكون لها مساعدة ويد في بلادنا بأي حال من الاحوال . سابعاً : — اننا نرفض مطالب الصهيونيين ، يجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية أي فلسطين وطناً قومياً للاسرائيليين ، ونرفض هجرتهم الى اي قسم من بلادنا . لانه ليس لهم فيها أدنى حق ، ولانهم خطر شديد جداً على شعبنا ، من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي . أما سكان البلاد الاصليون من اخواننا الموسويين فلهم ما لنا وعليهم ما علينا .

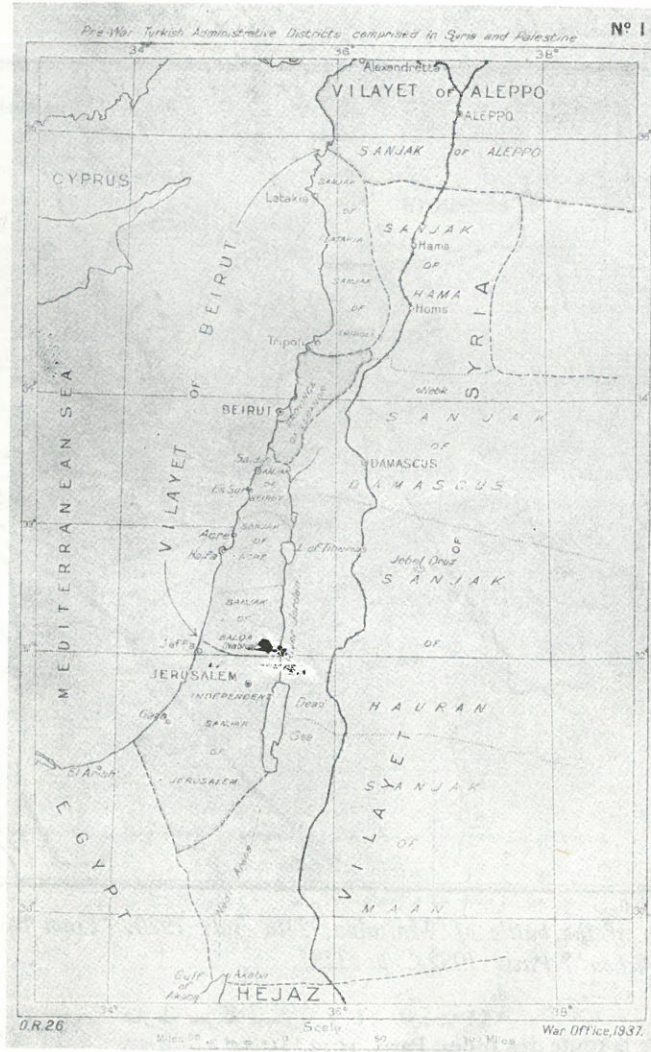
ثامناً : — اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين ، والمنطقة الغربية الساحلية التي من جملتها لبنان ، عن القطر السوري ؛ — ونطلب أن تكون وحدة البلاد مضمونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان .

تاسعاً : — اننا نطلب الاستقلال التام للقطر العراقي المحرر ، ونطلب عدم ايجاز حواجز اقتصادية بين القطرين .

عاشراً : — ان القاعدة الأساسية من قواعد الرئيس ويلسن التي تقضي بالغاء المعاهدات السرية تجعلنا نحتاج على كل معاهدة تقضي بتجزئة بلادنا السورية ، أو كل وعد خصوصي يرمي الى تمكين الصهيونيين في القسم الجنوبي من بلادنا . ونطلب ان تلغى تلك المعاهدات والوعود باي حال كان .

هذا وان المبادئ الشريفة التي صرح بها الرئيس ويلسن لتجعلنا واثقين كل الثقة في ان رغائبنا هذه الصادرة من اعماق القلوب ستكون هي الحكم القطعي في

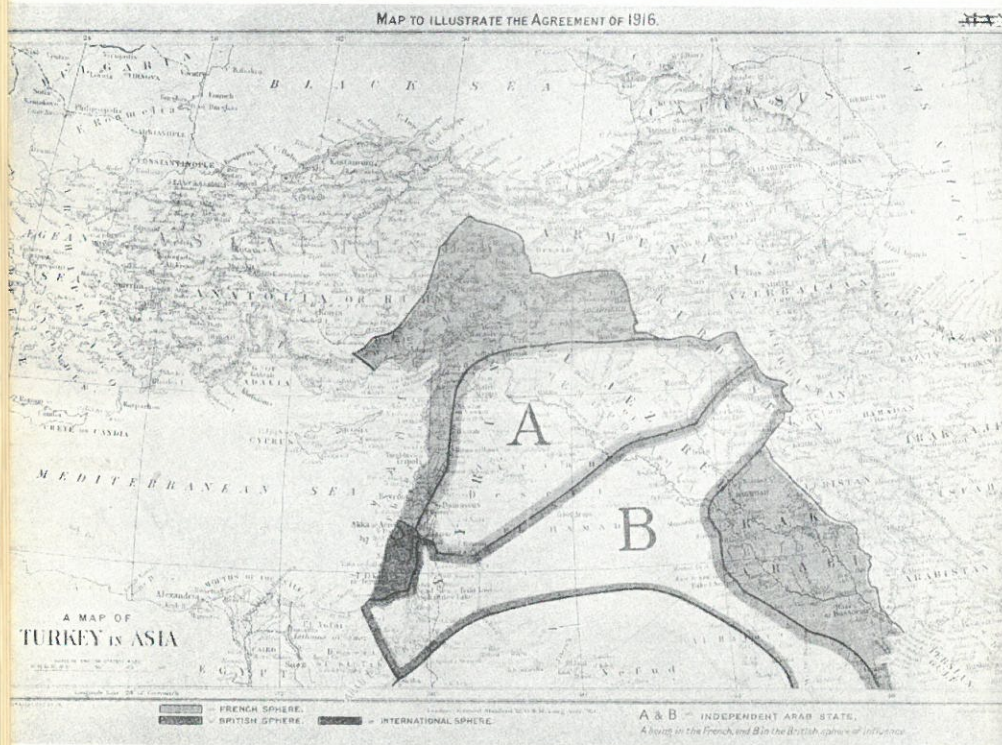
ملحق رقم ١٣



خارطة التقسيمات الادارية في ولاية سورية وولاية بيروت قبل الحرب العالمية الاولى
(نقلا عن Palestine Royal Commission London, 1937)

تقرير مصيرنا . وان الرئيس ويلسن والشعب الاميركي الحر سيكونون لنا عوناً على تحقيقها ، فيثبتون للملأ صدق مبادئهم السامية ، وغايتهم الشريفة ، نحو البشرية بنوع عام ونحو شعبنا العربي بنوع خاص وان لنا الثقة الكبرى في أن مؤتمر السلام يلاحظ اننا لم نثر على الدولة التركية التي كنا واباها شركاء في جميع الحقوق التمثيلية والمدنية والسياسية ، الا لانها تحاملت على حقوقنا القومية ، فيحقق لنا رغائبنا بتمامها ؛ فلا تكون حقوقنا قبل الحرب أقل منها بعد الحرب ، بعد ان أرقنا من الدماء ما أرقناه في سبيل الحرية والاستقلال . ونطلب السماح لنا بارسال وفد يمثلنا في مؤتمر السلام للدفاع عن حقوقنا الثابتة تحقيقاً لرغباتنا هذه والسلام .

اجع : ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، طبعة جديدة ، ص ٢٦٢-٢٦٤



Map showing the Sykes - Picot Agreement of 1916; reproduced from the coloured map attached to the original agreement.

ملحق رقم ١٥ خارطة توضح بنود اتفاقية سايكس - بيكو ١٩١٦

COMBAT DE KHAN MESLOUN 24 JUILLET 1920

--- Infanterie française
← Régiment de spahis marocains
← Chérifiens
Echelle
0 5 10 15 20 Km

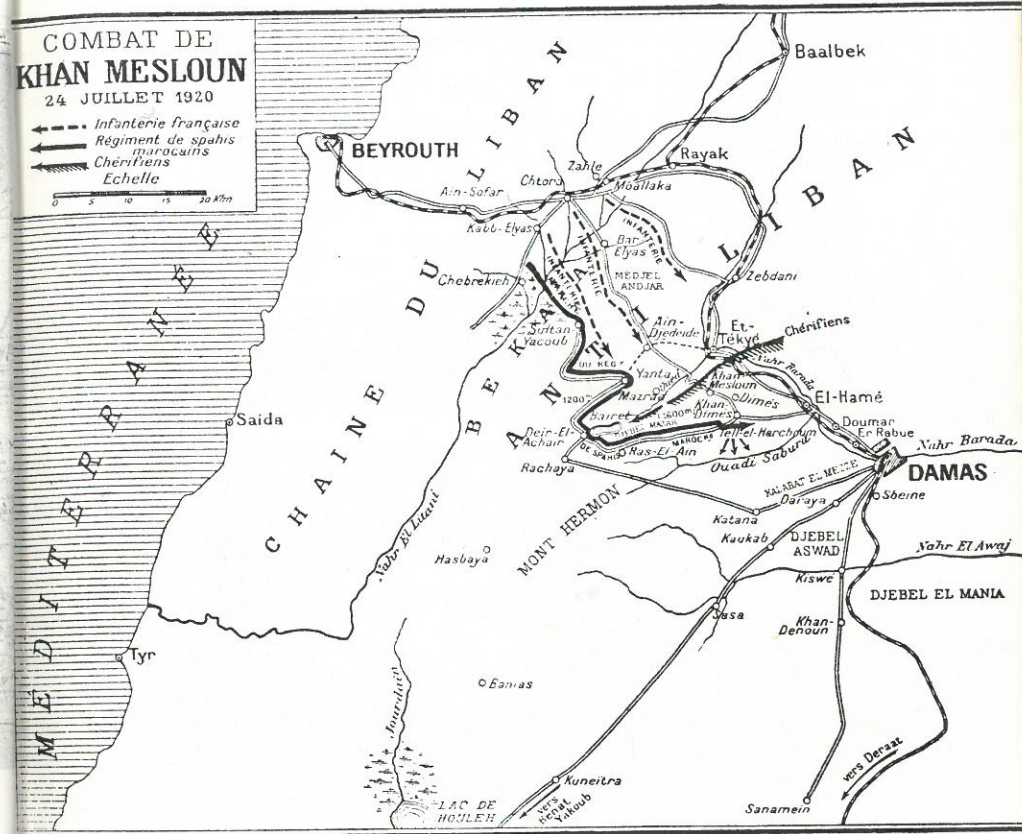


PLATE 3. Map of the battle of Maisalun, 24th July 1920. (From Sur la Route d'Indes, by Jean Pichon (Paris 1932), p. 323).

ملحق رقم ١٤ خارطة معركة ميسلون ، ٢٤ جوز ١٩٢٠
(نقلًا من كتاب Jean Pichon, sur la route des Indes. Paris, 1932.)

Copy.

Cypher telegram to Mr. Cheestham (Cairo)
Foreign Office, September 24th, 1914. 2 p.m.
No. 219. Secret.

52598

Following from Lord Kitchener: 24 SEP 1914

Intelligence report 6th September statement
regarding attitude of Sherif of Mecca. Tell
Storrs to send secret and carefully chosen
Messenger from me to Sherif Abdullah to ascertain
whether "should present armed German influence at
Constantinople coerce Khalif against his will and
Sublime Porte to acts of aggression and war against
Great Britain, he and his father and arabs of
Hedjaz would be with us or against us".

هذه الوثيقة (الملحق رقم ١٦)
والوثائق التالية (الملاحق رقم ١٧، ١٨، ١٩)
من دائرة المحفوظات (Public Record Office)
التابعة لوزارة الخارجية البريطانية .
تنشر هذه الوثائق مع تقديم الشكر الى الامين العام لهذه الدائرة .

(65589/15)

Cypher telegram to Mr. Cheetham (Cairo).
Foreign Office, October 31st, 6.35 p.m.
No. 303.

Your telegram 253 of October 31st.
Following from Lord Kitchener.

Lord Kitchener's telegram to the Sherreef Abdalla. Germany has bought the Turkish Government with gold notwithstanding that England, France and Russia guaranteed integrity of the Ottoman Empire if Turkey remained neutral in this war. The Turkish Government have against the wish of the Sultan through German pressure committed acts of war by invading the frontiers of Egypt with armed bands followed by Turkish soldiers which are now massed at Akaba to invade Egypt. If the Arab Nation assist England in this war that has been forced upon us by Turkey England will guarantee that no internal intervention takes place in Arabia and will give the Arabs every assistance against external foreign aggression.

It may be that an Arab of the true race will assume the Caliphate at Mecca or Medina and so good may come by the help of God out of all evil which is now occurring.

F. O. 371/2139

ملحق رقم ١٨

copy.

Decypher, Mr. Cheetham (Cairo) October 31st, 1914.
D. 12.55 p.m. R. 1.45 p.m.
No. 233.

65589

21 OCT 1914

Your telegram No. 219.

Messenger has returned from Mecca with letter from Sherreef Abdalla. Communication is guarded, but friendly and favourable. Desires "closer union" with Great Britain, but expects and "is awaiting written promise that Great Britain will abstain from internal intervention in Arabia and guarantee him against foreign and Ottoman aggression".

Sherreef himself in a secret conversation with messenger, expressed himself more freely and openly, saying "Stretch out to us a helping hand and we will never aid these oppressors".

Messenger was received and treated with great consideration. It should be noted that Sherreef Abdalla is only repeating without any additions proposals he made to His Majesty's Agency on January 8th (group undecypherable).

Reply is being prepared subject to your approval disclaiming all intention of internal intervention and guaranteeing, against external aggression only, independence of Sherreefate.

Messenger must leave Monday morning or week will be lost. Please instruct me at once.

*Sent to The King.
Sir R. Grey.
Prime Minister.
Lt. Kitchener.
Mr. Churchill.
Private Secretary.*

F. O. 371/2139

ملحق رقم ١٧

Copy.

POLITICAL.

Decypher, Mr. Cheetham, (Cairo) December 10th, 1914.

D. 12.5 p.m. R. 2.30 p.m.

No. 310.

Your telegram No. 303.

Messenger has returned from his second journey to Mecca bringing letter from Sherif Abdalla. The letter, which is couched in friendly terms, re-affirms friendliness of his sentiments towards Great Britain and explicitly states that his father has no intention of adopting a policy hostile to our interests.

In verbal communication Sherif of Mecca himself strongly and repeatedly emphasized that friendliness was considerably warmer than would appear from his letter but pointed out that his position in the world of Islam and present political situation in the Hedjaz made it impossible for him to break with Turks immediately though he was awaiting a colourable pretext.

He told messenger that Turks were making considerable capital with Arabs over our alleged 'cutting off of food supplies of Holy Places' (see my telegram No. 309).